١٧١

الجزء الثالث

من

الجواهر

فى تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب

الآيات الباهرات

﴿ تأليف ﴾

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

للدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بمطبعة

مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

﴿ وحقوق اعادة الطبع محفوظة لهم ﴾

شوال سنة ١٣٤٣ هجريه

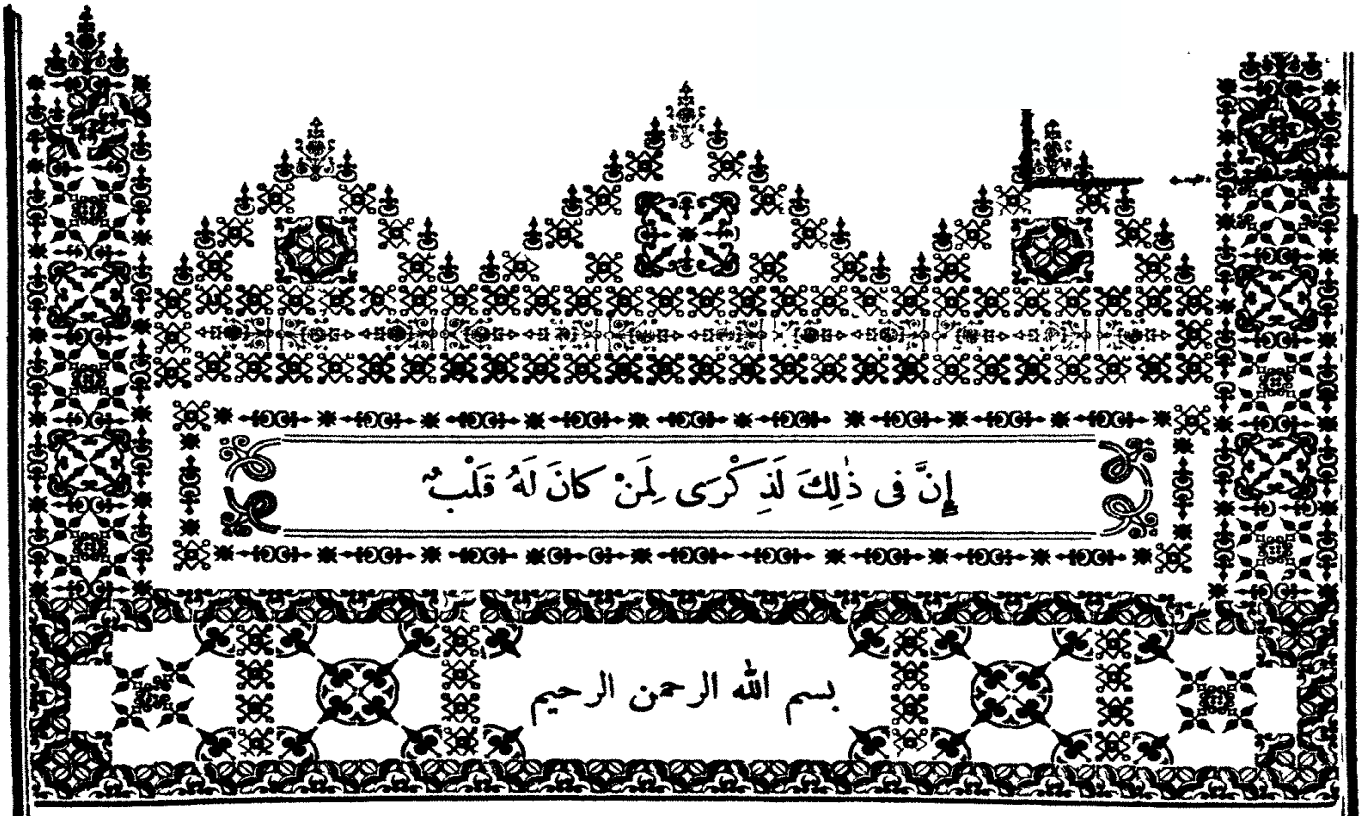

(سورة النساء مقاصدها تسع)

المقصد الأول فى بدء الخلق من قوله يا أيها الناس الى قوله ونساء

المقصد الثانى فى صلة الأرحام والوصية على اليتامى من قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام الى قوله حسيبا

المقصد الثالث فى قسم التركات والمعاملات الماليه من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون الى قوله ولهم عذاب مهين

المقصد الرابع فى صلة الصنفين الذكر والأنثى وأحكام ارتباطهما بعقد أو بغير عقد من قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله ان الله كان عليما خبيرا

المقصد الخامس فى طاعة الله والرسول وأولياء الأمور وا كرام الوالدين واليتامى والعبادات والانفاق وتأدية الأمانات من قوله واعبدوا الله الى قوله وكفى بالله عليما

المقصد السادس فى القتال والجهاد من قوله يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الى قوله وكان الله عليما حكيما

المقصد السابع فى أحكام القضاة والمحامين ولوم القضاة اذا قصروا فى التحقيق وذم المحامين اذا زوّروا من قوله إنا أنزلنا اليك الكتاب الى قوله وكان فضل الله عليك عظيما

المقصد الثامن فى العدل فى النساء وذم اتباع الشيطان ومدح الاخلاص لله والقيام بالقسط لليتامى — وفى ترك مصادقة أعداء المسلمين ونحو ذلك من قوله لاخير فى كثير من نجواهم الى قوله وكان الله غفورا رحيما

المقصد التاسع فى الجدال مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى وتقريعهم على ذنوبهم مثل الربا وعلى جهلهم مثل المغالاة فى الدين وختام السورة بجواب عن الفتيا من قوله يسألك أهل الكتاب الى آخر السورة

(ملخص هذه السورة)

كأن الله عز وجل يقول فى القسم الأول . يا أيها الناس أنتم من أب وأم والأب أصل لكم والأم فرع ومنهما كان رجال ونساء فالوحدة فى الكثرة أولا ترون أنكم كرجل واحد وكيف لا يكون كذلك وأنتم جميعا يعين بعضكم بعضا فالشرقى يلبس مانسجه الغربى والغربى ينسج مازرعه الشرقى وأنتم تتبادلون جميع المنافع فاذا اتحدتم أصلا فها أنتم أولاء اتحدتم عملا فالأصل واحد والعمل متحد أولا ترون أن الانسان الواحد يده تعمل غير عمل عينه وعينه تعمل غير عمل الكبد والكبد يخالف الرئة وكلها متعاونة لو اختل واحد منها لهلك الانسان هكذا مجموع الناس كشخص واحد فاتقون ولا تعصون أيها الناس

وكأنه يقول فى القسم الثانى . فلماذا إذن أيها الناس لا تتواصلون ولا تتراحمون ولا يعطف بعضكم على بعض واذا كان الناس كلهم شرقا وغربا كأسرة واحدة فبالأجدر يكون الأقارب والأرحام فواسوهم ثم اليتامى فلا تأكلوا أموالهم . واياكم والاسراف فى التزوج وكثرة النساء واقتصروا على أربع إن عدلتم وواحدة إن خفتم الظلم وأعطوا النساء مهورهن ولا تضيعوا أموالكم باعطائها لمن لا يحفظها وأعطوهم مايقيمهم وحافظوا على أموال اليتامى وكونوا أعفاء

وكأنه يقول فى القسم الثالث . واقسموا التركات بالحق الذى بينته فالذكر كالأنثيين وللبنت المنفردة النصف وان كانت بنتان فلهما الثلثان ولكل من الأب والأم السدس إن كان للميت ورثة فان لم تكن ذرية فلأمه الثلث وان كان له إخوة فلأمه السدس وللزوج نصف تارة وربع أخرى وللزوجة ربع تارة وثمن أخرى ومن مات ولا ولد له ولا والد يكون لأخيه من أمه السدس فان زاد عن واحد فلهم مهما كان عددهم الثلث والذكر هنا كالأنثى

وكأنه يقول فى القسم الرابع . عاشروا النساء بالمعروف وأشهدوا على اللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم بعد استيفاء الحد فلا يتعرضن لما وقعن فيه حتى يتزوجن وللتوبة منزلة شريفة فى الاسلام مالم يكن الاحتضار ولا تتخذوا النساء سلما للميراث ولا تحبسوهن عليكم من غير رغبة فيهن لأجل أن تأخذوا بعض ما أخذن منكم من المهر الا فى أحوال خاصة ولتكن المعاشرة بالمعروف واياكم أن تأخذوا منهن ما أعطيتموهن فان ذلك عار وكيف يكون هذا الشقاق بعد الوفاق والخلطة ولقد حرمت عليكم نساء آبائكم وكثيرا من القريبات كالأم والأخت الخ وجميع المتزوجات كل هؤلاء حرام عليكم واحذروا السفاح ولا تتزوجوا بالاماء اللاتى ملكهن غيركم الا أن تخافوا الفتنة واحذروا الشهوات والميل فى الأموال كما تحذرونه فى الأعراض ولقد أعفو عن الصغائر اذا اجتنبتم الكبائر وهذه الأموال والنساء عاريات مردودات فلا يقل امرؤ لم استمتع غيرى بالنساء والأموال وأنا محروم فارجعوا الى الله والله هو المعطى . واذا أعطيت المرأة نصف مال الرجل فليس لها اعتراض وليأخذن كل وارث ما استحقه فلا يحسدن أحد أحدا على ماقسم له وليسأل كل الله واذا أخذ الرجل ضعف المرأة فانما ذلك لكونه قواما عليها فله فضل ذلك كما أنه له تأديبها بالأنواع التى أباحها له الشرع فاذا خفتم الشقاق فابعثوا الحكمين

وكأنه يقول فى القسم الخامس . اعبدوا الله وبروا الوالدين وصلوا الأرحام وافعلوا المعروف مع اليتيم الخ واياكم والرياء والله لا يظلم وان رسولى شهيد عليكم فاحذروا أن تظهروا أمامه مشوهى الصور الروحية فتخجلوا وتفضحوا فضيحة عظيمة فلتكن الصلاة بقلوب حاضرة لا بمجرد أقوال وأفعال ولتكن على نظافة لتبتهج أفئدتكم وتكون أرواحكم مشرقة ويكون الظاهر معراج الباطن فالصلاة بلا حضور قلب ولا طهارة لا تفيد بل تبطل وذلك يناسب مايفعله اليهود من تحريف الكلام فى التوراة حفظا للرئاسة وكذبا

ألا وان الظهور بالمظهر الكاذب يورث القلوب النفاق والخلال الدنية وتصبح مجبولة على الأكاذيب والخداع وتغطى عنها الحقائق ألا وان بعض أهل الكتاب باستدامة هذه الخلال أخذوا يؤمنون بالأصنام ويفضلونها على دين الاسلام لكثرة الاكاذيب حتى صارت سجية فلا يبالون بنتائجها أفليس ذلك يستوجب اللعنة لهم ولوأن الملك لهم لبخلوا وهم يحسدون الناس لان المعاصى يجر بعضها بعضا فليؤدّ الناس الامانة وليطيعوا أولى الأمر منهم وليرضوا بقضاء قضاتهم العادلين ولتعظوا الجاهلين ولتعلموا أن المطيعين منكم مع الانبياء والصديقين

وكأنه يقول فى القسم السادس . فلاتكونوا أيها المؤمنون ذوى نفاق تثبطون عن القتال وتكونون كمن يعبد الله على حرف فان رأوا خيرا أقبلوا وان رأوا شرا أدبروا فقاتلوا فى سبيل الله وأنقذوا المستضعفين من أهل مكة الذين ظلمهم الكفار . عجبا لقوم أحبوا القتال فلما أمروا به هابوه وكرهوه مع أن الحياة متاع والموت مطاع وهم يذنبون أكثر مايقضى عليهم من الشر لك وينسبون الخير لله بل الشر من أنفسهم لأنفسهم وهم يظهرون خلاف مايبطنون فى طاعتهم لك ويفشون الأسرار ويشيعون الأخبار فى الحرب والسلم بلاهدى ولا كتاب منير فقاتل ولو وحدك وحرض المؤمنين واحذر المنافقين ولايقتل مسلم مسلما عمدا وللخطأ الدية وجزاء العمد جهنم ومن أسلم فدمه حرام والمجاهدون فى سبيل الله لهم فضل عظيم ولا يقعد قادر راضيا بظلم الكافرين فليهاجر وللمسافر قصر الصلاة واذا صليتم فى أوقات الحرب فاحذروا الأعداء وأقيموها وقت السلم وكونوا أقوياء على الأعداء

وكأنه يقول فى القسم السابع . إياكم أيها القضاة والنهاون فى القضايا ولايسلبن ألبابكم المحامون عن المدعى عليهم بذلاقة ألسنتهم

وكأنه يقول فى القسم الثامن . خير المناجاة ما كان للبر والصدقة والصلح وفيه ذم اتباع الشيطان والمرء مجزىّ بأعماله فليخلص لله وليعط كل ذى حق حقه لاسيما الضعفاء ولاتظلموا النساء ولتصلحوا بين الرجال وبينهن وعلى الرجل أن لايميل كل الميل عن المرأة وان الظالمين منكم أستبدل بهم غيرهم فأقيموا الشهادة حقا ولاتضلنكم الأهواء . وفيه ذم المنافقين وذم من يتخذ بطانة من الأعداء

وفى القسم التاسع . ذم اليهود لنقضهم الميثاق وتبجحهم بانهم قتلوا المسيح واليهود والنصارى سيؤمنون بأن المسيح عبد الله ورسوله عند الاحتضار ولقد ضيقنا على اليهود فى دينهم لانهم ظالمون آكلون أموال الناس باطلا الا خول العلماء منهم وأنت ومن قبلك مبشرون ومنذرون فلاتتغالوا يا أهل الكتاب فى الدين فالمسيح لايتعالى أن يكون عبدا ولا الملائكة الخ انتهى القول فى جمل من معانى هذه السورة

(مقدمة فى مناسبة هذه السورة لما قبلها)

لقد قدمنا أن سورة البقرة مسوقة لأحوال بنى اسرائيل وأن آل عمران كأنها متممة لها ذلك أن عيسى عليه السلام من بنى اسرائيل وقد جاء بدين لاصلاح ما أفسده الدهر من الدين القديم وعنوان السورة يشهد بذلك

وقد قدمنا أن سورة آل عمران مبدوءة بالنظر العلمى مختومة بالعلمى والعملى ابتدئت بالنظر فى السموات والأرض واختتمت بالابتهاج بجمال العالم العلوى والسفلى وان من لم تكشف له الحقائق كانت فضيحته وعاره عظيمين وقد جاء فى خلال ذلك الكلام فى غزوة أحد والتلميح الى غزوة بدر فكان تاريخ بنى اسرائيل أعقبه تاريخ المسيح بالترتيب الزمانى هكذا بعض تاريخ الأعمال الاسلامية فى غزوة بدر وأحد

ولما كان ماورد فى آل عمران من أحوال الاسلام لايعدو فى مجموعه جهاد الأعداء ودفعهم عن الأوطان والذب عن حياض الدولة وحراسة الملة ناسب أن يؤتى عقبها بما يصون البلاد فى داخلها من القوانين المسنونة

لصيانة الأموال والأعراض ونظام الأسرات من قسم التركات وحفظ الزوجات وتبيان المحرمات وحفظ الأنفس من القتل ونظام القضاة والقضايا والمحامين المدافعين عن المدعى عليهم والصلح بين الأزواج والصدق والشهادات وأداء الأمانات واغاثة المستضعفين وما أشبه ذلك مما قرأته مجملا وستعرفه مفصلا فكان تسميتها بالنساء أقرب لأن المسألة ترجع الى أمر الأسرات والأحوال المنزلية وحفظ العائلات والنساء أس المنازل كما أن الرجال أساطين الحروب والأعمال الخارجية فلنبتدئ فى تفسير هذه المقاصد التسعة

(المَقْصِدُ الأَوَّلُ)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(يا أيها الناس) هذا الخطاب عام لجميع نوع الانسان (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وخلق منها زوجها) حوّاء (وبث) نشر (منهما) من تلك النفس والزوج المخلوقة منها (رجالا كثيرا ونساء) بنين وبنات كثيرة اه اعلم أن الله عز وجل لما فرغ من سورة آل عمران وقد حث فى أوّلها وآخرها على النظر العلمى والتفكر فى خلق السموات والأرض وذكر الله باللسان والقلب وكان ذلك أشبه بالنظام العلمى فى فن الحكمة أخذ يكمله فى أوّل هذه السورة بالنظام العملى فهناك العلم وقوّة الأبدان وهنا نظام الأسرات وحفظ العائلات فأخذ يمهد لذلك بمقدمة لطيفة تدل على اتحادنا منشأ وتشابهنا خلقة . واعلم أن خلق آدم وحوّاء ليس هناك دليل قطعى على كيفيته والقرآن أتى به مجملا على مقتضى ماتقبله العقول وتفهمه النفوس فأما التفصيل فليس ذلك للكتب السماوية وانما هذه مقدّمات يؤتى بها للمقاصد . فأما التفصيل فقد قام به علماء الأمم من عجم وعرب . ومن عجب أنهم لم يهتدوا للحقائق ولم يصلوا الى أصل الخلق ألا ترى كيف قال آباؤنا السابقون ان الحيوانات أوّل ما خلق منها البحرية لأن البحر قبل البر ثم كانت البرية وكل حيوان أنقص خلقة مقدّم على ماهو أكمل وقالوا أن الحيوانات التامة الخلقة لم تكن من البحر بل خلقت تحت خط الاستواء وكل منها تناسل من ذكر وأنثى والحرارة هناك كافية للتوليد فلما أن انتشرت تلك الحيوانات كالبقر والغنم والآساد والنمور فى الأرض حفظت تلك الحرارة فى الأرحام لتستأهل لنموّ الأجنة والانسان أيضا كتلك الحيوانات وأبونا آدم وزوجه حوّاء خلقا كما خلق من كل نوع زوجان تحت خط الاستواء وتفرقت الذرية فى الأرض كسائر الحيوانات ثم آباؤنا نقلوه عمن قبلهم من الأمم ولذلك تجد جزيرة سيلان (سرنديب) التى هى قرب خط الاستواء مذكور فى كتبهم أنها فيها خلق آدم ومن هذا جعلت كل الأمم ان آسيا منبع الجنس البشرى وأهل أوروبا يقولون ان أكثرهم من آسيا وان أممها نزحت قديما وهاجرت الى تلك الأقطار الباردة منها وعلى ذلك شاع وذاع لفظ (يأجوج ومأجوج) أى أهل تلك الاقطار وهم التتر والمغول (هكذا رأيتها فى كتب الجغرافيا القديمة) وانهم يفسدون فى الارض فكلما كثروا نزحوا الى أوروبا وغيرها كما تقرؤه عن أمة (الهون) وغيرها قبل العصور الحاضرة وقد هاجروا الى أوروبا وكما تقرؤه فى أخبار جنكيزخان (الذى ستقرأ خبره وتخريبه لبلاد الاسلام فى آخر سورة الكهف وترى هناك معجزات النبوة واضحة) وهولاكو ومن نحا نحوهما ممن أزالوا دولتنا العربية ببغداد ودهبوا الى الروسيا واستوطنوا شواطئ نهر فولجا وهم الآن مسلمون كل هذا مذكور فى التاريخ . والسر الاصلى فيه أن الناس قديما يرون أن مهد

الجنس البشرى فى الشرق وسره الاكبر ظنهم تولد الابوين الأصليين من كل حيوان فى خط الاستواء أما الفرنجه فانهم لايزالون يتخبطون وليس لاقوالهم نهاية ففريق يرى أن الحيوانات البحرية مقدمة على البرية والانقص قبل الاكمل مثل قدمائنا ولكن يرون أن الحيوانات التامة الخلقة مسلسلة من ناقصة الخلق حتى الانسان وهذا المذهب قد سار شوطا بعيدا فى القرن الماضى ولكن علماء العصر الحاضر حقروه ونبذوه ظهريا وذموا قائله وقابلوه بالنكران وكفروابه وهم لايزالون فى البحث مجدين ولايزالون مختلفين أما القرآن والتوراة فانهما نصا على أن آدم خلق من التراب وحواء خلقت منه . هذا هو كلام الديانات وهذه علوم الناس قد أحضرتها بين يديك على سبيل الاجمال . ويا ليت شعرى اذا كان القرآن والكتب السماوية أجلت المقال والفلاسفة والحكماء تفرقوا شيعا فأين السبيل . أقول اعلم أن الكتب السماوية انما تذكر هذا لغرض أسمى من معرفة أصل الأبوين وماذا نجنى من وراء معرفة أصلهما نعم البحث فى العوالم كلها مرقى للعقول ولكن كل مايعرفه البشر فى هذا المقام لايصل للحقيقة الواقعة (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولاخلق أنفسهم) ان الناس لم يشهدوا مبدأ العالم ولامبدأ أنفسهم وانما المقام هنا الدلالة على الوحدة العامة الانسانية فلئن ذكر الله اتحادنا فى المنشأ والتشابه فى الاحوال فانما ذلك ليدلنا بطريق الكناية على الوحدة العامة الانسانية والنظام الشامل لهذا الوجود والكناية هنا هى المقصودة بالذات كما يقول علماء البيان ألاترى الى قول الخنساء وقد خطبها دريد بن الصمة

معاذ الله يرضعنى حبرکى * قصير الشبر من جشم بن بكر

تقول أنا أستعيذ بالله أن يرضعنى قصير القامة ضئيل الجسم من هذه القبيلة ولم يكن ذم الارضاع مقصدها ولا الولد القصير الشبر عدوا لها وانما تريد ماهو أهم لها فى زواجها وهو أن يكون الزوج طويل القامة عظيم الهامة من قبيلة شريفة فانها لو تزوجت ناقص الخلق ضئيل الجسم حملت منه فوضعت ولدا يشبه أباه فانتقلت من المعلول الى العلة ومن الفرع الى الاصل فكانت النتيجة هكذا أنا لا أتزوج رجلا ضئيلا قصيرا حقير المنظر لايملأ القلوب مهابة ولا العيون إجلالا وليس من الملأ الشرفاء ولا من السادة العظماء هذا هو الذى يفهمه الرجال والنساء والعامة والعلماء فهكذا هنا لم يقصد الخلق ومبدؤه لذاته وانما يراد منه الاتحاد والوحدة العامة الانسانية فى هذا الوجود وكأنه بعد أن أبان تناسب المادة وتناسقها فى آخر آل عمران أخذ يبين تناسب الجنس البشرى واتحاده النظرى ورتب عليه التراحم والمودة وصلة الارحام وحفظ مال الايتام والعدل فى قسم التركات والقضايا والدعوات وأداء الشهادات واذا كانت الحكمة تثبت أن هذا العالم الحيوانى والانسانى متشابهان فى الخلق متناسقان فى الوضع حتى انك لترى أن النبات أدناه يقرب من المعادن كخضراء الدمن أى النباتات التى تراها أيام الربيع بالغداة حتى اذا حميت الشمس ذبل النبات وصار هباء منثورا فاذا كان اليوم الثانى طلع كالذى قبله ثم يرتقى النبات طبقا عن طبق حتى يكون أعلاه مايعيش على غيره كنبات يسمى الكشوثى فانه لاساق له وانما يعيش على غيره ويمتص من عصاراته كما تمتص الدودة من الرطوبات وكالنخل لانه تميز ذكره من أنثاه وهكذا اذا قطعت رأسه مات فصفات النخل وصفات الكشوثى أشبه بصفات الحيوان ويلى هذين وأشباههما الحيوان وله أدنى وأعلى فالأدنى أشبه بالنبات كما هو معلوم فى محله وشرحته فى كتاب الفلسفة مما يعيش فى القوقع على شاطئ البحار ثم يرقى طبقا عن طبق الى الآساد والنمور والقرود بحيث ترى الأدنى يتلوه الأعلى فذوات البيض أقل من التى تحمل وتلد وترضع أولادها وهكذا حتى تصل الى المتوحشين من بنى آدم ويرتقى نوع الانسان الى العلماء والانبياء ويليهم الملائكة على تفصيل فى ذلك وعالم الحيوان وعالم النبات كمملكة واحدة تدبرها نفس واحدة وكأنها جسم تدبره نفس واحدة يشير لذلك (ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة) فاذن علمت مما قدمناه فى هذا التفسير أن هذه العوالم كلها متضامنات بينها مناسبات

كأنها أسرة واحدة لمنظم واحد أفلا تكون الأسرة الانسانية أقرب الى التعاطف والتراحم لاقترابها وقد قضت الحكمة أن الاتحاد أعم منها فكيف يكون أمرها واذا كان الاتحاد العام والنظام الشامل بحسب الحكمة يدعوانا أن نرحم الحيوان وننظم هذه الكرة الارضية فكيف بالانسان وهو أخو الانسان . يقول الله أيها الناس تراحموا وتوادوا فأنتم أسرة واحدة من أب واحد * وقال سقراط لتلاميذه وقد أنكر بعضهم العبادة والقربان لله وأنكر وجود عقول غير عقل الانسان لانه لم يره (ألست ترى أن صورة الانسان من المواد الهوائية والمائية والأرضية قال بلى قال فاذن أنت تؤمن أن جسمك المركب من موادضئيلة صغيرة جدا من العوالم الكبيرة المحيطة بنا له عقل ولا تؤمن بأن هذه العوالم الكبيرة فيها عقل أى ان مادة الهواء والماء والجسم الأرضى التى اشتمل عليها جسمك تحظى بعقل وفهم فأما الارض ذات الفجاج والهواء ذو الرياح والبحر ذو الأمواج فكل هذه محرومة من العقل أى ان العقل يناله القليل الضئيل ويحرم منه العظيم الكبير الكلى ان العقل يكذب هذه القضية وهذا العالم منظم بعقل كلى) هذا تقرير ماقاله سقراط فى محاوراته مع تلاميذه ويستدلون على ذلك أيضا بأن كل معدن كالملح والنطرون والشب والمغنيسيا والاسرب والنحاس والذهب له عمل غير عمل الآخر وهكذا النبات والحيوان والماء فانا نراها مختلفة النتائج متحدة الوجهة لغرض واحد ونرى الشمس تمتزج حرارتها بالماء وبالتراب وبالهواء ويكون أنواع النبات ثم ان المعادن تتعاون معها فتكون منافع للناس تتبعها أخرى ورتبوا على ذلك مايقال له

﴿ النفس الكلية ﴾

وجعلوا أن الشمس والقمر والكواكب والماء والهواء بالنسبة اليها كآلات النجار والحداد فالحرارة آلة والبرودة آلة والهواء آلة والماء آلة وبهذه الآلات وتحريكها تصوّر هذه الصور باذن الله تعالى هذا مايقوله الحكماء فتلك العناصر والقوى فى العالم أشبه بالأعضاء والآلات التى يستعملها الانسان وتكون أنفسنا لتلك النفس الكلية أشبه بالعين والسمع والبصر والشم بالنسبة لأنفسنا فالعالم مدبر بنفس واحدة أبدعها الله وهذه النفس مستمدة قواها من العقل الأوّل الذى هو اللوح المحفوظ عند علماء الشريعة ونفوسنا أشبه بالاسماع والابصار لها وكما أن نفوسنا تسمع وتبصر وتبطش وتتكلم وتهضم بالاذن والعين واليد واللسان والمعدة والنفس واحدة والقوى والأعمال مختلفة هكذا هذا العالم كله مدبر بنفس واحدة كنفوسنا وهذه النفس لها قوى مختلفات تدبر العوالم فالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والكهربائية والمغناطيس كل واحد منها له عمل مخالف للآخر والنفس واحدة والأعمال منتشرة تبع القوى وكما أن اختلاف الأعين والآذان والأيدى فى الأعمال لايمنع أن النفس واحدة هكذا لايمنع اختلاف النبات والحيوان والماء والهواء والحرارة والبرودة أن النفس المدبرة لها واحدة فالله واحد والنفس المدبرة الكلية واحدة لها آلات وقوى تدبر بها العمل تدبيرا منظما متجها الى نتائج منتظمه كما تتجه أغراض الانسان لما يريد من حوائج لغرضه الأصلى هذا تحقيق المقام فى النفس الواحدة عند الحكماء فاذا صح هذا تكون النفس الواحدة التى عبر عنها بآدم تذكره للنفس الواحدة المنظمة للعالم ولهذه الوحدة المنظمة ترى الناس يخدم بعضهم بعضا وان لم يعلموا

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وعلى هذه القاعدة ترى جميع نوع الانسان على الأرض يخدم بعضهم بعضا وهم لايشعرون والمرء لايقدر أن يخبز ويحرث ويزرع ويخيط ويأتى بالحديد والنحاس من الجبال ولا يصنع المراكب فى البحار ولا القطرات فوق القضب الحديدية ولا يزرع جميع أنواع الزرع . ان حاجات الناس تزداد كلما زاد العمران وتعظم كلما ارتقى نوع الانسان وهنا يقال . ان كل امرئ محتاج لغيره فى ضروريات معيشته كالمأكل والملبس وفى كمالياته كالزينة والعطر فغيره هو المكمل له فمن كره غيره فقد كره من يكون سبب ضروريات وكمالياته ومن

كره من هو سبب لكمالياته وضروریاته فقد كره كمال نفسه وحیاتها ومن كره كمال نفسه وحیاتها فهو فاقد العقل متخبط فی براهینه لأن القضیة العقلیة الصادقة هكذا كل امرئ یحب نفسه وكمال نفسه . ولكن من یكره الناس تكون نتیجة كراهته لهم هكذا أنه یكره كمال نفسه وحیاتها فتكون النتیجة انه یحب حیاة نفسه وكمالها وأنه یكره حیاة نفسه وكمالها فأما القضیة الأولی فهی بالبداهة وأما الثانیة فبالبرهان لأنه یكره الناس فالانسان فی الصین وفی وروبا جمیعا یعین بعضه بعضا حتی أنك ترى أن أوروبا لما أرادت أن تستغنی عن دولة البلشفیك فی الروسیا طلبت بعد سبع سنین ودها لأنها رأت ألا مناص من مصادقتها فكل عالم فی الشرق ینفع الغرب وكل صانع فی الغرب یصل أثره للشرق فالعالم الانسانی كجسم واحد والأمم اعضاؤه وأفراد الناس ذراته واذا كره زید عمرا وأبغضت دولة دولة فما ذلك الا من عوارض خلقت لمصلحة التنافس والتسابق فالمحبة أصل الوجود والعداوة طارئة لأن العالم بنی على الرحمة والجمال والحب وكل ما طرأ علیه فهو زائل ونهایة كل شئ الجمال والرحمة والبهاء والنعمة لأن الله رحیم والرحمة وسعت كل شئ ولا یبقی فی غضب الله الا من سبق علیهم القضاء

﴿ ذكرى ﴾

أیها الذكی هذا مقام عزیز المنال شریف المغزى فاذا أنصت فی نفسك قبولا لما نقول وفهمته فذاك وان وجدت حرجا فی صدرك وعاقك عن قبوله ما ورثته من الأقوال وظواهر الكلمات فأنا أنصحك أن تجلس دقائق كل یوم وتوجه قلبك لمبدع هذا العالم وتجعل قلبك متجها الیه وتطلب منه بالقلب واللسان أن یفتح لك الباب وهناك ترى منه فتوحا متی أخلصت فی الاقبال علیه مع الطاعة والاخلاص والنشاط والله یهدی من یشاء الی صراط مستقیم *لطیفة* فی تناسب السورتین قال الله فی آخر السورة السابقة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) وأعقبها بأول سورة النساء بقوله (یا أیها الناس اتقوا ربكم) كأنهما سورة واحدة والخطاب عام للناس كلهم كما قال فی سورة أخرى (یا أیها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وهنا یقول (وبث منهما رجالا كثیرا ونساء) انتهی المقصد الأول

(المَقْصِدُ الثَّانِی)

وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِی تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَیْكُمْ رَقِیباً وَآتُوا الْیَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِیثَ بِالطَّیِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِیراً * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِی الْیَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَیْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا * وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَیْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِیئاً مَرِیئاً * وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِی جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِیَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِیهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً * وَابْتَلُوا الْیَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَیْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ یَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِیّاً فَلْیَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِیراً فَلْیَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَیْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَیْهِمْ وَكَفَى بِٱللَّهِ حَسِیباً *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها عطفا على لفظ الجلالة أو والأرحام بالجر معطوفا على الضمير أى تسألون به وبالأرحام. تقول العرب سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم والرحم القرابة وهى إما من الرحمة واما من الرحم لانهم خرجوا من رحم واحدة فى البخارى ومسلم قال عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله * وروى أيضا من سره أن يبسط عليه من رزقه وينسأ فى أثره فليصل رحمه وقوله ينسأ فى أثره أى يؤخر له فى أجله ويروى لايدخل الجنة قاطع (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا مطلعا (وآتوا اليتامى أموالهم) أى اذا بلغوا الرشد واليتيم هو الصبى الذى مات والده (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) أى ولا تستبدلوا الخبيث الذى هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم يقول ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم (ولا تأكلوا أموالهم مضمومة (الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما. نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان فى حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذى له فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الصبى ماله أنفقه فى سبيل الله

ان الناس كثيرا ماينحازون الى جهة من الدين ويتركون الأخرى والحياة لاقوام لها الا بالكمال ومراعاة القضايا الدينية من سائر أطرافها بل مامثل الناس فى أمورهم الدينية الا كمثل التلاميذ فى المدارس النظامية أو كمثل الحكومات الرسمية فلو أن تلميذا قرأ النحو والصرف والحساب وترك العلوم الطبيعية فى المدرسة لحرم الشهادة التى يعطيها له المدرسون ولو أن حكومة غفلت عن نظام الرى وحفظ الجسور وهى ذات عناية تامة بتحصيل الضرائب وأجرة الخفراء وتعليم التلاميذ وارتقاء الجند لكانت آيلة الى الزوال ذاهبة الى النكال يحل بها البوار فى سنين معدودات فالنظام الاجتماعى هيكل منظم كهيكل جسم الانسان متى أصيب أحد أعضائه الأصلية سرى الخلل الى سائر الأطراف فتعطلت أعضاؤه وذهب كأمس الدابر ولات حين مناص

هكذا هنا فى هذه الآية يقول الله تعالى مامعناه مالكم لما سمعتم الوعيد على من لم يقم لليتيم بحقه هلعتم من عذاب الله والحوب الكبير وأنتم مع ذلك لم تحترسوا من الزنا وهو حوب كبير فهل أنتم تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فعليكم أن تحترسوا من سائر الكبائر على السواء فكما خفتم من أكل مال اليتامى فخافوا من الزنا الذى هو اعتداء على حقوق غيركم بل فيه اعتداء على حقوق من هم كاليتامى وكيف لا يكون كذلك والزانية قد تلد ولدا لا أب له فتسرع بالقائه فى الطرقات فيؤخذ لقيطا فير بيه غير والده فهاهو ذا يتيم أنتم كنتم سبب وجوده وبقائه وشقائه الأبدى فكيف تحرجتم من أكل حق اليتيم المشاهد ولم تتحرجوا من هضم حق اليتيم الغائب والأخير من نسلكم وأمره ومبدؤه منكم فانكحوا ماتحبون من النساء على شريطة العدل والمساواة اجتنابا للزنا فاذا كان الزنا لقضاء الشهوات البهيمية أفلا يكفيكم أن تتزوجو من واحدة الى أربع وإياكم والظلم فى القسم بينهن فاعدلوا وهو أقرب للتقوى فاذا كنا حرمنا عليكم أكل مال اليتامى وحرمنا الزنا وأمرناكم أن تتزوجوا فاحترسوا من الظلم وعدم العدل عند التعدد فان وجدتم من أنفسكم ضعفا فعجزتم عن العدل بينهن فتزوجوا زوجة واحدة ولا مانع من كثرة السرارى والاماء فهؤلاء يحل لكم الاكثار منهن فهذا قوله تعالى

(وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء) أى ان خفتم يا أولياء اليتامى

أن لا تعدلوا معهم فمالكم ظلمتم بالزنا فانكحوا الخ

والآية وجه آخر وهو وان خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ماطاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يكون عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن وهذا يقدمه علماء التفسير عادة وقوله (مثنى وثلاث ورباع) أي اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا والواو هنا بمعنى أو كما تقول تزوج اثنتين أو ثلاثا أو أربعا ولو كانت على حالها لصار المعنى أنه يضم هذا العدد كله

واعلم أن الآية ليس فيها مايمنع الزيادة على أربع . ألا ترى أنك لو قلت لرجل تمتع في بستان أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة من بساتيني وانزل في رحب وعيش رغد هنيء لم يكن ذلك مانعا من التمتع بغير الأربعة واباحة شيء لا تقتضي منع سواه ولكن السنة والاجماع هما اللذان عينا الأربع . ألا ترى الى ماروى عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا وهكذا روى أن قيس بن الحارث قال أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن أربعا وانما الزيادة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم والعبد له أن يتزوج بأربع على إحدى روايتين عن مالك وأكثر العلماء أنه على النصف من الحر (فان خفتم ألا تعدلوا) أيها الأزواج بين الأربع (فواحدة) أي فتكفيكم واحدة على الرفع أوفانكحوا واحدة على النصب (أو ماملكت أيمانكم) سوى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري لخفة مؤونتهن وعدم وجوب القسم بينهن (ذلك) التقليل منهن أواختيار الواحدة أوالتسري (أدنى) أقرب من (ألا تعولوا) أي أقرب من ألا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن (نحلة) عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض فليس للأزواج منع المهر ولا للأولياء الاستيلاء عليه لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا) أي فان طابت نفوسهن ووهبن لكم من الصداق شيئا (فكلوه هنيئا مريئا) فخذوه وأنفقوه حلالا لا تبعة فيه وهنيئا طيبا ومريئا سائغا (ولا تؤتوا) أيها الأولياء والآباء (السفهاء) الذين تحت وصايتكم ونساءكم وأطفالكم (أموالكم) التي تتصرفون فيها بطريق الولايات والتي تملكونها لأنفسكم (التي جعل الله لكم قياما) أي تقومون بها (وارزقوهم) أي أطعموهم (فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) عدوهم عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ماعرفه الشرع والعقل بالحسن (وابتلوا) اختبروا (اليتامى) قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين وحسن ضبط المال والتصرف (حتى اذا بلغوا النكاح) أي حد البلوغ بان يحتلم أو يستكمل خمس عشرة سنة عند الشافعية وثمان عشرة سنة عند أبي حنيفة ولقد كنى ببلوغ النكاح عن البلوغ لأنه يصلح للنكاح عنده (فان آنستم) أبصرتم (منهم رشدا) في المعاملات (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن البلوغ فلا يجوز أن يدفع لهم مالهم قبل الرشد وقال أبو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال لأن الطفل يعبر بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد (ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا) أي مسرفين ومبادرين كبرهم (ومن كان غنيا فليستعفف) من أكلها (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته وأجرة سعيه وللعلماء في هذا المقام ثلاثة أقوال فمنهم من منع أخذ شيء من مال اليتيم فقيرا كان أوغنيا ومنهم من قال يأخذ بقدر أجره بالمعروف ان احتاج ومنهم من قال ان احتاج يقترض ثم يرده اذا أيسر واذا أعسر فلا شيء عليه * وأرى أن الأمة الاسلامية يجب أن يكون التعليم فيها عاما محببا في الاخلاص وبعد ذلك يقوم بأمثال هذه الأعمال الأغنياء متبرعين فلا حاجة اذا للفقراء فالمهم التفكر والعلم وأما الأحكام فانما هي للضرورات التي أوجبها شح الناس وعدم الاخلاص في الأعمال (فاذا دفعتم اليهم

أموالهم فأشهدوا عليهم) بأنهم قبضوها فانه أنفى للتهمة فلايصدق فى دعواه أنه سلمها لليتيم الابالبينة عند الشافعى ومالك خلافالأبى حنيفة (وكفى بالله حسيبا) محاسبا ومجازيا فلاتخالفوا أمره انتهى التفسير اللفظى

يقول الله تعالى يا أيها الناس أنتم أسرة واحدة أوجسم واحد لأن أباكم واحد وكل امرئ منكم كعضو من أعضاء الجمعية الانسانية أولا ترون أن فيكم من هو كالسمع والبصر من العقلاء وفيكم من هم كاليد والرجل من العمال وفيكم من هم كالطابخين والخابزين كالمعدة والأمعاء أفلاتتقون وتخافونى وأنتم تذكرون الرحم مقرونه باسمى فأنا الرحيم وهى الرحم فالقرابة التى بينكم المشتقة كلمتها من اسمى أجدر بالمراعاة والمحاباة والمراعاة فضلا عن الانسانية العامة أى عبادى انى عليكم رقيب أرقب ماتصنعون بأرحامكم وكيف لا أرقب ذلك والرحمة صفتى فمن قطع الرحم قطعته ومن وصلها وصلته فأنا الرحيم أحب الرحيم سيما اذا كان ذلك على القرابة الأدنين . أنا سائلكم أيها الناس عن البعيد كما أسألكم عن القريب بل انى أسألكم عن كل ماتقدرون عليه فانى لا أكلف نفسا الاوسعها فالرحمة أنتم عنها مسؤلون فاذا كان فيكم فضل قوة على رعاية اليتامى من الناس فلاتجعلوا مالهم غنيمة لكم ولاتأكلوا أموالهم ولكم أن تأخذوا قدر عملكم فيه بما هو المتعارف المألوف وان كنتم أغنياء خير لكم أن تستعفوا ولتعملوا فى أموالهم بلا أجر الى آخر ماتقدم وفى هذا القسم أربع لطائف

اللطيفة الأولى إن الله كان عليكم رقيبا

اللطيفة الثانية تعدد النساء فى الاسلام

اللطيفة الثالثة ولاتؤتوا السفهاء أموالكم

اللطيفة الرابعة فادفعوا اليهم أموالهم

اللطيفة الأولى ان الله كان عليكم رقيبا وهذه اللطيفة واضحة فيما تقدم فلانطيل فيه

اللطيفة الثانية تعدد النساء فى الاسلام . اعلم أنه قد كثر لغط الفرنجة ومن نحا نحوهم ممن خالطهم من المسلمين فى تعدد أزواج المسلمين وزوجات النبى صلى الله عليه وسلم فلهم أربع وله صلى الله عليه وسلم أكثر . فاعلم أنى قد ألفت رسالة تسمى السر المجيب وقد محضت هذا المقام تلخيصا بسائر أطرافه وهذا المقام لايسع الافاضة فيه خيفة السآمة ولكنى أدلى اليك بيسير من القول لتقف على ماتيسر فأقول . لقد حسد الفرنجة المسلمين وغيرهم على تناسلهم حتى انهم فى افريقيا الجنوبية لما رأى الانكليز أن رجلا يتزوج عشرا من النسوة وهن يسعين لرزقه وهو يأكل ويشرب فيلد بنين وبنات كالديك مع الدجاجات ساءهم ذلك لأن التسل يكثر وهم يريدون تقليله فعمدوا الى ايجاب الضرائب على هذا النوع من الزواج وهكذا لما رأوا الأمم الاسلامية تتكاثر وتتناسل أثاروا هذه المسألة ولقد بحث الباحثون فوجدوا ان الذين يتزوجون أكثر من واحدة فى الاسلام لايزيدون عن خمسة فى المائة ولاينقصون عن ثلاثة فى المائة وهذا العدد القليل لاجرم يغتفر فى جانب العدد العظيم . واعلم أن الله سبحانه جعل للذكور والاناث قانونا لايتعدونه فالذكور والاناث فى دفاتر المواليد فى كل قرية ومدينة وأمة وفى الكرة الأرضية كلها متساويان تقريبا لحسن النظام وجمال الاتقان وبديع الصنع فقل لى رعاك الله هل سمعت أن أمة من الأمم ولدت أناثا فقط أو ذكورا فقط فى سنة أو شهر أو يوم كلا فالله خلقهما متساويين العدد غالبا فلو أن المسلم أراد أن يتزوج اثنتين وكان ذلك عاما فأين النساء ولا نساء فلكل رجل نظيرة منهن وكان الخرافة التى جرت على ألسنة العامة أشبه بهذا إذ يقولون ان لكل رجل قرينة من الجان يقولونها وهم لايعقلون معناها يتلقفونها عن الدجالين بلاعلم ولاهدى ولا كتاب منير وانما الله أجراها على ألسنتهم . وسرها أن لكل رجل امرأة من الناس تخلق مقارنة له فعدأهل القرى والأمصار تجد هذه القاعدة مطردة وهذا من السر المجيب الذى وضعه الله فى الطبيعة التى نظمها — ماترى فى خلق الرحمن من

تفاوت ـ أى تناقض واختلال ولوأنه خلق فى مقابل الرجل امرأتين أو بالعكس لاختل النظام فياليت شعرى كيف يمكن أن يتزوج المسلمون كلهم أوكثير منهم بأكثر من واحدة والله لم يخلق ذلك وانما جعل الله فى كل أمة قوما ضعافا لاقدرة لهم ولامال فهؤلاء لا يتزوجون وآخرين لهم قوة ومال وهم ذوو طباع حادة ولاتكفيهم زوجة واحدة بل يذهبون للزنا وهذا شر مستطير فأباح الله لهم أن يتزوجوا بأكثر من واحدة إكثارا للنسل ومنعا لانتشار الزنا وقتل أولاد السفاح ورميهم فى الطرقات ولعمرى ان هؤلاء خير من أغنياء الأوروبيين الذين يصاحبون أكثر من واحدة سرا فهم وان لم يتزوجوا أكثر من واحدة جهرا فقد تزوجوا سرا ولقد ذمهم علماؤهم واذكر منهم العلامة جوستاف ليبون وأخبر أن التعدد آت لاريب فيه ولقد أوضحت الحرب العامة هذه المسألة أيما إيضاح فان الرجال توفى كثير منهم فى الحرب وأصبحوا قليلا وكثرت النساء فمن ذا يعولهن ومن ذا يقوم بأمرهن فأباحت بعض الدول تعدد الزوجات

فأما المسلمون فانى أرى أن يكون الأمر موكولا لذوى الحل والعقد منهم وليكن التعداد على مقدار الحاجة وليحصوا الرجال والنساء فى البلاد ولينظروا العدد الذى لم يتزوج من الفريقين وليأمروا كل شاب بلغ سنا معينة مثل ٢٠ أو ١٨ سنة بالتزوج فان لم يتزوج أوجبوا عليه مالا معينا يدفعه للحكومة تنفقه على فقير ذى عيال والنساء اللاتى لم يتزوجن يبحث عن رجال يتزوجونهن منفردات والا كان ذلك مثنى وثلاث ورباع للقادرين الاقوياء الاغنياء فاذا فعلت الامم الاسلامية ذلك فليكن بأمر أهل الحل والعقد منهم لا بأمر الفرنجة فان الفرنجة يقصدون تقليل النسل وتقليل الزواج واكثار السفاد والفساد فى الاسلام فاحذروهم أيها المسلمون فليحذر المسلمون الذين يحكمهم الفرنجة أن يوحوا اليهم بأمر من هذا فانهم يريدون الزنا وقلة النسل وضياع البلاد فأما أهل الحل والعقد منكم فلهم أن ينظروا فى المصالح وهم أعلم بما يناسب حالتهم

﴿ تعداد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

لقد أجمع المسلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم من خصوصياته أن له الزيادة على أربع ومع هذا الاجماع ترى أنه اختار من نسائه أربعا أذكر منهن عائشة وحفصة فأما الباقيات فانهن رضين أن يكن أمهات المؤمنين وساكن فى أمر المبيت عندهن فكأن النبى صلى الله عليه وسلم اقتصر على أربع فى الحقيقة فأصبح كالامة وان لم يطلق الباقيات لاسباب أوضحتها فى الكتاب المذكور انتهى المقصود من ذلك الكتاب ملخصا فاقرأ هذا المقام مفصلا فى سورة الاحزاب ففيها تلك الرسالة كاملة

(اللطيفة الثالثة) ولاتؤتوا السفهاء أموالكم . نهى الله الأوصياء والآباء أن يؤتوا اليتامى أموالهم قبل بلوغ سن الرشد وحسن التصرف وهكذا النساء والأطفال فان قلة عقل الطفل والمرأة تجعلهما يسرفان ويبذران فى الأموال فيصبح الرجل حسيرا هذا ما فى هذه الآيات

ومن عجب أن الأمم الاسلامية اليوم تعطى أموالها سفاهة للاوروبيين إما كرها بالاحتلال كأهل جاوه وماوالاها من الجزائر وكأهل المغرب تونس والجزائر ومراكش وكأهل السودان كل هؤلاء يدفعون المال للفرنجة قهرا وإما طوعا بان يدفعوا أثمان البضائع التى تصنع فى بلادهم فأصبح المصرى والهندى والمغربى جميعا يعملون ويكدحون والغربى هو الذى يستنزف ثروتنا وهذا سفاهة دولية لأمة الاسلام ولعمرى لاتبلغ أمة الاسلام الرشد حتى تصنع ماتحتاج اليه من الصناعات ملبسا ومأكلا وآلات فان لم يفعلوا وسيفعلون فذلك ضياع مدنهم وذهاب دولهم وياليت شعرى اذا كانت الفريهمات التى يعطيها الانسان لابنه الصغير أو لزوجته يتصرفان فيها بلاعقل قد نهانا الله عن التفريط فيها فما بالك بأموال الأمة والاسرات التى يمتصها الفرنجى بملابس نحن نقدر أن نصنع غيرها ونستغنى عنها ويكون الثمن فى أيدى أبناء البلاد أليس هذا أدعى الى النهى واذا كان الله يقول لنا فيما نعطيه للاطفال ـ ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ـ فجعل هذه الأموال قياما

لنا نحفظ كياننا ونعيش بها فما بالك بما تراه فى بلادنا المصرية من تلك القناطير المقنطرة من الذهب وهى تبلغ كما فى إحصاء الماليين نحو (٧٠ مليونا) من الجنيهات وأكثرها بلا ربح فى المصارف الافرنجية وهم ينتفعون بتلك النقود والمسلمون لم يأخذوا ربا لانه حرام والفوائد قد ذهبت الى أوروبا يصنعون بها الطيارات والمدافع ويقذفونها على أبناء المسلمين فى الجزائر وتونس ومراكش والهند ومصر كل ذلك والمسلمون غافلون نائمون فلا يصدقون أن مصارف البلاد التى أنشئت حديثا تقوم مقام المصارف الافرنجية ويتركون تلك الأموال عند الفرنجة ولا ينتفعون بها فى تجارة أو شركة أو زراعة بل يتركون أنفسهم عالة على أوروبا التى تأخذ مالهم كأنهم قاصرون والاجانب يريدون أكل مال هؤلاء الأيتام ولكن الآن قد ظهرت بوادر الاصلاح فى الهند ومصر وأكثر البلاد الاسلامية

﴿حكاية﴾ قابلت شابا هنديا منذ أيام وهو لابس ملابس كلها من قطن مغزول غزلا بلديا من رأسه الى قدمه وليس مما ينسجه الاوروبيون فقلت أغزل بلادكم هذا فقال نعم ولو أننى خالفت هذا ولبست ما ينسجه الاوروبيون لعدونى خارجا عن الوطن ولرمونى بأقبح التهم ولقتلونى وذلك من تعاليم الزعيم العظيم غاندى تلك التعاليم التى حرمت على جميع الهنود الملابس الافرنجية. وأقول ومن كلامه الذى ذكرته فى سورة آل عمران ان أوروبا اليوم لا تمثل روح الله ولا روح المسيح بل تمثل روح الشيطان وما أعظم نجاح الشيطان اذا ظهر ولسانه يردد اسم الله وقال أيضا إن الولوع بالمنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الأجنبية والفقر المدقع وما هو أقبح من هذا وهو العار على كثير من العائلات

(اللطيفة الرابعة) فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم. لقد رأى الشافعى رضى الله عنه أن تصرف الصبى قبل البلوغ وهو مميز باذن وليه غير صحيح وصححه أبو حنيفة فاختباره بالبيع والشراء والأخذ والعطاء عند الحنفية وبالنظر فى أحواله وعقله وادراكه عند الشافعى ويبلغ بالانزال كل من الصبى والجارية سواء أكان بالاحتلام أم بالجماع . فاما بالسن فأكثر أهل العلم أن بلوغ الغلام والجارية بخمس عشرة سنة وجعل له أبو حنيفة ثمانى عشرة سنة ولها سبع عشرة سنة . ويختص النساء بالحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة للحمل ثم اذا بلغ الصبى وهو صالح للتصرف فى ماله وان فسد دينه سلم له المال عند أبى حنيفة خلافا للشافعى فجعل الصلاح فى الدين أيضا شرطا فان كان مفسدا لماله أيضا لم يسلم المال له حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة كما تقدم فيسلم له ولو لم يكن صالحا فى ماله انتهى

﴿ عظة واعتبار ﴾

لقد تبين فى هذا المقام كيف جعل الله المال قياما لنا وأمرنا ألا نعطيه للسفهاء من النساء والأطفال جعل الله المال قياما لنا أى قياما لحياتنا الدنيوية والأخروية وها أنت ذا أيها الذكى ترى كلام علماء الاسلام والائمة رضى الله عنهم وكيف دققوا فى أموال اليتامى وفى الرشد وكيف يقول الامام مالك ان الجارية اذا بلغت رشيدة لا يدفع المال اليها الا اذا تزوجت فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج مالم تكبر وتجرب فهذا التشديد والتقييد فى المال والدقة فى البحث توجب يقظة المسلمين وانتباههم فيا عجبا كل العجب يجعل الله المال قياما لنا فى القرآن ويشدد علماء الاسلام ويدخل الفرنجة بالمنسوجات الديار المصرية وبلاد الغرب فى تونس والجزائر ومراكش وسوريا ويأخذون الأموال ويضحكون على العقول ويلهوننا بالسوق والفجور والزخارف كما فعلوا بالاندلس لما أمضوا معاهدة للصلح بينهم وبين أمراء الاسلام وأقيمت الافراح وكانت نعال خيل بعض الأمراء من ذهب وكانت هكذا حرية التجارة وحرية التعليم وحرية الدين فقال قائل من المسلمين هذه المعاهدة لا تدفع عارا ولا تذكى نارا ولا تنفع جارا وسيأتى زمان قريب يحقر فيه تاريخ

الاسلام و ينسى فيه مجد الآباء الأعلام و يشرب فيه الخمر جهارا و يلبس أبناء البلاد عارا وشنارا وتكون الملابس افرنجية وتزول من الرؤس الحميه فردوا عليه هازئين وسمعوا له ساخرين وقالوا والله انك لست من السياسيين ثم عملوا أفراحهم وأولموا ولائمهم ودخل الخمر فى البلاد وقلدوا الفرنجة فى العادات ومشى فى الشوارع الشبان مع الغادات جهارا وهم يظهرون العصيان نهارا واستدان المسلمون وظهر الربا وهجرت مدارس الاسلام وعمرت مدارس الأسبان وأدخلوا فى عقولهم تحقير أسلافهم وسقوهم الخمر وهم غافلون حتى ان راهبا أسبانيا كان يعلم التلاميذ فى قرطبة اشترى عنبها جميعه وحلف ألا يبيعه الا لأبنائه وتلاميذه المسلمين حبا فى رقيهم وسعيا لاسعادهم وغراما بفرحهم لانهم أحبابه المخلصون وأصدقاؤه الأقربون وقد كثر لبس الحرير والترف والنعيم والكسل وحب الافرنج واحتقار الآباء ودينهم وتاريخهم وهكذا حتى أزالهم الملك فرديناند والملكه ايزابله من بلاد الاندلس ورموهم فى البحر بعد أن قتلوا أكثرهم ومن تنصر منهم وهم قليل جدا حقروا تنصرهم وسموهم مرتدين وزال ملكهم وهم جاهلون . هكذا نرى اليوم أبناء العرب لم يتوبوا ولم يثوبوا لرشدهم ولم يرجعوا عن غيهم والفرنجة يطاردونهم و يستعملون رؤساء الدين فى مراكش وتونس والجزائر والأمراء فى مصر و بلاد العرب شبكة لصيدهم وسيفا مسموما ورمحا جارحا يفدقون عليهم النعم و يغمسونهم فى الترف و يزجونهم فى سجن الشهوات وهؤلاء هم الذين يجرون هذه الشعوب العافلة الى الرزايا و يضعون الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى جحيم الذل وفى نار الاستعباد ورؤساؤهم هم المسيطرون عليهم سواء أكانوا من الشرفاء أم من الأمراء ألا ساء مثلا القوم المغفلون ويكون ذلك سبب جلب الشقاء واستنزاف الثروة ونقلها الى الفرنجة بما فعل هؤلاء الشرفاء والأمراء وهم جميعا فى جهنم الاستعباد مصفدون حتى اذا وقعت الواقعة وقرعت القارعة ونزعت النازعة واقترب الوعد الحق للقصاص وقع أولئك الرؤساء فى الذل كأممهم ولات حين مناص فنزلوا عن مراتبهم وأودعوا سجن المذلة والهوان يقولون — يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين —

أيها الأمراء المسلمون و يا رؤساء الدين قد آن أن يلاقى بعضكم حتفهم وهذا يوم مصرعكم والله قد حكم أنكم فى هذه الأيام تسامون سوء العذاب جزاء ما كنتم تكسبون لبستم ملابس الظالمين وقمتم بعيش الغافلين ورضيتم باذلال شعوبكم أجمعين ألم تروا الى قيصر الروس كيف كان عند المسيحيين يمثل حضرة المسيح والى كثير من الملوك كيف طردتهم أممهم وأذلتهم جيوشهم فصرعوا وهم ظالمون . هكذا عما قريب ستقطع تلك الرؤس الظالمة الفاجرة فى الأمم الاسلامية تلك الرؤس الفاسقة الفاجرة التى خضعت أمام الفرنجة ألا قطعا لتلك الرؤس وموتا لتلك النفوس . يا أبناء الاسلام قد تنبه الهنديون واستيقظ الروسيون وحرمت المنسوجات الفرنجية فى بلاد الهند وزالت الغفلة عن كثير الا أبناء العرب . يا أبناء العرب ان الدين دينكم والمجد مجدكم وماضركم الا رؤساء السوء تارة بالكيد لكم وفتح البلاد للفرنجة وتارة بكتم العلم عن المستحقين هذا القرآن يقرأ صباحا ومساء وفيه إن المال قيام لنا وعلماؤنا قد حققوه تحقيقا وماتركوا شاردة ولاواردة الا أحصوها فما بال العلماء يغفلون عن النصيحة بل ما بال العالم يتقاد لآراء الجهلاء . ألم يأن للمصريين ولأبناء المغاربة وسوريا والعراق وأضرابهم أن يثوبوا الى رشدهم . ألم يأن لرجال مصر أن يعلموا نساءهم أن الملابس الأوروبية خربت ديارهم وجعلت الأغلال فى أعناقهم ألم يعلموا أن هناك حركة سرية مدبرة لاقتناص الأموال وفساد العائلات وان هناك خائنات فرنجيات يخطن الملابس للغانيات ويدبرن المكائد للآنسات و يبتدعن كل يوم بدعة جديدة فيغيرن الطراز فى يوم أو بعض يوم و يبطلن عادة و يجددن أخرى والرجال غافلون والأمراء نائمون بل راضون وكل حزب بما لديهم فرحون وريع الأطيان ونقود الموظفين والتجار جميعها فى هذا السبيل مصروفة فذل العزيز وعز الذليل وتقربت أشرف السيدات أصلا وأعرقهن مجدا وأعلاهن

فرعا وأرفعهن رأسا الى خادمة افرنجية أصبحت خائطة مصرية فتزلفت اليها بالمال وتقربت اليها فى كل حال لتخصها بزى جديد حتى تتباهى على المغفلات أمثالها وتلك الخائطة ترفع ترفع القياصرة وتترفع على هذه القاصرة فترضيها بالمال وتودلو تحظى دون أترابها من أسرتها بهذا الزى الجديد وتقول الخائطة لها هل من مزيد أولا يرون مايدبر لهم الفرنجة من المكائد والشركات من المصائد وكيف ترسل تلك المجلات التى فيها الأزياء الجديدة وتعطى للعائلات مجانا وترسل للغانيات فضلا من الفرنجة وانعاما أولا يرون أن النساء فى مصر لايهنأ لهن طعام ولا شراب مالم يقلدن تلك الأزياء التى رسمت فى تلك المجلات • ذهب المجد وزال ولكن قد آن ان ينكشف هذا الجهل ويزول

وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع

أقول لقد ظهرت بوادر الاصلاح وليقومن فى هذه البلاد وغيرها من يوقظون الأمة العربية ويرجعون لها مجدها وشامخ عزها وقديم فضلها ولولا أنى واثق وموقن أشد الايقان بهذا المقال ماخططت حرفا ولكنى كتبت وأنا موقن أن القلوب تفقه والعيون تبصر والآذان تسمع وان فى السويداء رجالا وان مجدا قد اظل أوانه وأقبل ابانه وبزغ بدره وظهر فجره وأشرقت شمسه — ولتعلمن نبأه بعد حين — واذن يظهر سرّ قوله — ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما —

ومن أجل مايسر أنى وقت كتابة هذه السطور قرأت فى الجرائد أن حكومتنا فى هذا اليوم حرمت الترخيص لتجار الخمر أن يفتحوا محال جديدة من الآن وهذا من بوادر الاصلاح فى حكومتنا الجديدة الوطنية التى التأمت فى هذا الأسبوع بأمر المجلس الوطنى العام

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

(فى قسم التركات والمعاملات المالية)

لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَالْاقْرَبُونَ وَلِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً * وَإِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً * وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ ، فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فى بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً * يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ، فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ماتَرَكَ ، وَإِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَها النِّصْفُ ، وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ، فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِها أَوْ دَيْنٍ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ لاتَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَكُمْ نِصْفُ ماتَرَكَ أَزْواجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَهُنَّ وَلَدٌ

فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ *

يقول الله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) والمراد المتوارثون بالقرابة ثم أبدل من قوله مما ترك قوله (مما قل منه أو كثر) حال كونه (نصيبا مفروضا) * روى أن أوس بن الصامت الأنصاري خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال وقالوا انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله سبحانه وتعالى فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى نزل قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم) فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم

ولما كانت آية الميراث تمنع كثيرا من قرابة الميت وغيرهم فلا شيء لهم في الميراث وكان الاسلام هو الذي جاء بنشر المعروف والفضل بين الناس على القاعدة المذكورة أول السورة من اتحاد الناس وتعاونهم والمجموع لا يصلح الا بصلاح أفراده المتضامنين كأعضاء الجسد الواحد ـ نزلت الآية الحاضة على اعطاء من لم تعطه آيات الميراث الآتية تعميما للفضل وتحقيقا للتسامح واصلاحا للمجموع وتلك الآية هي (واذا حضر القسمة أولوا القربى) ممن لا يرثون من الميت (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) بان يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم . يقول فأعطوهم شيئا من المقسوم وجوبا على مذهب أبي موسى الأشعري وابراهيم النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير فهؤلاء كانوا يعطون من حضر شيئا من التركة * وروى أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قسم ميراث أبيه وعائشة حية فلم يترك في الدار أحدا الا أعطاه وتلا هذه الآية . قال الفخر الرازي فهذا تفصيل قول من قال بأن هذا الحكم ثبت على سبيل الوجوب أما المذهب المتعارف بين الفقهاء فليس فيه الا الندب للورثة الكبار أما الورثة الصغار فيكتفي بقول المعروف عنهم وعلى الوجوب روى محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت وصلقت طعاما لأجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي وهذا القول وان لم يكن معمولا به عند أكثر الفقهاء هو الأحرى بهذه الأمة اليوم رجوعا بالأحكام الى ظواهر القرآن والى آراء الصحابة والتابعين وهم أعلم بالقرآن والمسلمون اليوم أحوج لاتباع ظواهر الكتاب ولما فرغ من الكلام فيمن حضر القسمة من هذه الطوائف رجع الى الكلام في اليتامى فقال (وليخش) الأولياء (الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) فليفعلوا بأولاد غيرهم ما يفعلون بأولادهم من البر والشفقة والرعاية وحفظ الأموال والتربية الصادقة وتعليمهم العلم وادخالهم المدارس أو تعليمهم الصناعات هذا هو الواجب عليهم

(فليتقوا الله) فى أمر اليتامى بفعل ماتقدم (وليقولوا قولا سديدا) مثل مايقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب والتعليم مع الاخلاص ثم أنذر الظالمين من الأوصياء لليتامى فقال (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين (انما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم (نارا) مايجر الى النار ويؤول اليها * عن أبى بردة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقيل من هم فقال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا (وسيصلون سعيرا) نارا موقدة مسعرة وانما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع فى الكلام ومعناه أن أكل مال اليتيم ظلما يفضى به الى النار وخص الأكل بالذكر مع أن جميع الاتلاف مثله لان الأكل معظم المقصود * وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حدثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا . فهاهو ذا ذكر الميراث إجمالا وأن الرجال والنساء لهم نصيب منه وكذلك الأقارب الذين لم يذكروا فى الآية الآتية والمساكين واليتامى لهم بعض الحقوق واليتامى الذين لهم وصى عليه أن يكون أبا لهم وأن يعاملهم معاملة أبنائه . ثم حذرهم العقاب فى جهنم اذا فرطوا . ثم أخذ يبين أصحاب التركات من الورثة فقال (يوصيكم الله فى أولادكم) يأمركم ويعهد اليكم فى شأن ميراث أولادكم ثم فصله فقال (للذكر مثل حظ الأنثيين) أى يعد كل واحد باثنتين حيث اجتمع الصنفان (فان كن نساء) أى فان كان الأولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر (فوق اثنتين) أى زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ماترك) المتوفى منكم (وان كانت واحدة فلها النصف) أى وان كانت المولودة واحدة والاثنتان حكمهما حكم مافوقهما فلهما الثلثان عند أكثر العلماء (ولأبويه) أى أبوى الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له) للميت (ولد) ذكر أو أنثى ولكن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة ومابقى من ذوى الفروض بالتعصيب (فان لم يكن له) يعنى للميت (ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث) يعنى ان الميت اذا مات عن أبوين وليس له وارث سواهما فان الأم تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الأب الباقى بالفرض والتعصيب فيكون إذن المال بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين . ولما اعتبر الشرع أن لها نصف ماللأب وجب أن يعتبر ذلك فيما لو كان معهما أحد الزوجين فيعطيان الباقى هكذا أى يكون لها ثلث مابقى بعد مايأخذه أحد الزوجين خلافا لابن عباس حيث يعطيها ثلث المال كله فتفضل الأنثى على الذكر أى تفضل الأم على الأب وهو خلاف وضع الشرع (فان كان له إخوة) ذكورا كانوا أوانانا (فلأمه السدس) أى فلأم الميت اذا كان معها أب والمراد بالاخوة الذين يردونها من الثلث الى السدس مازاد عن الواحد وهو قول كثير من الصحابة كعمر وعثمان وعلى والجمهور فاذا مات رجل عن أبوين وأخوين فللام السدس والباقى وهو خمسة أسداس للأب سدس بالفريضة والباقى بالتعصيب ولاشئ للاخوة فكأنهم حجبوا أمهم ورد السدس لأبيهم الذى كان هو لا أمه ينفق عليهم . ثم قال سبحانه هذه الأنصباء للورثة (من بعد وصية يوصى بها أو دين) ثم قال سبحانه (آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا) يقول آباؤكم وأبناؤكم يعنى الذين يرثونكم لاتعلمون أيهم أنفع لكم فى الدين والدنيا فربما ظن الانسان أن أباه أنفع فأعطاه أكثر أو عكس القضية فأعطى الابن فالله تولى أمركم ودبر لكم مافيه المصلحة ولو وكله اليكم لتحيرتم فلاتعلمون لمن تعطون ومن تمنعون ثم قال (فريضة من الله) وهذا مصدر مؤكد (ان الله كان عليما) بالمصالح والرتب (حكيما) فى قسمة الميراث (ولكم نصف ماترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) والمراد بالولد الوارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بنى بنيها وان سفل ذكرا كان أو أنثى منكم أو من غيركم (من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) فللرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة

كما فى النسب وكما فى الابوة فى مسألة الأب والأم ان لم يكن إخوة وانما يستثنى أولاد الأم كما سيأتى والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن (وان كان رجل يورث) الجملة صفة رجل (كلالة) خبر كان وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا فهى قرابة ليست من جهة الوالد والولد والكلالة فى الأصل مصدر بمعنى الكلال قال الأعشى

فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من جوى حتى تلاقى محمدا

فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية ثم وصف بها الموروث والوارث أى ذا كلالة (أو امرأة) عطف على رجل وله أخ أو أخت) ومثله المرأة والمراد بالأخ والأخت هنا من الأم المذكورة وفى قراءة أبى وسعد بن مالك — وله أخ أو أخت من الأم — وجواب الشرط قوله (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) سوى بين الذكر والأنثى فى القسمة . واعلم أن مقتضى الآية أن لا يرثوا مع الأم والجدة فجاء الاجماع وخصص المفهوم بميراثهم مع الأم ومع الجدة وقد أجمع العلماء على أنهم شركاء فى الثلث اذا كانوا اثنين فصاعدا والذكر كالأنثى وقوله (من بعد وصية يوصى بها أو دين) مفهوم (غير مضار) لورثته بالزيادة على الثلث فى الوصية أو بنفس الوصية بأن يقصد المضارة بها لا وجه الله أو بالاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى وقوله (وصية من الله) مصدر مؤكد (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لا يعاجل بعقوبته ثم أشار الى الأحكام المذكورة فقال (تلك حدود الله) شرائعه التى هى كالحدود المحدودة (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله و يتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) هذه الآيات ظاهرة

﴿ لطيفتان ﴾

الأولى . حصر الفروض المتقدمة فى جدول ليكون أقرب للفهم

الثانية . كيف تكون التعاليم الاسلامية فى مستقبل الزمان

اللطيفة الأولى . اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه ولا يجوز أن يوصى بأكثر من الثلث لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سعد بن أبى وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه فى الصحيحين فالوصية بأكثر من الثلث لا تجوز ويحل النقص عنه ولا تجوز الوصية لوارث قال صلى الله عليه وسلم ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ثم ما فضل بعد الدين والوصية يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة والوارثات من النساء سبع ومنهم من لا يحجب بالحرمان نحو الابوين والولدين والزوجين والورثة أصناف صنف يرث بالفرض كالزوجين والبنات وقسم يرث بالتعصيب كالبنين والاخوة وقسم يرث بالتعصيب تارة والفرض أخرى كالاب والجد وقد عرفت أصحاب الفروض فى الآيات فأما العصبة فهى اسم لكل من يأخذ المال جميعه اذا انفرد كالاب والابن و يأخذ ما فضل عن أصحاب الفروض وأسباب الميراث النسب والنكاح والولاء كولاية المعتق فان المعتق وعصباته يرثون المعتق بالفتح والكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر وهكذا القاتل لا يرث المقتول عمدا كان القتل أو خطأ

﴿ همة علماء الاسلام فى علم الفرائض المستخرج من هذه الآيات وأمثالها ﴾

تعجب أيها الذكى فى أمر أمة الاسلام وعلماء الاسلام وانظر كيف سلكوا سبلا وذللوا طرقا وعبدوها فأصبحنا نهجها ولا ندرى كيف سلكوها — آيات ها أنت ذا تقرؤها أمامك فى ثنايا هذا التفسير وفى المصاحف سهلة واضحة فما أسهل أن يفهم الانسان أن البنت لها نصف الابن هذه أمور سهلة ولكن الدين وان جاء سهلا يحمل متبعيه على البحث والتنقيب فى الاسرار التى ينطوى عليها هذا السهل . أنظر رعاك الله هذه الآيات

الواضحات وتأمل كيف أحوجت آباءنا الى تدوين علم يسمى علم الفرائض أدخلوه ضمن علم الفقه وأبانوا العصبة وذوى الفروض وأصحاب الثلث والنصف والسدس والثمن وكيف يحجب أحدهم الآخر فدخلوا فى بحر لجى وتغلغلوا فى المسائل فبعد أن تراها فى القرآن واضحة سهلة لاعوج فيها ولا أمتا ترى علم الفرائض عويصا شديد المراس صعبا الا على ذوى الجد والاجتهاد . ولما كانت التركات يعوزها نوع من الحساب جاسوا خلال العلوم وبحثوا فى الفنون وجدّوا فى المسير حتى استنبطوا حسابا للفرائض واشتقوه من علم الحساب العام وعلم الحساب العام مشتق من علم الارتماطيقى أى علم خواص الاعداد فيا عجبا كل العجب لهؤلاء الاعلام غاصوا فى بحار العلوم فاستخرجوا درر الحساب وحلوا به مسائل الفرائض ليسهل لهم قسمة التركات وحفظ نظام الاسرات وايفاء حقوق الابناء والبنات ضربوا فى كل علم بسهم ومدوا أيديهم الى فرع من فروع العلم الرياضى الذى هو أحد أقسام علم الفلسفة الشاملة لسائر العلوم جذبوه حتى استظلت به سهام التركات وانتظمت بها الأسرات فها أنا ذا أبين لك نموذجا لما صنعوا حتى تقرأ فى هذا التفسير صفوة علم الفرائض أوّلا وفروع علم الحساب ثانيا لتكون على بينة من أمر امتك وأجدادك وعلمائهم وكيف كانوا بعيدى النظر واسعى الفكر فاستعانوا بالعلوم على الاستنباط من القرآن ولم يدخروا وسعا فى استنباط العلوم واستخدام مايحتاجون اليه من علوم الحكمة العامة وكيف مات المتأخرون وجهلوا سائر العلوم واقتصروا على علم الفقه جهالة وخسة وقصر نظر واذا قرؤا الفرائض تلقفوا حسابها جمعا وضربا وطرحا وقسمة وهم لايعلمون من أين هذا العلم ومن فروع أى العلوم هو ويجهلون أن آباءهم قد عرفوا العلوم الحكمية وهم الذين اصطفوا هذا الفرع من الحساب العام ألاساء مثلا القوم الجاهلون . ولكنى أقول لك لاتحزن ولاتأسف وأبشر فان للنهضة الاسلامية بشائر هذا أوانها ولرقى الشرق زمانا هو مانحن فيه . واعلم أن المفكرين فى الاسلام اليوم أخذوا فعلا ينسجون على منوال الأوائل ودليلك على ذلك مافى هذا التفسير فقل للآباء ناموا قريرى العين واعلموا أننا اليوم أخذنا ننسج على منوالكم فلئن خدمتم الأمة بالعلوم ودوّنتم فى الفقه حسابا استخلصتموه من علم الحساب فنحن نقول

لسنا وان أحسابنا كرمت * يوما على الآباء نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل مافعلوا

قد خدموا أمة الاسلام فى الأحكام الشرعية لحفظ كيان الامة فحق علينا أن نبين من الآيات العلوم الكونية حتى يلتحق الشرق بالغربى

يا أمة الاسلام آيات معدودات فى الفرائض اجتذبت فرعا من علم الرياضيات فبالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها الله أكبر جلّ العلم وجلت الحكمة . هذا زمان العلوم هذا زمان ظهور نور الاسلام هذا زمان رقيه . ياليت شعرى لماذا لانعمل فى آيات العلوم الكونية مافعله آباؤنا فى آيات الميراث . ولكنى أقول الحمد لله الحمد لله انك تقرأ فى هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض لأنه فرض كفاية فأما هذه فانها للازدياد فى معرفة الله وهى فرض عين على كل قادر كما هو مقرر فى باب الشكر للامام الغزالى وهى نفس علم التوحيد الحقيقى والمعرفة والشكر يكونان على كل امرئ بقدر طاقته . إن هذه العلوم التى أدخلناها فى تفسير القرآن هى التى أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء فى الاسلام فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق والله يهدى من يشاء الى سواء الصراط . اذا عرفت هذا فهاك ماوعدتك به من خلاصة علم الفرائض ثم أتبعه بذكر فروع علم الحساب لتعرف كيف كان جد آبائنا الاكابر فى علوم الدين

﴿ خلاصة علم الفرائض ﴾

اعلم أن أقرب طريق لمعرفة الفرائض الميراثية مادبجه العلامة ابن الهائم وهو جدول لطيف مشتمل على ثلاثين مربعا فى النصف الأعلى ثم هو أشبه بمثلث ويمكن كل مطلع عليه ممن لم يقرؤا علم الميراث أن يعطى كل ذى

حق حقه فى أسرع وقت اذا اطلع عليه مراعيا التنبيهات التى جعلت مفتاحاله وهاهوذا ملحق بالتفسير ويمكن استخراج مئات المسائل منه وهذا من نعمة الله التى أفاضها على قلوب الفضلاء من هذه الأمة انتهى

واذا عرفت خلاصة من علم الفرائض من الجدول الملحق فهاك فروع الحساب المستنبطة من علم الخواص العددية

علم الحساب العام وهو علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات المخصوصة وله تسعة فروع

(١) علم حساب الهواء وهو الذى به يعرف حساب الأموال العظيمة فى الخيال بلا كتابة

(٢) وعلم حساب التخت والميل وهو العلم المشهور فى مدارس الشرق والغرب الآن المكتوب بالأرقام الهندية المعروفة المرتبة ترتيبا يدل على الآحاد والعشرات والمئات الخ

(٣) وعلم الجبر والمقابلة وهو معروف

(٤) وعلم حساب الخطأين وله طرق مخصوصة مختصرة يتعرف بها المجهول

(٥) وعلم الدرهم والدينار وهو العلم الذى يعرف به من المسائل مالا يعرف بالجبر

(٦) وعلم حساب العقود أى عقود الأصابع ولهم طرق فى استخراج المجهول بها وهو ينفع لمن لا يحسن الكتابة ولمن كان مسافرا الخ

(٧) وعلم التعابى وهو الذى به يعرف ترتيب العساكر فى الحروب

(٨) وعلم حساب النجوم الذى به يعرف حساب الدرج والدقائق والثوانى وهكذا

(٩) وعلم حساب الفرائض وهو الذى نحن بصدده وبه يعرف قسمة التركات مثل تصحيح السهام لذوى الفروض اذا تعددت وانكسرت أو زادت الفروض على المال وهذا حساب جزئى باعتبار أحكام الفقه انتهى

هذه هى الفروع التى تفرعت من علم الحساب وطبقها قدماؤنا على فروع الحياة فالمجاهدون اتخذوا علم التعابى وعلماء الفرائض علم حسابهم والتجار فى الأسفار علم حساب العقود ورجال الدواوين علم التخت والميل هذه أعمال آبائنا وهانحن أولاء فى القرن الرابع عشر الاسلامى نحذو حذوهم فى سائر أعمال الحياة ونذكر خلاصة علوم الشرق وعلوم الغرب وعجائب صنع الله عز وجل وهى التى بها قامت المدنية الحاضرة فى تفسير الآيات وقد انتشرت هذه الفكرة بين المسلمين فى هذا الزمان وهم بها آخذون وهم مستبشرون الا من أكل الحسد قلوبهم من صغار الفقهاء — فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون —

﴿ جوهرة ﴾

قد عرفت أن آيات الميراث تبعها علم الحساب ولاجرم أن التركة لاتقسم على الوجه الأكمل الا بمساحة الارض اذا اشتملت عليها والمساحة من فروع الهندسة ولابد للمساحة من علم الفلك لان علماء المساحة الراسخين يضطرون الى الاعتماد على بعض النجوم كما يضطر الملاحون لملاحظة النجوم فى سير السفن هذا هو الاسلام

اللطيفة الثانية . كيف تكون التعاليم الاسلامية فى مستقبل الزمان . إن مفتاح التربية المستقبلة فى آية اليتامى يقول الله تعالى فى هذه الآيات — وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا —

اعلم أن الله عز وجل قد رمز فى هذه الآية للتربية الحقيقية الاسلامية وسنبرز ما كمن فيها للامم الاسلامية المستقبلة ليعلموا أن الله عز وجل خبأ لهم كنوز العلم فى القرآن ليستخرجوها وليبحثوا فى نفوسهم وفى الآفاق

عما كنز فيها من الجواهر والحكم والجمال والبهاء إن النفوس الانسانية كبحر لجى وكل من الناس لا ينال من خبايا نفسه وجواهرها الا ماقصده ولا يستمتع الا بما أراد ويبقى ما كمن فى الأنفس ملقى فيها لا يجد من يثيره ويتنفع به . ألا فليعلم المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أن هذه الآية تدعو حثيثا الى استخراج جمال النفوس وجواهر الحكم من غورها

فاعلم أيها الذكى أن التعاليم فى هذا العالم الانسانى على قسمين تعاليم بالارهاب وتعاليم بالرغبة والوجدان فأما تعاليم الارهاب فهى التى يسلكها الانسان فى معاملته مع الصبيان والجهال وأصحاب النفوس الضعيفة التى لم تستخرج كنوزها كمانرى أن البلور ترتسم فيه الصور بلاصقل ولاتعب فأما الحديد فلا يقبل الصور الا بعد العناء فى صقله والتعب فى تحسينه حتى يقبل الصور كما يقبلها البلور وفى الحديث * الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام * فتفطن لما يلقى عليك أيها الذكى اليوم من جواهر هذه الآية الواردة فى الأيتام وفى الحكم المستودعة فيها . لقد أرشد الله الأوصياء قائلا - وليخش الذين لو تركوا من خلفهم - الخ

يقول أيها الناس انى قد جعلت الرحمة والشفقة والعطف والحنان من الغرائز الممنوحة لأهل الأرض قاطبة فتفشوا أيها الناس فى قلوبكم وانظروا بعيونكم هل ترون الارحمة ممتزجة بنفوسكم واشفاقا فى قلوبكم أولاترون الحيوانات من الخيل والبقر والمعز والغنم بل الحيوانات المفترسة أودعت فى قلوبها رحمة على أبناء جنسها عامة وعلى أولادها خاصة وأنا الذى حكمت عليها أن تأكل الأنعام لحكمة دبرتها وغاية يعرفها الحكماء وأكابر العلماء فأى امرئ منكم لم ير فى نفسه ميلا واشفاقا على الضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام ولوأن المرء خلى وغريزته الأولية لايقن أن العطف الذى على ولده الصغير هو العطف الذى يجده على جميع الضعفاء وان دفن تلك الرحمة وأسدل الستار عليها وغطاها بحجب الشهوات تارة والعدوان أخرى . فمن طمع فى مال غيره من الضعفاء كالدول الكبيرة فان هذا الطمع يسدل الحجب على تلك الغرائز الشريفة فيسترها كما ستر الرحمة التى فى الآساد للبهائم ماطبعت عليه من الافتراس العارض لها

﴿ المحبة والكهرباء ﴾

ألا وان المحبة والمجد والعطف كامنات فى النفوس كمون الكهرباء فى الأجسام

أيها الناس ان المحبة والمجد كامنان فى نفوسكم كما كمنت الكهرباء فى الأجسام . أولاترون أن الزجاج والراتينج أى شمع الختم اذا دلك كل منهما بطرق مخصوصة وقرب لب السيسبان مثلا من الزجاج جذبه اليه وضمه ثم نفر منه وطرده فاذا قربناه من الراتينج المدلوك جذبه اليه والتزق به ثم طرده فاذا أرجعناه للزجاج قبله وهكذا وهذه التجربة البسيطة الصغيرة أوجدت قسمين كهرباء سميت موجبة وهى الزجاجية وكهرباء سميت سالبة وهى الراتينجية وجميع الكهرباء فى الهواء والماء والسحاب والمعادن لاتعدو هذين القسمين وهذه هى التى لما كشفها الناس حلتهم وأطعمتهم وكستهم وحرثت أرضهم وفعلت عجائب لم تخطر ببالهم واذا كانت هذه المادة مخلوقة لكم وفيها هذا السر النافع العجيب أفلاتكون أنفسكم أصدق محكا وأعظم مقاسا وأنتم لوفتشتم فيها لوجدتم أن فيها ماهو فوق الكهرباء فى اسعادكم ورقيكم وتشييد مجدكم

انظروا أيها الناس ألم تمكن الأعمال الجراحية تعمل لكم وأنتم متألمون أشد الآلام ألم تستطيعوا أن تأتوا بمخدر يسهل العمل ويقلل الألم ويدفعه عنكم هذا مثل مما وصلتم اليه

﴿ الترغيب والترهيب فى الآيات ﴾

هكذا أنتم تقومون بالأعمال إما طوعا وإما كرها كالأوصياء هنا فان الله قال لهم فتشوا ضمائركم وانظروا فى نفوسكم ألستم تعاملون أبناءكم برحمة ومودة وعطف وشفقة فهكذا عاملوا اليتامى واحفظوا لهم أموالهم

كأبنائكم وهذه الآية يرادمنها إثارة العواطف الكامنة فى النفوس التى مبدؤها الرحمة وغايتها سعادة الضمير بمايرى منقوشا فيه من صور الاحسان ومايسمع من الثناء من الناس ومايتصف به من جميل الاخلاق والمزايا الحسان . ولما كانت أكثر النفوس لاتعرف الاالانذار والتخويف ولاتفهم الشرف النفسى ولاالذات العقلية أعقب الآية بالوعيد لهم بانهم انما يأكلون النار فى بطونهم وسيصلون نارا مسعرة مهددا لهم وزاجرا كأنه يقول أيها الناس ان سعادة نفوسكم بالاحسان والفضائل التى تشرف بها النفس واذا لم تفهموا فأنا أحذركم نار جهنم بسبب أكل مال اليتيم

واعلم أن ذكر النار فى هذه الآية وفى حديث الاسراء المتقدم وهو أنه يؤتى بحجر من النار فيدخل فى فمه نازلا فى جسمه فانما ذلك تصوير لماعليه حال الانسان الآن وان لم يحس به فان الحرص والطمع والحسد وعدم الرحمة كل ذلك مؤلم للنفوس فى هذه الدنيا والناس كالمخدرين لايشعرون فاذا ماتوا انكشفت السوآت وظهرت العورات

واعلم أن الناس لايصدقون هذا الاذا كانوا مفكرين فتأمل أيها الذكى ألست ترى أن المال كلما زاد زاد التعب به وأن المناصب والأولاد وأمثالها لاتمنع الشرور عن الانسان بل تزيدها وأنا لا أطيل فى هذا المقام فارجع اليه فى سورة البقرة عندقوله تعالى ـ ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ـ

العمل للمحبة أدوم والعمل بالقهر قصير الأجل لأقدم لك ماقاله النابغة الذبيانى

لو أنها برزت لأشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها * وخاله رشدا وان لم يرشد

وقال فى هذا المعنى كثير عزة

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزة ركعا وسجودا

فانظر كيف جعل النابغة وكثير أن الرهبان والعباد الذين يبكون من خشية العذاب اذا سمعوا قول معشوقتيهما تركوا عبادة ربهم وأصغوا الى حديث هذه الفاتنة الجميلة . وفى هذا المعنى يقول الله تعالى ـ وماأرسل بالآيات الاتخويفا ـ

فالتعليم أيها الناس بالتخويف لايفيد الأمم وانما نتيجة هذا البحث أن الله يحثنا أن نعلم بطرق الترغيب ونستخرج ما كمن فى النفوس بمافيها من الجمال وهاأنا ذا آت لك بصور من ذلك

الطريق الأول أن نذكر سير النابغين فى علم أوعمل أو وطنية . فليذكر كل أهل قطر سير عظمائهم الذين أفادوا بلادهم بأن علموهم أو أدوا اليهم عملا شريفا أوحفظوا أوطانهم من العدو فليفقه التلاميذ ذلك فان ذلك يهيج الشعور فى قلوبهم فتمتلئ بالحماسة ويسيرون على منهج سابقيهم ويقلدونهم ويعملون عملهم ان الأمم التى تنسى هذا لامحالة فاقدة مجدها آيلة الى خرابها ذاهبة الى الحضيض . هذا هو الذى يرمى اليه قوله تعالى ـ وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ـ يريد تحريك الوجدان والشعور فلنحرك الوجدان والشعور والمجد بالطرق التى نعرفها وهذه منها

الطريق الثانى كثرة النظر فى جمال الطبيعة حتى يعتاد الشاب الحسن والجمال فى هذه المشاهدات المخلوقة فى الأرض والسماء

الطريق الثالث أن يكون مع التلميذ مذكرة يحصى فيها مايستحسنه مما رآه ومانمه مما مر عليه من الأمور المهمة يرجع اليها عند الحاجة فهذه الثلاثة متى اجتمعت فى امرئ جعلته فى مصاف العظماء ونهج منهج الحكماء

﴿ جوهرة فى قابلية الناس للكمال وواجب العلماء فى أمة الاسلام ﴾

الناس جميعا قابلون لهذه الفضائل العلم والقدوة كفيلان باستخراج فضائلهم وان كانوا مختلفين اختلاف المعادن والخشب فى الكهرباء فالخشب يقل سريان الكهرباء فيه والمعدن كثرت قابليته . فليقم الاساتذة فى الاسلام بعلم أبرزه الله فى هذه الآيات قدم الله آية الترغيب بالبحث فى النفس عن الرحة على الترهيب بأكل نار جهنم التى سترها وجودنا فى حياتنا الدنيا وان كنا نحس بآلام الحرص والطمع أحيانا . رغبنا الله فى إيقاظ العقول لنستخرج فضائلها وهذا أفضل من الترهيب . إن أمما معاصرة لنا سلكت هذه السبل فقلت القضايا كأهل سويسرا يمر الشهر ولا ترى أمام القاضى قضية ولا محاماة بل ينصرف كل الى عمله وذلك لانهم يرضعون الفضائل وحب البلاد مع اللبن يلقنونه فى المهد والتربية والمدارس . لا تذاكر فى مراكب الترام لا تذاكر فى القطار . يسير الراكب ويضع الاجرة فى صندوق مقفل بحيث لا يعلم أحد ماذا دفع . يارب عجب من أمة الاسلام عجب وألف عجب . الى متى . ديننا يأمرنا أن نوقظ الشعور . نحن من نوع الانسان ولنا دين الاسلام . فلم سبقنا الفرنجة من أهل سويسرا . يا الله اليك أشكو . التعليم فى الاسلام ناقص . أبتر تعليم لا يثير الفضائل . تعليم ليس فيه الا التخويف لم يمل قيد شعرة عن ذكر المخوفات والمزعجات . مع أنك أنت يا الله أنزلت فى الكتاب سبعمائة وخمسين آية فيها جمال هذا العالم والنظر فى الجمال يدخل فى النفس صور الجمال والجمال يجذب بعضه بعضا فيجذب ما فى نفوسنا من الجمال والفضائل . أمرت بالبحث فى النفس فى هذه الآيات عن فضائلها فاقتصر أهل العلم على ذكر النار مع أن النفس الانسانية فيها مبدأ الكمال والجمال . يارب لم يعلم الناس أن القرآن فيه تعاليم كثيرة فلم يأخذوا منها الا قولا واحدا غالبا وهو عذاب الجحيم فأما الفضائل الكامنة فلم يثيروها ولم يستخرجوها بل تركوها عليها الصدأ — بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم — قد أبنت يا الله أن الران والصدأ اذا غطى القلب حجب صاحبه عن النعيم ودخل الجحيم فقالوا نترك المعاصى فحسب ونعمل الطاعات ولكن لم يفكر أكثر العلماء فى جمال الطبيعة والسير الشريفة عند التعليم الا قليلا منهم مع أنهم لا يتقنونها

﴿ حكاية وبشارة بمستقبل التعليم فى الاسلام ﴾

قال لى صديق تعلم فى أوروبا سنين طويلة هل يمكن أن تعم الأمانة الناس والصدق قلت له نعم فأنكر ذلك أشد الانكار قلت له فاذا برهنت على ما أقول ببرهان تشاهده فى منزلكم هنا . فقال يكون عجيبا قلت ألم تجد أحدا زوج أختا له جميلة لرجل وهى أجمل من امرأته هو قال بلى هذا كثير قلت له أليست هذه الأخت أنثى كالاناث والطبع يميل اليها بشهوة الطبيعة قال بلى فانا نجد المجوس وهم من نوع الانسان يتزوجون بناتهم وأخواتهم قلت له حسن فالذى منع طبائع المسلمين والنصارى أن تكون كطبائع المجوس أليس هو التعليم والبيئة . أولست تجد أن العامة والجهلاء فى البلاد والقرى المصرية لا يرضون بسرقة حصر المسجد وقنديله وهم يسرقون كل شئ أفلست ترى أن ذلك من البيئة والعادة المستمرة فى احترام المساجد واحترام الأرحام بحيث يرى الشاب أن أخته كأنها مقدسة وأمه كذلك وبنته لا يخطر بباله أن ينالها بسوء لعمرى ان هذا ليس من الطبيعة فى شئ انما هو من التعليم فالتعليم أيقظ فى النفس فضائل أخرى أوجدها وقد كانت فيها كامنة . أفلست ترى ما تمتع به أهل سويسرا من الأدب والفضل نحن أهل الشرق أولى أن ننال ونحن آباؤهم وأسلم منهم عقولا وأصح منهم جسوما وأقدم مدنية قال بلى أما الآن فقد آمنت بقضيتك وصدقت كلمتك قلت له أنا أشعر أن مستقبل الأمم الاسلامية سيكون على هذا المنوال ولو بعد حين وأنهم ينالون هذا النعيم فى الحياة وتقل القضايا وترفع الرزايا ويقوم الوجدان بدل القانون والاحسان مقام السجان والمعرفة مقام الشر والسفه والمعاونة بدل المخاصمة . أليس هذا يشير له آيات المحرمات من النساء وكأنه يقول أنا حرمت

الأمهات والبنات حتى لم تعد لكم حاجة فيهن مع أن الطبع يقتضيهن وذلك لما أبرزتم ما كن فى نفوسكم من الحية والشرف هكذا فلتفعلوا فى سائر التعاليم كقضية اليتامى . أليس هذا مقتضى ماقيل لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا وماقيل لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه بالحب قامت السموات والأرض . ومن هذا السر حديث الحياء من الايمان

فليكن كل قصدك أيها الذكى نشر المعرفة و بث السير الجيلة والقدوة الحسنة وليكن هذا من الاسلام فذلك أرقى من التهديد وليقم فى البلاد مصلحون على هذا النظام وليجدد التعليم على هذا الأساس ويئبذ ماعداه الا للنفوس التى هى كالخشب المسندة فأما أمثالك فليس لهم غير اثارة الجمال فى نفوسهم والحسن والكمال انتهى

(المَقْصِدُ الرَّابِعُ)

(فى صِلَةِ ٱلذَّكَرِ وَالْانثىٰ وَأَحْكامِ ٱخْتِلاطِهِما بِعَقْدٍ أَوْ بِغَيْرِ عَقْدٍ)

وَاللَّاتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ، فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فى الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ ٱللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيماً * إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى ٱللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَيَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلاَتَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً * وَإِنْ أَرَدْتُمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً * وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَاقَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِى أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِى فى حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ

ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما * والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم
كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير
مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما * ومن لم يستطع منكم طولا
أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم
بإيمانكم ، بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف
محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم
والله غفور رحيم * يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا *
يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض
منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما * ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما
فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا * إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما * ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من
فضله إن الله كان بكل شيء عليما * ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون
والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ، إن الله كان على كل شيء شهيدا * الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتي تخافون نشوزهن ، فعظوهن واهجروهن في
المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إن الله كان عليا كبيرا *
وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق

اللهُ بَيْنَهُمَا ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً *

فى هذا المقصد ثلاثة فصول

الفصل الأوّل فى تعدّى حدود الله المذكور قبل هـذا المقصد وكيف يوبخ الزناة وتقطع صلتهم بالناس الى قوله ـ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ـ

الفصل الثانى فى المحرمات من النساء الى قوله ـ والله غفور رحيم ـ

الفصل الثالث فى أحكام عامة للنساء وللأموال وبيان الصلح بين الزوجين الخ

﴿ الفصل الأوّل التفسير اللفظى ﴾

(واللاتى يأتين الفاحشة) الزنا لزيادة قبحها وشناعتها (فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم) فاطلبوا ممن قذفهنّ أربعة من الرجال تشهد عليهن (فان شهدوا فأمسكوهنّ فى البيوت حتى يتوفاهن الموت) احبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن بعد أن يجلدن كيلا يجرى ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال (أو يجعل الله لهنّ سبيلا) بأن يتزوجن فيستغنين عن السفاح (واللذان يأتيانها منكم) يعنى الزانى والزانية (فآذوهما) بالتوبيخ والتقريع (فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الايذاء وأعرضوا عنهما بالاغماض والستر (ان الله كان توّابا رحيما) علة الأمر بالاعراض وترك المذمة والستر بعد الفضيحة . فهذه الآية لتأديب الزناة تأديبا عرفيا أخلاقيا نفسيا ومن ثبت عليه الزنا منهما يقام عليه الحد وقد تحبس المرأة للآية السابقة (إنما التوبة) أى قبولها (على الله) أى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء بجهالة) متلبسين بها سفها لأن المذنب سفيه (ثم يتوبون من قريب) أى من زمان قريب أى قبل حضور الموت لقول الله تعالى ـ حتى اذا حضر أحدهم الموت ـ ولقوله عليه الصلاة والسلام * إن الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر * ومن للتبعيض أى فى أى جزء من أجزاء الزمان القريب أى الذى هو ماقبل أن ينزل بهم الموت (فأولئك يتوب الله عليهم) وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله ـ انما التوبة على الله ـ (وكان الله عليما) باخلاصهم فى التوبة (حكيما) والحكيم لايعاقب التائب (وليست التوبة للذين) الى قوله (ولا الذين يموتون وهم كفار) فيه تسوية من لم يتب حتى يغرغر بالميت كافرا فى أن كلا منهما لايعتد بتوبته تغليظا على من أخر التوبة وتشديدا عليه حتى جعل كمن مات كافرا (أعتدنا لهم) أى هيأنا لهم وأعددنا (عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها) كان الرجل اذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الأوّل وان شاء زوّجها غيره وأخذ صداقها وان شاء منعها من الزواج حتى تفتدى بما ورثت من زوجها (ولا تعضلوهن) أيها الأزواج لاتحبسوا النساء من غير حاجة ورغبة حتى ترثوا منهن أو يختلعن بمهورهنّ وأصل العضل التضييق فيقال عضلت الدجاجة بيضتها يقول ولاتحبسوهن لتضيقوا عليهن لعلة (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف (وعاشروهن بالمعروف) بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول (فان كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) أى فان كرهتموهنّ فاصبروا عليهن فالنفس قد تكره ماهو خير كثير وقد تحب ماهو شر (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) تطليق امرأة وتزوّج أخرى (وآتيتم إحداهن قنطارا) أى إحدى الزوجات مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه) من القنطار (شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا) لأجل البهتان والاثم أو باهتين آثمين وهو استفهام توبيخ وانكار ثم قال منكرا لاسترداد المهر (وكيف تأخذونه) (و) الحال انه (قد أفضى بعضكم الى بعض) بالملامسة ودخلتم بها وتقرر المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة وميثاق الله الذى أخذه عليكم فى شأنهنّ من قوله تعالى ـ فامساك

بمعروف أوتسريح باحسان - ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم * أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * انتهى التفسير اللفظى

يقول الله تعالى اذا أتى الفاحشة النساء وشهد أربعة عليهن وأقنم الحد عليهن فاحبسوهن فى البيوت اذا رأيتم أن الحد لم يزجرهن حتى يجعل الله لهن سبيلا بالتزوج المغنى لهن عن السفاح وكذلك اذا درئ عنهن الحد لشبهة . وانما قرر حبس المرأة لانها لاتكون الفاحشة معها الا اذا كانت خارجة السجن فأما الرجل فلايحبس لأنه يقوم بأمور المعاش . وعلى الحاكم أن يأمر بتقريعهما وتوبيخهما والايذاء حتى اذا تابا ورجعا يعفو عنهما وهذا التقريع والتوبيخ لمن شهد عليه شاهدان فلم يقم عليه الحد أوثلاثة شهود أوكان أربعة شهود ودرئ الحد عن المتهم فحينئذ لابد من التقريع والتوبيخ فاذا تاب كل منهما بطل التقريع لأن الله يتوب على من تاب توبة مقبولة مالم تكن فى حال الاحتضار . ولما أتم الكلام على عقاب الزناة وحبس الزانيات وايذاء الجنسين لفعل القبيح أخذ يوصى الرجل عليهن ويقول أيها الرجال لاترثوا النساء كرها كما ترثون المتاع إن الميت له ماله والزوجة انحل عقد النكاح بموتها وليست ملكا له حتى يملكها أقاربه فاياكم أن تمنعوها عن زواج أوتأخذوا منها مالا أوتمنعوها ميراثا فى مقابلة إطلاق سراحها وعليكم أيها الأزواج أن لاتجعلوا العيش معهن لغاية مالية وفائدة لكم مضارة لها بأن تأخذوا بذلك بعض ما أخذن من المهر وأنتم تتربصون موتهن فترثونهن وإياكم أن تفعلوا ذلك الا اذا أظهرن عدم العفة وعاملتكم معاملة جائرة بنشوز وسوء عشرة فحينئذ لكم عضلهن والتضييق عليهن وعاشروهن أيها الأزواج بالمعروف ولاتطيعوا أهواءكم فى كراهتهن فرب مكروه كان خيرا كثيرا ورب محبوب كان شرا مستطيرا . أقول ومن قرأ ماذكرناه فى سورة البقرة عند قوله تعالى - وبشر الصابرين الخ - عرف فوائد المكروه وأن الحياة لاسعادة فيها الا بالمشاق والمكاره فلانطيل به هنا فارجع اليه ليظهر معنى هذه الآية ثم قال واذا أعطيتموهن شيئا فاياكم والرجوع فيه ولوكان قنطارا وكيف ترجعون فى العطية وقد بذلتموها وتردون الهدية وقد أوليتموها وليس من المروءة استردادها ولامن الشهامة إرجاعها بعد ما كان بينكما من الصفاء والمحبة والوفاء إن هذا لشين مبين وظلم عظيم

﴿ جوهرة من جواهر القرآن فى التربية فى مستقبل الاسلام ﴾

تعجب أيها الذكى من نوادر القرآن وغرائبه واعجب معى لهذه الأضواء الساطعة فى سماء العلم التى أشرقت فى ثنايا سطور هذا التفسير ياليت شعرى هل يقرأ ما أكتب المسلمون وهل يعجبون معى فيما أقول

انظروا أيها العلماء انظروا أيها الأمراء فكروا أيها الحكماء فى معنى هذه الآيات يقول من قبل آيات - وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذرية الخ - ولقد شرحناها هناك ويقول هنا - واللذان يأتيانها منكم فآذوهما - ويقول فى آية أخرى - الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله -

هذه أنواع ثلاثة من أنواع التربية قد سطرها القرآن والمسلمون عن الأنفس والآفاق لاهون نائمون ولقد يكتفى أكثر العقلاء والعلماء بالأحكام الفقهية والبيوع الشرعية والقضايا الميراثية وهم عن حقائقه معرضون فمثل هذه الآيات ينظر فيها العالم الى الخلاف الذى بين العلماء فمن قائل ان آية - واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم - منسوخة ومن قائل انها فى اللاتى يأتين السحاق مع بعضهن وفى الثانية وهى - واللذان يأتيانها منكم - قالت طائفة انها فى اللواط وقالت طائفة أخرى انها فى الزناة وقد نسخت . ولقد اصطفيت لك اللب من كلام العلماء ونبذت القشر وفسرت الآية بما ينطبق على قول بعض المفسرين مراعيا الفوائد العلمية والعجائب النفسية والأخلاق الانسانية والطبائع البشرية

إن القرآن نزل منذ أربع وأربعين وثلاثمائة وألف سنة وهذه الآيات تقرأ والناس مصروفون عنها وعن أمثالها بأمرين الأول أن يكتفوا باقوال الائمة رضوان الله عليهم أجمعين فى الحدود والبيوع وما أشبهها ويقولون قد تم الأمر فلا حاجة لبحث ولا تنقيب اللهم الا الاطلاع على آراء العلماء فى هذه الآيات ويكون ذلك مجرد اطلاع الثانى أن يتركوا القراءة ويعبدوا الله بالتلاوة وهذان الأمران هما اللذان أصبحا حجابا بين المسلمين وبين القرآن . وها أنا ذا أريد أن يرفع الحجاب ويظهر اللباب ويطلع الناس على جمال القرآن وعجائبه مع اتقاء مخالفة الأولين والجنوح فى التفسير الى رأى من آراء السابقين حتى لا نكون مبتدعين فى التفسير ولا مخالفين المتقدمين فاصغ لما أتلو عليك من جمال التربية الاسلامية من هذه الآيات . ولأقدم مقدمة فأقول

اعلم أن العوالم المشاهدة لا تخلو من واحدة من ثلاث أحوال إما أن تكون مضيئة كالنار والشموس واما أن تكون معتمة كالمواد الأرضية من الحجر والشجر والطين واما أن تكون شفافة كالماء والهواء والبلور والزجاج المصنوع من الرمل المخلوط بالمغنيسيا والقلى فالأول مايضىء على غيره والثالث مايقبل الضوء والظلمة ولا يحجبهما عما وراءه والثانى مايحجب النور عما وراءه

اذا عرفت هذه المقدمة فاعلم أن النفوس البشرية ثلاثة أقسام قسم مضىء وقسم مشف وقسم معتم فالأول هم أصحاب النفوس الشريفه فهؤلاء يمنعهم عن الرذائل اشراق نفوسهم فقيل لهم — وليخش الذين لو تركوا الخ — يقول انظروا بفطركم السليمة وعقولكم المضيئة فى أمر اليتامى وقد قدمنا أن هذه فتح باب لتربية العقول بطرق خاصة

والثانى هم المتوسطون الذين لا قدرة لهم على الاستنتاج من أنفسهم فأمثال هؤلاء يقرعون ويزجرون باللسان ويوبخون اذا اقترفوا الذنوب كفعل الزنا سواء أقيم الحد كما فى البكر أم لم يقم الحد وكانت الشهادة لم تتم بالأربعة فحينئذ يوبخون ويقرعون الخ وهكذا يفتح باب التقريع والتوبيخ . وأقول ذلك ليفتح المسلمون هذا الباب وليشهر على ألسنة الجرائد والصحف من لم يرتدع فى الدائرة التى هو فيها حتى يرجع الى رشده يقول الله — فآذوهما — والايذاء فى كل قبيل بحسبه . إن هؤلاء أشبه بالجسم الشفاف ولعمرى ان التأديب بهذه الطريق أقرب الى السلامة وأبعد عن الجهالة وأسعد للأمم وأبعث لرقى الهمم إن المرء لا يرقى الى المعالى الا اذا أحس بالمسئولية ولا إحساس بها الا باثارة ما كمن فيها من عوامل الشرف . فلتجعل الجرائد وسيلة لتعيير من يرتكبون حرمة الآداب . إن الجرائد فى الأيام الحاضرة بها إقامة الحرب والسلم ونظام الأمم وتأديب الغاوين ومدح النافعين وارشاد الضالين وهداية الغافلين فلتجعل وسيلة الى ردع من ضل بالهوى وغوى وأعرض عن نفع الجمهور

وأما القسم الثالث فهم الذين فرغت الحيلة فيهم وعجزت الزواجر عن ردعهم فأولئك يقطعون من جسم الأمة قطعا وينبذون منها نبذا كأن يقتل القاتلون ويرجم الزانون اذا لم تدرأ الحدود بالشبهات وقامت على أعمالهم الشهادات

واعلم أن الجسم المعتم قد يقبل الصقل كالحديد فان الحيلة تجعله يقبل صور المرئيات ويرى الانسان وجهه كالمرآة المعلومة فهؤلاء الذين جعلناهم كالأجسام المعتمة يمكن صقلهم بالعلوم فان لم ينجع فيهم القول سللنا عليهم سيفا قاطعا وفصلنا أرواحهم عن الأجسام فزاروا الرموس بعد قطع الرؤس هذا هو الصراط المستقيم ولتعلم أن الله ليس يريد الانتقام وانما هو مربى الأنام وما العقاب الا اتقاء الشرور فاذا أثيرت حمية النفوس بالمباحث العلمية الجليلة وتواصى الناس بالحق فى معاملة أولئك الجناة فنبذوهم ظهريا وتركوهم كما ترى فى قصة الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فى عشرات الأيام وستقرؤها فى سورة التوبة فقد هجرهم الرسول والمؤمنون ولم يعف عنهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ونزلت الآية بالعفو عنهم هكذا

فعل الله فى سياسته مع المتخلفين فقوله هنا فآذوهما فتح لهذا الباب ومن تاب بالتقريع وصلح فليعف عنه وليعامل معاملة الصالحين هذا هو السر الذى أردت اظهاره لتقرأه للمسلمين وتشرحه للمخاصين

﴿ الفصل الثانى ﴾

(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) أى التى نكحها آباؤكم و بينه بقوله (من النساء الا ما قد سلف) استثناء من المعنى كأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف قبل التحريم * روى أنه لما توفى أبو قيس وكان من صالحى الأنصار خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت انى اتخذتك ولدا وأنت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستأمره فأتته فأخبرته فنزلت هذه الآية وحرم نكاح زوجة الأب (انه كان فاحشة) أقبح المعاصى (ومقتا) يورث أشد الغضب من الله وغاية الخزى والعار (وساء سبيلا) و بئس ذلك طريقا . رجع فى هذا المقام الى تقبيح المعاصى والذنوب بالتقبيح والتشنيع والذم وهذا هو الذى ستتبعه الأمة الاسلامية للطبقة الوسطى فالذم والتشنيع ورسم صور الأشياء وعرضها على الناس فيرون قبحها تارة وحسنها أخرى هو الذى يستخرج من نفوس الأمم ما كمن فيها من الاستحسان والاستقباح كما قدمناه فى قوله تعالى ـ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ـ وهنا يقول ـ فاحشة ومقتا وساء سبيلا ـ كل هذا للتنفير من الذنب وكان يكفى أن يقول إنى أعذبه بجهنم وأسلط عليه أنواع العذاب فى الآخرة لم يقل هذا بل استعمل التشنيع والتنفير من الذم . فليفتح هذا الباب المسلمون ولتكن المؤثرات النفسية هى محور أعمالهم كما تقدم . ولقد بلغنا هذا العهد أن الالمانيين لم يكثر نسلهم الا بعد أن أمر ملوكهم الأساتذة فصوروا صورتى زوجين ومعهما أبناؤهما و بناتهما وأمامهما أعمال مختلفة فهذه تطبخ الطعام وهذه تحضر الأوانى وهذه تدبر أمر المنزل والأبوان جالسان منشرحان وصورتى زوجين آخرين عقيمين متزوجين ضعيفين لا ولد لهما ولا بنت تعولهما ولا مؤنس لهما وعرضوا هذه الصور على نظر الجمهور فانكبوا على الزواج وكثر نسلهم وكثر جمعهم وذلك جزاء المفكرين العاقلين . ثم أخذ يشرح بقية المحرمات من النساء فقال (حرمت عليكم أمهاتكم و بناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم و بنات الأخ و بنات الأخت) أى حرم نكاحهن والأم من ولدتك أو ولدت من ولدك وان علت والبنت من ولدتها أو ولدت من ولدها وان سفلت والأخت إما من الأب واما من الام واما منهما والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا و بنات الاخ و بنات الاخت يتناول القربى والبعدى فالمحرمات بالنسب سبع بنص الكتاب

واعلم أن كل ما حرم بالنسب يحرم بالرضاع فاذا رضعت من امرأة فقد حرمت عليك التى أرضعتك وصارت أما لك وكل بنت لها صارت أختك وزوجها أباك وأمها جدتك وأخت زوجها عمتك وأختها هى خالتك وأم زوجها جدتك و بنت ابنها بنت أخيك فأصبحت من أسرة الرضاعة كما أنك من أسرة النسب . ثم إن الجمهور على أن قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وأبو حنيفة وأحمد فى إحدى روايتين عنه والقليل كالشافعى وعبدالله بن الزبير وأحمد فى إحدى روايتين عنه ان التحريم بخمس رضعات معلومات متفرقات وحجة الاولين أن التحريم فى الآية لم يقيد بعدد وحجة الشافعى ومن معه الحديث المبين للقرآن . فأما المدة التى يحرم الرضاع فيها فهى ما دون الحولين وهو رأى الجمهور ومنهم الشافعى وابن مسعود ومالك وأبو داود وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا فهذا ملخص آراء الائمة فى قوله تعالى (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) وهذا معطوف على أمهاتكم واكتفى بالام والاخت عن ذكر الباقى وفى الحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فكل بنت لها سابقة أو لاحقة فهى أخته وهكذا البقية كما تقدم . فهؤلاء أربع عشرة امرأة تحرم سبعة بالنسب وسبعة بالرضاع وانما ذكر الرضاع بعد النسب لانه لحمة كلحمة النسب وسيتبعها بحرمة المصاهرة وقد تقدم منها

زوجة الاب • فاعلم أن من عقد على امرأة حرمت عليه أمها بمجرد العقد وبحرمة أم المعقود عليها تحرم جميع جداتها من قبل أمها كما فى النسب والرضاع وتحريم الام ومامعها بمجرد العقد مذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين والجمهور وعليه العمل وقال فريق من الصحابة ان أم المرأة لاتحرم الا بالدخول بابنتها وهو مذهب زيد ابن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وابن عباس فى رواية عنه هذا ملخص ماقالوه فى أم المعقود عليها • أما بنتها من رجل آخر فانها تحرم عليه متى دخل بالام وهكذا كل بنت لابنائها أو بناتها وان سفلن من النسب أو الرضاع * ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وأيما رجل نكح امرأة فلا يحل له أن ينكح أمها دخل بها أولم يدخل وهذا قوله تعالى عطفا على أمهاتكم (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من رجل آخر سمى به لانه يربه كما يربب ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول ولحقته التاء لانه صار اسما وقوله اللاتى فى حجوركم مكمل لعلة التحريم وكأنه قيل ان بنات نسائكم تربونهن كما تربون أولادكم وهم فى حجوركم كأولادكم فقوى شبههن باولادكم فهن محرمات عليكم فذكر الحجور والتعبير بما يدل على التربية علة للتحريم لا أنه شرط وهذا مذهب الجمهور وأخذ سيدنا على بلفظ الآية وجعل التربية لهن شرطا فى التحريم حتى يتحقق حضانة الرجل لهن وتربيتهن ولا يكون التحريم الا بالنكاح الصحيح فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه أمها ولا بنتها اذا أراد التزوج بهن ولا تحرم المزنى بها على آباء الزانى ولا بناته فالنكاح هو الذى يحرم مايترتب عليه وجوب الصداق والعدة ولحوق الولد سواء أكان صحيحا أم فاسدا أما الزنا أو لمس امرأة أجنبية بشهوة أو تقبيلها كذلك بشهوة فلا وهذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير والزهرى ومالك والشافعى وفقهاء الحجاز وخالفهم قوم فقال عمران بن حصين وأبو هريرة وجابر والحسن وأهل العراق بان الزنا يحرم • ومما يحرم عليه بالمصاهرة زواج أبنائه أو أبناء أولاده وان سفلوا من النسب والرضاع بمجرد العقد اذا كانوا من الصلب أما الذى تبناه فلا تحرم زوجته وكذلك أخت زوجته بنسب أو رضاع فلا يجمعها معها فى نكاح ولا يجمع وطأهما فى ملك يمين وكذلك اذا كانت إحداهما بعقد والأخرى بملك اليمين وهذا قوله تعالى عاطفا على أمهاتكم (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) لا المتبنين كزيد بن حارثة الآتى فى سورة الأحزاب (وأن تجمعوا بين الأختين الا ماقد سلف) أى لكن ماقد مضى فانه معفو عنه (وكان الله غفورا رحيما) فيكون نكاح الأختين فى الجاهلية نافذ العقد ويختار الرجل أيهما شاء حتى لا يجمع بينهما ولا يحتاج لعقد جديد على التى اختارها * روى عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يارسول الله انى أسلمت وتحتى أختان قال طلق أيتهما شئت وعطف على أمهاتكم أيضا قوله (والمحصنات من النساء) ذوات الازواج أحصنهن التزوج وفى قراءة والمحصنات بكسر الصاد بمعنى انهن أحصن فروجهن (الا ماملكت أيمانكم) من اللاتى سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى * قال أبو سعيد رضى الله عنه أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج كفار فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن قال الفرزدق

وذات حليل أنكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق

وقال أبو حنيفة لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى ولما تم الكلام على المحرمات قال كتب الله عليكم تحريم هؤلاء (كتاب الله عليكم) ثم عطف على الفعل المضمر الذى ذكرناه قوله (وأحل لكم ماوراء ذلكم) ماسوى المحرمات المذكورة ومافى معناها كالجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وكالمطلقة ثلاثا لاتحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ونكاح المعتدة وهكذا من المحرمات التى ورد بها القرآن أو السنة فكل هذه وغيرها تخصص هذه الآية فهذا من العام المخصوص وانما أحل ذلك (لتبتغوا بأموالكم) تطلبوا بأموالكم أى تنكحوا

بصداق وتشتروا بثمن (محصنين) متزوجين ومتعففين (غير مسافحين) غير زانين (فما استمتعتم) فمن تمتعتم به من المنكوحات (فآتوهن أجورهن) مهورهن حال كون الاجور (فريضة) مفروضة (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) أى فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضى (ان الله كان عليما) بالمصالح (حكيما) فى شريعته وأحكامه . ثم أخذ يبين حكم من لم يقدر على نكاح الحرائر فقال

واعلم أن من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فله أن يتزوج الأمة المؤمنة وذلك بشرطين الأول أن لا يجد مهر حرة لانها غالبا غالية المهر ومهر الامة أخف لاشتغالها بخدمة سيدها الثانى خوف الزنا عند جمع من الصحابة والشافعى وأحمد . والشرط الاول لايقول به أبو حنيفة رضى الله عنه فيجوز للحر أن ينكح أمة وان كان موسرا مالم تكن عنده حليلة حرة

واعلم ان سبب منع نكاح الحر للامة اذا كان موسرا أن الولد يتبع الام فى الرق والحرية واذا كانت هى رقيقة لسيدها فان ولدها رقيق له مثلها وهل يرضى بهذا حر وأيضا انها تكون فى خدمة سيدها فله أن يحبسها عنه فى خدمته ولايجوز نكاح الامة الا اذا كانت مؤمنة أما الكافرة ففيها نقصان الكفر والرق معا وفى المؤمنة الرقيقة نقص واحد وهذا رأى الشافعى ومالك وجمع من الصحابة وأما أبو حنيفة فانه أجاز نكاح الامة الكتابية وهذا فى قوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات) أى من لم يستطع منكم غنى (والمراد مايصرف فى المهر والنفقة) يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعنى الاماء المؤمنات وحمل أبو حنيفة رضى الله عنه طول المحصنات على أن يملك فراشهن والنكاح على الوطء وعليه يجوز للموسر الذى لاحرة فى فراشه أن يتزوج أمة كما تقدم والفتيات الجاريات المملوكة جمع فتاة والعبد فتى ولما كانت النفوس تأنف من الاماء أردفه سبحانه بأن المدار على القلوب فرب رقيقة أفضل من حرة بسبب إيمانها أوليس الناس بعضهم من بعض فلا تفاضل الا بالقلوب والنفوس فأما الرق والحرية فهما أمران جسمانيان صوريان وكم من رقيق سيد لسيده وكم من حر هو عبد عبده فهذا قوله تعالى (والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض) واذا كان كذلك (فانكحوهن باذن أهلهن) أى أربابهن (وآتوهن أجورهن) مهورهن باذن أهلهن وهو حق لسيدها لانها لاتملك وعند مالك هو حقها رجوعا لظاهر اللفظ (بالمعروف) بلامطل ولا اضرار (محصنات) عفيفات (غير مسافحات) غير مجاهرات بالسفاح (ولامتخذات أخدان) اخلاء فى السر (فاذا أحصن) بالتزويج (فان أتين بفاحشة) زنا (فعليهن نصف ماعلى المحصنات) الحرائر (من العذاب) من الحد الجلد اذا زنين فتجلد الرقيقة خمسين جلدة وهى نصف ماتجلده الحرة وهو مائة جلدة وكذلك العبد والمتزوج منهما عقابه كذلك فلا رجم على العبد ولا الأمة لان الرجم لاينصف (ذلك) أى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) أى لمن خاف الوقوع فى الزنا (وأن تصبروا خير) أى وصبركم على نكاح الاماء متعففين خير لكم (والله غفور رحيم) أى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ما أنتم محتاجون اليه انتهى تفسير الفصل الثانى وفيه لطائف أربع

اللطيفة الاولى . لنجعل المحرمات بهيئة منظمة لتسهل على القارئ

اللطيفة الثانية . ما الحكمة فى الشهوات والمحرمات وماذا افيدنا من الحكم الاجتماعية والخلقية والاستنتاجية وكيف نعرف من هذا المقام سر النفوس وعجائبها وكيف يحترق الناس بالشهوات كما يحترقون بالنيران وهم غافلون وعجائب وبدائع من أسرار القرآن الشريف ليصل الناس لربهم ويعجبون من حكمه الباهرة

اللطيفة الثالثة . سر القرآن فى تحريم زواج الامة اذا خاف الحر الزنا وماعلاقتها بالامم الاسلامية اليوم سياسة

اللطيفة الرابعة . الأحرار والعبيد وان بعضهم من بعض والعبرة بالاعمال

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

يحرم هؤلاء على الرجل من النسب والرضاع	هؤلاء يحرمن من غير الرضاع والنسب
(١) الأم	(١) تحرم المرأة بانقضاء العدة
(٢) البنت	(٢) يحرم الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها أو أختها الخ
(٣) الأخت	(٣) يحرم عليه امرأة أبيه
(٤) بنت الأخ	(٤) الملاعنة تحرم على زوجها
(٥) بنت الاخت	(٥) من عنده أربع نسوة لا يزيد عليهن
(٦) الخالة	(٦) المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الا بشروط خاصة
(٧) العمة	(٧) حليلة الابن
	(٨) الربيبة

﴿ اللطيفة الثانية الشهوة تقلب رحمة ﴾

أواعلم أن النساء بالنسبة لجميع الرجال مشتهيات لا فرق بين الأجنبية والمحرم كالأخت والام فالطبيعة البشرية لا فرق عندها بين الاخت والام والخالة والأجنبية فكل عندها سواء كما فى البهائم فالنفس البهيمية لا تفرق بين الاخت والأجنبية هكذا الانسان * والدليل على ذلك أن المجوس يتزوجون بناتهم وأخواتهم ونفوسهم لا تأنف ذلك اما المسلمون والنصارى وأمثالهم فان الرجل قد تكون عنده أجمل أخت ثم ينظر للاجنبية التى هى أقل جمالا منها نظر شهوة ولأخته نظر عطف وحنان . فهذا دليل فى كل منزل على ما للنفس الانسانية من القدرة والعظمة والشرف يقول الله للناس

ها أنتم أولاء تقدرون على أن ترفعوا نفوسكم الى مستوى الملائكة إن فى نفوسكم لقدرة عظيمة وعزيمة قوية الشكيمة فاستبشروا بها ذلكم انكم لما سمعتم تحريم المحارم وعرفه الصغير منكم والكبير وصار ذلك عادة مألوفة انصرفت نفوسكم عن نظر الشهوة اليهن واستبدلتها بالحنان والتقديس والرحمة فرجعت نفوسكم بالنسبة اليهن من صفة البهيمية الى صفة الملائكة فأمهاتكم مقدسات ساميات شريفات وأخواتكم وعماتكم لان فى قدرتكم أن تسموا بأنفسكم الى العلا وتسموا بأرواحكم الى الملأ الأعلى . أى عبادى انما أبقيت دين المجوس لتسمعوا به وليكون عنوانا لكم على أن شهوة المحرمات فيكم مثلهم وبالتعليم والعادة انقلبت الشهوة محبة شريفة عالية إيذانا من الله ان فى نفوسكم قدرة أن تسمو الى أشرف مصاف الكمال فاذا فكر الناس فى هذا ايقنوا أنهم يقدرون على تغيير أخلاقهم والتنزل عن خسائس عاداتهم فتنقلب النفوس الشريرة الى الخير بالقصد والعزيمة . ان نوع الانسان مستعد للسعادة العالية على مقدار طاقته فى هذه الحياة

ان احترام الام والاخت بعد أن ركزت الشهوة اليهن فى الطبيعة مؤذن بأن النوع الانسانى اليوم طفل فى الاخلاق طفل فى العلوم غر جاهل وكأن الله يقول أيها الناس اذا كنتم فى الشهوة البهيمية التى هى ألزم لكم من ظلكم وأقوى عليكم من كل أعدائكم وهى ألد الاعداء وأعظم الدا قد سلطتكم عليها فملكتموها وأعطيتكم قيادها فسستموها وأطفأتم نارها فاستخدمتموها فقلنا يا نار كونى بردا وسلاما فصارت ذماما ومحبة ووئاما واعظاما واحتراما أفليس هذا دليلا أنكم على الاعتدال فى المال أقدر فتقدسون مال غيركم من الحقوق فلا غبن ولا ظلم ولا اسراف ولا تقتير بل يصبح المال فى أيديكم كالماء وتصبح النار المشتعلة فيكم للمال بردا وسلاما واذا كانت أملاك الشهوات لكم ذللتموها فأنتم على غيرها أقدر تذليلا وأصدق قيلا ولكنكم لا تزالون أطفالا وفى الحكمة جهالا وعلى موائد العلم طفيليين فاذا شاعت الفضائل بينكم ولقنتموها تلقين المحارم مع اللبن فى الرضاع انقلبت الشهوة المالية حرمات انسانية وأصبحتم بقدر الامكان أيها العباد إخوانا . فلتكونن فيكم بعض هذه الأخلاق

ثانيا تحريم القريبات وتزوج الأجنبيات لازدياد المحبات الانسانية ولعدم فساد الاسرات وارتقاء نفوس الشبان والشابات

ان الرجل اذا أحب محارمه على سبيل الرحمة تارة والاعظام والاجلال أخرى فمايدنس هذه المحبة أن تعتريها الشهوة فالشاب يحمي أخته ويقدسها ويحترم أمه فلو أنه تزوج أخته أوخالته لأصبحتا عنده محل شهوته وقصر نظره فى المحبة على الشهوات وتكون مكانتها عنده على مقدار التمتع بها ولاجرم أن ذلك يقلل من قيمة المحبة الرحمية ولايراعى الا المحبة الشهوية والنفس تتعود ذلك ولا تعرف سواه فيكون ذلك وبالا على الأرحام وتزول تلك العاطفة الشريفة . ثم هو بزواجه أخرى من الناس قد ضم أسرة اليه فأصبح له أسرة بالنسب وأخرى بالمصاهرة وهذه سعة فى المحبة والمروءة ولو أبيحت هؤلاء المحرمات لأصبح النسب والمصاهرة فى جهة واحدة فضاقت سبل المحبات وانحصرت فى بعض النسمات . وأيضا تكون الاسرات دائما فى شقاق لما يحصل من الاخوة والآباء وأبناء الاخوة والأخوات من التنافس والتشاجر والتقاطع بسبب اقتتالهم على إحدى نساء العائلة كبنت الرجل يتشاجر عليها أخواها أوأبوها وأحد أخويها وهكذا وهذا فيه من الفساد أقصاه ومن قطع الرحم منتهاه فانظركم فى تحريم الأرحام من البدائع العلمية والعجائب الحكمية

ثالثا . اعلم أن نيران الشهوات كالنيران التى نوقدها وكالكهرباء التى نستثيرها وكالأنوار العلمية التى نعقلها فكل نار وكل كهرباء لها عملان تفريق وجمع وابعاد وتقريب . فانظر ألست ترى النار تحرق الخشب فيطير منه أجزاء فى الهواء وتبقى أخرى فى التراب ففى الأول تفريق وفى الثانى اجتماع . ألست ترى أن السحابتين اذا كانت كهربائيتهما متجانسة بان كانتا ايجابيتين أوسلبيتين فانهما تتنافران واذا اختلفتا ايجابا وسلبا فهما تتجاذبان . فهكذا النيران التى فينا معاشر الناس فاذا رأينا النار التى تحيط بنا والتى هى داخل الأرض التى نعيش فوقها تجمع الطين واللبن وتفرق أجزاء الخشب والكهرباء سالبة وموجبة فهكذا نحس فى أنفسنا بنار تشتعل اشتعالا معنويا إما لطلب الغذاء أوالتزاوج واما لرحمة الضعفاء كالأبناء واما لدفع الأعداء كالغضب والغيرة والحسد وجميع العداوات التى تعترى نوع الانسان فانظر كيف كانت أرضنا نارا يحيط بها قشرة أصلها نار فجمدت وكنا نحن من تلك القشرة فكمنت النار فى باطننا رحمة من الله لنا حتى تسوقنا الشهوة لطلب الغذاء والكساء والتزاوج وتدفعنا القوة الغضبية لدفع الأعداء وابعاد الايذاء ثم كانت فينا نار ألطف وأجل من هاتين كالقوة العلمية تدفع الجهالات وتجذب الينا أجل المعلومات فهاهى ذه فرقت وجمعت . فليت شعرى أى فرق بين النارين وأى ابتعاد بين الأمرين فالشهوة البهيمية فينا لجلب الغذاء والكساء والقوة الغضبية لدفع الأعداء والعلم يدفع عار الجهل ويجذب أجل صور العلم . فلئن جففت النار الطين وأذابت الشمع وجذبت الكهرباء تارة ودفعت أخرى . فلقد منعت الأعداء النفس الغضبية وأزالت الجهالة القوة العقلية كما جذبت الينا العلم وجذبت الشهوة ملاذ الطعام والشراب

فانظر كيف تقلب الانسان فى أنواع من النفوس المحرقة نعم محرقة ولكن الناس لا يكادون يفقهون الا قليلا ممن تعلموا فأولئك يعقلون ويفهمون فالوالدة على فلذة كبدها فى احتراق والوامقة لعاشقها فى احتراق والذى غاظه الأعداء فى احتراق . ونتيجة المقال فى هذا المقام أن نار الشهوات للأجنبيات ونار الرحمات للقريبات ونار العداوات تتأجج على من جرح ماهنّ من الحرمات ونار أشواق العلوم لما بينا فى هذه المقالة من الآيات البينات والعجائب الحكميات وهاك صورا ثلاثا للانسان

(١) نار الشهوة ونار الرحمة ونار الغضب هن أصول التفاعل النفسى وبالتفاعل بينها يكون نور العقل على مقدار التمازج والاتحاد ومامثل هذه النيران الثلاثة الا كمثل العناصر الداخلة فى المركبات الجسمانية فهى نار لها نور وهو القوة العاقلة

(٢) تصور فتاة ترضع ولدها اليتيم وعاشقها الذى يخطبها جالس أمامها وأعداؤها يحيطون بها فهى بين ثلاثة نيران نار الرحمة للولد والشهوة والغرام للعاشق والعداوة لأعدائها فهذه العواطف هى عبارة عن هذه المرأة

(٣) شاب جلس مع أخته وحبيبته وعدوه فهو مع الأخت ملك ومع الأجنبية بهيم ومع العدو أسد فانظر عجائب الانسان كيف اجتمعت فيه اللطائف المتفرقة

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

إن تحريم زواج الأمة على من قدر على مهر الحرة تحذير للمسلمين من السقوط فى مهواة الذل والصغار ولزوم العار والشنار بأن يلدوا الأبناء الارقاء تبعا لامهاتهم المملوكات فاذا كانوا يمنعون من عبودية أبنائهم المسلمين مثلهم فما بالك بهم وقد ملك الفرنجة أرضهم وأخذوا ديارهم وهم خامدون وأحاطوا بهم من كل جانب وهم ساهون لاهون

﴿ حكاية ﴾

حضر الى الديار المصرية صديق من ناحية أدلب من أعمال حلب الشهباء فدار الحديث بيننا على احتلال الفرنسيين لبلادهم فأخبرنى بما تقشعر له الأبدان من قتل النفوس وسلب الاموال والظلم البين وقد كان الرجل سيدا فى قومه من الاشراف وكبار العلماء وله سيادة فى قومه فحدثنى قائلا طلبنى الضابط الاكبر فى الجيش الفرنسى قائلا لماذا تكرهون الفرنسيين وهم انما جاؤا لتمدينكم واسباغ النعمة عليكم قال فأجبته قائلا ان الامة اذا قام غيرها بما يصلحها ونام أهلها سلبها الله مواهبها وسلمها الى سادتها لان العضو الذى لا عمل له لا يبقى له قوة وأيضا تصبح كالحيوانات المنزلية لما قمنا بسقيها وتغذيتها فقدت الغرائز التى تحلت بها نظائرها فى البرارى والقفار من الغزلان وبقر الوحش السعيد فى مراعيها الحسنة المناظر فقال له هل هذا فى كتبكم فأجابه قائلا هذا كلام قرأته فى كتاب يسمى نهضة الامة وحياتها تأليف فلان وهو مصرى قال فسكت ولم يرد جوابا فاذا كان القرآن يمنع أن ذلة من أمة لمسلم مثلنا فكيف يتحمل المسلمون العبودية والرق فى الاقطار الشرقية ويضع الفرنجة الاغلال فى أعناقهم وهم صاغرون . ألا فليعلم المسلمون فى أقطار الارض أن الله قد قرب يوم عتقهم من ذل الفرنجة وقد جاء أوانه وظهر ابانه ومن عجيب الاتفاق أن تستقل ثلاث دول وهى الافغان والترك والفرس وهاهى ذه بلادنا المصرية خطت خطوات واسعات فى سبيل الاستقلال ولابد من تمامه ان شاء الله وستخطو الامم الاسلامية خطوات وتحظى بالاستقلال والخلاص

﴿ اللطيفة الرابعة فى الاحرار والعبيد ﴾

يقول الله تعالى - والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض - هاتان الجملتان ذكرتا فى هذا المقام لتهدم ماينته العادات وأبرزته الديانات وأظهرته القوانين المسطورات . لعمرى لقد هدم الله الظواهر المذكورة فى هذه السورة بهاتين الجملتين ولفت الناس الى الاعمال القلبية . يقول الله لاعبرة بالصور والاشباح ولا الغلبة فى الحروب ولا قوة الدول والممالك والاساطيل انما هذه مظاهر يغتر بها الغافلون - اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى - بعضكم من بعض لافرق بين العربى والعجمى - اسمعوا وأطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشى - أنتم أيها الناس عبيدى ولا عبيد لكم لايغرنكم مظاهر الميراث والمال والعقار والديار ان كل ذلك الامظاهر يفتخر بها الجهلاء وانما النفوس والعقول والاخلاق والآداب وكل ذلك عندنا فى كتاب فرب خامل ذكره عندنا رفيع ورب عظيم القدر عندنا ماله شفيع فاياكم أن تغتروا بما ترون من الاحكام الشرعية والحدود المرعية فهذه انما جاءت لحفظ المجموع وصيانة الجموع فاذا اختص الحر بالميراث وامتاز فى أحوال الحياة فانما ذلك من ظواهر الامور فاذا مات الحر والعبد استويا فى الاحوال وافترقا فى الشرف والكمال انتهى الفصل الثانى

(الفصل

﴿ الفصل الثالث ﴾

(يريد الله ليبين لكم) أى التبيين لكم واللام زيدت للتأكيد كما قال قيس بن سعد

أردت لكيما يعلم الناس انها ● سراويل قيس والوفود شهود

ثم عطف عليه قوله (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتتبعوا طريقهم وتسلكوا سبيلهم (ويتوب عليكم) ويصدكم عن المعاصى بتلك الهداية بأن يلهم قلوبكم النفور منها بسبب الهداية المذكورة (والله عليم) بمصالح العباد (حكيم) فيما يدبر من أمورهم . ولما كان نوع الانسان قد فطر على حب اللذات والاستئثار بالمنافع وكان ذلك حتما ليجد فى تحصيله ويتنافس فى الفضائل والاعمال الشريفة وجعل من فروع تلك الفطرة الحسد للناس على نعمهم والسعى فى هدم ما بنوا من المجد وما أوتوا من الفضل بين الله ذلك اذ قال ان هدايتكم يريدها الله وهذه الهداية يحاول ابطالها الغاوون ويسعى فى ايقافها الفاسقون فيقول الزناة وأهل الدعارة والفسق اذا امتاز هؤلاء بالاقلاع عن هذه المعاصى ازدرانا الناس وولوا وجوههم عنا وتطلعت الوجوه الى هؤلاء المتنسكين ولذلك قال الله تعالى (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا) عن الفضائل الى الرذائل التى انغمسوا فيها وارتطموا فى أوحالها (ميلا عظيما) بأن تأتوا المحرمات فتكونون مثلهم . فذكر التوبة فى هذا المقام ليس للتكرار تأكيدا وانما هو للمقايسة بين ارادة الله وارادة الذين يتبعون الشهوات ثم قال (يريد الله أن يخفف عنكم) يا أمة محمد ما تنوؤن تحته من الأثقال فى دنياكم ودينكم فأباح نكاح الاماء بشروط خاصة تسهيلا لكم وسيأتى قريبا بيان معنى التخفيف بما هو أوسع من هذا بعد تمام تفسير هذا المقصد (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات ولما كانت علاقات الرجال بالنساء لا تنفك عن الأموال توالت الآيات فيهما فترى آيات الميراث أولا وآيات التحذير من أكل الأموال بالباطل هنا فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بما لا يحل فى الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة والرشوة والأكاذيب فى المحاماة فى المحاكم . ولما كان الشئ يستوجب تذكار ضده والنفس الانسانية تحضر الضد عند ذكر الضد بين الله إن التجارة ليس منهيا عنها لأن النفس راضية بالتعاقد أن يأكل زيد مال عمرو بتلك المبادلة فقال (الا أن تكون تجارة) صادرة (عن تراض منكم) أى لكن كون تجارة عن تراض منكم غير منهى عنه . واعلموا أيها الناس أن رشوة الحكام والربا والقمار وأكل أموال الناس بالباطل يورث خللا فى نظامكم . أيها الناس أنا ما حللت حلالا ولا حرمت حراما الا لتعيشوا فى هذه الحياة آمنين . فهذه الأحكام الشرعية والحدود الدينية التى أبينها لكم ليست تراد الا لحفظ نظام هيئتكم المدنية فاذا قلت لكم فيما مضى ان المدار على القلوب فهكذا هنا أقول إن توصيتى على الأموال تارة وعلى الأعراض أخرى انما أردت بها حياتكم وبقاء دولكم فأما اذا اغتال الأغنياء الفقراء وظلم الأقوياء الضعفاء وانتهك الحكام الحرمات وظنوا أن الناس عبيدهم فان يد العمل فى الامة تقل وكذلك الأعمال النافعة فى البلاد فيهجم عليكم الأمم حولكم فتدوسكم بأرجلها وتطؤكم بمناسمها ويدخلون عندكم الشركات ويقتسمون الأموال ويربحون وأنتم نائمون وهذا هو القتل الحقيقى للانفس وضياع البلاد والعباد وهذا معنى قوله (ولا تقتلوا أنفسكم) أيها المسلمون وهذا بعينه هو الحاصل فى زماننا . ألا ترى أن المسلمين منذ أربعمائة سنة أتى اليهم الأسبان فخلوا بساحتهم وانتزعوا منهم أرض الجزيرة ولعمرك لم يكن ذلك بالخيل والسلاح والكراع وانما كان بتلك المعاهدة التى دبرها الفرنجة بأمر البابا وباورونات أوروبا ودوق فينيز يا وأباحوا الخمر بمقتضى حرية التجارة ودخل الكسل والبطالة على أهل البلاد فكان الربا والترف والنعيم والكسل فماتت الأمة وهذا هو القتل . هذا قتل الأنفس العام وهو أشد من قتل المرء نفسه المحرم أيضا هذه هى المناسبة لذكر القتل

ولقد استمر المسلمون يقتلون أنفسهم هذا القتل الشنيع بعد ماسمعوا أن فرديناند وايزابلا قدرموا بأمة العرب فى البحر الأبيض المتوسط و بعد أن قتلوا منهم آلافا مؤلفة وطردوهم وأغرقوهم • ولعمرك لم يقتلهم الأسبانيون الا بعد أن قتلوا هم أنفسهم بالجهل فى الأموال والتجارات فكانوا يتهافتون على صناعات أوروبا ويتركون صناعاتهم لأن صناعات أوروبا كانت أشهى الى قلوبهم • وليت شعرى كيف يذكر الله قتل الانفس بعد ذكر التجارة • أيها المسلمون ان التجارة وان كانت حلالا هى التى أودت بالمسلمين انظروا أليس تجار الافرنج هم الذين خدروا عقول الاسبانيين أليس تجار أوروبا الآن قد استولوا على أهم موارد حياتنا أليست الحرب الحاضرة قائمة على أساس الأموال والتجارة ان المسلمين نائمون ان التجارة الافرنجية هى التى قتلت الشرقيين ولذلك أراد (غاندى) أن يتلمس الخروج من الخطر بتحريم المنسوجات الافرنجية وقد نجح نجاحا عظيما • فهل يعلم المسلمون أن خراب دولهم انما جاء لجهلهم علوم التجارة وأنهم قوم لا يعلمون منها الا قليلا التجارة تسبق الحرب فما ملك الانجليز بلاد الهند الا بالشركة الانجليزية هناك والعادات الفرنجية تغلغلت فى قلوب المصريين والسوريين وجميع سكان شمال افريقيا هذا هو القتل المذكور فى القرآن وهذا هو السر فى تعقيب التجارة بالتحذير من قتل النفس ولما كان ذلك التحذير من فضل الله ورحمته قال تعالى (ان الله كان بكم رحيما) فى تصويركم وخلقكم ورزقكم فكيف لا ترحمون أنفسكم بعد قتلها الاقتصادى بالاسراف وضياع أموالكم أو قتل أنفسكم انتحارا

اعلم أن من عادة القرآن أن يرشد بطريقين طريق العقل والهداية وطريق الارهاب وكانت أولى الطريقتين قد ذكرها أولا بان الأمم يعتريها الفساد وتضيع الدول وكان هذا المعنى لا يعقله الا قليل ولا يفهم مغزاه الا من خصه الله وقد شرع فى الطريق الثانى فقال (ومن يفعل ذلك عدوانا) افراطا فى التجاوز عن الحق (وظلما) للنفوس بتعريضها للهلاك فى الدنيا والآخرة (فسوف نصليه نارا) ندخله نارا يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) ولما كان هذا القول ربما أوقع فى النفوس يأسا قال (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) وهى كبائر الذنوب وهى التى عظمت عقوبتها (نكفر عنكم سيآتكم) نغفر لكم صغائركم ونمحها ولعل الكبائر تختلف باختلاف المراتب فقد يكون الذنب صغيرا للعامى وكبيرا على الصديق فلقد عوتب النبى صلى الله عليه وسلم على خطرات النفس وقد يكون الذنب كبيرا باعتبار وصغيرا باعتبار آخر • ومما اتفق عليه السبع الواردة فى الحديث الاشراك والقتل وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف والعقوق * وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة أقرب منها الى سبع وقول ابن عباس يشير الى ماقلناه من اختلاف الذنب باختلاف المراتب فالعلماء والحكماء والصديقون تكون كبائرهم كثيرة بحيث لو وضع أحدهم وقتا بلا نشر للفضيلة عد آثما

واعلم أن الناس أشبه بفصائل الحيوان ولكل فصيلة عمل يخصها فتجد العامة أشبه بالببغاء يقول ولا يعقل وصلاتهم كلام لا توجه معه والفضلاء اذا سهوا فى جزء من الصلاة كان ذلك ذنبا عظيما واعتبروه اعراضا عن خالقهم (وندخلكم مدخلا كريما) الجنة ومن الآثام الذائعة الحسد وهو شائع بين العلماء والجهلاء وهو يشتد كلما تقاربت المراكز والأحوال فالأقارب والمشتركون فى صناعة أو تجارة أو قرية أو حارة أو علم و بالجملة من تقاربوا فى أكثر الأحوال أو بعضها يتحاسدون بمقدار هذا الاشتراك فلذلك قال (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) كالجاه والمال والجمال والتمكن فى الارض والصيت وأمثالها تمنيا يفضى بكم الى البحث فى زوال النعم عن المنعم عليه باتلاف ماله والسعاية والوشاية والقتل وأمثال ذلك فان هذه الغريزة مخلوقة فيكم للبحث على طلب الكمال لأنفسكم لا هدم ما بناه غيركم من المجد فالمسابقة للكمال فضيلة أما السعى فى هدم ما بناه الغير فانه حرام وكيف تسعى فى زوال مجد يرجع اليك فان الناس بعضهم لبعض خادم وزوال النعم عن الناس مفض الى نقصها من المجموع وكيف تفعلون ذلك و (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فلكل

مواهب فطرية أوحظوظ اتفاقية والله هو الذى وهبهم فارجعوا عن غيكم (واسألوا الله من فضله) أن يعطيكم وهذه هى الغبطة فالغبطة أن تتمنى مثل ماعند الغير وتسعى له بالعمل لا بالتمنى والكسل واياك أن تقول أيها الانسان لم كان هذا أميرا أو وزيرا أوعالما أوغنيا وأنا محروم من ذلك ولم كان فلان وارثا وأنا محروم من الميراث أوتقول المرأة لم أخذ الرجل أكثر منى فاياكم أيها الوارثون والحسد واياكم أيها الناس والتمادى فى الاعتراض على ما أعطيت للناس من مواهب مالية ونعم علمية ومناصب أميرية فانى عليم بالعباد بصير بالمخلوقات وجعلت لكل امرئ خاصة يمتاز بها لاصلاح لمجموع ورتبتكم مراتب الا أنكم أيها الناس كجسم فمنكم من يمثل العين ومنكم من يمثل الدماغ ومنكم من يمثل اليد ومنكم من يمثل المعدة ولا يعيش المجموع الا بتوزيع الوظائف الانسانية عليكم فمن ذا يعرف هذا الجمال ويعترض عليه ومن ذا يقرأ هذا الحسن ولا يقربه انى نظمتكم على نظام أنا أعلم به (ان الله كان بكل شئ عليما) فعلى هذا العلم العام رتبنا ملكنا وأنزلنا شرائعنا وخصصنا لكل وارث مقدارا من المال يصيبه من مال مورثه فلا يحسد بعضكم بعضا على هذا التباين فى الانصباء فانكم تجهلون حسن نظامى وانما يعرفه الحكماء فيكم لاغير فتماديكم فى الحسد عذاب عظيم عليكم فانا قد جعلنا لكل من الرجال والنساء الميتين وارثين من إخوتهم وبنى عمهم وسائر عصباتهم يرثون ماترك والدوهم وأقرباؤهم وبينا لكل نصيبه فهذا معنى (ولكل) من الرجال والنساء (جعلنا موالى) ورثة من بنى عم أواخوة أوغيرهم يرثون (مما ترك الوالدان والأقربون) أى من ميراثهم . ولما كان المتحالفون بينهم عهد وميثاق أن يفوا بما عاهدوا عليه وكان الحلف فى الجاهلية على النصرة عند الأمور العظيمة من الحقوق الواجبة على الانسان فهى تشبه الميراث من جهة الاستحقاق فالقريب والصهر يرثان الأموال والحليف الذى أخذ العهد والميثاق علينا يجب علينا نصره فى أيام حياتنا ولورثتنا المال فى الممات فلذلك أعقب ماتقدم بقوله (والذين عقدت) أوعاقدت (أيمانكم) فى الجاهلية أن تنصروهم (فآتوهم نصيبهم) أعطوهم حظهم من النصرة التى عاقدتموهم عليها فالله مطلع على عقدكم (ان الله كان على كل شئ شهيدا) ومن ذا يقوى أن يخون فيما شهده الله . ولما كان النساء بيننا وبينهن عقد وميثاق كالذى أعطيناه للحلفاء فى الجاهلية وكالذى فرضه الله فى القرآن للوارثين وقد فرض الله الوفاء فيهما علينا . أخذ عز وجل يذكرنا بالسلطة المخولة لنا من جهة الفطرة عليهن وذلك اننا أقوياء وهن ضعفاء ونحن أقرب الى العلم والأدب منهن والخبرة فى الأمور وهذه كلها أشبه بعقد كعقد الحلفاء فللحليف علينا النصر وللوارث نصيبه وللزوجة قسطها من العمل تحت إشرافنا فنحن قوامون عليهن بالسلطة والتأديب بفضلنا عليهن فى العقل وحسن التدبير وبما أنفقنا من المهر لهن والنساء على قسمين صالحات مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج وعاصيات ناشزات لا يطعن أزواجهن . فالقسم الأول أمره معلوم أما الفريق الثانى فابتدئوا بوعظه فان لم ينجع الوعظ فاهجروهن فى المضاجع ولا تبيتوا معهن ليتبن فان لم يتبن فاضربوهن ضربا غير مبرح واياكم ومخالفة هذا الترتيب فالوعظ يتلوه الهجر والهجر يتلوه الضرب فمن أطاعت واعتدلت فانسوا ذنبها ولا تذكروه ألبتة لأن الله فوقكم كما أنكم فوق النساء مقاما وقدرة فاذا تبن من الذنب فلا تعتدوا بما لكم من القدرة عليهن فالله أقدر عليكم من قدرتكم عليهن وان خفتم خلافا بينهما فابعثوا رجلين يصلحان للحكومة أحدهما من أهله والآخر من أهلها وهما أدرى بأحوالهما ليوفقا بينهما فهذا قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) فهم كالولاة والنساء كالرعية (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله الرجال على النساء بما هو معلوم مما تقدم (وبما أنفقوا من أموالهم) كالمهر والنفقة وهن قسمان مطيعات وعاصيات (فالصالحات قانتات) مطيعات لله (حافظات للغيب) يحفظن فى غيبة أزواجهن مايجب أن يحفظ فى النفس والمال (بما حفظ الله) أى بسبب حفظ الله لهن حيث حثهن ورغبهن بالوعد وأنذرهن وخوفهن بالتهديد ووفقهن لحفظ أسرار الزوج وللعفة ومراعاة مايجب عليهن مراعاته فى غيبته من أعراضهن وأموال الأزواج فعنه

عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان أمرتها أطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية . فأما القسم الثانى وهن العاصيات فقال فيهن (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الأزواج (فعظوهن واهجروهن فى المضاجع) المراقد (واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (إن الله كان عليا كبيرا) وهذه المعانى قد قدمناها هنا وقوله (وان خفتم شقاق بينهما) أى خلافا بين المرأة وزوجها واضافة الشقاق الى البين على حد قولهم نهاره صائم وليله قائم والحكم الوسط الذى يصلح للحكومة والاصلاح وكون الحكمين من أهله وأهلها أفضل ولا يمنع أن يكون من الأجانب وارسال الحكمين من قبل الحكام أو من قبل الزوجين أو من قبل صالحى الأمة وللحكمين أن يجريا الخلع بلا إذن من الزوجين ان رأيا الاصلاح فيه عند مالك وعند غيره لا يليان جمعا ولا تفريقا الا باذن الزوجين . واعلم أن لارادة الحكمين دخلا فى تحقيق الصلح كما قال (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) ان يرد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين الزوجين أو بين الحكمين فى اتمام الصلح . ويسن للحاكم أن يبعث عدلين ويجعلهما حكمين عند الشافعى * وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال فعلام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين أتدريان ما عليكما عليكما إن رأيتما أن تجمعا جمعتما وان رأيتما أن تفرقا فرقتما الخ

فاعجب للمسلمين فى مصر والشام وكثير من بلاد الاسلام كيف غفلوا عن بعث الحكمين وكيف نام القضاة وعلماء الدين عن هذه الآية اللهم ان المسلمين قد غفلوا عن كتابك . يا الله ان القضاة فى ديارنا نائمون يتركون الزوجين أشهرا ويرهقونهما بالدعاوى والبينات والشهود ويسلطون المحامين الذين يستنزفون ثروتهم . يا الله قد قام المحامى المؤجر مقام الحكمين ان هذا مخالف للدين وكيف ينبذ أمر الحكمين عندنا أهل السنة وقد بلغنى أن الشيعة يعملون بهذه الآية فأما أهل السنة فقد تركوها وهى واضحة ظاهرة اللهم ان بعض أمة الاسلام قد نبذوا العمل بهذه الآية اتعابا للناس واستنزافا لثروتهم وضياعا للصبية الصغار والنساء الفقيرات المسكينات والقضاة غافلون وأهل العلم غير مستيقظين والناس قد تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأصبح كل على كل متكلا فلترجع الأحكام الشرعية لسابق عهدها ولينبذ ذلك النوم العميق والجهل المطبق وليجدد العلماء مجد الدين وليحفظوا بلادهم التى أضاعها الجهل فأرسل الله الفرنجة عليها جزاء وفاقا كأن الناس كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآيات الله كذابا هذا ويظهر من كلام سيدنا على أن الحكمين يقومان مقام الزوجين فى كل شئ انتهى التفسير وههنا لطيفتان

اللطيفة الأولى . قوله ـ ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ـ وقد ذكر قبلها انه يريد أن يتوب علينا وذكر بعدها أنه يريد أن يخفف عنا وان الانسان ضعيف

اللطيفة الثانية . قوله ـ ولا تقتلوا أنفسكم ـ قد ذكرها بعد أمر مباح وهو التجارة وذكر بعدها أنه رحيم بنا

وهاتان اللطيفتان ترميان لغرض واحد سنشرحه شرحا وافيا فى هذا المقام ولنبتدئ بما روى عن ابن عباس ثم نتبعه بما فتح الله به * عن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت منها ثلاث من قوله ـ يريد الله ليبين لكم ويهديكم الى قوله وخلق الانسان ضعيفا ـ والخمس الباقية هى ـ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه . وان الله لا يغفر أن يشرك به . وان الله لا يظلم مثقال ذرة . من يعمل سوأ يجز به . ما يفعل الله بعذابكم الآية ـ فتدبره

اعلم أنى لما قرأت كلام ابن عباس لمع من بين تلك الآيات أنوار مشرقة فان الآيات الثلاث هى التى

ذكرتك بها فان ارادة الله البيان لنا أولا والتوبة ثانيا وأن الذين يتبعون الشهوات يريدون أن نميل ميلا عظيما ترينا أن الاسلام اليوم سيخلص من القيود التي قيدبها فمن هم الذين يتبعون الشهوات

﴿ أهل أوروبا في الغرب ورجال الاسلام في الشرق وكيف استذلوهم بالشهوات ﴾

اعلم أن الذين يتبعون الشهوات فريقان فريق داخل بلاد الاسلام وفريق خارج بلاد الاسلام فالفريق الذي هو داخل بلاد الاسلام هم الزناة والمقامرون وشاربوا الخمر والمرتشون من رجال الحكومات الاسلامية والذين يوالون الفرنجة فيجعلونهم سببا لانتهاب البلاد الاسلامية واستعباد أهلها واذلالهم فهذا الفريق هم الذين يتبعون الشهوات داخل بلاد الاسلام أما الذين يتبعون الشهوات خارج بلاد الاسلام فهم أهل أوروبا أفلست ترى أنهم قد ملكوا بلاد الاسلام بشهوة الغزو والفتح والاستعمار واستعباد الأمم واستذلالها فهؤلاء بشهواتهم للاستعلاء واستنزاف الثروة فأما أهل البلاد الاسلامية فشهواتهم ما يلبسون ويأكلون ويشربون ويتمتعون بالنساء الشرقيات والغربيات ويتميزون عن أبناء الشرق بمصاحبة الفرنجة ويتكبرون عليهم وأناموقن بأن الله يهدي المسلمين جميعا وينقذهم كما سأوضحه في هذا المقام

﴿ أسرار النبوة في مسألة المسيح الدجال والأحاديث الصحيحة الواردة فيه وظهور صدق النبوة وتبشيري للمسلمين باقبال الزمان وانقشاع الظلم عنهم قريبا وهذا أوانه ﴾

روى الشيخان وأبوداود عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء عذب وأما الذي يرى الناس أنه ماء فنار تحرق فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فانه ماء بارد عذب * وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري ومعه مثل الجنة والنار فناره جنة وماؤه نار ألا و بين يديه رجلان ينذران أهل القرى فاذا خرجا من القرية دخل أول أصحاب الدجال أخرجه رزين . فهذا الحديث الذي أخرجه رزين وان لم يكن في البخاري ولا في مسلم هو الذي أوضح لنا المقام وأفهمنا ما نحن فيه الآن فانه يقال ان معه مثل الجنة والنار وهذا هو المعقول فان الجنة والنار اللتين في الآخرة لا يكونان الا بعد الموت واذن هذا مثل الجنة والنار ولاشك أن الذي هو مثل الجنة والنار ما نراه الآن فان الجنة الافرنجية ما وضحناه لك في هذا المقام وفي غيره فبالتجارة أخذ الانجليز الهند وكذلك الفرنسيون قبلهم وهكذا بلاد چاوه والجزائر حولها استعمرها الهولنديون واتخذ أهل أسبانيا وفرنسا على بلاد مراكش فان الأسبانيين بعد أن طردوا المسلمين من بلاد الاندلس عبروا البحر وراءهم ليطردوهم أيضا من شمال افريقيا ليموتوا في الصحراء الكبرى ولو قدر الانجليز على أهل بلادي لرموا بهم في غابات السودان وجردوهم مما يملكون ودفنوهم في البحيرات عند خط الاستواء ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

﴿ ايضاح جنة الافرنج ونارهم واحتلال البلاد ﴾

لقد عرفت جنة الافرنج وهي التجارة أما النار فهي المدافع والطيارات والنار التي يلقونها على المسلمين في الهند والعراق وشمال افريقيا فايطاليا تعذب طرابلس وأسبانيا وفرانسا ترسلان القنابل على أهل مراكش هذه هي النار واعلم أن الحديث الذي أخرجه رزين هو الذي كفانا مؤونة القول بالمجاز أما وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلا قول لنا ولو لم يأت لتكلفت المجاز في حديث الشيخين

﴿ سر النبوة الذي ظهر ﴾

ألا تعجب معي أيها الذكي ألا تنظر الى نور النبوة ألا تفكر فيما نقول فتمل لي رعاك الله ألست ترى قوله في الحديث ان هناك رجلين بين يديه ينذران أهل القرى فاذا خرجا من القرية دخلها أول أصحاب المسيح الدجال . فيا ليت شعري من هم أصحاب هذا الدجال ومن هم أول أصحابه وأين هم . أصحاب الدجال هم الفرنجة

ولكنا لانراه وانما نرى أصحابه فسواء جاء هو أولم يجيء فالمقصود منه قد حصل وهو انذار أهل القرى تارة واضلالهم بالشهوات ودخول أصحابه البلاد وقد تم كل هذا فضحكوا علينا بنسائهم وشهواتهم وأخذونا بالتخويف كل هذا قد تم وربما كان الدجال حقيقة كلية تطلق على النصابين والكذابين واللصوص فكل هؤلاء دجالون صغار ولكن أكبر الدجالين هم الذين يسرقون الدول ويقلبون الأمم فهم يذكرون فى مقابلة الأنبياء ولذلك يذكر المسيح مع الدجال فالمسيح ابن مريم للهداية ونظيره الدجال للاضلال أمرنا بالاستعاذة منه وقلنا فى صلاتنا وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وها نحن أولاء وقعنا فى فتنة أصحابه الذين ابتدؤا ببلاد الاندلس وماقتل أهل الاندلس الا أنفسهم بانغماسهم فى تجاراتهم واضلالهم وأحوالهم وتبعناهم نحن فى بلاد الشرق ولقد رأيت فى الحديث أننا أمرنا أن ندخل فى ناره ونتجنب جنته ولقد صدق النبى صلى الله عليه وسلم فكل من اغتر بأهل أوروبا وجنتهم أصبحوا عبيدا لهم كما أوضحته وكما قاله هنرى الفرنسى فيما نقلته عنه فى سورة البقرة فى تفسير آية الخمر وأن من اتبعهم فقد ذل ذلا عظيما يريد بذلك أهل الجزائر . وأول من قبل ذلك من المسلمين أهل الاندلس كما ذكرناه فى هذا التفسير مرارا فانهم لما شربوا خمرهم ولبسوا منسوجاتهم ودخلوا مدارسهم وقرؤا سير آبائهم وصاروا تلاميذ لأساتذتهم وتعاملوا بالربا من مصارفهم وأصبحوا مترفين منعمين وانغمسوا فى ملاذهم وأكلوا فى مطاعمهم واستقذروا بيوت آبائهم كان ذلك مبدأ ضعفهم فأذلوهم أجمعين وقتلوهم أكتعين أبصعين ورموا من بقى منهم خارج البلاد وساموهم سوء العذاب بما كانوا يجهلون . ذلك منذ أربعمائة سنة . ثم توالى فتح الفرنجة للبلاد حتى ملكوا بلاد مصر والشام والعراق والهند وتخطوا الى الصين ولم ينالوا كل مقصدهم هناك كل ذلك أيها الذكى سرّ قوله — ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما —

﴿ إيضاح شهوات الاستعماريين فى أوروبا وشهوات الأمم الشرقية عموما والاسلام خصوصا ﴾

اعلم أن هذه الشهوات المذكورة فى هذه الآية قد وضحت فى هذه الآيات اذ أعقبها بذكر التجارة واباحتها وبالنهى عن قتل النفس

فيا عجبا كل العجب ها أنا ذا أقرأ القرآن وأنا أكتب هذا التفسير هذه الليلة الثامنة من شهر رجب قبيل الفجر سنة ١٣٤٢ هجرية لا أذكر أن آية ذكر فيها أمر حلال وأعقب بالنهى عن قتل النفس ان التجارة حلال وأخذ المال بالباطل حرام . تحرم السرقة والربا والرشوة . هذا حق ولكن التجارة حلال لأنها عن تراض ومتى رضى المتبايعان صار المبيع حلالا للمشترى وصار الثمن حلالا للبائع . وليت شعرى أى قتل للنفس هنا حتى ينهانا الله عنه ان فى المسألة لسرا عجيبا ان فى المسألة سرا قد كشفه الزمان الغابر والدهر الحاضر والحرب العظمى بين دول الشرق والغرب ان التجارة هى السر وهى الحياة وهى القتل والتجارة كانت سبب حروب أوروبا الطاحنة فى هذا القرن ان التجارة هى كل شئ . يقول الله أيها الناس ان الأموال اذا أخذتموها بالتراضى فانها حلال ولكن ما الذى يقتل الناس أكثر من الحلال ان الحلال فيه السم ان السم فى الدسم وما التجارة الا كالكذاب ويقول فيه الشاعر من كان يخلق مايقو * ل خيلتى فيه قليله

وان التجارة كالصديق قال الشاعر

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصديـ * ق فكان أعرف بالمضره

أيها الذكى لاتتعجب من قولى ان التجارة هى التى سلطها أهل الغرب على أهل الشرق فأفسدوا أخلاق أهل البلاد ان التجارة هى الداء العضال هى شبكة الصائدين وحيلة المحتالين ونصب الدجالين ونظام المستعمرين

﴿ التجارة هي مثل جنة المسيخ الدجال الذى حل أشباهه وأصحابه بالشرق من أوروبا ﴾

اعلم أن القرآن تظهر معانيه فى هذا الزمان وقد أراد الله أن يظهر السر المكنون والعلم المخزون والحكمة الاسلامية فى هذا الزمان لماذا لانها قد كشفت واتضحت بالحوادث

انظر فى بلادنا المصرية وفى بلاد مراكش وتونس وبلاد طرابلس والعراق وأكثر بلاد الاسلام أنظر انظر ألست ترى أن المسلمين لاسيما المتعلمين والأغنياء لايهنأ لهم طعام ولاشراب ولاجلوس ولانوم ولاراحة ولاملبس ولاتمتع الافى مطاعم الفرنجة وبخمورهم وفى قهواتهم وفى نزلهم وهى اللوكندات ومن منسوجاتهم و بنسائهم على طريق الزنا . ولو رأيت ما أراه اليوم لهالك الأمر واستهولك أحزان . يجىء اليونانى خالى الوفاض بادى الانفاض فقيرا لايملك شروى نقير صعلوكا فلا يمضى عليه عشر سنوات حتى يملك الديار والعقار والقصور والجنات بماذا كل هذا بكاسات من الخمر المغشوش المماوء سما زعافا ليسقيه لأهل بلادى فيقتلهم و يأخذ مالهم والله لقد كتبت فى الجرائد ونشرت وكذلك كثير من أهل العلم وعسى الله أن يأتى بالفتح ورفع هذه الظلمات

﴿ بشارة المسلمين بقرب انقشاع الظلمات عن بلاد الشرق والاسلام ﴾

يقول الله — ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما — ويذكر قبلها أنه يريد أن يبين لنا ويقول بعدها — يريد الله أن يخفف عنكم — ويذكر أن الناس خلقوا ضعافا . فاذا كان الله أراد البيان وأراد أن يتوب علينا فهاتان الارادتان تمحقان إرادة الذين يتبعون الشهوات فينلون المسلمين . وأول من تفطن لذلك رجال الأفغان والترك والعجم و بلادنا المصرية التى جردوها من السلاح فقد أخذت تناضل بالاقلام والعقول وقد نلنا بعض الحقوق وأخذنا ندخل فى نارهم عسى أن نستقل وقد قبلنا مدافعهم فى وجوهنا ورصاص بنادقهم فقتلوا النساء والأطفال وصبر المصريون صبر الكرام والوقت قد حان لخروجنا من معرتهم وهاهى ذه بلاد الترك قد حرمت الخمر وهكذا فى بلادنا تجد الحكومة فى منع المسكرات والمستقبل لله

﴿ إيضاح آية التجارة والقتل ﴾

كأن الله يقول . أيها الناس إن التجارة حلال لكم ولقد تركت لكم الخيار فيها ولقد خلقتكم برحمتى وقويت أبدانكم ورزقتكم وجعلت لكم الحرية فيما تبيعون وتشترون أفلا تتفكرون أيها المسلمون فتعلمون أنى أنا الذى رحمتكم فكيف لاترحمون أنفسكم بالتفكر فى أمر التجارة فلا تنغمسون فى نعيم الأمم الظالمة التى تخدر أعصابكم بالشهوات واستنزاف الأموال فارحموا أنفسكم بالتفكير فى ذلك كما رحمتكم برحمتى الواسعة

﴿ جمال هذا المقام ﴾

لقد أبنت لك أن الافغان والترك والفرس قد تنبهوا وفكروا وخرجوا من ظلم الفرنجة وكذلك مصر اقترب الوعد لخروجها . هذه هداية ونور أزال الظلمات وسيزيلها بالتدريج وقد جاء فى الحديث أن الدجال أنذر به الأنبياء أممهم كنوح وابراهيم وغيرهم قال ما بعث الله من نبى الا أنذر أمته أنذره نوح عليه السلام أمته والنبيون بعده وأنه يخرج عليكم فما خفى عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم الخ . أقول ولعل الأنبياء كانوا يحذرون أممهم به لئلا يستأصلهم من يغشونهم من الأمم والأمة المحمدية ألهمها الله الاستيقاظ الآن وستبقى الى آخر الزمان ولن تبيد هذه الأمة الا اذا عاشت غافلة عن أخلاق الأمم التى حولها كما كانت فى القرن التاسع عشر فأما الآن فقد ظهرت عليها دلائل التعقل والهدى . فيكون ملخص ماتقدم أن النبوة لما أشرق نورها على الأنبياء ضربوا الأمثال لأممهم كما اتفق أن نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء قد رأى فى عالم المثال أنواعا من الصور كصور الزناة والمغتابين والذين يقولون قولا زورا وآكلى الربا وجبريل يفسر له تلك الصور وهى أمور عجيبة سنشرحها فى سورة الاسراء فهكذا هنا أنذر المسلمين وحذرهم ممن يسمى المسيح الدجال وعدد له

صفات ولكن نحن لم نره ورأينا أهم آثاره ولعمرك ما الذي يهم المسلمين من أمتنا الا الآثار التي تمس مصالحهم فأما جسمه وأحواله فنحن لسنا نتكلم مع العامة الجهلاء الذين يجمدون على الألفاظ وإنما نحن ألهمنا أن نكلم الناس بحقائق ديننا والحقائق هنا وضحت فالمسيح ابن مريم والمسيخ الدجال لسنا نريد الا آثارهما وهكذا المهدي فاذا وجدنا الآثار انتفعنا بها، وأنا أقول بأعلى صوتي أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها كيف تقرأ في صلاتنا صباحا ومساء داعين مبتهلين الى الله أن يدفع عنا المسيخ الدجال وكان نبينا والصحابة والتابعون كذلك هل كان كل هذا الدعاء عبثا وباطلا يقصد به رجل واحد لايحققه الا الله بعد آلاف السنين واذن يكون الدعاء مانع لاعمل له والحقيقة أن المعنى المقصود حاصل لاشك فيه ظاهر في قوله ولا تقتلوا أنفسكم عند ذكر التعامل بالتجارة وقد أوضحت هذا المقام لكم أيها المسلمون إيضاحا كافيا فكل من بذل منكم يا أحبابي قراء هذا الكتاب جهده ونشر العلم وأزاح الظلمات وسعى سعيا حثيثا في نبذ المصنوعات الافرنجية والترف والنعيم وحث الأمة على الصناعات وفتح المدارس ومحال الصناعات فهو من الذين يسعون في الهداية أو هو من مقدمات المهدي أو فيه نور المسيح المحمدي أعني أن المسيح الموعود به والمهدي الموعود به لايجوز لنا أن نتكاسل لانتظاره والا كان هذا بلاهة وجهالة ليس يقصد من المسيح أن ننام حتى يأتي بل نمهد لزمانه ولو كانت أشخاص الأنبياء هي المقصودة لكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد بطل دينه بموته مع أن نشره للدين نشرا حقيقيا لم يتجاوز عشر سنين وماهي السنين العشر انها قليل بالنسبة للزمن الكثير بعده ولكن شريعته هي السارية الآن أما شخصه فغيب عنا

اذا ثبت هذا فليس يقصد من مجيء المسيح الا الآثار النافعة في وجوده وبعده . إن تعاليم المسيح الصفاء والطهارة والاخلاص والتعاون والتوحيد والمحبة وحسن الخلق وتحمل الأذى ويقرب من هذا المهدي فلنتجمل بهذه الصفات الآن تدريجا ولانتربص حتى يجيء فلا يكون لنا فضل

فأنت أيها الذكي قد عرفت الفكرة الاوروبية المنتشرة بيننا وقد أثبت لك أن أعمال أوروبا هي أعمال المسيخ الدجال وقد ابتدأت الهداية في الاسلام والشرق فكل من حذر من أوروبا وقلل من مصنوعاتهم كما في الهند وطردهم كما في تركيا واستخدم صناعهم وعلماءهم ليعلموا أبناء البلاد مثل المرحوم محمد علي باشا فهؤلاء قوم هداة كأنهم أصحاب المهدي أو أصحاب عيسى عليه السلام . ولقد ظهرت الفكرة العيسوية اليوم في العالم فترى العمال في أكثر الممالك قد نبغوا وظهروا وطلبوا المساواة وهي كلها أفكار المسيح الأصلي الذي هو شرقي لاغربي . فليم التعليم في بلاد الاسلام وليحترسوا من التجارات الافرنجية وسائر أعمالهم ولايأخذوا منها الا مالا يكون عندهم ولينشؤا عندهم مصانع ومحال صناعات كما فعل غاندي في الهند

فاياكم أيها المسلمون والاتكال على المهدي المنتظر ولا المسيح بل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فالهداية قد ابتدأت والمسيح يأتي في وقت لانعرفه وكل من رقى المسلمين أو نفعهم فهو من أعوان المهدي والمسيح الاسلامي المذكور في الأحاديث كما أن رجال السوء في بلاد المغرب في شمال افريقيا وفي البلاد الاسلامية الأخرى ومن يحتالون على المسلمين ويضحكون عليهم من الفرنجة من أصحاب المسيخ الدجال كما قدمناه فكن من أصحاب المسيح الاسلامي أو المهدي كما أن الأمم المستعمرة أصحاب المسيخ الدجال فلنقابل الاصحاب بالاصحاب ولانتظر الدجال والمسيح فان أعمالهما ظاهرة فكل أمة لم تغتر بالفرنجة فقد حلت فيها الروح الشريفة المسيحية الاسلامية وكل أمة انغمست في نعيم تجاراتهم واستنزفت ثروتها فقد آمنت بأصحاب المسيخ الدجال تذكر ماجاء في أول السورة من قوله تعالى ـ ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ـ وكيف حذرنا من وضعها في يد صغارنا لئلا يضيعوا مابه قيامنا . ثم لينظر الذكي كيف ذكر ذلك أول السورة ونبه هنا على مسألة التجارة وأن القتل لالام منها فتعجب انتهى الكلام على المقصد الرابع

(المقصد

(المقصدُ الخامسُ)

وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا * إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا * فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ، وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً * إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ، وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا

مُبِينًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ، بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ، لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ ، أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا *

وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا *

اعلم أن هذا القسم ثلاث فصول

الفصل الاوّل • الفضائل العامة بمعاملة الخلق والقربى من الله من قوله ـ واعبدوا الله الى قوله ان الله كان غفورا رحيما ـ

الفصل الثانى • فى الفريق المقابل لهؤلاء وهم البخلاء والحساد والعابدون للطاغوت من قوله ـ ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله وندخلهم ظلا ظليلا ـ

الفصل الثالث • فى عدل الحاكمين وتأدية الامانة للمحكومين واعطائهم حقوقهم وأمر المحكومين أن يطيعوا حكامهم لينتظم أمر الرعية من قوله ـ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى قوله وكفى بالله عليما ـ

﴿ الفصل الاوّل ﴾

اعلم أن ماتقدم من أوّل السورة انما كان فى قسم التركات ومعاملة النساء وزواجهن والمحرمات وفى الزناة والزانيات ونشوز النساء وفى الصلح وهذه مسائل أساسها فى الاسرات وأصلها فى المنازل ولاجرم أن ذلك يحصر الفكر فى الأمور الجزئية والأحوال المنزلية والأعمال الفردية العائلية ولما كانت النفس الانسانية مدنية بالطبع لهاصلة بالمجموع كصلتها بأهل منزلها أردفه بذكر العبادات والاحسان العام للقريب والبعيد فيبدأ بالوالدين والأقربين ثم يتمادى الى أكثر الناس احتياجا كاليتامى ثم المساكين وكل جار قريبا كان أو بعيدا وكل رفيق لك فى تجارة أوصناعة أوعلم وكل مسافر أوضعيف وكل مملوك من العبيد والاماء فان الله عز وجل يكره من يتكبر على جيرانه أو يأنف من أهله وأقاربه ويتفاخر عليهم • وهؤلاء المفتخرون المتكبرون يبخلون على الناس بما آتاهم الله من فضله فان كان علما كتموه وان كان مالا كنزوه ومن سوء طباعهم وقبائح فعلهم أن ينهوا الناس عن الفضائل ليساووهم فى الرذائل لما فى النفوس من الغرائز ألا يحب الانسان الامن على شاكلته ولا يأنس الابمن يلائمه ويخاف أن يفوقه الناس بمزيه أو يعلو عليه فى قضية ذلك فعل اليهود مع النبى كتموا نعته فى التوراة وكنزوا الأموال ولم ينفقوها وخوّفوا المنفقين من الفقر فلذلك أعدالله لهم عذابا مهينا ومن سوء طباع هؤلاء المتكبرين أرباب الفخر أن طائفة منهم لقلة إيمانها بالله وعدم الثقة بالدين لاتنفق المال الارياء ولاتعطى الفقراء الا استحياء لايريدون الا الصيت ومدح المادحين ولايريدون وجه رب العالمين فلاورب ك انهم ليسوا بمؤمنين وهم ومن تقدمهم فى الذم شركاء فالبخيل مذموم عندالله والمرائى يعمله شريكه فى الذم فالأوّل لافراطه فى الشح والثانى لتفريطه فى النية كلاهما عن الحق مصروف وبالباطل معروف والطريق المستقيم والحق الصراح تمام الايمان بالله واليوم الآخر والانفاق من الرزق المملوك فماذا عليهم لواستقاموا فى الأمرين واتسموا بالفضلين صدق القلوب وعمل الجوارح انهما فى الفضل فرسارهان صنوان لايفترقان • أولايعلمون أن الله يعلم مافى القلوب وهوعدل فى حكمه حكيم فى فعله لايظلم مثقال ذرة وهى النملة الصغيرة أوأقل منها كذرات الهباء الطائرات فى الهواء الداخلات فى الكوى من ضوء الشمس دا خل البنيان وان كان مثقال الذرة حسنة يضاعفها ويعط من عنده عطاء جزيلا فاذا كان الله أوعد المسيئين باللعنات فقد فتح باب الرحمة والرجاء وأوسع المصراعين لخلقه العاصين والطائعين وهوأرحم الراحمين فهو يزيد فى الحسنات كما يغفر السيئات ومن كان هذا شأنه يجب أن يخشى بأسه ويتحاشى حسابه لان الكريم اذا كثر عطاؤه وعم

نداه وغفر للمسيء وأعطى الشريف والدنيء خجل منه المسيئون عند لقائه فليس كل عذاب جسميا ولا كل نعيم شهويا

يقول الله أفلا يخشون يوما يحشر الناس فيه الي وقد دعونا من كل أمة شهيدا يشهد أن أتباعه نبذوا الحقائق وتركوا صدق الشرائع وجاءت أمتك يا محمد مع الحاضرين وشهدت عليهم أجمعين حينئذ يتمنى عصاة أمتك والكافرون بك أن يدفنوا في الأرض ويقولون ليتنا لم نخلق ويا ليت أمهاتنا لم تلدنا لما يرون من مقام رهيب ومشهد عجيب وعظمة وكمال وجمال وجلال والملائكة حول العرش حافون وقد تجلى الله بجماله وظهر لهم بكماله فيخجلون خجلا تذوب له القلوب وتكون النار أقل منه عذابا ذلك كله معروف في الفطر الانسانية تدركه النفوس الفطنة والعقول الذكية ذلك هو الخزي الذي تقدم في سورة آل عمران إذ قال تعالى هناك - ولا تخزنا يوم القيامة - وفي آية أخرى - ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - وقد قال حكماء الاسلام كما في الرازي إن عذاب النفوس أشد من عذاب الأجسام ولقد ظهر في هذا المقام والفطر الانسانية تدركه ومن كلامهم • النار ولا العار • ولقد شرحته هناك شرحا وافيا كافيا • والذي تحقق في هذا المقام وأمثاله أن الخجل والفضيحة لا تختص بالذنوب الجسمية بل تشمل الصور العقلية فالكفر هنا من أعظم الجهالات والبخل من أشأم الذنوب ومتى ضممنا اليه ما في سورة آل عمران من التفكر في الخلق والتأمل في عجائب الليل والنهار الى آخر ما هناك وان جهل ذلك مستوجب العار ظهر لنا ظهورا واضحا ان الخجل والفضيحة حاصلان لجميع النفوس الناقصة والقلوب الساهية اللاهية فالعامة يخجلون لذنوبهم والخاصة يخجلون لنقص نفوسهم وعدم تحليتها بالعلم والعرفان

ياقوم ليس يلقى الله الا نفس مضيئة قد خلت من الذنوب وتحلت بالعلوم الكونية وما الانبياء الا مبلغون وعلى الناس البحث والتفكير فليعرفوا ما حوطهم لئلا يخجلوا في ذلك المقام الشريف والمشهد المنيف فليعط الله الناس من النعيم الجسمي ما يشاؤن وليغفر لهم كما جاء في هذه الآية وفي الأحاديث وليخرج كثيرا منهم من النار مع اعطائهم نعما لا تحصى كل ذلك يزيد في خجل النفوس الشريفة إذ يرون أنهم ليسوا أهلا لمقعد الصدق والمقام الأقدس عند مليك مقتدر فان ذلك لا يكون الا لكل حكيم عليم

ذلك المقام الذي يظهر فيه الجمال والجلال والحسن والبهاء والأنوار ومجالي السعادة يخرس الألسنة أن تنطق ولا يجد المذنب مفرا من الاقرار بذنوبه والاعتراف بعيوبه ولا يكتم المذنبون الله حديثا

ولما كان هذا المقام شريفا عزيزا ولا ينال الا بأن يخلص القلب فيصير كالشمس المضيئة ليس دونها سحاب الذنوب ولا غشاوات العيوب أردف ما تقدم بما يقرب الانسان من الحضرة العلية ويخلصه من ذنوبه ويرجعه عن عيوبه وذلك باقامة الصلاة لانها أولا تنهى عن الفحشاء التي تغطي القلوب بسحائب الذنوب وثانيا يتجلى على القلب حكم وأنوار وبهاء لاسيما اذا كان ذلك في وقت السحر وقد خلا من الشواغل • فاذن لا ينبغي أن يكون المصلي سكران لان السكران لا يعي ما يقول وما المقصد من الصلاة الا مناجاة تلك الحضرة والمران على مخاطبة ذلك المقام الأقدس وذلك المران يستدعي التجليات والمشاهدات ومن لم يحظ في الدنيا بهذه المشاهدات ولم تقر عينيه في الصلوات لم يحظ بما يريد من لقاء منبع الجمال ومبدا الكمال • وكما أن القلب في الصلاة يجب أن يكون حاضرا لا ساهيا ولا سكران ليحصل المقصود هكذا يجب أن يكون المرء على طهارة كاملة • فالقلب حاضر للمناجاة والجسم طاهر من الأقذار والحدث والجنابة وللظاهر في الباطن آثار فاياك أن تشغل قلبك وقت الصلاة فلا سكر ولا فكر الا في مناجاة الله لتشاهد ولو بعد حين الأنوار فذكر السكر رمزا الى سائر الشواغل حتى يعلم الانسان ما يقول ولعمري أي فرق بين السكران ومستغرق الهم في أعماله الدنيوية الحق ان الصلاة إما باطلة أو في حكم الباطلة كما قدمناه في سورة البقرة فلا مشاهدة لذلك الجمال بعد الموت الا بمقدمات المشاهدات

اليوم . واذا كان القلب فى الصلاة يجب أن يكون حاضرا والجسم يجب أن يكون طاهرا لئلا تصرفه قذارة الجسد أو تشغل البال عن مناجاة الله فانه يغتفر للضرورة مايعترى الناس من الأحوال التى تضطرهم الى ترك استعمال الماء فى الطهارات كالجنب الذى فقد الماء فى سفره فكيف يغتسل والمريض الذى عرف بقول الطبيب أن الماء يؤذيه فالمسافر الذى لايجد الماء لوضوئه اذا نقض أو لغسله والمريض كلاهما يتيمم بضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين لتبقى صورة الطاعة محفوظة وماذلك الا كما يتمرن الجند على الرماية والتلاميذ فى المدارس على أعمال الحساب وقراءة اللغات لترسخ الملكة فيهم فذلك فى العلوم وهنا فى الأعمال فتصبح أعمال الاغتسال سجية لهم متى جاء وقتها هذا ملخص معنى الآيات فى الفصل الاول

فلأوضح بعض الألفاظ مع تفصيل ماينبغى تفصيله فى هذا الفصل

قوله (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من قوله من كان قوله (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) الغنى والعلم ويصح أن يقال الذين يبخلون الخ مبتدأ وخبره محذوف تقديره فهم يستحقون اللوم والتعنيف وقوله (وأعتدنا) هيأنا وأعددنا قد نزلت فى اليهود كانت طائفة منهم تخالط رفاعة من الأنصار ينهونهم عن الانفاق ويخوفونهم الفقر وهم أنفسهم لاينفقون المال ويكتمون صفة النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس الخ) مفعول لأجله أى ينفقونه للفخار والذين يجوز أن يكون معطوفا على ماقبله أو يكون مبتدأ خبره محذوف أى يكون الشيطان لهم قرينا وقوله (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) إيذان بان الشيطان هو الذى يغريهم وهم له مطيعون فالمبذرون إخوان الشياطين والمراؤن إخوان الشياطين لان الأفعال إما شرعية واما مخالفة للشرع فالأولى اتباع للشرع والأخرى اتباع للشياطين (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر الخ) أى وأى تبعة تحيق بهم بسبب الايمان والانفاق (وكان الله بهم عليما) وعيد لهم وتخويف (إن الله لايظلم مثقال ذرة الى قوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما) تقدم فى المعنى تفسيره وقوله (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد) أى نبى (وجئنا بك) يامحمد (على هؤلاء) أى أمتك (شهيدا) كما فى آية ـ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ـ (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا) أى يودون أن تسوى بهم الأرض وحالهم أنهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روى أنهم اذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتنهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الارض وقوله (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية) أى لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى سكر نوم أى لاتقربوها عند غلبة النوم حتى تعلموا ماتقولون لما فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لايدرى لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه فأما ماروى أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما لبعض الصحابة فأكلوا وسقاهم خمرا وأمهم على بن أبى طالب فقرأ ـ قل يا أيها الكافرون أعبد ماتعبدون ـ وكان ذلك فى صلاة المغرب فنزلت هذه الآية فهذا الحديث حسن غريب ولم يرد فى الصحيحين وانما أخرجه الترمذى وأبوداود فسكارى يحتمل سكر النوم والسكر المعروف (ولا جنبا) عطف على وأنتم سكارى والجنب الذى أصابته الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع فيجرى مجرى المصدر وقوله (الا عابرى سبيل) إما بمعنى المسافرين واما بمعنى عابرى سبيل المسجد فيكون على الأول هكذا لاتقربوا الصلاة جنبا فى عامة الاحوال الا فى السفر فلم تجدوا ماء فتيمموا وعلى الثانى لاتقربوا مواضع الصلاة وهى المساجد جنبا الا مجتازين فيها دخولا أو خروجا والاول مذهب أبى حنيفة وهو مروى عن على وابن عباس فعليه يمنع الجنب من العبور فى المسجد والثانى قول ابن مسعود وأنس والزهرى والشافعى وأحمد فيجوز للجنب على هذا عبور المسجد

وقوله (حتى تغتسلوا) غاية للنهى عن القربان حال الجنابة وقوله (وان كنتم مرضى) أى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد أو مرضا يمنعكم من الوصول اليه (أوعلى سفر) لاتجدونه فيه (أو جاء أحد منكم من الغائط) فأحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين والغائط المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث تسمية له باسم مكانه (أولامستم النساء) أى جامعتم وهو قول على وابن عباس والحسن أوماسستم بشرتهن ببشرتكم بجماع أو بغيره

(١) وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي والشافعي فاللمس عنده ينقض الوضوء ومن لمس محرمه لاينتقض وضوءه على أصح القولين عند الشافعي ولاينتقض وضوء الملموس على أحد قولين له بل اللامس فقط

(٢) واشترط مالك والليث وأحمد أن يكون اللمس بشهوة حتى ينتقض به الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا

(٣) وقال أبوحنيفة لاينتقض الوضوء الا أن يحصل الانتشار

(٤) وقال ابن عباس لاينتقض بحال وكذلك الحسن والثورى فابن عباس ومن عطف عليه مخففون والشافعي مشدد ومالك وأبو حنيفة متوسطان بينهما ولكل من هؤلاء أحاديث رووها ولكل وجهة هو موليها

وقوله (فلم تجدوا ماء) أى فلم تتمكنوا من استعماله إذ الممنوع عنه كالمفقود . واعلم أن المرخص بالتيمم إما حدث أوجنب والذى يقتضيه فى الغالب مرض أوسفر . وكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى أو على سفر أومحدثين جئتم من الغائط أولامستم النساء فلم تجدوا ماء (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) أى فتعمدوا شيأ من وجه الأرض طاهرا فاضربوا ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين بحيث يضرب المتيمم كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ثم يضرب ضربة أخرى فيمسح يديه الى المرفقين وعند الحنفية لوضرب المتيمم يده على حجر صلب ومسح أجزأ وكفى وكذا الرمل والجص والنورة والزرنيخ وينوى عند التيمم استباحة الصلاة بعد دخول الوقت ويصلى فرضا واحدا عند ابن عباس وعلى ومالك والشافعي وأحمد وذهب جماعة الى أن التيمم كالوضوء فيقدم جوازا على الوقت ويصلى به فرائض كثيرة مالم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى والثورى فأما النوافل فقد اتفق الجميع على أن يصلى الكثير منها بتيمم واحد قبل الفرض وبعده وأن يقرأ القرآن وهو جنب وأبوحنيفة لايشترط طلب الماء وعند الشافعي لايقع اسم الصعيد الا على تراب ذى غبار . ولما كان ماتقدم فيه تسهيل قال تعالى (إن الله كان عفوا غفورا) فلذلك رخص لكم انتهى الكلام على الفصل الأول من هذا القسم لفظا ومعنى وحكما ملخصا

﴿ الفصل الثانى ﴾

(ألم تر الى) أحبار اليهود (الذين أوتوا نصيبا) حظا يسيرا (من الكتاب) من علم التوراة (يشترون الضلالة) يختارونها على الهدى بانكارهم نبوة محمد وأخذهم الرشا وأكلهم أموال الناس بالباطل (ويريدون أن تضلوا) أيها المؤمنون (السبيل) سبيل الحق (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم (وكفى بالله وليا) يلى أمركم (وكفى بالله نصيرا) فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره ثم أخذ يذكر بعض فرق هؤلاء اليهود الذين يشترون الضلالة فقال (من الذين هادوا) قوم (يحرفون الكلم) يميلونه (عن مواضعه) التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها أو يؤولونه على مايشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (واسمع غير مسمع) أى مدعوا عليك بلاسمعت بان تكون أصم أوميتا (وراعنا) أنظرنا نكلمك (ليا بألسنتهم) فتلا بها وصرفا للكلام الى مايشبه السب

إذ وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا كما تقدم فى سورة البقرة (وطعنا فى الدين) استهزاء به وسخرية (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم) أى لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأعدل (ولكن لعنهم الله) طردهم وأبعدهم من الرحمة (بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) المراد بالقلة العدم قال الشاعر

قليل التشكى للهم يصيبه * كثير الهوى شتى النوى والمسالك

ثم خاطبهم قائلا (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) أى نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعنى الأقفاء وأصل الطمس إزالة الأعلام المتماثلة وقد يراد بمعنى الطمس فى إزالة الصورة وأحسن المعانى التى ذكرها المفسرون أن يكون مجازا كأنه يقال يا أيها العلماء بالكتاب ومعكم دلائل توجب أن تصدقوا محمدا آمنوا بما نزلنا عليه فاذا خالفتم كنا بكم وطمستم الحقائق وزغتم عن الجادة صار ذلك بتكراره عادة فيكم وسجية لا مفر منها لتكرارها وصار العلم على حسب الأهواء والدين تبعا للملبس والغذاء فتستعذب القلوب ما صرفت عليه وتنفر من الحق نفورا وتذر العلم وتتبع الهوى فتعمى القلوب وتطمس البصائر فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب ثم عطف على نطمس وجوها قوله (أو نلعنهم) أى أصحاب الوجوه على لسانك (كما لعنا أصحاب السبت) على لسان داود وهم الذين صادوا السمك يوم السبت وقد نهوا عنه (وكان أمر الله) بايقاع وعيده (مفعولا) نافذا (ان الله لا يغفر أن يشرك به) فالمشرك مخلد فى النار (ويغفر ما دون ذلك) ما دون الشرك صغيرا كان أو كبيرا (لمن يشاء) تفضلا (ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) ارتكب ما تستحقر دونه الآثام (ألم تر الى) أهل الكتاب (الذين يزكون أنفسهم) فيقولون نحن أبناء الله وأحباؤه (بل الله يزكى من يشاء) فتزكيته هى المعتد بها وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفى ما يستقبح فعلا أو قولا (ولا يظلمون) بذم أو عقاب أى لا ينقصون (فتيلا) أى الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة (انظر كيف يفترون على الله الكذب) إذ يزعمون أنهم أبناء الله (وكفى به) بزعمهم هذا أو بالافتراء (إثما مبينا) أى إثما لا يخفى بل هو ظاهر من بين آثامهم

اعلم أن اليهود لما وجدوا النبى صلى الله عليه وسلم معهم فى المدينة ورأوا دينا هجم على القلوب فاجتمعت ومرى الى النفوس فاستنارت ساءهم ذلك ورأوه ماسا برياستهم هادما لمجدهم مميتا لمنزلتهم فأخذوا تارة يمدحون أنفسهم فيقولون

(١) نحن أبناء الله وأحباؤه وتارة

(٢) يذمون هذا الدين الجديد و يفضلون عليه عبادة الأوثان وهم يعلمون أنهم فى ذلك كاذبون إذ جاء حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف فى جمع من اليهود الى أهل مكة ليحالفوا قريشا على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيحاربونهم فقالت قريش لهم أنتم أهل كتاب فاذن أنتم أقرب لمحمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم فسجدوا للجبت وهو صنم أو أصله الجبس وهو ما لا خير فيه وقد استعمل فى كل ما عبد من دون الله والطاغوت يطلق على كل باطل من معبود أو غيره . ولما قال أبو سفيان لكعب بن الأشرف نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم ودين محمد الحديث . قال له كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد

(٣) وقد ينظرون الى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه نظر الحسد ويتمنون زوال النعمة عنهم فيقولون تارة نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب

(٤) وتارة يقولون كيف يجمع محمد الكثير من النساء فيكون له تسع نسوة ولو كان نبيا لشغله أمر النبوّة عن الاهتمام بأمر النساء

وقد أجاب الله عن الأوّل بما تقدم فى قوله - ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم -

وعن الثانى بقوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) وتقدم تفسيرهما (ويقولون للذين كفروا) لأجلهم وفيهم (هؤلاء) إشارة اليهم (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أقوم دينا وأرشد طريقا (أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يمنع العذاب عنه بشفاعة أوغيرها

وعن الثالث بقوله (أم) بل أ (لهم نصيب من الملك) أى ليس لهم نصيب من الملك البتة ولئن كان لهم نصيب من الملك (فاذن لا يؤتون الناس نقيرا) وهو النقرة التى تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة كما أن الفتيل هو مافى شق النواة الذى أعد لأخذ الأغذية لتغذى النواة كما فى العلوم النباتية

وقال فى الثالث (أم) بل أ (يحسدون الناس) رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب (على ما آتاهم الله من فضله) إذ سلقوهم بالسنة حداد انكارا للنبوّة والمناصب الرفيعة التى جاءت للعرب وسعيا فى ازالة تلك النعم أن يفعلوا ذلك (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكم والنبوّة) كداود وسليمان ولم يشغلهم الملك والنساء عنهما فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان أكثر من ذلك فضلا عن الاماء فنالوا النبوّة (وآتيناهم ملكا عظيما) والناس يكونون على حسب قواهم واستعدادهم فمنهم من قويت أبدانهم وعقولهم فلا يمنعهم بعض الأعمال عن بعض ومنهم الضعفاء تؤثر فيهم الأعراض فاذا مالوا الى جانب حادوا عن الآخر . وأكثر الناس اذا أوتوا الملك صرفهم عن النبوّة أو النبوّة صرفتهم عن الملك وهكذا العلماء والحكماء فأكثرهم مصروفون عن الدنيا ومن لم يصرف عنها منهم نقص علمه وقليل منهم من جمع بينهما ففاز بهما معا ومن هؤلاء الأقوياء من الأنبياء داود وسليمان ومحمد فكيف تعترضون على محمد وأنبياؤكم كانوا ذوى مناصب ونساء كثيرة فلم يشغلهم شأن عن شأن

ولما فرغ من الرد عليهم ذكر أنهم قسمان قسم آمن بالنبى وقسم صدّ عنه فقال (فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه) أعرض عنه (وكفى بجهنم سعيرا) نارا مسعرة يعذبون فيها وقد يعجل العذاب فى الدنيا (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) وهذا تقرير لما قبله (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بان يزال عنهم أثر الاحراق ليعود احساسهم للعذاب كما قال (ليذوقوا العذاب) أى ليدوم لهم ذوقه واعلم أن العذاب فى الحقيقة للنفس كما أوضحناه مرارا فى هذا التفسير فى مواضع كثيرة فارجع اليها فى السور المتقدمة فانها تزيل اللبس ولتعلم أن الجسد ليس الا آلة فحسب ولولم يكن اتصال الأعصاب بالمخ لم يحس الانسان بالالم فالألم الجسمى والألم النفسى كلاهما راجع للنفس ولكن أحدهما آت للنفس بلاواسطة الجسم والثانى يأتى لها بواسطة الجسم . ألا ترى أن المنوم تنويما مغناطيسيا يشاهد الناس فى هذا العصر أنه تغرز فيه الابر فلا يحس وتتبدل جميع عوارض الاحساس وهذا مقام يوجب البحث والتنقيب والتفكير ولم تأت الديانات بهذه الأمور الا لتحض العقل على التفكير فى أمر النفوس الانسانية ولا نعيم فى الحقيقة الا لأهل العلم المفكرين لأنا فى هذه الدنيا لم نخلق الا لذلك والحضرة الالهية لا يقرب منها الناس الا بالحكمة والعلم والبحث هذا هو الأوّل والآخر وكل محجوب بما نحن فيه من العوارض فانه يبقى بعد الموت على ماهو عليه فيكون فى أحوال تتجدد عليه وكلها شؤم على النفس كما تتجدد الأحوال الدنيوية علينا وكلها متقلبة غير ثابتة تجدد الآلام ولعذاب الآخرة أخزى وأشد (إن الله كان عزيزا) غالبا لا يمتنع عليه ما يريده (حكيما) يعاقب بحكمة فليس تبديل الجلود ودوام العذاب على الناس الا لحكمة قد يعرفها من آتاهم الله الحكمة ووهبهم الفطنة ودرسوا نظام هذا الوجود فهؤلاء وحدهم هم الذين يعقلون . كيف يعذب الله الناس عذابا لا يطاق

لحظة وكيف يبقى هذا العذاب الى الأبد وهؤلاء متى أدركوا ذلك لوّحوا بمعانيه للناس تلويحا وأسروه فى أنفسهم لانهم يسيرون على نهج العزيز الحكيم الذى علمهم فلا يعطون الحكمة لغير أهلها لئلا تضل العقول . وسأذكر لك طرقا فى هذا المقام فى سورة هود عند قوله — فأما الذين شقوا ففى النار الخ — لتتبين بعض الحقيقة على ما تقتضيه الحكمة التى أبرزها الله لهذا الوجود وصوّر بها كل موجود وعلمها لبعض عباده المفكرين

ولما ذكر النار أتبعها بذكر الجنة فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) كنينا لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حرّ ولا برد وهو ظل الجنة وهذا كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم . وقد مضى الكلام على النار والجنة فى سورة البقرة وفى سورة آل عمران فارجع الى هذا القول هناك فى المباحث

﴿ لطيفة ﴾

﴿ الحسد والبخل ﴾

لقد وصف الله اليهود بالحسد والبخل فى هذه الآيات وحكم عليهم بانهم لا يستحقون الملك

واعلم أن الحسود لكراهته للنعمة التى يسبغها الله على عباده شريك البخيل بماله يمنعه عن الناس ولكن الحاسد شرّ لأنه يبخل بنعم الله والثانى بماله هو وهاتان الصفتان قاتلتان للانسان . ألا ترى أن للقلوب آثارا وللنفوس أسرارا ومن غرست فى قلبه كراهة الناس أذله الله على أيديهم ولكن رأينا ممن عاشرناهم فى هذه الحياة من اتصفوا بالحسد وكراهة الناس وغشوهم بالظواهر فافتضحوا فى آخر حياتهم وأرداهم سوء طويتهم والحق لابد من ظهوره والقلوب فيها مكنون الآراء تتفاعل كما تتفاعل العناصر ثم تنبت نباتا على مقتضى البذور ثم تخرج على اللسان تارة وعلى الأعضاء أخرى وتنبعث أيضا بتيار كهربائى يسرى الى نفوس الناس وهم لا يشعرون فيحدث ذلك بغضا أو حبا فتنفر النفوس أو تنجذب الى ذلك القلب وصاحبه هذا ما قرأته فى بعض كتب النفس فى العلم الحديث فى كتاب بالانجليزية يسمى هكذا قوالك وكيف تستعملها وهذا سر ذكر الملك وسلبه عن اليهود مع ذكر الحسد والبخل اللذين يجمعهما اختصاص الانسان بالنعمة وانفراده بالمجد ولقد علمت أن الانسان كله كنفس واحدة ولكل وظيفة فى أعمال الحياة كوظائف أعضاء الجسد وهذا مقتضى ما جاء فى أول السورة أن الله خلق الناس من نفس واحدة وأوصاهم بالتعاون فلهذا السر لا يصلح للملك الحاسدون

ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى * وكونك إياه عليك يسير

وهذا هو بعض معنى الآية

ولذلك تجد أن من تخلوا عن الدنيا أقبل الناس عليهم بالاعظام والاجلال والأنبياء والصالحون كلهم على هذا النمط كلما زهدوا فيها أقبل الناس عليهم وأحبوهم انتهى الكلام على الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث ﴾

هذا الفصل درس أعطاه الله على ما تقدّم من بخل اليهود وحسدهم وان الحسود من أى أمة والبخيل وذا الصفة الممقوتة ليس أهلا للملك والله لا يؤتى الملك الا ذوى النفوس الواسعة فتقبل النفوس عليهم وتلتف الجموع حولهم فلذلك أخذ يشرح ما يجب على الحكام حتى ينالوا الملك واليهود لما كان كل غرضهم المال وكانت مصارف العالم فى أيديهم اليوم كما كانوا قديما وحديثا يختصون أنفسهم بالمال فأباحوا الربا مع الأمم الامع أنفسهم حرمهم الله من الملك وأمر بصفات تخالف صفتهم

ومن عجب أن الذين أحدثوا البلشفية هم علماء اليهود فى ألمانيا وأولهم عالمهم ماركس وامتد علمه الى الروسيا فقام لينين اليهودى ومن معه مثل تشتشرين وهذه العصبة منهم هم أصل تكوين البلشفيه فى الروسيا فأزالوا دولة القياصرة وحلوا محلها والبلشفيه فيها اليهود وهم أصلها وفيهم قوم من الروس النصارى لاضطهاد

القياصرة لهم وهم يقسمون المال بين الناس . فانظر كيف سلب اليهود الملك ولم يعطه منهم أحدا الاحين تركوا الاختصاص بالمال بل تغالوا فى تقسيمه بين الناس وهؤلاء طبعا ممقوتون من اخوانهم اليهود لان اليهود يحللون الربا مع الأمم وهؤلاء يحرمونه فرجع هؤلاء عن آراء أجدادهم ودينهم فأوتوا الملك وهذا من عجائب القرآن فكيف ذكر البخل هنا والحسد وسلب الملك عنهم وكيف يقول فى آيات أخرى - وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك - كما سيأتى فى تفسير هذه الآية وكيف حكم عليهم بتمزيق شملهم فلا ملك لهم الى يوم القيامة وكيف تم ذلك بحذافيره وفرقوا فى البلاد وكيف قامت لهم دولة ليست باسم اليهود بل باسم غيرهم لما خالفوا طريق اليهود لانه اذا زال السبب وهو الاختصاص بالمال زال المسبب وهو الحرمان من الملك فلذلك أمر الله فى القرآن باجتناب أخلاقهم وصفاتهم المانعة من الملك . فأمر الولاة أن يحكموا بالعدل والانصاف بالسوية فلا يحابون غنيا لغناه ولا قويا لقوته ولا يحيفون على فقير لأخذهم الرشوة من الغنى ألا ترى أن أول السورة عنوان هذا كله وهو أن الناس من نفس واحدة ويتبع ذلك أن يكونوا كأنهم نفس واحدة فالعين تبصر والعقل يفكر والأعضاء تطيع هكذا على الحكام وهم كالعقول فى الأمم أن يحكموا بالعدل فلا يميلون مع الهوى وعلى الرعايا أن يطيعوا ما أمر به الولاة على مقتضى الشريعة المرضية فان تنازع الرعاة فى أمر فليردوه الى أولى الأمر وليراجعوا كتاب الله وسنة الرسول ولا يفعلون فما عمل بعض المنافقين من عدم الرضا بحكم الله والرسل لم يرسلوا الا ليطاعوا فلا ايمان الا اذا رضى الانسان بحكم الله وانتظم شمل الألفة وصار الأنبياء والولاة كالعقل والقوى المفكرة وصار الرعايا كالأعضاء العاملة فتنفذ صواب ما أقرته العقول ورضيته النفوس ويكون ذلك إيمانا بالقلب ورضا بالحكم كما تذعن الأعضاء فى الجسد ونتيجة ذلك كله أن يجتمع شمل التابع والمتبوع فى الآخرة كما اجتمعوا فى الدنيا ويصير الحكام الفاضلون والأنبياء الظاهرون مع الرعايا والأمم فى مقعد صدق متحابين فى عالم الأرواح فى البرزخ وفى الجنة كما كانوا متحابين فى الدنيا فهذه التربية الجسمية الدنيوية مع ما يمازجها من الأحكام والقضايا ونتائجها إن صلحت صلحت النفوس بعد الموت واستعدت للسعادة والألفة وان فسدت فسدت تلك الألفة وتفرقت الأوصال كما أوضحه العلامة الفارابى فى كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) فهذا سر قوله تعالى - ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم الخ - بعد الكلام على طاعة أولى الامر وطاعة الله ورسوله وهذا من عجائب القرآن ونظامه فمن هنا للمقام وأمثاله فلتعرف بعض أسراره وعلى هذا النمط فلتعرف بلاغته ولتتوجه العقول الى أمثال هذه المعانى ولا تتلكأ فى النكت اللفظية والقواعد البديعية فذلك يجتزئ به المتوسطون ويفرح به الذين لا يعلمون فاحرصوا أيها المسلمون من أسرار القرآن على مابه تقوم مدنيتكم وتسمو أممكم ويرتقى شأنكم فلقد سبقنا الفرنج درجات وتركونا فى الاخريات فان المسلمين لما صرفوا هممهم الى ألفاظ القرآن صرفت عنهم المعانى وتراهم فى الاندلس لما قدسوا الشعر ولم يتغلغلوا فى باطن الحكمة نزل اليهم الأسبان من الجبال فتخطفوهم وكان الملك يسند الى الحكماء والعقلاء والمفكرين من رجال الأسبان ولا يسند الا الى الشعراء وأهل الخيال من الاسلام كابن جهور وابن زيدون وأمثالهما خفت كلمة الله على المسلمين

اقرأ كتاب العلامة (بيباردو الفرنسى) فى تاريخ العرب بالاندلس وقد ترجم حديثا الى العربية وسترى فى سورة الشعراء هذا المقام بايضاح واياك أن تقف عند كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وأمثالهما وتتمرأ مايرد فى الحديث وفى الآيات على أنه مجرد قصص فالقصص بدون حكمة لا نتيجة له فلم تذكر هذه الأحوال الا لغاياتها ولا هذه القصص الا لفوائدها فالجهلاء بالحكايات يتسلون والعلماء بالمعانى يرتقون وكل حزب بما لديهم فرحون

واذ عرفت بعض سر الفصل الثالث فى هذه الكلمات فلنشرع فى تفسير لفظه فنقول

روى أن عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة يوم فتح مكة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه لوى على يده وأخذه منه وفتح فدخل صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج صلى الله عليه وسلم سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فأمره الله أن يرده اليه فأمر عليا بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بأن السدانة فى أولاده أبدا وهذا قوله (إن الله يأمركم) أيها الناس والحكام وولاة الأمور (أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) وهى كل ما اؤتمنتم عليه من قول أو عمل أو مال أو علم وبالجملة كل ما يكون عند الانسان من النعم التى تفيد نفسه وغيره فليسلم ذلك الى أربابه ومن ذلك الحكام والولاة فليؤدوا الأمانات الى أهلها • وفى حديث البخارى أن الصدق وتأدية الأمانة والوفاء بالوعد علامات الايمان وأضدادها علامات النفاق ونتائج الايمان على هذا المنوال سعادة المجموع الذى هو كنفس واحدة ونتيجة النفاق ونقص الايمان على هذا المعنى شقاء المجموع ولذلك تجد أن الأمة الاسلامية لما أصبحت عبادتها لفظيه وقضايا المحاكم الشرعية فيها رسمية لا حقيقية وجهل القضاة القصد من الأحكام وجاروا فى أحكامهم للجهل تارة والرشا أخرى ذهبت ريحهم وانقضت عليهم أوروبا بخيلها ورجلها وانتزعوا الأحكام من أيدينا فالأمانة أس العمران والخيانة خراب البلدان ولعمرك لا تنفع ظواهر العبادات ولا قشور القضايا والبينات الا بادراك الغايات من مقاصد العبادة وحقائق العدل وبواطن الأمور على قدر الطاقة البشرية عند تحقيق الشهادة وذلك هو الذى ذهب من يد المسلمين فحل قضاة الفرنجة محل قضاة المسلمين وسيرجع الامر الى نصابه ويقوم جيل فى الاسلام يأتى الامر من بابه ولتعلمن نبأه بعد حين وسيقوم فى هذه الامة عما قريب من يعقل قوله تعالى (و) ان الله يأمركم (اذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) فيسوى القاضى بين الخصمين فى خمسة أشياء فى الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما • وملخص ذلك أن يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وأن لا يمتزج ذلك بغرض آخر (ان الله نعما يعظكم به) أى نعم شيأ يعظكم به والمخصوص بالمدح المأمور به من أداء الامانات والعدل فى الاحكام (ان الله كان سميعا) لاقوالكم (بصيرا) بأحكامكم وما تفعلون فى الامانات

ولقد علمت فيما تقدم فى هذه السورة الجليلة أن التعليم بطريقين طريق الاقناع العقلى وطريق الارهاب ولما كان المخاطبون من أرقى الطبقات فى الامة الذين منهم الحكام أتى بهاتين الطريقتين بشكل عجيب فمدح هذا الوعظ انعاشا للقلوب وايقاظا للنفوس فكأنه يقول انظروا بعقولكم وفكروا بوجدانكم وفتشوا فى ضمائركم ألستم ترون أن مبدأ السورة أن الناس إخوان متعاونون وهم كأنهم جسم وأعضاء خادمة ومخدومة فكل لكل مساعد وعضد وساعد أليس هذا التعاون منفعة للجميع وان الحكام اذا لم يكن لهم رعايا ذهب عنهم الملك وان الملك لا يكون الا بالعدل وان الرأس لا يستقيم الا بالاعضاء فاذا عدلتم بين الناس فالامر راجع للجميع والرعايا ان لم يطمئنوا نقصت الغلات ونقصها ينقص رزق الجند ويوجب ذهاب الدولة وذهابها ينزل الحكام عن كراسيهم فيصبحون سوقة فهذا سر قوله — نعما يعظكم به — ولما كانت هذه المعانى الشريفة الجليلة تخفى على كثير من الحكام وأهل النظر أردفه بالتهديد على النسق الذى رأيته فى هذه السورة ولكنه تهديد لطيف فلم يخوفهم بجهنم كما أخاف اليهود بل تلطف فذكر أنه يسمعهم ويبصرهم فليحذروا نقمه وطوى ذكر العذاب والنقمة اكتفاء بفطنتهم وهذا غاية الابداع معنى والاحسان لفظا من هنا فليذق الناس البلاغة القرآنية وليعجبوا من الحكم البديعة • ولما فرغ من نصح الحاكمين شرع ينصح المحكومين باعتبار أنهم جميعا كانسان واحد فقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وهذا يشمل الكتاب والسنة والقياس والاجماع • فالكتاب والسنة يفهمان من طاعة الله ورسوله والقياس والاجماع كذلك فالقياس من قوله مثلا — فاعتبروا يا أولى الابصار — والاجماع من قوله — ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى — ومما ورد • لا تجتمع أمتى على ضلالة • وحديث * ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن * وقوله

(وأولى الامر منكم) هم أهل الحل والعقد فى الامم الاسلامية الذين يكون الامر بينهم شورى ويكون الرأى الغالب معمولا به وأل فى الامر للعهد والمعهود ذلك فى قوله تعالى - وأمرهم شورى بينهم - فهذا هو الامر المذكور هنا . أما الحكام فان طاعتهم واجبة لوجوب طاعة الله ورسوله وأولى الامر فاولوا الامر هم الذين يولون الملوك والملوك يولون الحكام فى الاقاليم فاذا أطاع المسلمون عثمان بن عفان فذلك لان المجلس الشورى الذى أمر به سيدنا عمر قضى بخلافته . واذا أطاع المسلمون حكام الاقاليم فقد أطاعوا أولياء الامر منهم بالواسطة فطاعة الله ورسوله وما رتب عليهما تكون فى الامور الدينية وطاعة أولى الامر تكون فى الشؤون الدنيوية المتفرعة على الدينية والمحافظة عليها وهناك لابد من تنازع فى فروع الفقه والدين وفى مجالس الشورى بين المسلمين فليرد المتنازعون أمر ما تنازعوا فيه الى ما ورثوه من العلوم فى الكتاب والسنة وليقتبسوا منهما ولينظروا فيهما حتى يستقيم الأمر ويعتدل وهذا هو قوله تعالى (فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يوجب ذلك (ذلك) أى الرد (خير) لكم (وأحسن تأويلا) أحمد عاقبة أو أحسن من تأويلكم بلا رد

وستأتى محاورات فى المجلس الذى سيعقد بعد مئات من السنين للامم الاسلامية بعد تفسير المقصد السادس بعد هذا من سورة النساء التى نحن بصدد الكلام عليها وهى تطبيق على هذه الآية فلتقرأها ولتتدبرها هذا واعلم أنه فى هذه الايام طرد الترك آل عثمان والخليفة من بلادهم فكتبت هذه المقالة فى عدد الثلاثاء ١٨ مارس سنة ١٩٢٤ - ١٢ شعبان سنة ١٣٤٢ بجريدة المقطم وهذا نصها

﴿ الخلافة فى الاسلام ﴾

الفطرة نور إلهى سار فى المخلوقات الحية ظاهر فى نوع الطير فى جو السماء وفى ذوات الأربع فوق الغبراء والحيوان البحرى فى لجج الماء فهذه الغرائز أنوار مشرقة على الأحياء إشراق الكواكب والشمس والقمر على سائر الأرجاء

فهذه الفطرة حببت الأمهات فى أولادها وبها حنت الدربة الى أمهاتها ودلف الطير الى عشه وكر الاسد الى عرينه وجرت الحية الى وكرها وسارعت الغزالة الى كناسها وعاشت الاحياء فى سلامة وسلام

بهذه الفطرة عاش الانسان قبل التاريخ ثم امتاز قوم بنور أبهى واشراق أجلى وهم الانبياء فأخذوا يمدون إخوانهم بما به يمدون ويعلمونهم ما يلهمون والفطرة لا تخدع فيقبلون عليهم ويصغون اليهم وكأنهم ما سمعوا الا لفطرهم ولا أصغوا الا لنفوسهم

هكذا كان بوذا وكونفشيوس وموسى وعيسى فى الأزمان الغابرة ولما طال الأمد أخذت تلك الشعوب تلون الديانات بألوانها وتصبغها بصبغتها فتطبع بطابعها وتنسى المبادئ الاولى للديانات وتظهر أجيال تشاهد ما ليس من طبع الدين وانما هو من طبع المتدينين وأخلاق التابعين

وكلما كثرت الاجيال وتوالت الامم وامتد الزمان تباعد الدين عن أصله وصار على غير شكله هناك يكون ضلالا لتابعيه وتأخيرا لمعتنقيه فيصبح مر المذاق طعمه لن يطاق قليل الجدا قيدا فى الارجل غلا فى الاعناق فكما كان فى أوله عدة النشاط مفتاح النجاح صار فى آخره قيد النفوس جالبا للبؤس

فقام فى كل أمة من هذه الامم مجددون وظهر فيها مستنيرون فعلموا أممهم وهذبوا طرقهم وأنت ترى تعاليم أوروبا فى العصر الحديث اذ نهجت غير المناهج القديمة فى العصور الوسطى ونادى أناس بالحرية العملية والعلمية والانطلاق من الوثاق وقام لوثر وأمثاله من المصلحين فانجلت بعض الغياهب وظهرت بعض الحقائق وارتقت الشعوب

﴿ دين الاسلام ﴾

وجاء دين الاسلام موافقا للفطر كسائر الديانات فى أوّل أمرها فقبله العرب الاوّلون وأصلح أخلاقهم وجمعهم وكان سهل التعليم فطاروا به فى الارض شرقا وغربا وخلف النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فكانوا على أخلاق النبوّة سائرين ولطريق النبوّة سالكين وفى سبيلها عاملين متخلقين بالاخلاق المحمدية وهم فى حكمهم عادلون

﴿ الخلافة المحجبة المبرقعة ﴾

ثم لما طال الامد قست القلوب ووهنت النفوس وبطر الخلفاء وتظاهروا بالكبرياء فتراهم فى أواسط الدولة العباسية وأواخرها ببغداد وفى أواخر دولة بنى أمية بالاندلس وكذلك الفاطميون بمصر والعثمانيون بالاستانة كل هؤلاء أخيرا قد احتجبوا فى قصورهم مع الخصيان والنساء ساهين لاهين وكلما هلك خليفة ابتدع من بعده بدعا وأنواعا من الترف وهم فى غيهم يعمهون وفى جهالاتهم ناشئون والعلماء والحكماء لا يستطيعون تقويض ذلك البنيان ولا تغيير تلك الحال بل يمدحونهم بالقصائد وهم يزدادون فى قصورهم قصورا ويملكون فيها ولدانا وحورا وحجابا وخصيانا ونساء لافرق بين الآخرين منهم والاوّلين وأنس الناس بتلك المناظر وخضعوا لتلك المظاهر وخرست الالسن فلا تسمع الا همسا وبتوالى الزمان أصبح ذلك عادة مألوفة وجبلة ثابتة كيف لا والعادة طبيعة خامسة واذا مات الخليفة قام مقامه آخر من نفس البيت بطريق مرسوم والامم قبلت ذلك لسببين أولهما أنهم يخافون قيام الثورات وظهور الفتن فى البلاد وثانيهما أن هؤلاء مثلهم للدولة كمثل شبكة الصائد أو جرعة الطبيب أو التنويم المغناطيسى فبهذه المظاهر والزخارف تأنس النفوس وتخضع الرقاب وكلما أراد الشعب انطلاقا لم يزده الخلفاء الا وثاقا بما يزخرفون ويشيدون وبمن حولهم من الحراس والحجاب وأرباب الدولة والمظاهر الخلابة فهذه أشبه شئ بأدويه مسكنة للشعب ليهلع لوقعها ويخضع لمرآها وهذه تزداد على مدى الزمان وترى هذه المظاهر منومات للشعوب فتفتر الهمم وتضل النفوس وترتبك العقول وهنالك تغطى الفطن البشرية وتنام العقول الانسانية أجيالا وأجيالا حتى اذا وقعت الواقعة وانشقت سماء الوهم فهى يومئذ واهية أتى هؤلاء الخلفاء يومهم الموعود وحضر لهم الشاهد والمشهود فذل العزيز وعز الذليل فتكسر تلك الأغلال وتتبدل الحال إما من داخل البلاد كما فى دولة الترك الحاليين واما من خارجها كما فى التتار إذ قتل هولاكو آخر خليفة عباسى فى القرن السابع وزالت الدولة العباسية من بغداد وقد فعل صلاح الدين الأيوبى مع الخليفة الفاطمى بمصر فى ذلك الزمن ما هو أشد وأنكى ألف مرة مما فعله الترك فى بيت آل عثمان إذ حبس الشبان والشابات من بيت الخلافة متباعدين فى أماكن حتى لا يتناسلوا ثم ماتوا فى سنين معدودة وهم لا يرحمون . وهكذا انقرضت الخلافة الاموية من الاندلس وجاء ملوك متفرقون شذر مذر حتى تفرقت الكلمة واجتمعت أوروبا على مناصرة الأسبانيين فأخرجوهم من الجزيرة وهم يائسون ليس فى هذه الحياة ما يبقى الا اذا كان أصلح للوجود وكيف يبقى ما لا فائدة له قاصرون فى القصور ماتتون فى الحجرات كيف يعيشون بين الأمم الا الى أجل معدود كالاعضاء الانثرية فى الحيوان إنه ليس فى الوجود معطل ولا يبقى الا ما هو أصلح للحياة — فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض — تبقى تلك العروش قرونا ثم تبيد كما يهلك الشيخ اذا انتهى أجله وفرغ عمله وذهب أمله وقل نفعه فيكون موته رحمة له وللعالمين لذلك ترى أناسا ينبتون فى الأمم فيزيلون تلك المظاهر المعطلة والمناظر المضللة التى لا يحترمها الناس الا رياء ولا يعظمونها الا شفاها وهم فى أنفسهم كارهون وفى قلوبهم مبغضون ولذلك شكا المصريون منذ أربعمائة سنة من الترك وشكا الترك حديثا من المصريين وسائر المسلمين الذين هم واقعون تحت ضغط الاوربيين فقال المصريون لقد سطا الترك على خليفتنا فأخذوه وبايعهم بالخلافة وانفرد بها السلطان سليم وقال الترك حديثا ان المصريين أرسلوا العمال الى فلسطين نحو مليون أو يزيدون وهكذا

سارت الجنود المصرية الى مكة فى الحرب العامة فحاربوا جيوش الخلافة وهم مسلمون فغضب الترك على الخلافة وأخرجوها من الديار وقالوا لاطاقة لنا اليوم بما لاخير فيه وليس له احترام . ألا انما السبيل للحل هو الشورى ويكون الخليفة بالانتخاب

لقد أبنت فى هذه المقدمات سنة الوجود وان الأمم تخضع للعروش الى أجل محدود وليس يهمنا فى هذا المقام الا أمر الأمة المحمدية المترامية الأطراف البعيدة الأكناف لقد جاء فى القرآن سورة باسم الشورى إيذانا بعظمتها وتعريفا بحكمتها وتبيينا لفضلها وهذه السورة نزلت بمكة ونزلت سورة النساء بالمدينة وجاء فى الأولى — وأمرهم شورى بينهم — وعمل بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أحواله وترى المشاورة فى الغزوات مشهورة معلومة عن المحدثين ولقد شاور أصحابه صلى الله عليه وسلم يوم غزوة أحد فاختلفوا وكان هو أميل فى أول الأمر الى انتظار المهاجمين فى المدينة وأيد ذلك رؤية رآها ولكن الحجج التى أدلى بها من مال الى الخروج الى القتال كانت أرجح فانحاز اليها وغضب أصحاب الرأى الأول وأسرعوا للهزيمة كعبد الله بن أبى ابن سلول وكان ما كان

فانظر ماذا قاله الله فى سورة النساء — يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم — ومن هم أولو الأمر هم المعهودون عندهم هم أهل الشورى المذكورون فى السورة النازلة قبلها فى مكة — وأمرهم شورى بينهم — فليكن فى كل بلد إسلامى مجلس للشورى وبعبارة أخرى نواب وهذا المجلس له القول الفصل فى أمر البلاد فيفعل مايشاء وليحكم بما يريد وليكن هناك مجلس عام من الأمم الاسلامية ولكل مجلس خاص فيه أعضاء ينوبون عنه ويمثلونه وليقترعوا اقتراعا سريا أى عظماء الاسلام يقلدونه الخلافة ومتى انتخبوا واحدا كان له الخلافة ومن المعقول أن هذه الجموع لاتنتخب سرا ولاجهرا الا من هو مستقل ليس لاوروبا عليه سلطان ويكون ذلك الخليفة له أعمال يخصصها له المجلس بحسب الزمان والمكان لانه خليفة على سائر المسلمين وهم متفرقون فى الأرض ومنهم من هم فى احضان المستعمرين بهذا يكون للاسلام خلافة حقا والافكيف ترى فى مصر للفاطميين وفى بغداد للعباسيين وفى الاندلس للامويين خلافات متنوعة فى زمن واحد فأى خلافة هذه انها ملك أعطى لقب الخلافة

ولقد نرى رجالا من الأمة تزيوا بزى الخلافة على أشكال شتى من الأمم الاسلامية المتأخرة متشبهين بالخلافات البائدة وأثروا فى عقول الشعب إما بالنسب واما بالانتساب الى ولى من الأولياء بطريق العهد وما أشبه ذلك فعاشوا فى رغد العيش وتمتعوا بنعيم الملوك فى غفلة من الأمم الاسلامية وكانوا أكبر عون للفاتحين من الاوربيين وهم مشهورون لاسيما فى البلاد العربية فى شمال افريقيا وغيرها وهم هم أعوان كل فاتح فى بلاد الغرب وذلك مستفيض بين الجمهور . إن الشورى ممكنة فى هذه القرون المقبلة لسهولة المواصلات والمخاطبات والمكاتبات ووجود القطار والبريد والبرق وهل يتم ذلك وبينهم المستعمرون ان ذلك موكول الى المستقبل ففيه تبين الحقائق ولله عاقبة الأمور انتهت المقالة

ولما كانت طاعة الله ورسوله واجبة أردفها بما وقع من مخالفة

(١) فذكر المنافق الذى لم يرض بحكم رسول الله

(٢) وأتبعه بذكر الأمر بالقتال وكيف كان من المنافقين مثبطون وذلك من عدم الطاعة

(٣) ثم ذكر ما كان يفعله ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا النبى صلى الله عليه وسلم من طريق الوحى بنصر أو تخويف من عدو فانهم كانوا يذيعون ذلك وفى الاذاعة ضرر بالسياسة وعليهم أنهم كانوا يردونه الى الرسول والى أولى الأمر منهم

أما الأول فذلك أن ناسا من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة فى الجاهلية حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل له أو أخذت ديته مائة وسق من

تمر واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا فى ذلك فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقال الخزرج هذا شئ أخذتموه فى الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة فى الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى أبى بردة الكاهن الأسلمى وقال المسلمون من الفريقين ننطلق الى النبى صلى الله عليه وسلم فأبى المنافقون وانطلقوا الى أبى بردة الكاهن ليحكم بينهم فأبى أن يحكم بينهم الا بمال كثير فنزلت آية القصاص وهذه الآية (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) أى المنافقين ممن آمنوا من أهل الكتاب (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) وهو أبو بردة الكاهن على قول السدى المتقدم أو كعب بن الأشرف على قول ابن عباس والطاغوت كل باطل من معبود غير الله أو قاض أو كاهن (وقد أمروا أن يكفروا به) لان الكفر بالباطل وهو الطاغوت ايمان بالحق وهو الله (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) عن الحق (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) أى فكيف تكون حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا أصابتهم مصيبة يعجزون عنها (ثم جاؤك) حين تصيبهم المصيبة (يحلفون بالله) الجملة حال (ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) ما أردنا بذلك الا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين (أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان (فأعرض عنهم) عن عقابهم (وعظهم) بلسانك وكفهم عما هم عليه (وقل لهم فى أنفسهم) أى خاليا بهم فان النصح فى السر أنجع (قولا بليغا) يبلغ منهم ويؤثر فيهم فبهذا أمر صلى الله عليه وسلم أن يتجافى عن ذنوبهم وينصح لهم ويبالغ فى الترغيب والترهيب لأن الأنبياء أهل الشفقة على الأمم ولما كان مافعله منافقو اليهود مخالفة للرسول وقد أمروا بطاعته قبل هذه الآية أردفه بأنه لا يرسل الله رسولا إلا ليطاع وكما ان اللسان خلق ليتكلم والعين لتنظر والمعدة لتهضم والعقل ليفكر هكذا الرسول أرسل ليطاع وهذه قاعدة عامة فقال (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) بسبب اذنه فى طاعته (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت (جاؤك فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) أى من مخالفته والتحاكم الى غيره (لوجدوا الله توابا رحيما) أى لعلموا أنه قابل توبتهم راحم لهم (فلا وربك) أى فورب ك ولا زائدة للتأكيد (لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت) ضيقا مما حكمت به (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا ظاهرا وباطنا (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) كما كتبنا على بنى اسرائيل فامتثلوا (أو اخرجوا من دياركم) كما خرج بنو اسرائيل حين استتيبوا من عبادة العجل (ما فعلوه إلا قليل منهم) إلا أناس قليل وهم المخاصون وقد تقدم أن الايمان لا يتم إلا بأن يسلموا حق التسليم (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من متابعة الرسول رغبة لا رهبة (لكان خيرا لهم) فى العاجلة والآجلة (وأشد تثبيتا) فى دينهم وهنا يقال ما يكون لهم بعد التثبيت فقال (واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما) وزاد فى تأكيد الطاعة لله وللرسول فقال (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) فهم مع الأنبياء الذين بلغوا درجة الكمال والتكميل والصديقين الذين ارتقت نفوسهم بمراقى النظر تارة وبالتصفية والمجاهدة تارة أخرى والشهداء الذين أداهم حرصهم على الطاعة الى بذل أرواحهم فى سبيل الله والصالحين الذين صرفوا أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته وما أحسن مرافقة هؤلاء الأربعة (وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل) كائن (من الله وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه

﴿ التسليم والرضا وسورة النساء وسورة الشورى ﴾

ذكرى للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بالمدنية المستقبله والتربية العاليه

هل لكم أيها المسلمون أن تسمعوا لماذا يشير كلام الله فى هذه الآيات وهل يعلم الناس ماذا يريد الله عزّوجل بقوله ـ ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ـ يقول لا ايمان إلا اذا حصل الاذعان للأحكام والرضا بالقلوب والتسليم وكيف سمى هذه السورة باسم النساء كما سمى أخرى باسم الشورى فقيل هناك (سورة الشورى) وقيل هنا (سورة النساء)

ان هذا المقام يحتاج للاسهاب والتطويل ولكنى أوجز القول فأقول

ان هذه السورة سميت باسم النساء لأن المرأة أظهر مافيها من الأحوال أمران الرحمة والتربية فبالرحمة تعطف على الأبناء وتجمعهم وبالتربية تغذو أولادها بلبنها وتعطيهم مالها وتكوّن بالأمرين ألفة جامعة ونظاما يكفلهم ولذلك ابتدأ السورة بأنه خلقنا من نفس واحدة وخلق منها خلقا كثيرا ولماذا هذا لأنه يريد أن يكون الناس أسرة واحدة لهم ألفة جامعة وكما ان الأم ترحم البنين هكذا القضاة والحكام يجب أن يربوا بطريقة تغرس فى قلوبهم الرحمة حتى يكونوا كالأم والأم لاتقضى بين بنيها إلا بالعدل بقدر طاقتها واذا أنفذت حكما فيهم لم يكن ذلك تشفيا ولا انتقاما وانما ذلك لقصد اصلاحهم واسعادهم وهى تتحمل أذاهم وترى الولد اذا وصله من أمّه أذى فليس ذلك يدعو الى كراهتها غالبا بل هو يعطف عليها ويرجع اليها رجوعا قلبيا ثم ان أبناء المرأة الواحدة اذا كان لهم اخوة من أم أخرى اجتمعوا صفا وكانوا يدا واحدة على اخوتهم فلهم جامعة واحدة من جهة أمهم كما هو مشاهد معروف حتى ان الأخ من الأم والأب مقدّم فى الميراث ويحجب الأخ لأب لأنهم اتحدوا فى المودّة والمحبة وتشاركوا فى الآراء وأمور الحياة لجامعة الام فهكذا الأمة يجب أن تتشاور فى الأمر ويكون رأى الشورى وأولى الأمر فيهم نافذا بطريق القبول كما أن حكم الأم صادر من قلب رحيم يشعر به الأبناء ويتلقونه بالقبول والتسليم فيكون أمرهم شورى بينهم والأحكام النافذة من القضاة مقبولة قبولا نفسيا لا قهريا جسميا ولعمرى هذا هو الذى يطلبه القرآن أيها المسلمون وياليت شعرى أى فائدة فى الايمان اذا لم تجعل الأمة كتلة واحدة وأسرة واحدة ذات حبّ خالص والتئام واتحاد

أيها المسلمون أى فائدة تجنيها من هذه الأحكام الشرعية والمرافعات القضائية والتربية فى البلاد غير مرعية . أنا لا أقول غيروا طرق الأحكام فحسب بل أقول غيروا طرق التعليم . التعليم اليوم ليس على طراز الدين أترضون أيها المسلمون أن يكون هذا التعليم فاشيا فى أوروبا ويحرم منه الاسلام

ألم يبلغكم مايفعله التلاميذ هناك انهم يقرؤن قانون المدارس وفيه تحديد العقاب على كل ذنب فماذا يصنع التلاميذ يرتكب زيد ذنبا كأن ينسى واجبا يعمله فيأتى الى المدرسة فيدخل السجن ويجلس فيه المدّة المقرّرة للعقاب بلا حارس يحرسه ولاخفير يحفظه بل جعل نفسه على نفسه حسيبا ويعد التلميذ من العار أن يحرسه الخادمون أو يقف على الباب الديدبان بل هو الحابس وهو المحبوس وهو الحارس وهو المحروس وهو الراضى وهو المرضى عنه فهذه الآية لم تذكر فى القرآن للتلاوات ولا لتكرير العبارات ولا لمجرد العبادات بل جاءت لشئ فوق العبادات والاحكام هو الذى له جاءت الرسل ووضعت الشرائع وأنزل الوحى ومن أجله صوّرت صور الموجودات بالجمال وزوّقت بالحسن وحسنت سماؤها وأضاءت نواحيها فالجوّ جميلة أضواؤه والماء حسن الرواء والسماء بديعة البناء والنجوم باهرة الأنوار والمشارق والمغارب بديعة المناظر النائية المطالع حسنة بهجة تسرّ الناظرين فهل أرانا الله ذلك لنحرم من ثمراته فى القلوب أونغيب عما صوّر فيه من كل عجب عجاب

أرانا الله الجمال وأوحى الى الأنبياء ماشاكله من الكمال فجاء على لسان عيسى أن يكون الناس أحبابا

وجاء فى هذه السورة أننا أسرة واحدة وعنوان السورة بذلك شهيد وقال فى غضونها ان أولى الأمر ينظرون فى أمور الرعية وأن المحكومين يسلمون فى أحكام القضايا وانه لا ايمان لهم إلا بالتسليم ولعمرى كيف يكون التسليم والرضا من قلوب مقفلة وعيون مسبلة وآذان فيها وقر وعيون عليها ختم وأنفس لم تعرف من المحبة إلا لفظها ولا من التربية إلا ظاهرها ولا من التعليم إلا أدناه ولا من التهذيب إلا ما لا يرضاه فويل لمن عاشوا عيشة لفظية فماتوا موتة جاهلية وويل ثم ويل لمن وعظهم الدهر بضرباته وانتهرهم بوثباته فلم يفيقوا من غفلاتهم ولم يتعظوا بنكباته من الأمم الاسلامية التى دهمها الفرنجة فأردوهم وضربوهم ففرقوا شملهم فهل ترى لهم مدنا مستقلة أوأصولا ثابتة فتى ينتفعون وفى أىّ طريق يسلكون

﴿ الطريقة المثلى لرقى الاسلام ﴾

هى التربية الشريفة ونبذ ماهم عليه وأن يملأ صدور التلاميذ من العواطف والرحمة والحب للشعب ويربى الأبناء على حب النظام والعمل للمجموع والحب العام بالحكايات اللطيفه والسير الجميله وسيرة النافعين للأمم الاسلامية بحيث تهذب القصص والحكايات فلايدخل فيها ماينقص سير الابطال ولايدمج فيها مايضرّ بسمعتهم ولوكان حقا ويلخص كل جميل وينبذ كل قبيح وليعدل الى الروايات المشجعه تارة والمحببة للمجموع أخرى والمعطشة للعلم والمرغبة للمساعدة للاخوان آونة وليكن ذلك كثيرا حتى ترسخ الملكات فى النفوس هنالك يتم الايمان هناك يحب الشعب حكامه هنالك يطيع رؤساءه ولايجد المحكومون فى أنفسهم حرجا من الحاكمين ذلك هو الصراط المستقيم فعلى المسلمين أن يحرصوا على هذه التربية حرصا دائما فلئن اقتصر الجهال من المسلمين على تعظيم الأحكام الشرعيه فليحرض العلماء الشعب على اتساع نطاق التربية الخلقية والمحبة الجنسية والفضائل الخلقية فذلك أعلى تقديسا وأشرف مقاما وأعزّ مقصدا وأوسع مددا وأقرب منالا وأكثر افضالا وأقرب الى مرامى النبوّات والى جمال هذه المخلوقات

فكما يبصر الناس بالعيون جمالا فى السموات يبصرون فى قلوبهم جمالا فى النيات . فياليت شعرى لم قال الله ـ نعما يعظكم به ـ فى تأدية الأمانات وأمر بازالة الحرج من النفوس عند الحكم فى الدعوات وأمر رسوله أن يعظهم فى ذلك بأبلغ العبارات هل كل ذلك لحوادث جزئية وقضايا وقتية . كلا . ثم كلا ان الله خزن ذلك فى القرآن وأبقاه لنا الى أن آن الأوان وظهرت حوادث الزمان وسبق الفرنجة بهذه التعاليم ونحن أرقى منهم أديانا وأرفع شأنا منهم فلنقم بالأمر خير قيام ولنعلم الشعب حسن الاخلاق . ولعمرك هل جلت الصور المحسوسة والبدائع المنظورة فى أنحاء المعمورة إلا بصنعة باهرة وأعمال ظاهرة وأصول قيمة وهندسة متقنة هكذا لن تجمل النفوس ولن تجمل الأخلاق وتحسن الشعوب ويتم النظام إلا بصنع النفوس صنعا يعليها ووعظها وعظا يدنيها بالأمثال النافعة والحكايات الممتعة والآراء الناجعة والأقوال الشارحة وسير الأبطال وفضائل الرجال وشمائل العلماء وأخلاق الحكماء وطرق العقلاء وشيم الأذكياء وتراجم الصلحاء الذين نفعوا الأمم بعلومهم ورقوها بأموالهم وأنفسهم وذلك هو القول البليغ الذى أمر به الرسول والوعظ الممدوح والقول المشروح الشارح للصدور المهيئ لتبوّئ النفوس مقام الصدق ومطالع العرفان والنور انتهى المقصد الخامس

(المَقْصِدُ السَّادِسُ)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا * وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ

أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ
فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً * وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً
وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ * قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ،
وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً * أَيْنَ مَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ
فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً * مَا
أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً
وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً * مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا
يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ
مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً * وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ
أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ
وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً * فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا
تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ
بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً * مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ
شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً * وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ

حَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا * فَمَا لَكُمْ فِي
الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ
اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا
مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ
فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا *
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا
فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا * وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً
وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ، فَإِنْ
كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً
وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ
وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ

قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً * وَمَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً وَإِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً * وَإِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرائِكُمْ وَلْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً * فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً * وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً *

هذا المقصد اكمال للدروس المعطاة للمسلمين تطبيقا على وجوب طاعة الله والرسول الخ

وفى هذا المقصد أحد عشر فصلا

(١) الوعيد على الاهمال فى الجهاد والوعد بالسعادة الأخروية للمجاهدين

(٢) الحض على انقاذ المستضعفين من المؤمنين من يد الأعداء

(٣) ذم الجبناء بخورهم وخوفهم بعد ظهورهم بهيبة الشجعان

(٤) كيف يخاف الناس من الموت وهو لاحقهم أينما كانوا

(٥) ذم التشاؤم من المخلوق بحدوث المصائب مع ان الله هو الفاعل لكل شئ

(٦) اعادة الكلام فى وجوب طاعة الرسول مع العلم أن كل ماتقدم من تلك الطاعة

(٧) ذم المرجفين الذين يذيعون الأخبار قبل مراجعة أولى الأمر

(٨) الكلام على المنافقين

(٩) تحريم قتل المؤمن كما وجب محاربة المعتدين على البلاد والعدو المغير

(١٠) التحريض على الهجرة للقادرين

(١١) قصر صلاة المسافرين والكلام على صلاة الخوف فى الحرب

فحصل الكلام فى هذا القسم (١) جهاد من المؤمنين الصادقين (٢) حكم على المنافقين بالضلال (٣) تحريم قتل المؤمن (٤) فرار القادرين الذين لا يجدون نصيرا فى أرض العدو

﴿ التفسير اللفظى ﴾

يقول فى الفصل الأول (خذوا حذركم) تيقظوا واستعدوا بالسلاح للقتال (فانفروا) اخرجوا للجهاد جماعات متفرقة جمع ثبه تقول ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت جميع محاسنه وجمع الثبة ثبين (أوانفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحده وذلك وان كان واردا فى الحرب فهو عام لكل خير (وان منكم لمن ليبطئن) اللام الأولى لام الابتداء المسماة بالمزحلقه والثانية واقعة فى جواب القسم وليبطئن اما بمعنى يتباطأ ويتثاقل فلا يتوجه للحرب واما بمعنى تثبيط غيره كما فعل بعض المنافقين يوم أحد وبطأ بالتشديد من بطؤ بك المتعدى بالباء ومن اسم موصول اسم ان أى وان منكم بحسب الظاهر منافقين فى الباطن والله ليتخلفن عن الجهاد (فان أصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) ذلك المبطئ (قد أنعم الله علىّ إذ لم أكن معهم شهيدا) ولئن أصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) وجملة كأن لم تكن الخ معترضة وهذا القول لضعف فى العقيدة (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) . وقال فى الفصل الثانى (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله و) فى سبيل استنقاذ المؤمنين (المستضعفين) من أيدى الكفار ثم بينهم فقال (من الرجال والنساء والولدان) فى مكة (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) فأجاب الله دعاءهم وهذا وان كان قد نزل فى المستضعفين بمكة فحكمه عام والمسلمون اليوم آثمون ولذلك سلط عليهم الفرنجة فأذلوهم وقوله (الطاغوت) الشيطان ونحو ذلك . ثم أمرهم بقتال أولياء الشيطان وأبان ضعفه تشجيعا لأن الباطل لا ثبات له . وقال فى الفصل الثالث ألم تر يا محمد الى الذين كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا وكانوا يستأذنونك فى القتال فكنت تأمرهم باقام الصلاة وايتاء الزكاة وعدم الحرب حتى تأذنك بذلك فلما كتبنا عليهم القتال خاف بعضهم لقاء العدو فصاروا يخافون الناس كخشية الله أو أشد خشية وهذا من الجبن وحب الحياة والميل اليها وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال الخ . وقال فى الفصل الرابع (قل) لهم (متاع الدنيا قليل) سريع زواله (والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون) تنقصون أدنى شئ من ثوابكم (فتيلا) ما يكون فى شق النواة كما تقدم (البروج المشيدة) القصور أو الحصون المرتفعة وأصل البرج بيت على طرف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت . وفى الفصل الخامس ان المدينة كانت ذات خير وأرزاق ونعم عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود أمسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود مازلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه فقال الله تعالى (وان تصبهم حسنة) خصب وثمار (يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة) جدب فى الثمار (يقولوا هذه من عندك) أى من شؤم محمد وأصحابه (قل) يا محمد (كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) فأما الحسنة فالنعم وأما السيئة فابتلاء لأنه سبحانه يربى الناس بالسراء والضراء والتربية يلزمها الأمران (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) يوعظون به وهو القرآن فكله ناطق أن كل شئ من الله (ما أصابك) أيها الانسان (من حسنة) نعمة (فمن الله وما أصابك من سيئة) بلية (فمن نفسك) لأن الاستعداد والقابلية لنفسك لم يلق لها إلا تلك البلية لأن الله يربى الناس وينقلهم من حال النقص الى حال الكمال فاستعداد الضعيف ليس كاستعداد القوى والبلايا ماهى إلا نقص وما النقص إلا عدم الكمال فالله لم يخلق العدم وانما خلق الوجود وليس يقال ان الله ظلم الدودة فلم يعطها فلسفة أفلاطون ولا حكمة لقمان لأن خلق

الدودة لايستلزم تلك الحكمة بل لا فائدة لها فى ذلك الكمال (وأرسلناك) يامحمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتى وما أرسلناك به ولست رسولا الى العرب وحدهم بل أرسلناك (للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) على ارسالك للناس كافة . وقال فى الفصل السادس (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى) عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله (ويقولون طاعة) أى أمرنا طاعه أومنا طاعه (فاذا برزوا) خرجوا وقوله (بيت طائفة منهم) أى زورت خلاف ماقلت لها أوماقالت لك من القول و بيت من البيتوته لأن الامور تدبر بالليل (والله يكتب مايبيتون) يزورون (فأعرض عنهم) قلل المبالاة بهم وتجاف عنهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها لاسيما فى هذا الأمر (وكفى بالله وكيلا) يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم (أفلا يتدبرون القرآن) يتأملون معانيه والتدبر النظر فى ادبار الشئ وعواقبه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم و بعضه تسهل معارضته و بعضه تصعب معارضته و بعضه يطابق خبره المستقبل الواقع و بعضه لايطابق و بعضه يوافق العقل و بعضه يخالفه

وقال فى الفصل السابع (واذا جاءهم أمر) مما يوجب الأمن أوالخوف أفشوه فاذاسمع بعض ضعفة المسلمين خبرا عن سرية من السرايا عن طريق الوحى أوعن طريق المنافقين أذاعوه بين الناس وفى ذلك مفسدة فى السياسه ولو ردّوا ذلك الخبر الى الرسول والى آراء أولى الأمر منهم البصراء بالامور (لعلمه) العقلاء (الذين يستنبطونه منهم) أى يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم ومعرفتهم بأمورالحرب وهم الذين يعرفون مايذاع ومايذبغى أن يكتم احكاما للسياسة فكان يجب على هؤلاء الضعفاء أن يرجعوا الى أولئك المستنبطين من أولى الأمر فيما يرد من الأخبار ولما دعا الناس عليه الصلاة والسلام الى القتال فى بدر الصغرى الى الخروج كرهه بعضهم وقد تقدّم ذلك فى غزوة أحد فى سورة آل عمران وأن أبا سفيان واعد النبى صلى الله عليه وسلم موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد فلما كره بعضهم الجهاد حين دعاهم فى الموعد نزل (فقاتل فى سبيل الله لاتكلف إلا نفسك) إلا فعل نفسك فخرج فى سبعين راكبا (وحرّض المؤمنين على القتال عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) يعنى قريشا وقدفعل فألقى فى قلب أبى سفيان ومن معه الرعب فرجعوا (والله أشدّ بأسا) من قريش (وأشدّ تنكيلا) تعذيبا (من يشفع شفاعة حسنة) أى من يصر شفعا لوتر أصحابك يامحمد فيشفعهم فى جهاد عدوّهم (يكن له نصيب منها) حظ وافر منها (ومن يشفع شفاعة سيئة) بأن قاتل أصحابك وكفر بدينك (يكن له كفل) نصيب (منها وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا قال الشاعر

وذى ضغن كففت الشرّ عنه * وكنت على اساءته مقيتا

أى قادرا وقال ابن عباس فى هذا المقام فى الحسنة والسيئة مالها مفسر غيرى معناه من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة وأقول ان هذا التفسير هوالمناسب للمقام . ولما ذكر الله أنه يكافئ المحسن بنصيب والمسيء بكفل وانه قادر على كل شئ أردفه بأنكم أيضا أيها الناس عليكم أن تقتدوا بربكم وتتخلقوا بأخلاقه وتسيروا على نهجه فتقابلون الاحسان بالاحسان فقال (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردّوها) التحية العطية فاذا أعطى الانسان عطية فليعط أفضل منها أو يردّها وجوبا وهوقول قديم للشافعى والجمهور حمله على السلام فيزيد من يردّ السلام ورحمة الله فان قالها المسلم زاد وبركاته والردّ واجب وجوبا كفائيا ولا يشرع الردّ فى بعض الأحوال فلايردّ فى الخطبة وقراءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة (إن الله كان على كل شئ حسيبا) يحاسبكم على الشفاعة السيئة وعلى عدم ردّ التحية بأحسن منها أومثلها وللسلام أحكام تطلب من علم الفقه فلا نطيل بها وأما قوله الله لا إله إلا هوالى قوله حديثا فتفسيره ظاهر

وقال فى الفصل الثامن فمالكم تفرّقتم فى أمر المنافقين فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم والله أركسهم

بأن صيرهم الى النار وأصل الركس ردّ الشئ مقلوبا (أتريدون أن تهدوا من أضلّ الله) أى تجعلوه من أهل الهداية (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الهدى وقوله (ودّوا لو تكفرون كما كفروا) أى ودّوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (فتكونون سواء) مستوين أنتم وهم فى الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا بأن يهاجروا من الكفر الى الايمان لأن الهجرة فى سبيل الله بالاسلام (فان تولوا) عن الايمان (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كما هو حكم سائر المشركين (ولا تتخذوا منهم وليا) توالونه (ولا نصيرا) وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوهم

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع قبل خروجه الى مكة هلال بن عويمر الأسلمى على ألا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى هلال والتجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال كان الأسلميون بهذا من المعاهدين أيضا لقد كان بنو مدلج عاهدوا ألا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ألا يقاتلوهم فبهذا يكون بنو مدلج مسالمين والأسلميون معاهدين

وهذا هو قوله تعالى مستثنيا من قوله ـ فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ـ الخ (إلا الذين يصلون الى قوم بينكم و بينهم ميثاق) أى إلا الذين يتصلون الى الأسلميين ونحوهم ممن لهم عهد (أوجاؤكم حصرت) ضاقت (صدورهم) عن (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) عطف على الصلة أى أو الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم كبنى مدلج والحصر الضيق والانقباض ثم بين الله أن صرفهم عن المسلمين من فضل الله فقال (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بأن يقوّى قلوبهم و يشرح صدورهم ويزيل الرعب من قلوبهم (فلقاتلوكم) ولم يكفوا عن قتالكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) الاستسلام والانقياد (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أى فما أذن لكم فى أخذهم وقتلهم

ثم ان أسدا وغطفان و بنى عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الاسلام ليأمنوا بأس المسلمين فلما رجعوا كفروا وكلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين قاتلوهم فهذا قوله تعالى (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) باظهار الايمان فى المدينة (ويأمنوا قومهم) بمحاربتكم اذا رجعوا اليهم (كلما ردّوا الى الفتنة) الكفر (أركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها أقبح قلب (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) ولم يلقوا الصلح (ويكفوا أيديهم) عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم و وضوح كفرهم وغدرهم . وقال فى الفصل التاسع ماملخصه ان القتل ثلاثة أقسام عمد وشبه عمد وخطأ فأما العمد المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فيقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أودية مغلظة سيأتى بيانها فى مال القاتل وأما شبه العمد فهو أن يقصد ضرب انسان بما لا يقتل بمثله غالبا مثل أن ضربه بعصا خفيفة أو رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين وأما الخطأ المحض فهو ألا يقصد قتله بل قصد شيأ آخر فأصابه فمات فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين وقتل الخطأ مثل أن يقصد قتل كافر فيصيب مسلما

ودية الحرّ مائة من الابل فان لم توجد الابل فقيمتها وهى ألف دينار أواثنا عشر ألف درهم وفى الدية المغلظة والمخففة كلام طويل فى علم الفقه ترجع الى أن تكون الابل أصغر سنا من التى هى مغلظه مع كونها مائة وهل دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم رأيان وهذا قوله تعالى (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا) بغير حق (إلا خطأ) أى إلا قتلا خطأ كما اتفق لعياش بن أبى ربيعة أخى أبى جهل من الأم لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) أى فواجبه تحرير رقبة أى عتق رقبة مؤمنة (ودية مسلمة الى أهله) مؤدّاة الى ورثته يقتسمونها كسائر

المواريث (إلا أن يصدقوا) يتصدقوا عليه بالدية فسمى العفو عنها صدقة حثا عليها (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله كفارة دون الدية لأنها ترجع الى الورثة والكافرون لا يرثون المؤمنين كما هو معلوم فى الميراث (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) أى وان كان من قوم معاهدين أو أهل ذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفارة والدية (فمن لم يجد) رقبة بأن لم يملكها ولا مايتوصل به اليها (فعليه (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين) شرع ذلك (توبة) صادرة (من الله وكان الله عليما) بحاله (حكيما) فيما أمر فى شأنه (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) واعلم أن قتل المسلم عمدا والزنا وشرب الخمر وعقوق الوالدين وأشباهها لا توجب خلودا فى النار ولكن عذابها شديد لأنها من الكبائر والمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم * روى أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه فنزل (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم) سافرتم وذهبتم للغزو (فى سبيل الله فتبينوا) اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) ممن حياكم بتحية الاسلام وفى قراءة ـ السلم ـ أى الاستسلام والانقياد (لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد (فعند الله مغانم كثيرة) لكم تغنيكم عن قتل أمثاله لما له (كذلك كنتم من قبل) أول ما دخلتم فى الاسلام فتحصنتم بالشهادتين من غير أن يعلم ما فى قلوبكم (فمن الله عليكم) بالاشتهار بالايمان (فتبينوا) وافعلوا بالداخلين فى الدين ما فعل بكم (إن الله كان بما تعملون خبيرا) عالما به

وقال فى الفصل العاشر (لا يستوى القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين غير أولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدون أو بدل أو بالنصب حال (والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) أى بدرجة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة) وفضل متضمن معنى أعطى وأجرا مفعول ثان له ودرجات ومغفرة ورحمة كلها بدل من أجرا (وكان الله غفورا) لما عسى أن يفرط منهم (رحيما) بما وعدهم

وقال فى الفصل العاشر أيضا (إن الذين توفاهم الملائكة) أى توفتهم أو تتوفاهم فهو ماض أو مضارع أى تتوفاهم بقبض أرواحهم (ظالمى أنفسهم) أى حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة كقيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة فهذان وأشباههما دخلوا فى الاسلام ولم يهاجروا فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار والمعلوم أن الله تعالى لم يقبل الاسلام من أحد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه فى الصحيحين فسألهم الملائكة حين قبض أرواحهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين (فى الأرض) أرض مكة (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) كما فعل المهاجرون الى المدينة والى الحبشة (فأولئك مأواهم جهنم) لأنهم تركوا الواجب وساعدوا الكفار (وساءت مصيرا) والمخصوص بالذم جهنم (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) حالان من المستضعفين (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا) وهذا ظاهر (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا) وهو التراب يقال خرج الرجل عن قومه مراغما لهم أى مغاضبا لهم ومقاطعا فالمراغم المذهب والمهاجر والمتحول كأنه خرج رغم أنفهم

والرغم

والرغم التراب كأنه أذلهم بخروجه وأنشد الزجاج

الى بلد غير دانى المحل * بعيد المراغم والمضطرب

(وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) ومعنى وقع وجب * نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على مابايع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فيه

وقال فى الفصل الحادى عشر (واذا ضربتم فى الأرض) أى سافرتم (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) بتنصيف ركعاتها فيصير الظهر والعصر والعشاء كل منها ركعتين كالصبح وجوبا عند أبى حنيفة لقول عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله عنها أول مافرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فقصرت فى السفر وزيدت فى الحضر ورأى الشافعى أن القصر رخصة فى السفر والاكمال عزيمة لان لا جناح يستعمل فى موضع التخفيف والرخصة لا فى موضع العزيمة وقال الحنفية انه عزيمة لا رخصة ولايجوز الاكمال لقول عمر المذكور وأما الآية فكأنهم ألموا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا اليه ثم قال (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) جار على حسب الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر المفهوم فالصلاة تقصر فى الخوف وفى الامن كما فى قوله تعالى ـ فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما ـ الخ فالسنن تظاهرت على جوازه فى حال الامن

﴿ آراء العلماء ﴾

(١) صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر عند ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبدالله والسدى وأبى حنيفة فقصرها إذن تخفيف الركوع والسجود

(٢) صلاة المسافر مقصورة وليست بأصل وهو قول مجاهد وطاوس والشافعى وأحمد

(٣) يجوز القصر فى كل سفر مباح عند الشافعى ومالك وأحمد والجمهور

(٤) يجوز القصر بشرط أن يكون سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة

(٥) لايجوز القصر فى سفر المعصية وأبو حنيفة والثورى يجيزانه فيه

﴿ أى سفر يكون القصر فيه ﴾

(١) قال داود وأهل الظاهر يجوز القصر فى قصير السفر وطويله ويروى عن مالك أيضا

(٢) قال الأوزاعى يشترط سفر يوم

(٣) وقال الحسن والزهرى سير يومين

(٤) وقال الشافعى سير ليلتين وذلك ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فتكون ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمى والميل ستة آلاف ذراع والذراع ٢٤ أصبعا معترضة معتدلة والأصبع ست شعيرات معترضات معتدلات

(٥) ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران فى مسيرة أربعة برد وهى ستة عشر فرسخا كالمتقدم وهكذا مالك وأحمد واسحق

(٦) وقال الثورى وأبو حنيفة وأهل الكوفة لاقصر فى أقل من ثلاثة أيام

فأبو حنيفة مشدد وداود وأهل الظاهر مسهلون والباقون متوسطون ثم قوله تعالى ـ إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ـ يروى فيه أن عمر رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله عليكم بها فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم

ثم شرع يذكر صلاة الخوف فقال (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) ملخص ذلك

أن يجعلهم طائفتين تقوم احداهما معه يصلون وتقوم الطائفة الأخرى تجاه العدو والذين يصلون معه يجب أن يأخذوا أسلحتهم فاذا سجد المصلون وجب أن يكون الذين لايصلون حارسين لهم من ورائهم ثم يذهب المصلون الى وجه العدو ويأتى الحارسون فيصلون مع الامام ويجب أن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم . هذا معنى الآية وهناك كيفيات لتلك الصلاة وهذا بيانها

الأولى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخل صلى مرتين بكل طائفة مرة وهذا ظاهر

الثانية أن يصلى صلاة واحدة بكل ركعة فى التى هى ركعتان فيصلى بالأولى ركعة وينتظر قائما حتى يقوا صلاتهم منفردين و يذهبوا الى وجه العدو وتأتى الأخرى فيصلى بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يقوا صلاتهم و يسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع . وقال أبو حنيفة يصلى بالأولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتى الأخرى فتصلى معه ركعة وتتم صلاتها ثم تعود الى وجه العدو وتأتى الأولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتى الأخرى فتؤدى الركعة بقراءة وتتم صلاتها واذا كان العدو فى جهة القبلة فليفعل ماهو الأنسب فتقف كما تقدم طائفة تجاه العدو و يصلى بالطائفة الأخرى ركعة فاذا قام الى الثانية أتموا لأنفسهم وذهبوا يحرسون وتأتى الطائفة الثانية فيصلى بهم الثانية و يتشهد ثم ينتظرهم حتى يسلم بهم كما تقدم والعبرة بترتيب الامام ونظره فى الحرب ولادخل لأحد إلا نظر القائد الذى يصلى بهم والآية واضحة وانما حذرهم الله لأن العدو يتربص وقت الصلاة ليفنيهم فيه ولذلك قال (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) أى تمنوا أن ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدّون عليكم شدّة واحدة

﴿ من آراء العلماء ﴾

(١) رأى أبى يوسف والحسن وزياد من أصحاب أبى حنيفة أن صلاة الخوف كانت خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم ولاتجوز لغيره

(٢) المزنى من أصحاب الشافعى يقول كانت ثابتة ثم نسخت

(٣) على بن أبى طالب وأبو موسى وحذيفة بن اليمان صلوها الأول ليلة الهرير والثالث بطبرستان ولم يخالفهم الصحابه وهو مذهب أبى حنيفة والشافعى وكثير من العلماء

واعلم أنه اذا اشتدّت الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومئون للركوع والسجود الى أى جهة كانت عند الشافعى . وعليه يكون قوله تعالى فيما يأتى ـ فاذا قضيتم الصلاة ـ أى اذا أردتم أداءها واشتدّ الخوف فأدّوها كيف أمكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين ومذهب أبى حنيفة انهم لايصلون فاذا أمنوا قضوا مافاتهم من الصلاة ثم قال (ولاجناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى) أى لاحرج عليكم فى حال المطر وحال المرض (أن تضعوا أسلحتكم) لأن السلاح يثقل حمله عليكم (وخذوا حذركم) أى راقبوا العدو ولا تغفلوا عنه (إن الله أعدّ للكافرين عذابا مهينا) ثم قال تعالى (فاذا قضيتم الصلاة) أدّيتموها وفرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فدوموا على الذكر فى جميع الأحوال * قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله فى كل أحيانه (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف (فأقيموا الصلاة) أى أتموها أربعا وذلك فى الاقامة فى الأوطان أو أتموا ركوعها وسجودها اذا سكن القلب بالامن بعد الخوف (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فرضا موقتا

محدود الأوقات لايجوز اخراجها عن أوقاتها فى شئ من الأحوال (ولاتهنوا فى ابتغاء القوم) لاتضعفوا فى طلب الكفار بالقتال (إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالايرجون) فالألم قدر مشترك بينكما وقد صبروا على ألمهم أفلا تصبرون وقد امتزتم بأنكم على الحق وفى قلوبكم رجاء النصر فى الدنيا والثواب فى الأخرى فأنتم ترجون احدى الحسنيين (وكان الله عليما حكيما) فهو يعلم مصلحتكم . انتهى التفسير اللفظى

﴿ التفسير المعنوى وجمال القرآن والاسلام ﴾

(١) مناسبة هذه الآيات لأوّل السورة فى خلق آدم

(٢) كيف تحفظ صور الموجودات الجمادية باليبوسة بعد أن شكلت بالرطوبة

(٣) كيف تحفظ الأنفس الحيوانيه بما هوفوق ذلك من قوّة غضبية وأسلحة مختلفه

(٤) علم الانسان ورحمته وقواه النفسية للحياة وشجاعته لحفظها ودوامها

(٥) ظهرت هذه القوّة الغضبية فى الشجاعة لحفظ الانسان وفى مظاهر الشهامة عند المتوحشين

(٦) عند بعض الأديان القديمة

(٧) عند الأمم المختلفة بأشكال متباينة

(٨) تركها بعض الديانات فضلت أممهم سواء السبيل واتبعت الشهوات

(٩) الاسلام له فى ذلك ثلاث درجات

(١٠) الآيات التى قرأتها الآن والسابقة للمحافظة على الوطن وتقصير بعض المسلمين وفضل بعضهم فى التقدم

(١١) تجاوز ذلك الاسلام الى ادخال سائر العناصر وجعلهم أمّة واحدة كالكافور الاخشيدى والعبيد المصريون يسودون ساداتهم وهذا بخلاف أوروبا وان الدين الذى بهذا الشكل يصلح للدنية اذا وجد رؤسا كبيرة تراعى الزمان والمكان

﴿ نظام هذا العالم ونظام الانسان والتئام أوّل هذه السورة مع علومها ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل خلق هذا العالم متشابها متناسبا كلا متجاذب الأطراف وحسبك أن تنظر ماحولك من العناصر والمركبات الطبيعية ألست ترى كل صورة حجريه أوكتلة مدريه مانالت شكلها إلا برطوبة الانتها ومائية سهلتها فقبلت التدوير أوالتثليث أوالتربيع أوالتخميس ثم ألحت عليها الشمس الحاحا فتماسكت الأجزاء وتجاذبت الأطراف أولست ترى أن اللبنات يصيرها الناس آجرّا باحراقها بالنار محافظة على الصورة أن تفلت من مادتها فلعمرك لم تقبل الشكل الا وهى بالرطوبة مشبعة ولم يبق الشكل يوما أو بعض يوم أو مئات السنين إلا باليبوسة التى أنتجتها الحرارة الشمسية أوالحرارة النارية يستوى فى ذلك الجماد والمعدن والنبات والحيوان

أليس آدم الذى أشير اليه فى أوّل السورة بأننا منه خلقنا ذكورا واناثا قد خلق من صلصال وما الصلصال إلا الفخار والفخار كان رطبا حتى شكل و بعد ذلك ألحت عليه النار فيبس

أيها الذكى ارفع طرفك قليلا وليكن بصرك حديدا فلتنظر أليست النفوس الحيوانية فيها القوّة الغضبية لتحفظ كيانها وتمنع عدوّها وتنطحه بقرونها أوتبتله بخرطومها وقوّتها أوترفسه بأرجلها أوتعدو الى أوكارها الخ أليس هذا شيأ اختص بالنفوس لم يكن فى الأجسام الجماديه فهو هنا حرارة نفسيه وهناك فى الصلصال حرارة نارية جسميه ثم ان النفوس الحيوانية والانسانية لا تحيا إلا بآراء وغرائز تقوم بها من رحمة وحب والحبّ قد يكون لطلب الطعام الذى به حياة الأجسام وطلب الاناث من النوع لتولد الأمثال

فالحبّ والرحمة فى الأنفس قائمان مقام الرطوبة فى الأجسام الطبيعية لتقبل الأشكال الصورية والقوّة الغضبية فى هذه الحيوانات كاليبوسة فى الأجسام فلولا الغذاء ماعاش حيوان ولانما انسان كما لا يصور نبات ولامادّة ترابية إلا بمخالطة الرطوبات ولولا غريزة حبّ البقاء فى الانسان والحيوان والغضب المودع فيهما للدفاع عن النفس

ماعاش أحد منهما إلا قليلا

فالمحافظة فى سائر الحيوان على الأنفس غرائز واجبة الحصول . فترى ما ألهمه كل حيوان ظهر أثره على أعضائه فترى القرون والمخالب والأنياب وقوة العدو والصدف على جسد السلحفاة والابر على جلد القنفذ وأنياب الأسد وسم الحيات والعقارب وقوة الفيل . كل تلك آلات تطابق ماجبلت عليه تلك النفوس من المحافظة على أجسامها بقواها الغضبية المسلحة بالأعضاء الظاهرية وترى هذه القوى الباطنية لا أثر لها فى الأحجار كما لا أثر لأسلحتها فى تلك الجمادات

وتعال فوق ذلك الى الانسان تر الطيارات الهوائيه والجيوش البريه والمراكب البحريه والغواصات المائيه كل ذلك مطابقة لقواه الفكريه واستعداداته العقليه

على ذلك درج الانسان قديما وحديثا بأشكال مختلفة وهو فى الحقيقة لم يتعد طور ماحوله من المخلوقات وانما ذلك تنوع فى أنواع الدفاع ولعمرك لم يخرج عما جاء فى أول السورة انه من أبيه آدم وهو من صلصال حبست صورته بالنار فيبست لصورة وحفظت . هكذا دائما تبقى الصورة الانسانية والحيوانية بدفاع العدو عنها فلا يتلفها وذلك بالسلاح القائم مقام الحرارة فى الصور الجماديه

ألم تر الى المتوحشين من أهل السودان كيف ظهر ذلك فى أفعالهم العادية وأن الشاب يظهر أمام الفتيات اذا أراد التزوج بواحدة منهن فيضربونه ضربا متواليا حتى يسيل الدم من ظهره وهو لا يظهر الألم شجاعة وقوة حتى يستعظمه الواقفون ويملأ عين من ترغبه زوجا لها

ثم ارتفع عن هذه الطبقة الى الأمم التى أخذت من العلم بنصيب أفلم يكن أهل اسبارطه يجعلون التربية دائرة على أن يتمرن الشبان على احتمال الضرب كل يوم بالسياط أمام الأشراف فأما الصبيان فانهم يضربون ضربا صوريا ثم يزاد كل يوم شدة بحيث يتمرنون تدريجا ويكون ذلك قوة لهم حتى يتحملوا ماسيلقيه الدهر عليهم من دروسه فتقوى أجسامهم ويكونون شجعانا

ثم ارتفع فوق ذلك المستوى وانظر الى الأديان القديمة كالدين الذى كان شائعا فى شمال أوروبا فى جهة السويد ونروج إذ قام فيهم عظيم يدعى (أودين) فاتبعوه قرونا طويلة وحكم ألا يموت أحدهم إلا قتيلا وعد الموت العادى جريمة وإثما مبينا حتى انه اذا كان عظيم من العظماء قد دنا أجله نزل فى سفينة وأوقدوا فيها النار حتى يموت الملك أو الأمير بين الماء والنار . ولعمرك لم يكن ذلك إلا لتربية الشجاعة فى القلوب وأن يألف الانسان عظائم الأمور فلا يجزع للمصائب ولا يحزن للمصاعب

كل ذلك من السر الذى فى صلصال آدم والمحافظة على النفوس من طريق الشجاعة ولقد ثبت أن الحيوانات البحرية أطول أعمارا وانظر هذا فى الدين وهو الدين المسيحى كيف حرم مقابلة السيئة بمثلها ولكن أتباعه بعد حين صاروا أظلم الأمم فهتكوا الأعراض وخربوا البلاد وملكوا المسلمين شرقا وغربا وظلم بعضهم بعضا كما حصل فى حرب الألمان وأوروبا فلم يرحموا انسانا من دينهم أو غير دينهم فالقوة الغضبية غالبة على هذا الانسان

ولما جاء الدين البوذى فى الهند ومنع الناس من الظلم اجتاحهم الأوروبيون ولقد تشكلت هذه الصفة فى الأمم بأشكال مختلفة كما فصله الفارابى فى كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة

(١) من الأمم من اتخذت القهر بالسلاح لاشباع الشهوات البهيميه والقوة الشهويه ومطاوعة الحواس الخمس فى مطالبها الظاهريه

(٢) ومنهم من يقول كلا وانما أريد الغلبة لحفظ كرامتى وعظمتى بين الناس

(٣) ومنهم من يقول أغلب الناس لشهواتى ولحفظ كرامتى معا

(٤) ومنهم من يقول ليست الغلبة والقهر طبيعيين فى الانسان وهذه تسمى المدنية الفاسدة

(٥) وهؤلاء يقاتلون ان قوتلوا وأريد إيذاؤهم
(٦) وأولئك لهم طرق فى القتلة فتارة تكون القتلة بالحرب
(٧) وتارة تكون بتجارة النساء وحرب الرجال
(٨) ومنهم من يستعبدون أمّة و يتخذونها مساعدة لحرب أخرى
(٩) ومنهم من يجعل المعاهدات سلما للظلم فيعاهدون أمّة ويحاربون معها أخرى
ولا نطيل بذلك بل نقتصر على ما أتى بالمقصود فنقول
هاأنت ذا رأيت طبائع الانسان وآراء بعض الديانات وسياسات الأمم فهاك أمر الاسلام
لقد أثبت لك فى سورة البقرة أن للاسلام فى الحرب ثلاث مراتب . المرتبة الأولى ألا حرب ولا قتال وذلك فى زمن الضعف كما فى أيام اقامة النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة . المرتبة الثانية محاربة المحاربين والذين يهجمون على الأوطان

﴿ وجوب المحافظة على الوطن فى الاسلام من أهم مافى القرآن ﴾

أنظر ما مرّ عليك فى سورة البقرة ألم تر الى قوله تعالى فى قصص بنى اسرائيل ـ ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ـ وانظر ما تقدّم فى سورة آل عمران كيف رأيت أن غزوة بدر المشار اليها فى أوّلها انما كانت محاربة لأهل مكة الذين أخرجوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها وغزوة أحد كيف كانت لما أراد الأعداء مهاجمة المدينة وقد تشاور النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وأشار بعضهم بالخروج الى الأعداء و بعضهم أشار بالبقاء فى المدينة ثم تغلب الفريق الأوّل وخرجوا الى أحد ثم انظر الى هذه الآيات وكيف يقول ـ ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الخ ـ وأفاد أنه سبحانه يحرّضهم على انقاذ المؤمنين بمكة من ظلم الكافرين هناك وهذا ولاشك دفاع عن الوطن فانظر كيف جعل الله الوطن محترما وجعل المحافظة عليه أمرا عظيما وكيف كانت سورة آل عمران قد كان منها قسط كبير للجهاد وهكذا هذه السورة كل ذلك للمحافظة على الأوطان

أفلست ترى أن المسلمين أيام خراب الأندلس لم يكن عندهم شهامة ولاحمية ولاشرف ولادين وهم جهلاء أفلا ترى أيضا أن المسلمين اليوم نائمون اللهم إلا ماحصل قريبا من أهل الأفغان والفرس والترك فانهم استقلوا ونبذوا حكم الفرنجة لبلادهم

فأما باقى المسلمين فانهم نائمون ضربت عليهم الفرنجة ذلة الاستعباد وهاهى ذه بلادنا المصرية تنفست الصعداء قليلا فى هذه الأيام والفرنجة لايزالون يغدون و يروحون فى مصر وتونس والجزائر ومراكش و بلاد جاوه وسومطره والشام وفلسطين والعراق وأهل البلاد فى تلك الأصقاع متحاسدون متباغضون متناقلون يجهلون الشرف ولايعرفون المحبة والاتحاد ـ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ـ

أفلم يقرؤا قوله تعالى فى هذه الآيات ـ ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الخ ـ فالمسلمون مأمورون أن يخلصوا من وقع فى يد الأعداء من اخوانهم وهؤلاء يقدّمون اخوانهم قربانا للفرنجة فى مراكش وتونس والجزائر ومصر وربوع الشام والعراق

لقد أصبح أبناء العرب مثلا للذين يخضعون وطعمة لمن يأكلون ولكن آن أن يزول ذلك الرجس من القلوب ويرجع لهم مجدهم المفقود إن شاء الله تعالى فقد بدت بوادر النجاح وتباشير الفلاح

﴿ الواجب على المسلمين فى أقطار الأرض ﴾

أيها المسلمون الفرار الفرار من العار انظروا فى سائر شؤنكم الجهاد ليس قاصرا على الحرب أنتم اليوم تحتاجون للجهاد . فى كل شئ . فى التجارة . فى العلم . فى حفظ البلاد . فى عدم ضياع الوقت . فى حفظ الصحة . فى

السياسة • فى التفكر

فلتكن أكثر ملابسكم من مصنوعات اخوانكم فى بلادكم ولترقوا الصناعات الاسلامية وتنشئوا المدارس العالية بكثرة فعشرة متعلمون تعليما راقيا أفضل من آلاف من الناقصين تعليما ولا تمكنوا الاجانب من البقاء فى بلادكم وجدوا فى القوة لاخراجهم واتحدوا فيما بينكم لطردهم ذلك ما يجب عليكم أيها المسلمون

أما الطريقة الثالثة التى ذكرت فى سورة البقرة فقد ذكر نظيرها فى بعض هذه الآيات وهى قتال المشركين أين وجدتاهم كما قال فى آية — وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة — والقصد من هذه ادماج الأمم وجعلها أمة واحدة

ولقد تجد هذا واضحا فى أمة الاسلام وقد صار خلقا فالمسلمون بحب الدين لا يفضلون أحدا إلا بالتقوى ألا ترى الى كافور الاخشيدى كيف كان عبدا اسود وحكم المصريين وفيها الأشراف من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف ترى أسامة بن زيد ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيادة الجيش ودام كذلك زمن أبى بكر

وترى فى بلادنا المصرية آثار العبيد ظاهرة فى هذه الأيام فان عبيد الخديويين لهم من الملك ما ليس لأعظم الأحرار فى البلاد كل ذلك لأن الاسلام خلط الأمم وجعلها أمة واحدة كما فى أول هذه السورة — الذى خلقكم من نفس واحدة — فاذا كانت الحرب لأمم أخرى فليس المقصد إلا ترقية الأجناس المنحطة فانك ترى العسكر الانكشارية فى الدولة التركية ما كانوا إلا شراذم من العبيد الذين اشتروهم بالمال وكذلك المماليك البرية والبحرية بمصر انهم إلا أرقاء كانوا يجلبون من بلاد الروس والصقالبة ويشترون بالمال فاذا مات السيد من الامراء المصريين ورثه عبده الذى اشتراه ومن هؤلاء الظاهر بيبرس ومن قبله ومن بعده من الملوك الذين استولوا على مصر نحو ثلثمائة سنة وهكذا نسلهم بقوا فيها بعد فتح الدولة التركية لها الى دخول المغفور له محمد على باشا فى أول القرن الثامن عشر المسيحى فزقهم شر ممزق وكذلك الترك قتلوا الانكشارية الذين هم عبيد أيضا كانوا يتعلمون الدين والقرآن ويحكمون الدولة ويدافعون عنها فاستعبدوا ملوك بنى عثمان وقتلوا الدولة وأهلكوها وأخروها والقصد من هذا القول أن الاسلام لعدم تفرقته بين الأجناس تغالت الأمم الاسلامية فى تسليط الأجانب عليها متى أسلموا حتى أنست بالمنلة فأرهقتهم الفرنجة والقرآن هو الأصل الذى عليه الاعتماد فى ذلك هذا كان مقصد الاسلام من الأسرى ثم فكهم واعتاقهم فالقرآن يأمر بالحرب للسلم وللتعليم فيأتى بالجهلاء والمتوحشين فيقيم ويعلمهم ثم يكونون فى نعمة لم يحلم بها آباؤهم وهذا العمل من المسلمين مطابق لقوله تعالى — يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم —

أفليس ما هناك هو ما فى هذه السورة أليس يقول هنا فى أول السورة انه خلقنا من نفس واحدة ثم يحرضنا على القتال لحفظ الوطن ثم يشير الى القتال العام ثم يقول حرروا الرقبة المؤمنة اذا قتلتم مؤمنا خطأ فجعل التوبة من الذنوب أن تحرروا الأسرى • ان تحرير الأسرى ظهر فى الاسلام ظهورا واضحا فكثيرا ما يأمر بالتحرير وعتق العبيد وهذا هو السر فى اختلاط الشعوب الاسلامية

﴿ مقايسة أوروبا بالاسلام ﴾

لقد دخلت أوروبا بلاد الشرق وقالت أنتم أيها الناس أحرار ولكن هل جعل الانجليز من المصريين وزيرا أم الفرنسيون جعلوا من الجزائريين أميرا أم اتخذ الأسبان من أهل مراكش وكيلا • كلا • ثم كلا وكثير من تلك الدول تغتال الأموال جهارا وتقتل الناس بالطيارات فلا ينامون إلا غرارا فأى الحكمين أقرب للعدل وأولى بالحق • هل جعل الفرنجة من المسلمين ملكا على بلادهم كما جعلنا كافورا ملكا فى مصر لمجرد الاسلام • كلا هذه هى الميزة الاسلامية على سائر الأمم الغربية

نحن جعلنا كافورا ملكا وأمريكا لا ترضى أن يكون السود جالسين مع أبنائها فى العربات ويحقرون

أن يساووهم فالانسان اليوم جهول كفار

﴿ محاورات فى المجلس العام للمسلمين بعد مائتى سنة فأكثر ﴾

يحكى فى عالم الخيال أنه اجتمع مجلس الشورى العام (البرلمان) فى الاستانة وقيل فى أنقره وقيل فى مكة وحضر من كل أمة من الأمم العربية والتركية والفارسية والأفغانية ونحوها نائبون . ولما استقر بهم الجلوس وقف أحد الأعضاء وقال لقد أغارت الأمم الاسلامية على أمة كذا وأدخلتها فى حوزتها فهل يرى المجلس أن نعاملها معاملة أوروبا لأهل أمريكا الأصليين فنخيتهم بالتدريج ونقرضهم من الوجود كما هى السنة المتبعة فى الاستعمار فردّ نائب الأفغان وقال إذا فعلنا ذلك كنا مثل السوء فى العالمين وكيف نفعل ذلك ونبينا جاء رحمة للعالمين ونحن خلفاؤه على المخلوقين فقال نائب الفرس مالكم تردون كل مورد وتذهبون فى البحث بعيدا فالعضو المحترم الأول حكم بالاهلاك والثانى أوجب ألا يمسوا بسوء وهل تذكرون أوسط الامور وأفضلها عند الجمهور أن نجعل بعضهم لبعض عدوا كما فعل الاسكندر بملوك الطوائف كما أمره استاذه ارسطاطاليس وسلط عليهم الشهوات وزوّجهم الغانيات وألبسهم التيجان وألزم كلا اسم الملك فتنازعوا بينهم والاسكندر حكم يحكم بينهم فهم الأعداء وهو المحبوب وهكذا حذت حذوه انكلترا وفرنسا وسائر أمم أوروبا حتى فرّقت المسلمين شذر مذر أيام القرون الأولى وهانحن أولاء قد منّ الله علينا فاجتمعنا فلنفعل معهم كما فعلوا معنا . فقام عالم مصرى وقال

أيها الاخوان أذكركم بالقرآن ألم يقل الله — فان تنازعتم فى شئ فردّوه الى الله والرسول — (فى سورة النساء) فالردّ الأمر الى كتاب الله وفعل الرسول ونظام هذا العالم يقول الله — يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة — فلم يقل يأيها المؤمنون بل جعل الخطاب للناس والناس كلهم أسرة واحدة ولقد وصى على الأيتام وأمرنا أن نعولهم وأن نتعفف اذا كنا أغنياء ونأخذ أجرنا بالحق اذا كنا فقراء فهؤلاء الذين دخلوا فى حوزتنا كالأيتام فلنكن عوناهم ولنحافظ عليهم ولنعلمهم حتى يتهيؤا للحياة والاستقلال والمقصود من الردّ الى كتاب الله النظر فى المقصد العام من فعل الله وقوله على وجه العموم فقال العضو التركى لقد قلت قولا فيه الاثم والشنار وما الفائدة العائدة على المسلمين نعلمهم ونربيهم فيصبحون مثلنا ويحارب أبناؤهم أبناءنا إن هذا هو الجهالة العمياء والضلالة السوداء فقال العالم التونسى وهو عضو بالبرلمان ان النظرية الفرنجية عارية من العقل خالية من الفهم كانوا يخافون أن ترقى الدول فيبطشون بهم وهذا قصر فى النظر وضعف فى الفكر

ان هؤلاء قد جنوا عكس ما زرعوا وبئسما زرعوا علموا أبناءهم الاتكال على ما صنع غيرهم فينامون على وساد الراحة والمسلمون يعملون فحملت أممهم وضعفت قواتهم لأن آباءنا كانوا يزيدون نشاطا وهم يتدلون انحطاطا فتكامل الخمول فى الآخرين وتمّ النشاط والقوّة فى الأوّلين حتى دالت دولة الغربيين وأشرقت شمس الشرقيين فهذه النظرية جاهلية أمّا الذى أراه فان الله عزّ وجل جعلنا خلفاءه فى الأرض ووكل لنا اصلاح عباده وأوجب علينا قيادتهم وارشادهم وحفظهم فلنعاملهم بالأمانة ولنعلمهم ولنهذبهم ولا نفعل ما فعل آباؤنا المسلمون فقد كانوا يأتون بالأوباش والجهلاء ويسلطونهم على منازلهم وممالكهم فيحكمون الدول . كلا ثم . كلا فذلك هو الذى أضاع الدولتين العربية والتركية القديمة وهذا تفريط من المسلمين ولا تفريطهم اذلالا شديدا كما فعل الاوربيون فى المسلمين ولكن نتخذ الطريق السوىّ فنعلمهم ونربيهم ونتركهم متى استقلوا بأنفسهم ويكونون لنا أصدقاء مخلصين

فأما ما قاله العضو المحترم ان أبناءهم يقتلون أبناءنا فهذه نظرية أوروبية خاطئة . ذلك أنه لا يبقى فى الوجود إلا الأصلح له والأمة المصلحة النافعة للناس لن تبيد من الوجود فما دمنا نافعين للناس فالدوام مضمون ولسنا نخاف على أبنائنا إلا من نومهم وكسلهم وحرصهم وجبنهم ولن يكون ذلك إلا اذا ظلمناهؤلاء الذين ملكناهم

فسخرناهم لأبنائنا فينام هؤلاء الأبناء على فراش الراحة الوثير كما نام الأوروبيون على حساب الشرقيين فوقعوا فى ذل الشهوات فزالت مدنيتهم وتفرق جمعهم وزال اسمهم من الوجود فهذه الأمم كانت أنظارها قصيرة وآراؤها سقيمة يفعلون مافعلته الدولة العباسية والدولة البائدة التركية التى كانت تأكل أرزاق الأمم فتصبح عالة عليها وتزول من الوجود كما كانت دولة الرومان . وعلى هذا فلنساعد هؤلاء القوم ونقول لأبنائنا استعدوا للحياة وكونوا ذوى عزم وحزم ولنعودهم السلام والأعمال الشريفة ولنهذبهم ونعلمهم الحب والاتحاد وهذا هو المسعى الحميد والرأى السديد فاذا اجتمعت الأمم على مضرتهم لن يضروهم لأنهم بالحق قائمون وللعالم مخلصون والله لايزيل من أرضه المصلحين وانما يهلك المفسدين وقال الله لنبينا صلى الله عليه وسلم — وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين —

فأخذت الأصوات فنال هذا الرئيس الأخير ٢٨٩ صوتا ضد ١٢٨ صوتا وعليه صار العمل

(الختم) (الختم) (الختم) انتهى المقصد السادس

(المَقْصِدُ السَّابِعُ)

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا *

﴿ تفسير هذه الآيات ﴾

قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار يقال له طعمة (مثلثة الطاء والكسر أفصح) ابن ابيرق من بنى ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل يهودى يقال له زيد بن السمين فالتمسوا الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودى فأخذوه منه فقال اليهودى انه دفعها الى طعمة بن ابيرق وشهد له جماعة من اليهود وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودى وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية

ولما نزلت هذه الآيات فيه لحق مكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط

عليه حجر من الحائط فلما أصبحوا أخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا فى طلبه فأدركوه فرموه بالحجارة حتى مات * قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات فهذا قوله تعالى (إنا أنزلنا اليك) يامحمد (الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) أى بما علمك الله وأوحى اليك (ولا تكن) يامحمد (للخائنين خصيما) أى ولا تكن لأجل الخائنين وهم قوم طعمة مخاصما عنهم ومدافعا ومعينا (واستغفر الله) مما هممت به من معاقبة اليهودى ومن انك هممت بالمجادلة عن طعمة (إن الله كان غفورا) يعنى لذنوب عباده يسترها عليهم (رحيما) بعباده المؤمنين (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يخونونها (إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما) أى مبالغا فى الخيانة مصرا عليها منهمكا فيها (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا (ولا يستخفون من الله) وهو أحق أن يستحيا منه (وهو معهم) لا تخفى عليه أسرارهم (إذ يبيتون) يزورون (مالا يرضى من القول) من رمى البرىء والحلف الكاذب وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) لا يخفى عليه شئ من أسرارهم ولا أسرار غيرهم (ها) للتنبيه (أنتم) يا (هؤلاء) والاشارة الى من كانوا يدافعون عن طعمة وقومه (جادلتم) خاصمتم (عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا) محاميا يحميهم من عذاب الله (ومن يعمل سوأ) قبيحا يسوء به غيره (أو يظلم نفسه) بما يختص به ولا يتعداه (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وهذا حث لطعمة وقومه أن يتوبوا (ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه) لا يتعداه وباله (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة (أو اثما) كبيرة (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) بسبب رمى البرىء وتبرئة نفسه (ولولا فضل الله عليك ورحمته) باعلام ما هم عليه بالوحى (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال (وما يضرونك من شئ) فان الله عصمك (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) من خفيات الامور الدينية والحكمية (وكان فضل الله عليك عظيما) وأى فضل أعظم من النبوة انتهى التفسير اللفظى

﴿ بيان أجلى ونور أشرق ﴾

لقد تبين أن هذه السورة نزلت لجعل الناس أمة واحدة لأن أباهم واحد وقد خلقوا من نفس واحدة وأن رجالا كثيرا ونساء خلقوا من تلك وان فيها الوصية على الرحم والقرابة واليتامى والمساكين والوصية بالجار القريب والمسكين فاعلم أن الأمر فوق ذلك فأصبح الدين الاسلامى بهذه السورة وهذا المقصد منها يحمى اليهودى الذى قال الله فى أهل دينه ـ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ـ فانظر كيف جعل اليهود ألد الأعداء فى الاسلام وكيف انزل فى الوحى هذه الآيات * يقول يصف الكتاب انه أنزله بالحق وانك يامحمد تحكم بين الناس بالعدل وكيف تكون قاضيا بالحق وتهم بالمحاماة عن الخائن فاستغفر يامحمد الله فان الله غفور رحيم وكيف تجادل عن الخائنين والله لا يحبهم انهم قوم يراؤن الناس ويخشونهم ولا يرقبون ربهم * هب أنكم أيها المحامون جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن ذا الذى ينفعهم يوم الحساب وأين المحامون هناك وأين الوكلاء فى تلك الدار ولقد كاد القوم يضلونك ولن يقدروا عليك لأنك معصوم فأمددناك بلطائف من عندنا وأعطيناك رحمة من لدنا واصطفيناك للناس ففضلنا عليك عظيم

يقال هذا القول وأمثاله لأجل يهودى يجب بحسب الظاهر أن يعد من السارقين فلقد وجد الدرع فى داره ومع ذلك يعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم عتابا طويلا على ما هم به مما يؤيده ظاهر الحال

فانظر كيف حفظ الاسلام الحقوق مع أعدى أعداء الاسلام وانزلت الآيات للنبى عتابا عظيما فلو أن المسلمين اليوم رجعوا الى ديننا ونظروا فى الحقائق الساطعة لأصبحوا أرقى العالمين فانظر كيف كانت هذه

حال الاسلام وقد خالفها فريقان

(١) الفريق الأول أكثر أمة الاسلام فانهم يتعصبون لأقاربهم ويجادلون عن أصحابهم واخوانهم وأقاربهم بالحق وبالباطل ولا يظهرون الحقائق ولا يشهدون بالحق ويقولون فلنستر على الاخوان والله يقول كلا . انظروا الى اليهودى كيف ضربت الذكر صفحا عن قبيلة برمتها من العرب وأخزيتهم وأخجلتهم بآيات القرآن وقرعتهم تقريعا يقرأ لآخر الدهر ولم أبال بأنهم مسلمون وهو يهودى بل نصرت الحق والحق أبلج فان أهل الأرض أمة واحدة وجميع الناس خلقى وأنا الذى صورتهم وأوجدتهم فى أرضى وأنا الذى أنزلت الديانات وحكمت على كل أمة أن تتبع دينا وجعلتكم خير الأمم وأنتم رحمة العالمين فعليكم أن تخالفوا الأمم فى أخلاقها وأن تكونوا أشرف من أوروبا مقاما وأرفع شأنا وأرقى أخلاقا وأوسع اشراقا وأحلى مذاقا وأجل اتساقا وأعظم للحقوق احقاقا

(٢) الفريق الثانى الدول الاوروبية . إن أمم الفرنجة لا تعدل فى القضاء إلا فى رعاياها . ولقد حدث وأنا أؤلف هذا التفسير أن شابا مصريا يدعى على فهمى يبلغ من العمر ٢٣ سنة تزوج امرأة فرنجية من بلاد فرانسا ولم تلبث معه إلا ستة أشهر وبينما هى تعيش معه فى بلاد الانكليز تشاجرت معه فضربته برصاصة من (بندقيتها) فأردته قتيلا فقدمت للقضاء. فأقرت بذلك فحكم القاضى والمحكمون فى المحكمة انها بريئة لا إثم عليها معللين ذلك بأنه كان يؤذيها ويحجزها فى منزله وكان يفعل معها أفعالا تناسلية لا تليق ولم يكن لديها أى اثبات إلا ما كانت تلقيه بلسانها . وبهذا الحكم تقربوا لفرنسا واحتقروا المصريين والمسلمين . فانظر الحكمين وتعجب من العملين أيهما أقرب للانسانية وأيهما يأس بالوحشية هذا هو دين الاسلام وهذه هى المدنية فى أوروبا فالحمد لله الذى وفقنا بهذا الحادث أن تكون الموازنة بين الديانات الشرقية والجهالات الغربية والدعاوى الكاذبة بأنهم قوم متمدينون فلتقومن فى بلاد الاسلام ممالك عجيبة وأمم حكيمة تحقر ما فى أوروبا من سفاسف الأخلاق والجهالة العمياء ويطلعون على القرآن وينظرون فيه بامعان ويكونون هم فى القضاء القدح المعلى وفى حكم الشعوب المقام الأكمل ومار بك بغافل عما يعمل الظالمون — فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . كل فى كتاب مبين — انتهى تفسير المقصد السابع

(المَقْصِدُ الثَّامِنُ)

لَا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ * نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ، وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِنَّ ٱللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ ٱللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللهِ * وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ

ٱللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَٰئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا * وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ ٱللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللهِ قِيلًا * لَيْسَ
بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ ٱللهِ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا * وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ ٱللهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا * وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ ٱللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللهَ كَانَ
بِهِ عَلِيمًا * وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا
صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ * وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا * وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا
كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللهُ كُلًّا
مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ ٱللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا * وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ ٱللهُ غَنِيًّا حَمِيدًا * وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا *
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ ٱللهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ قَدِيرًا * مَنْ كَانَ يُرِيدُ
ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ ٱللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ ٱللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَٱللهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا * بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا * إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *

وفى هذا المقصد أربعة فصول

الفصل الأول اكمال القول على العدل فى الأحكام وذلك بذم المحاماة عن الكاذبين الخائنين وعن

التزوير سرا لنصرهم ومدح شرف النفس ونصر الحق والحضّ على الصلح والبرّ والمعروف والصدق بدل مالاخير فيه من تزوير المحامين وفيه بيان عدل الله الذى هو المنهج الذى يقتدى به عباده فى العدل فى أفعالهم وأحكامهم وكيف جعل أمره غير خاضع لارادة أحد من المسلمين والأمم السالفة بل من يعمل سوأ يجز به الى قوله تعالى ـ وكان الله بكل شئ محيطا ـ

الفصل الثانى فى بيان بعض مسائل فى العدل تطبيقا على القاعدة السابقة كالعدل فى يتامى النساء والمستضعفين من الولدان واليتامى وحسن معاشرة النساء من قوله ـ ويستفتونك فى النساء ـ الى قوله ـ وكفى بالله وكيلا ـ

الفصل الثالث فى بيان أن الأمم التى عدم العدل فى أحكامها بين أفرادها تندرس معالمها وتتحلل أجزاؤها ويأتى الله بأمم أخرى تحكمها وتدوسها وتجعلها فى الاذلين وبيان انكار الذات والأهل عند الصدق فى الشهادة حتى لاتتعرض الأمة لأسباب الانقراض من قوله ـ إن يشأ يذهبكم ـ الى قوله ـ فان الله كان بما تعملون خبيرا ـ

الفصل الرابع فى بيان الاخلاص فى الايمان لأن العقيدة هى أس العمل بالعدل الذى شرحه فى الفصول السابقة فجعل هذا العمل أساسا لها فأوضح فيه رذيلة النفاق وموالاة الأعداء مما يجعل القلوب مذبذبة مضطربة لا ثبات لها فلا يكون عدل فى الأحكام ولا صدق فى الشهادات فتزول الدولة ويستخلف الله قوما آخرين من قوله ـ يأيها الذين آمنوا ـ الى قوله ـ أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ـ

﴿ الفصل الأوّل ﴾

لقد أبان فى المقصد السابع كيف يكون العدل فى الاسلام وكيف يذم الله المحامين فى القضايا المزوّرة ومن يزوّرون الشهادات وكيف يلوم القضاة على عدم البحث الدقيق والكشف والتحقيق والأخذ بالأحوط وجمع الدلائل والتروّى فى الأحكام حتى تجمع الأدلة وتعرف كل علة وماعلى المدّعى أوله فأخذ فى هذا المقصد يقول تتميما للمرام وتنويرا للأفهام (لاخير فى كثير من نجواهم) يقال ناجيته سارررته والنجوى أيضا الاسرار فى التدبير يقول لاخير فى كثير مما يتسارّ الناس به ويدبرونه سرّا سواء كان المتسارّون قوم طعمة أوغيرهم (إلا) نجوى (من أمر بصدقة أومعروف أواصلاح بين الناس) فالنجوى للصدقات خير وللمعروف وهو كل مايستحسنه الشرع ولاينكره العقل خير كالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوّع وتدبير الحرب وحفظ البلاد والثغور وما أشبه ذلك فالمعروف أعم من الصدقة والاصلاح بين الناس خير فالنجوى اذن على قسمين نجوى للشرّ ونجوى للخير فالشرّ محذور والخير متبع (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أى ومن يفعل هذه الأشياء المذكورة طلبا لرضا الله فان الله يكافئه بالأجر العظيم وقد رتب الأجر العظيم على العقيدة النفسية بأن تكون جميع الأعمال صادرة لغرض الخير المغروس فى النفس لأن الحياة الدنيا يرادمنها نموّ الملكات الفاضلة فى النفوس فاما بذل المال أوالعلم بلا قصد شريف فانما يكون أشبه بهبوب الهواء على ذرات الهباء وما الأعمال إلا ثمرات القلوب فاذا لم يكن العمل منبعه القلوب لم تتربّ الارادات فى النفوس ولم يكن لها إلا النصب فى الانفاق والتعب والمشاق بلا نموّ فى الأخلاق ولا رقى فى الشعور والوجدان

ولما كانت المناجاة بالشرّ تابعة لما فى النفس من شقاق كما ان المناجاة بالخير تتبع مافيها من وفاق لأن العقيدة أس الأعمال فلاخير إلا بالعقائد ولا شرّ إلا منها حاصل وكان الذى يجمع الأمم اتحاد عقائدها والذى يفرّقها تشتيت آرائها أردفه بذم انشقاق الألفة الجامعة فى الأمم الاسلامية فقال (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فكل من المتخالفين فى شق غير شق الآخر (من بعد ماتبين له الهدى) ظهر له الحق (ويتبع غير سبيل المؤمنين) غير مامهم عليه من اعتقاد أوعمل (نوله ماتولى) نكله فى الآخرة الى ماتولاه

فى الدنيا (ونصله جهنم) نلزمه جهنم وأصله من الصلى وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) جهنم واذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين ممنوعا كان اتباع سبيلهم واجبا وهذا دليل على أن الاجماع من الأدلة الشرعية . ولما كان اتحاد الأمم مبناه اتحاد الفكرة فاذا كان المعبود فى نفوسهم واحدا اتجهوا لغرض واحد واذا تفرقت الأهواء تفرقت الأمم أردفه بذكر التوحيد وكأنه يقول ان تفرق الأمة فى أعمالها واختلافها فى أغراضها راجع الى مافى القلوب من الاختلاف ومافى النفوس من الأهواء فأما اذا اتحدت العقائد وانتظمت الآراء فان الأعمال تكون على مقتضاها اتحادا والتئاما فقال (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) ومدار الأمر على الوحدة العقلية والوحدة العقلية تتبعها الوحدة العملية فأما تفاصيل الأعمال وتباين الأحوال من طاعة وعصيان مع ثبات العقيدة الأصلية فليس بمانع من الانتظام العام فقد يغتفر فى الفروع ما لايغتفر فى الأصول فالشرك لاغفران فى اعتقاده والمغفرة قد تكون فى الأحوال العملية فليس كل ذنب موجبا زلزلة القواعد ومامثل القواعد الايمانية إلا كمثل القواعد المنزلية فى البيوت المبنية فان زالت القواعد هدم البناء ألم تر الى قوله تعالى ـ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ـ فالقواعد أصول العقائد والبناية الأعمال العامة الحافظة للمجموع وبزلزلة القواعد يسقط البنيان ويكون الخزى فى الحياة والعذاب فى الممات فهكذا هنا ذكر اتحاد الأمة وعدم مخالفتها وبين سبب ذلك وهو تكوين الوحدة الفكرية وان هدمها هدم ذلك البنيان وهذه المسألة هى الأصل الذى بنى عليه قدماء الفرس ادخال النحل الكثيرة فى الاسلام والمذاهب المعتدة تفريقا لكلمة العرب وتشتيتا لشملهم وهى هى التى اختارها البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا لما أرادوا غزو المسلمين فى الأندلس فقد قرروا فيما بينهم أن لانجاة من المسلمين ولاغلبة عليهم إلا بتحويل عقائدهم وادخال الشك فى قلوبهم وتعليمهم الالحاد واحتقار الديانات والاستعانة على ذلك بتغيير أزيائهم وادخال المعاصى الظاهرة من الزنا والخمر عليهم وتعويدهم الترف والنعيم حتى تزول تلك العصبية ويأتى جيل سهل الانقياد سريع الانفعال فننقض عليه فنخرجه من أرضنا وقد تم ذلك فى ثلثمائة سنة ونجح الغربيون فى تشتيت شمل العرب المسلمين كما نجح الفرس ببث العقائد المختلفة فمزقوا الأمم شيعا وأصبح بأسهم بينهم شديدا فلذلك تجد التنديد على الشرك فى هذه الآيات بعد أن ذكر الاتحاد وأكده فقال (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق وانما كان بعيدا عنه لأن القلوب تختلف تبع ما اختلفت فيه فكل يتبع ماأحبه وعبده فمن عبد اللات أو العزى أومنات فقد انصرف قلبه الى ماعبده وكره سواه فيكون لكل صنم جماعة فتتفرق الشيع فلا يكون اتحاد فتضطرب الأمم تلك الأمة لعدم اتحادها ولذلك أعقبه بقوله (ان يدعون من دونه إلا اناثا) وهى الأصنام المذكورات فقد كانوا يقولون أنثى بنى فلان فيسمون الصنم بلفظ أنثى ولا جرم أن الأنثى منفعلة والرب يكون فاعلا لا منفعلا ثم ذكر سببه فقال (وان يدعون إلا شيطانا مريدا) المريد والمارد المتمرد العاتى الخارج عن الطاعة فاتباع الشيطان سبب فى عبادة الأوثان وعبادة الأوثان سبب لترك التوحيد المبنى عليه تفريق الألفة وتشتيت الشمل ثم وصف الشيطان بوصفين آخرين وهما انه ملعون يضل بعض الناس ويقذف فى قلوبهم الأمانى الباطلة ويأمر بتغيير خلق الله كأن يشقوا آذان الأنعام الخ وهذا قوله تعالى (لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) أى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء (ولأضلنهم) عن الحق (ولامنينهم) الأمانى الباطلة كطول الحياة وأن لابعث ولاعقاب (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) ليشقنها لتحريم ما أحل الله كما كانت تفعل العرب فى البحائر جمع بحيرة والسوائب جمع سائبة

(١) وقد كان العرب يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على

أنفسهم الانتفاع بها

(٢) والنساء يأتين بشعر غير شعرهن يصلنه به وهؤلاء يسمين الواصلات

(٣) ومنهن الواشمات اللاتى يلوّن أجسامهن بلون الخضرة بغرز الابر فى الجلد وهو الوشم

(٤) ومن تغيير خلق الله الاخصاء وقطع الآذان وفقء العيون

(٥) وكانت العرب اذا بلغت ابل أحدهم ألفا عور عين فحلها

(٦) ومن تغيير الخلق التخنث

(٧) ومنها عبادة الشمس والقمر والكواكب التى خلقت للمنفعة فجعلوها معبودة

وهذه هى أنواع تغيير الخلق التى ذكرها المفسرون الاجلاء

فترى أنسا يكره اخصاء الغنم لأنها تغيير خلق الله وأدخلوا فى هذا السحاق واللواط لأنها تغيير لوجهة خلق الله والفعل الطبيعى الأصلى وهذا هو قوله تعالى (ولآمرنهم فليغيرنّ خلق الله) عن وجهه وصورته أوصفته (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا) إذ ضيع رأس ماله (يعدهم) ما لا ينجزه (ويمنيهم) مالا ينالون (ومايعدهم الشيطان إلا غرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومهربا من خاص يحيص اذا عدل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله ومن أصدق من الله قيلا) ظاهر تفسيرها ثم قال (ليس) ماوعد الله من الثواب لينال (بأمانيكم) أيها المسلمون (ولا بأمانى أهل الكتاب) وانما ينال بالايمان والعمل الصالح . ذلك أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون . كلا . نحن أولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة (من يعمل سوء يجز به) عاجلا أوآجلا * وروى أنها لما نزلت قال أبو بكر فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أما تمرض أما تحزن أما يصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هوذاك وهذا الحديث لم يرد فى الصحيحين وفى اسناده ضعف (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أوأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) لا ينقصون شيئا من الثواب (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه (وهو محسن) آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم) وهى الموافقة لدين الاسلام (حنيفا) مائلا عن سائر الأديان (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخلة من الخلال لأن الودّ يتخلل النفس ويخالطها (ولله مافى السموات ومافى الأرض وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدرة فيجازى الناس على أعمالهم فلا يذر أحد من عباده إلا حاسبه لا فرق بين مسلم وغير مسلم ويهودى ونصرانى . انتهى التفسير اللفظى للفصل الأوّل من هذا المقصد

وهنا لطائف . اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ـ فليغيرن خلق الله ـ . اللطيفة الثانية فى الشيطان . اللطيفة الثالثة ـ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ـ

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

لقد اطلعت فى هذا التفسير على ماقاله المفسرون فى معنى تغيير خلق الله وانه حرام وذهبوا مذاهب ترجع الى وصل شعر أو وشم جلد أوفقء عين جمل أوشق أذن أوتحريم بهيمة لها عمل نافع بأن ولدت أربعا والخامس ذكر أوتخنث أوسحاق أولواط أواخصاء كاخصاء العبيد فكل ذلك تغيير خلق الله . وياليت شعرى ان كل ذلك إلا فى التغيير الظاهرى والتشويه الجسمى فيجرّ الى فسوق تارة كالوشم ووصل الشعر أوتحريم أخرى كالمشقوقة الأذن يحرّمونها عليهم

واعلم أن أهم تغيير خلق الله ما سأذكره لك هنا وهو تغيير وجهة الفطرة الانسانية ألا ترى أن الله خلق في كل قطر من أقطار الأرض أناسا لهم مزايا في أممهم و بعبارة أخرى أن كل أمة أشبه بجسم الانسان ففيها من هم كالسمع وكالبصر وكالشم وفيها من هم كاليد أوالعقل فالاستعدادات في الأفراد تختلف كالاختلاف في الأعضاء في الجسم الواحد ولقد وضحت هذا في سورة البقرة عند قوله تعالى ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ـ ان الناس قد اختلفوا في فطرهم وقابلياتهم فيجب أن يوضع كل في مكانه الذي استعدّ له . فعلى مجالس النواب في الأمة أن يأمروا بأن يوضع كل في مكانه الخاص به وعلى المدرّسين أن يمتحنوا التلاميذ بالعدل و يضعوا كلا في العلم الذي غلب على عقله حتى يستخرج من الأرض ثمراتها فمن نقص تلميذا درجة فقد غير خلق الله ومن وضع موظفا في غير وظيفته فقد غير خلق الله ومن لم يلاحظ الاستعداد فقد غير خلق الله والحكومات التي لا تلاحظ الشبان فتتركهم وشأنهم بلا زواج فقد غيرت خلق الله بالسكوت عن عقابهم ماليا بضرب ضريبة على الأعزب كما في بعض الدول الغربية وأمم أوروبا التي أغارت على بلاد الشرق فأكثرت من الأخلاق الرديئة وغيرت في أوضاع الأمم فقد غيرت خلق الله فمنعت العلم عن الشرقيين وحرّمت النبوغ على بعض المسلمين

واذا كنا بشق أذن بهيمة وفقء عين جمل ووشم جلد قد غيرنا خلق الله وهكذا بتحريم بهيمة كأن حرّمنا على أنفسنا أكل لحمها أوركوب ظهرها قد غيرنا خلق الله فما بالك بتحويل ماهو أرفع مقاما وأوفى زماما وأعلى شرفا وهي الفطر الانسانية فنذر العقول الكبيرة من أبناء البلاد في أعمال صغيرة فربما اتفق أن يكون العامل في الحقول أبرع من الوزير في السياسة لو انه وضع من صغره في الدراسة وربما كان في دست الوزارة من لا يصلح إلا لأعمال الفلاحة فلكل من الناس عمل يوافقه وطريق أنسب له وكم في البلاد الاسلامية من أيد عاطلة وعقول نائمة وأفكار خامدة فاذا أنزلنا عليها ماء العلم اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج

﴿ حكمة في العقل والمعدة ﴾

ولعلك ترى أن العقل يطالبك في كل آن بلذاته ويؤنبك في كل حين على حرمانه ويقول لك اذا وقفت على شجر أونظرت الى حجر أوسموت بوجهك الى قمر أو شخصت بعينك الى كوكب سيار أوراقبت طائرا وقد طار يقول لم أعطيت المعدة شهوتها ومنعتني وراقبت الغذاء وتركتني وذكرت شهوة نفسك ونسيتني ماهذا النجم الثاقب وماهذا الجبل الشامخ وكيف تزلزل الأرض زلزالها وما أسبابها وماتاريخ هذه الجبال وما أسباب هذا الجمال ولم جئنا في هذا الوجود ولم كان العابد والمعبود ولم ترى الديانات تأتي بعجائب خافيات وحياة بعد الممات وحشر وحساب ونعيم وعقاب كل ذلك خفي أمره عليّ فكن لي ولا تكن عليّ وانظر نظرة اليّ حتى أعرف هذه الحقائق فأنا أولى من المعدة الجبارة وأنا أحقّ بهذه المهارة . انتهى كلام العقل . ثم ان عقلك يخاطبك بهذا الخطاب وأنت تجيبه بالسكوت ولكن الله يقول على لسان الشيطان ـ ولآمرنهم فليغيرنّ خلق الله ـ فخلق المعدة فينا لم يغير خلقنا وانما نحن أغرنا على العقل فأطفأناه وغيرناه

أقول ان الجهل بهذه الأمور وأمثالها على المستعد حرام بل ربما كان من الكبائر وأقل مافيه انه فرض كفاية ولا كفاية اليوم في الأمم الاسلامية فالذنب واقع على الجميع . وربّ جهل عند عمرو لا يعدّ ذنبا وجهل عند خالد يعدّ ذنبا على حسب استعدادهما واذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تعدّ عليهم أنفاسهم و يستغفرون الله من ذنوبهم فهكذا ذوو العقول الكبيرة يحاسبون عليها حسابا عسيرا . واعلم أن علماء الاسلام تفطنوا لهذا وقالوا من عنده قدرة في علم نافع وجب عليه فهذا دليل على أن الأمة فكرت في هذا إذن يكون حراما على القادر ولا يحرم على العاجز أن يترك ذلك العلم . وانظر الى الأمم الاسلامية

كيف تركت العقل والعلم فانظر ماذا فعل الله فيها سلط عليها الفرنجة . ذلك أن الله لم يخلق شيأ إلا لمنفعة فاذا فاتت المنفعة زال ذلك الشئ والعضو اذا ترك استعماله أصابه الضمور واذا استعمل قوى وجرى فيه الدم هكذا العقول الانسانية اذا سلط الله على الأمم رؤساء جهالا فأفهموا الشعب ألا يفكر أبناؤه كما حصل للمسلمين أخذت القوة العاقلة تذهب شيأ فشيأ كما ذهبت من الحيوانات الداجنة وتحوّل ذلك العقل الى المفكرين من رؤساء الفرنجة كما حوّله الله من الحيوانات الداجنة الى أخواتها الحيوانات الوحشية . والله لايعطل الوجود لأجل جهل المسلمين ولم يخلق الله ملكه لقوم كسالى عاطلين نائمين الملك ليس بمعطل شمسه تجرى وقمره وكواكبه وأنهاره وحيوانه فمن خالف هذه القاعدة كبعض المسلمين اليوم أذله الله لأنه غير خلق الله بل أجل خلق الله وهو العقل بل ان هذا من أولئك الذين قال الله فيهم — من قبل أن نطمس وجوها فنردّها على أدبارها — وأىّ طمس أشدّ من طمس العقل وما الوجه إلا مرآة له وهو الأصل والوجه هو الفرع . إن تغيير خلق الله العقلى ظاهر اليوم فى بعض الأمم الاسلامية وطمس العقول واضح وقد آن أن يبدّل الله الحال ويرجع لهم مجدهم وتستنير عقولهم ذلك هو الذى سيكون ولله عاقبة الأمور هذا ولتقرأ ما كتبته على قوله تعالى — لا يكلف الله نفسا إلا وسعها — فى سورة البقرة

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

جاء فى هذه الآيات أن الشيطان مريد أى عات خارج عن الطاعة وانه أقسم أن يتخذ له من عباد الله جماعة من نصيبه ويجعلهم من حاشيته فان أمرهم أطاعوا وان وعظهم بالوسوسة اسمعوا له وان قال أيها الناس قطعوا آذان الأنعام فعلوا أوغيروا خلق الله بتشويه الجلد ووصل الشعر وتعطيل العقول أخلدوا اليه واطمأنوا وهو الذى أمر الأمم الكبيرة كالفرنجة أن يطؤا بأقدامهم على رؤس الأمم الصغيرة فى الشرق ويحرموهم من العلوم والصناعات ويسلبوا أموالهم كل هذا بأمر الشيطان . فياليت شعرى أى مخلوق هذا وهل هو حىّ برزق أم هو صورة يقصد بها ضرب الأمثال والتقريب من العقول والتلطف فى القول

لقد بحث العلماء فى ذلك بحثا دقيقا ونقبوا فى الشرق والغرب عن هذا الشيطان فأنكر قوم وجوده وقالوا ليس هناك إلا نفوسنا وأخلاقنا واستعدادنا وأن الذنوب على حسب الاستعداد والقوى . وقال آخرون كلا فان الأمراض التى تأتى الينا على حسب استعدادنا ظهر اليوم انها من حيوانات حية فالحمى والجدرى والحصباء وسائر الأمراض التى نستعدّ لها لاتحصل إلا بتلك الحيوانات الذرّية التى تتوالد وتتناسل فينا ونحن غير شاعرين بها ولاعالمين وفى أجسامنا آلاف آلاف الآلاف من الحيوانات الذرية الصغيرة التى تعيش فى الدم كأنها جنود مجندة بالسلاح وكأنها حوافظ لأجسامنا تقيها عاديات الدهر ومزعجات الليالى وصروف الزمان وبينما هى آمنة فى سربها ساعية فى معاشها هادئة فى أماكنها اذا حيوانات غريبة هاجة عليها فيقتتل الطرفان ويتلاقى الجمعان ويتضارب الشجعان ويتدخل الحزبان ويكثر الطعان والنزال وقد كسرت القنا على القنا وموج المنايا حولهنّ متلاطم فتنجلى المعركة عن قتلى من الطرفين وجرحى من الحزبين فاما الانسان منا أوالحيوان فيكون قد ارتفعت درجة حرارته من هول الحرب فى الميدان ويكون المرض على حسب الحيوانات الهاجة فتارة يقال انها حمى وتارة يقال حصباء وأخرى يقال جدرى وماأشبه ذلك مختلفا باختلاف الحيوانات الهاجة فأما الحيوانات البيضاء التى فى الجسم فانها تدافع بأمانة وشرف حتى اذا غلبت على أمرها وسلمت للموت أنفسها هنالك تظهر الأمراض من جدرى وحصباء وأنواع الحمى المختلفات

هذا فى الأمراض المعروفة التى لم يكن ليصدّق العقل أن هناك حيا يرزق داخل أجسامنا ولا أن هناك مخلوقا يتدخل فى أمور أمراضنا فما بالك بالأمراض العقلية والآراء النفسية والنزعات العقلية والأكاذيب الانسانية والأفعال الشيطانية فربما كان هناك عوالم تفعل فى عقولنا مافعله الذباب فى أعيننا ألا ترى أن

الذبابة لاتقع إلا على العين القذرة والجلود الوسخة ومتى وقعت هناك باضت بيضا فى تلك الأماكن فكان دود فرض فالاستعداد هو الذى أغرى الذباب فكان الديدان لجاء المرض والناس ساهون لاهون كما دخل المرض أجسامنا باهمال النظام فى الشراب والطعام فكانت الحمى وكان الحمام

لامانع فى العقل يمنع من وجود الشيطان وانه يلقى الينا الوساوس وأصناف الأحلام ولكن الامكان غير الوقوع والاحتمال غير التحقيق هنالك ظهر قوم وقالوا ليس الشيطان محتمل الوقوع فحسب بل هو عالم موجود فى هذا الوجود وكما ان فى العالم ملائكة ففيه شياطين

فهذه النفوس البشرية اذا ماتت هى وأمثالها من العالم المشابه لعالمنا لاتذهب شعاعا ولا تكون ضياعا ولا تكون سدى أو يلحقها الردى . كلا بل هى حية تسعى ولها فى العالم أعمال إذ لا عاطل فى الوجود فكل انسان فى هذه الحياة بعد موته يصبح مغرما بما خلق له فى الحياة فيلزم النفوس التى على شاكلته ويوسوس بالشر أو يلهم بالخير على مقتضى سجيته . فكل امرئ اليوم اما فاضل واما ناقص فالناقص شيطان محبوس فى قفصه الجسمى والفاضل ملك ممنوع عن مكانه العلوى فاذا خرجا من سجنهما انطلق كل منهما الى مكانه ورجع الى اخوانه وسار معهم فى سبيله فيكون اما ملهما للخيرات واما موسوسا بالسيئات

قال الفخر الرازى فى سورة ابراهيم عند تفسير قوله تعالى ـ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ـ الآية وذكر بعض العلماء فيه أيضا احتمالا ثالثا وهو أن النفوس البشرية والأرواح الانسانية اذا فارقت أبدانها قويت فى تلك الصفات التى اكتسبتها فى تلك الأبدان وكملت فيها فاذا حدثت نفس أخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة فى بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق بسبب المشاكلة الحاصلة بين هذا البدن وبين ما كان بدنا لتلك النفس المفارقة فيصير لتلك النفس المفارقة تعلق شديد بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن ومعاضدة لها على أفعالها وأحوالها بسبب هذه المشاكلة ثم ان كان هذا المعنى فى أبواب الخير والبركات كان ذلك الهاما وان كان فى باب الشر كان وسوسة . انتهى

وقال فى اخوان الصفاء الجزء الثالث صفحة ٣٦٢

واعلم أن النفوس المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة فاذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل كذلك النفوس المتجسدة الشريرة هى شياطين بالقوة فاذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل فهذه النفوس الشيطانية بالفعل توسوس للنفوس الشيطانية بالقوة لتخرجها الى الفعل كما قال تعالى ـ شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ـ فشياطين الانس هى النفوس المتجسدة الشريرة أنست بالأجساد وشياطين الجن هى النفوس الشريرة المفارقة للأجساد المحتجبة عن الأبصار

وقال قبل ذلك ما ملخصه . ان هذه النفوس الشريرة لما فارقت الجسد وكانت معلقة بالدنيا وسلبت الحواس وآلات اللذات حزنت وتمنت لو رجعت للذات كرة أخرى فحينئذ تصبح النفس كأنها لاحية ولا ميتة كما قال تعالى ـ لايموت فيها ولا يحيا ـ وتقول ـ ياليتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل . ياليتنى كنت ترابا ـ ـ هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ـ وقال تعالى ـ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ـ لما ركب فيهم من الأخلاق الشائنة وتبقى تلك النفوس متعلقة بأبناء جنسها المتجسدة توسوس لهم وهكذا . انتهى ملخصا من اخوان الصفاء

وان شئت فارجع الى ماذكرته فى سورة البقرة عند قوله تعالى ـ فذبحوها وما كادوا يفعلون ـ وكيف بينت هناك أن الفرنجة قد بحثوا فى هذا الموضوع بحثا أوسع نطاقا وكيف قامت دولة أمريكا وانكلترا وفرانسا وألمانيا وايطاليا وجميع دول أوروبا وبحثوا فى حادث الأرواح ونقبوا ورفعت عريضة فى القرن الفائت لمجلس

الأعيان فى أمريكا من ١٥ ألف رجل يطلبون معرفة الحوادث الروحية التى حدثت فى بلادهم مثل ظهور أشباح وأرواح وكيف قامت الجمعيات العلمية وأثبتت أن هذا حق وأن أرواح الأموات هى التى فعلت ذلك وكيف أيدت جمعيات فى أوروبا رسميا من جهة الحكومات أنفسها ماقاله أهل أمريكا وصدقوا أقوالهم . كل هذا والمسلمون ناعسون نائمون لايدرون ماذا يقول العلماء فى مثل هذه الآيات وانما شأن المسلم أحد أمرين اما أن يسلم بالقول تسليما وهم الجهلاء واما أن ينكره انكارا ويقول كل هذه أكاذيب وماهى إلا أضاليل ليقال انه عالم عظيم ومحقق كبير فلا هو ولا من قبله عالمان كلاهما مغرور وكلاهما جهول بل يجب التوقف فى الأمر حتى تنجلى الحقائق وتظهر الدقائق فالكبرياء تنفع لاقناع الناس بأن الانسان فيلسوف ولكن العقل البشرى والفطرة الانسانية أجل من أن تخضع لتلك الترهات بل لاتزال تطالب بالبينات

وقال العلامة اوليفر لودج العالم الانجليزى الشهير فى خطبة خطبها فى الحياة بعد الموت وذلك فى أيام الحرب العظمى . كل العظام الذين ماتوا كانوا يرتاحون الى مناجاة المدركات العليا أكثر مما يرتاحون الى الامور الدنيوية الى أن قال انى تحققت أن بعض أصدقائى الذين ماتوا لايزالون موجودين إذ انى قد ناجيتهم ومناجاة الموتى ممكنة الى أن قال وقد حادثت أصدقائى الموتى كما أحادث واحدا من الحضور وقد كانوا فى حياتهم من أهل العلم ولذلك برهنوا لى براهين قاطعة (نشر بعضها وسينشر البعض الآخر فى حينه) انهم هم أنفسهم كانوا يحدثونى وانى لست واهما . ان ذلك حقيقة أنا مقتنع بها وبصحتها بكل مافى من قوة الاقتناع انى مقتنع بأننا لانضمحل عند الموت وان الموتى يهتمون بامور هذا العالم ويساعدوننا ويعرفون أكثر مما نعرف بكثير ويقدرون على مناجاتنا أحيانا الى أن قال وذلك مايبعثنى على القول ان الانسان ليس منفردا بل تحيط به مدركات أخرى

وقال فى اخوان الصفاء المتقدم ان الأرواح بتعليمها للبشر تزيد ارتقاء فى عالمها كما ان الاستاذ بتعليمه التلاميذ يزيد ارتقاء وثباتا فى علمه

وانما نقلت لك كلام الأوائل والأواخر فى هذا المقام لتطلع على آراء الأمم قديما وحديثا ولتعلم أن العقول الانسانية لها مرام واسعة عظيمة المدى لم تقف عند مشاهدات الأبصار بل استعملت البصائر فان كفاك ما ذكرناه فى اعتقاد الملائكة التى كانت تساعد فى غزوة بدر وأحد وفى اعتقاد الشياطين التى تأمرنا أن نقطع آذان الأنعام ونشق الوجوه والأجسام ونخصى العبيد ونغير خلق الله فيها ونعمت والا فاحذر أن تقف موقف المدعين الذين يقولون قد عرفنا كل شئ واحذر من الكبرياء وانما عليك أن تجد وتبحث لتزداد علما والطريقة المثلى لذلك . أن لايتكل المسلمون على آراء الغربيين ولا آراء القدماء من المسلمين وانما عليهم أن يبحثوا أنفسهم حتى اذا رأوا حقا أثبتوه أو رأوا باطلا رفضوه . هذا هو الواجب على المسلمين ولعمرك مادهى هذه الأمة إلا الكبرياء واظهار العظمة جهلا وزورا فيكتفى الجاهل منهم بقوله — ان هذا إلا أساطير الأولين — وهذه انما هى خرافات فاياك أن تكون من المغرورين تصديقا أو تكذيبا فتوقف حتى تهتدى بنور عقلك الباحث فى العوالم المطلع على طرق البحث المنقب المجد — والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين — واعلم أن هذا المقام سأكتفى به فى كل مقام يناسبه فى مباحث الشياطين والملائكة وفى الوسوسة والالهام وان أردت الزيادة فعليك بكتاب الأرواح الذى ألفته لهذا الغرض

﴿ اللطيفة الثالثة — ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب — ﴾

لقد علمت أن المسلمين كانوا يفتخرون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبكتابنا وهو القرآن وان أهل الكتاب كانوا يفتخرون بأنهم أقدم عهدا وأرسخ مجدا فجاءت هذه الآية وكذبت الطرفين وأخرست الحزبين وهذه احدى نكبات المسلمين ورزايا المسيحيين لقد اغتر المسلمون اغترارا فاضحا فناموا وجهلوا

جهلا فاحشا فحقروا

يزعم المغرورون الطائشون من أهل العلم ومن على شاكلتهم من الجهال فى الاسلام أن الانتساب للاسلام كاف لانقاذهم فساء فألهم وقل جمعهم وضل سعيهم فهم أشبه بمن قال الله فيهم — الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا — ومن قال فيهم أيضا — وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون — ولعل ما نقلناه عن الأمم فى الشياطين والملائكة يكفينا فى هذا المقام أفلا ترى كيف يقول علماؤنا كالامام الرازى واضرابه وعلماء الأمم أن الانسان بعد الموت يكون على حسب أخلاقه فى الحياة فالمسلم بعد الموت هو الذى كان حيا فاذا كان فى الحياة الدنيا ساهيا لاهيا جاهلا أو فاسقا ذهب الى ذلك العالم أعزل من السلاح مجردا من قوة الكفاح فنزل الى مصاف الخدم والعبيد ولا ينفعه الانتساب الى أولى الألباب — فمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى — فاذا ظن المغرورون أن انتسابهم للاسلام يرفع وحده من شأنهم فقد خاب فألهم فلا الاسلام وحده يرفعنا ولا الأمانى تعيدنا ان الأرواح جاءت هذه الأرض لتستكمل حظها وترفع قدرها وتكمل فى أوصافها وتتصل بأجنحة معنوية تطير بها فى تلك الساحات وتسافر بها فى تلك الباحات فبالعلم أجنحتها وبالعمل قوتها وبالاحسان سعادتها وبالمحبة شرفها فاياك أن تكسل فى الأعمال واياك أن تتوانى فى منفعة الأمة واياك أن تقبض يدك عنها جد فى اعلاء شأنها وأحب الناس جميعا وتكن أخا كريما وأبا للناس رحيما ان الله رحيم فكن بأخلاقه متخلقا واعلم انك خليفته فى الأرض فان نمت فعلى نفسك وان نهضت فعلى أسرتك وأهلك وقرابتك وامتك وسائر الأمم فاذا قدرت على نفع سائر الناس فافعل فكلهم عباده وكن رؤفا بالحيوان ساعيا جهدك فى ترقية الأمم موجها وجهك لله ذى الجلال

والا فبالله ماهذه الغزوات والجهاد وماهذه التكاليف والأعمال وماهذه الحياة التى اتصفنا بها وهى ملأى بالآلام محفوفة بالأخطار كل ذلك لاقتناص الكمال بالعلوم والأعمال . انتهى الفصل الأول فى هذا المقصد

﴿ الفصل الثانى ﴾

روى أن عيينة بن حصن أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا أنك تعطى الابنة النصف والأخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام بذلك أمرت وكذلك حديث بنات كخة وقد تقدم فى أول السورة * وأيضا كانت اليتيمة تربى فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال ويعطيها أقل من صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها فلا يتزوجها وربما لا يزوجها غيره حرصا على مالها فيحبسها عن الزواج حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك كله وقال (ويستفتونك فى النساء) فى ميراثهن (قل الله يفتيكم) الافتاء تبيين المبهم وعطف على لفظ الجلالة قوله (ومايتلى عليكم) أى والمتلو عليكم (فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) ما فرض لهن من الميراث (وترغبون أن تنكحوهن) أى فى أن تنكحوهن أو عن أن تنكحوهن فان نكحتموهن فبأقل من الصداق وان لم تنكحوهن لدمامتهن حبستموهن عن الزواج ليبقى المال فى أيديكم . أقول ولعل هناك أحوالا كان لليتيمة فيها مال عندهم حتى لا يتصادم مع ماورد فى هذا المقام أنهم لا يعطون الصغار ولا النساء مالا فقطن لذلك فما تلى عليكم من كتاب الله قد بين لكم ذلك فيأخذن مالهن كاملا وصداقهن كاملا فهذا هو قوله — يفتيكم فى يتامى النساء الخ — (و) فى (المستضعفين من الولدان) يعنى ويفتيكم فى المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لأن العرب فى الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار كما تقدم فنهاهم عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث ثم قال (و) يأمركم (أن تقوموا) أيها الأئمة (لليتامى بالقسط) أن تنظروا لهم وتستوفوا لهم حقوقهم بالعدل فى ميراثهم ومالهم (وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما) فيجازيكم عليه

ولما كان العدل مع الضعاف ليس خاصا بالصداق أو الميراث بل يتجاوز ذلك الى المعاشرة وحسن السلوك فليعدل الرجال مع النساء فى القسم وهذا حتم لازم . ثم ان الطلاق مباح فى الاسلام وان كان هو أبغض الحلال فاذا وجب القسم للمرأة كان الطلاق مسقطا لذلك الحق وتخلص الرجل من المرأة بهذه الوسيلة فليس هناك وسيلة إلا المصالحة بينهما اذا رغبت المرأة فتنزل عن بعض المال أو بعض القسمة فى المبيت لتدوم على أولادها مثلا أوفى عصمته فيكون الصلح خيرا من الفرقة والنفوس مجبولات على الشح مطبوعة عليه فلا المرأة تكاد تسمح بحقها فى المبيت ولا الرجل يرضى بالمبيت عندها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب راحته فليخالف هذا الطبع وليعدل الرجال بين النساء فى القسم وان كان مخالفا لطباعهم فان ذلك احسان وتقوى ولهم ثواب عظيم فى ذلك . والعدل بين النساء فى القلوب لايمكن فالقلب ميل الى واحدة أكثر من الأخرى مهما حرص الانسان فليكن العدل فى العمل واغتفر مافى القلوب إذ ليس فى الطاقة اجتنابه فأما ترك العدل ميلا فى القلب وعملا بحيث لايقسم لها قان ذلك يجعل المرأة كالمعلقة ليست ذات بعل ولا مطلقة . على أن الله اذا افترقا يغنى كلا منهما عن الآخر من فضله وغناه . هذا ملخص مافى هذه الآيات الآتية وهى قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا) توقعت تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها (أو اعراضا) بأن يقل مجالستها ومحادثتها * كما روى أن عمرة بنت محمد بن مسلمة واسمها خولة كانت تحت رافع بن خديج وهى شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الأولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وجواب الشرط قوله (فلاجناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا) كما تقدم ايضاحه (والصلح خير) من الفرقة وسوء العشرة (وأحضرت الأنفس الشح) أى جعل الشح حاضرا لها لايغيب عنها أبدا فهى مطبوعة عليه فكل من الزوجين لايفرط فى حقه . ولما كان الرجال أحق بالفضل خاطبهم الله قائلا (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض عنهن (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم خيرا على هذا الاحسان (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولوحرصتم فلاتميلوا كل الميل) فاذا مالت القلوب التى لاتملك فلتعدلوا فى القسم فى المبيت وهو الممكن * وكان صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ويقول هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) فيما يستقبل من الزمان (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم مامضى من ذنوبكم (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) غناه وقدرته (وكان الله واسعا حكيما) مقتدرا متقنا فى أفعاله وأحكامه فهو الذى يسع جميع خلقه فان اصطلح الزوجان أعطى من سعة فضله من صبر منهما ثوابا وان افترقا أغناهما عن بعضهما بجوده وسعة فضله وكيف لايكون ذلك (ولله مافى السموات ومافى الأرض) ملكا وخلقا فما أعظمهما ومن ذلك أنه سبحانه وصى الناس قبلنا بالتقوى كما وصانا فكما وسعت عطاياه البرايا وسعت وصاياه الأمم فلذلك أعقبه بقوله (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم) معطوف على الذين (أن اتقوا الله) أى بأن اتقوا الله (وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الأرض وكان الله غنيا حميدا) أى وان تجحدوا ما أوصاكم به فان الله خالق السموات والأرض الخ حق على الكل أن يتقيه ويرجوه وكان الله غنيا عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم محمودا على نعمه عليهم (ولله مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا) فاتخذوه وكيلا ولاتتكلوا على غيره . ولقد كرر ذكر السموات والأرض ثلاث مرات وكأنه يقول ملكت السموات والأرض فلأوصى عبيدى لاصلاح شأنهم لأنى أملكهم فان أعرضوا عن وصيتى فأنا غنى بسعة ملكى وقدرتى ولست تاركا أحدا منهم فليتوكلوا علىّ لأنهم جميعا فى ملكى هذه فوائد التكرار . أولعله

لما كانت الأحوال ثلاثة . الحال الأعلى وهى المبيت معهن والرضا بعشرتهن وان كن مرغوبا عنهن . والحال الوسطى وهى أن تتنازل المرأة عن بعض حقها ارضاء للزوج لتبقى معه . والحال الدنيا وهى ان يتفرقا

ذكر ملك السموات والأرض ثلاث مرات ايذانا بأن الله بقدرته وسعة ملكه يقوم بأمر عباده فى كل حال مجازاة بالخير وكفاية لمن توكل عليه لأنه عام الجود واسع العطايا

﴿ لطيفة ﴾

ان الله لما ذكر مسألة الأزواج والنشوز والاعراض والصلح وماأشبه ذلك من الأمور الحيوانية الانسانية ذكر الناس بملك السموات والأرض وكرره كما قدمناه ليذكر النفوس الأرضية بالعوالم السماوية وليفهمهم أنهم لم يخلقوا إلا لمقام أعلى مما هم فيه فأكثر من ذكر العوالم العلوية والسفلية فى مقام الأمور المنزلية الصغيرة ليرفع النفوس من خمودها ويقيمها من مراقدها

﴿ حكاية وحكم ﴾

واذا كنا نرى فيلسوف الهند الذى أرسله ملكهم الى الاسكندر لما فتح بلادهم وهو يحاور الاسكندر فى الخبر المشهور فى التاريخ يعرض عن العالم الأرضى وينظر فى النجوم ويتغير وجهه ويقول أنا من عالم أعلى أنا من السماء فلم أبق فى هذه الأرض فيا أيها من السماء روحى فردّنى اليها فى جوارك

فما بالك بالقرآن النازل لأشرف الأمم أفلا يذكر الناس بالعوالم العلوية والسفلية والكواكب والشموس وهم منهمكون فى الأمور الحيوانية والأعمال الأرضية ويقول الى هنالك خلقتم ولهذا سكنتم الأرض والا فلماذا نرى الأنوار تكتنفنا والنجوم من حولنا والجمال يحيط بنا وكيف نتلهى عن هذا الجمال بما نحن فيه من الأحوال وكأنه عزّوجل يقول أيها الرجال ان جمال النساء والشهوات التى ركزتها فى طباعكم لهن شئ يسير بالنسبة لما ترونه فى عالم الجمال والنور الذى يشرق عليكم وأنتم عنه غافلون فاذا شغلتكم بهذه الأمور وقتا ما فذلك لحكمة وهى أن تستعدّوا لهذا المقام الأقدس بالاختبار فى الأعمال الأرضية ثم أرفعكم الى تلك المنزلة الشريفة

ولعلك تقول ماملخص تلك الحكاية فأقول

لما سار الاسكندر الى الهند ففتحها أرسل له أحد الملوك يقول هل لك أن أرسل لك ابنتى فتكون زوجا لك وفيلسوفا يخبر بكل ماتضمره نفسك من قبل أن تخاطبه أما ابنته فان الوفد الذى أرسله لما رآها حارت أبصارهم فى جمالها وكأنما أغشى عليهم مما رأوا من الحسن والجمال وأما الفيلسوف فان الاسكندر لم يحاوره إلا بالاشارات فأرسل اليه برنية مملوءة سمنا فلما رآها الفيلسوف أتى بابر ووضعها فى ذلك السمن وردّها اليه فلما رآها الاسكندر أخذ الابر وجعلها كرة مصمتة وردّها اليه فلما رآها الفيلسوف أخذ الكرة فجعلها مرآة مصقولة يتراءى فيها كل صورة تقابلها فلما أرسلها للاسكندر وضعها فى إناء فيه ماء فكان الماء فوقها فلما رجعت الى الفيلسوف جعلها كرة مجوفة تطفو على وجه الماء فلما ردّت الى الاسكندر ملأها ترابا وأرجعها اليه فبكى الفيلسوف ونظر الى السماء ونجومها وأخذ يفكر فى مبدعها ويقول مايدل على ولوعه بذلك الجمال وشغفه بالحكمة العالية والعروج الى السماء والخلاص من العناصر الأرضية التى اقتنصت روحه فحبسته عن العالم الباقى فبلغ ذلك الاسكندر فأرسل اليه فحضر ولما دخل وضع يده على أنفه ولم يتكلم لأن الشرط أن يكون كل محاورة معه بالاشارات فحينئذ قال له الاسكندر لم وضعت يدك على أنفك قال لأنى أردت أن أقول لك مافى نفسك وهو انك لما رأيتنى أعظمتنى إذ رأيت جمال صورتى بعد أن عرفت حكمتى فخطر فى بالك انى أعظم رجال الهند فوضعت يدى على أنفى كأنى أقول لك ان الأنف أعلى مافى الوجه وأنا فى الهنود كالأنف فى الوجه قال لقد أصبت أيها الحكيم ففسر لى مادار بيننا . قال الفيلسوف ان السمن

الذى أرسلته لى كأنك تقول ان الحكمة التى أعطانيها الله لاتحتاج لمزيد فأنا مملوء حكمة فوضعت الابر فى السمن كأنى أقول أنا أتلطف وأدخل فى حكمتك حكمة أخرى ولما جعلت أنت الابر فى كرة مصمتة كان معناه أن فتح البلدان والسير فى الأعمال البشرية يعيق النفس الانسانية عن الصعود الى الملكوت فلما جعلتها أنا مرآة تظهر فيها صور المرئيات كان معناه أن نفسك وان شغلت بهذا العالم الثقيل فانى أجلوها فلما جعلتها أنت فى الماء كان معناه أن الحوادث الأرضية تغشى عليها فلما جعلتها أنا كرة مجوفة كأنى قلت لك اننى مع ذلك احتال فأرفع نفسك الى أعلى وان كانت مشغولة بالامور الجسمية فلما وضعت أنت التراب فيها أذكرتنى برجوعنا الى التراب وذهاب الأجل وتذكرت إذ ذاك ذلك الجمال الأسنى والشرف الأعلى فحنت نفسى اليه

فقال له تمنّ علىّ مالا فقال لاينبغى للحكيم أن يأخذ من أحد مالا وانما أنا أطلب منك أن تكون بأهل الهند رحيما وتقفو سنن الله فى الحكمة والعدل والجمال والكمال . وانما ذكرت لك هذه الحكاية لتعلم أن الله لم يكرر ذكر السموات والأرض ثلاث مرات فى هذا المقام إلا ليرفع من شأن الفقهاء فى الاسلام فلا يغترون بالأحكام الشرعية ولايقولون هذا هو دين الله فقط فان هذا خطأ بل يكون المقصد الأسمى ذلك الجمال الأعلى وما القضاء إلا أعمال ضرورية فى الحياة الأرضية فاذا كان الفيلسوف المذكور يتلطف مع الاسكندر ويقول أنا أجتهد فى رفع نفسك وان كانت منغمسة فى الشهوات النفسية وفتح الممالك للاغراض الاستعمارية وأبنت لك الحكمة حتى يكون لك نصيب من الشرف الأعلى والجمال الأقدس فبالأولى القرآن الذى لم يكن رأى حكيم أرضى بل تنزيل من حكيم حميد

فكأنه عزّ وجل يقول أنا ألفت عقولكم وأوجه أذهانكم الى العالم العلوى والسفلى فلايشغلنكم المال ولا البنون ولا النساء وقسمهنّ عن الامور العالية وهذا كقوله تعالى ـ يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ـ ولكن الذكر هنا يكون بالتوجه النفسى لمناظر الجمال الجاذبة للنفس فى مقابلة الجاذبة الحيوانية

أقول وسيكون فى الأمة الاسلامية من يحيون هذه الفكرة فى المسلمين واحياؤها يحيى القلوب فتقلّ المنازعات والقضايا والبينات والخصوم والشهادات فهذا هو المقصد الحقيقى من دين الاسلام بل من كل دين فى الأرض ولذلك أتى فى هذه الآيات بأنه وصى جميع الأمم بالتقوى وقرنها بذكر السموات ليهدى المسلمين الذين يجيئون بعدنا الى أن الجمال فى السموات والأرض والحكم التى تثبت فى العقول هى التى بها تشرف العقول الانسانية ويكون الصفاء والصدق غالبا عليها فأما القضايا والأحكام فانما هى حيلة الأمم العاجزة عن الفضائل الكاذبة الخاطئة فليكن دين الاسلام دين الصدق والجلال والجمال ولذلك ترى الله ذكر فى هذه السورة الشهادة على النفس وعلى الوالدين الخ كل ذلك منبعه ذلك الجمال والصفاء

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

يناسب هنا أن نذكر ملخصا من علوم الديانات السابقة قبل الاسلام ويمنعنا من ذلك ماذكرناه فى سورة آل عمران فى قصة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فارجع اليها . انتهى الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث ﴾

وفيه بيان أن الأمم التى غلبت عليها الشهوات وضلت سواء السبيل وعاشت ساهية لاهية غافلة يذهبها الله ويأتى بقوم آخرين كما قال تعالى ـ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم ـ وبيان الاخلاص والصدق فى المعاملات وأهمها تأدية الشهادة بالحق ولوعلى النفس أوالوالد أوالولد فان الأمم التى لاصدق فى المعاملة بينها تنقضى حياتهم فى الخصومات والمنازعات ولايتفرغون للاعمال الشريفة وتضيع مصالح البلاد وتنقبض

الأيدى عن العمل ويذهب من النفوس الأمل فتأخذها الدول الأجنبية ويحل بها كل بلية وهذا يؤخذ من قوله تعالى (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) أى يفنكم كما أفنى أهل أمريكا بأيدى أوروبا وأهلك أهل الأندلس من العرب وأتى بدلهم بقوم آخرين وهم الأسبانيون وكما يفعل ذلك كل قرن فى الأمم والدول والممالك (ويأت بـ)قوم (آخرين) مكانكم (وكان الله على ذلك قديرا) * من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهدين للغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فما باله لا يطلب أحسن الأمرين وطلب أخسهما وهو المال مع الغفلة عن النظام العام وذلك داع حثيث الى ارتكاس الأمم وذهابها فلا بقاء لأمة يريد رجالها الحياة الحيوانية فان المجموع لا يعيش ولا يسعد إلا بناس يعملون للمصالح العامة بنيات شريفة فأما اذا كان الغرض المنافع الفردية فذلك باب الخراب وموت الأمة (وكان الله سميعا بصيرا) فلذلك يرفع الأمم التى علمت وجهتها ويميت الأمم التى خمدت فكرتها

ومن ارادة ثواب الآخرة الشهادات بالحق وهى من أهم ما يبقى الدول والممالك لاقامة العدل فيها فلا تغنى بالظلم فلذلك قال (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مواظبين على العدل مجتهدين فى اقامته (شهداء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله (ولو) كانت الشهادة (على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) فان المدار على المصلحة العامة وحفظ النظام وبقاء الدولة فليس المقام مقام أفراد يعيشون على مال غيرهم ولكن المجموع مرتبط بعضه ببعض وهو كجسم واحد لو اختل نظام أحد الأعضاء اختل المجموع فرض فمات هكذا أنتم يا معاشر المسلمين ان لم تقيموا الشهادة لله وتراعوا المصالح العامة لا تبقى أمتكم إلا قليلا فاذا كانت الشهادة صادقة وتحملتم المكروه عليكم وعلى أقاربكم وكان ذلك خلقا فى الأمة عاشت عيشة راضية فلا يعتريها الفناء إلا اذا اعتراها هذا الداء والا أذهبتكم وأتيت بقوم آخرين فاياكم أن تقولوا ان هذا الغنى عماله يؤذينى اذا شهدت عليه وان هذا الفقير اذا شهدت عليه اعتراه الأذى فيجتمع عليه الأمران الفقر الطبيعى والحكم المدنى

فالنظام العام يقضى بهدم تلك النظريات ونبذ تلك النزغات (إن يكن) المشهود عليه (غنيا أو فقيرا) فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة عليه ولا تجوروا فيها ولا تميلوا ميلا (فالله أولى بهما) بالغنى والفقير فالمصالح العامة هى التى بها بقاء الأمم (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أى لان تعدلوا عن الحق (وان تلووا) ألسنتكم عن شهادة الحق (أو تعرضوا) عن أدائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم بعذاب الآخرة وعذاب الدنيا الخاص فى أنفسكم

﴿ لطائف ـ اللطيفة الاولى ﴾

كان ينبغى أن أذكر هنا الدول الاسلامية وغيرها التى فنيت بارتكاب الجرائم وقد ذكرت جملا فى ذلك عند قوله تعالى ـ أتستبدلون الذى هو أدنى الخ ـ فى سورة البقرة وفى مواضع أخرى فلا نعيد

﴿ اللطيفة الثانية ـ منظر جميل ﴾

بعدما كتبت ما تقدم قمت الى ضواحى القاهرة لاجتدد النشاط فى الهواء النقى والنظر الى المزارع الخضرة والمناظر البهجة وأستجلى الجمال من وجوه النجم والشجر والبر والبحر وأشاهد آثار الجمال فى الحقول وعظمة الجلال فى مشارق النور فتمثلت فى خيالى صورة عجيبة وهيئة غريبة ومنظر جميل فأردت اثباتها هنا ليحلى بها المقام ويزدان بها جيد التفسير لأنها توضح هذه الآيات فهى حلية حكمية وآية بهية وأسرار خفية أبرزها الله فى هذا الزمان ليظهره على الدين كله ويكون القرآن مجلى المعانى ومسرح الأمانى وبهجة العالمين وشرف الموقنين

﴿ الصورة التى تمثلتها فى الخلوات ﴾

هى أنى تمثلت لى ثلاثة أعمدة من الياقوت بهجات مصطفات صفا وأمامهن عمود من الماس يلمع كالكوكب الدرى وبينهما حبال نورية مشرقة ممتدات من الأعمدة الياقوتية الى عمود الماس وقد علق فى تلك الحبال سفط من البلور الجميل مملوء جواهر بديعة بحيث لو سقطت الأعمدة الياقوتية أو سقط العمود الماسى يسقط

السفط بجواهره على الأرض فيكسر الباور وتنفرط الجواهر فى التراب وتتبعثر فى كل ناحية

(تفسيرها)

اعلم أن الأمم لاتحيا إلا بالمعرفة أوّلا والعمل ثانيا ولايكون العمل صالحا إلا اذا كانت النيات ولا نيات إلا بشوق فى النفوس ولاشوق إلا بالمعرفة فالمعرفة أساس والنيات تتبع المعارف وعلى حسب النيات تكون الأعمال فاذا سمعت الله عزوجل يقول ـ من كان يريد ثواب الدنيا الخ ـ فليس معنى الارادة مايفهمه أكثر الناس وبعض الفقهاء فى الاسلام ولكن النية انبعاث النفوس الى مااشتاقت اليه ورضيته بعد علمها به وكما ان الانسان لايتعاطى الطعام إلا اذا جاع أوّلا وأيقن أن الحاضر لديه موافق لشهوته ثانيا لايشذ عن قابليته فتنبعث إذ ذاك رغبته الى الطعام فتكون النية ثم الأكل

فلانية إلا بعد العلم واذا فكر المهندس فى أنواع البيوت ثم رسم شكلا منها فان الذى رسمه هو الذى استحسنه فى نفسه بعد اعمال الفكر فى أنواع الصور الهندسية فقد سبق العلم بالصور الهندسية النية لعمل الصورة الخاصة التى هى نتيجة تلك المعرفة فيكون الرسم والبناء على صورة منوية تقدّمها علم بشؤون الصور الهندسية هكذا هنا لما ذكر الله عزّوجل معاملة الرجال للنساء من قسم وصلح ونشوز واعراض وما أشبه ذلك أدخل الله فى غضون الكلام أمورا تستوجب النظر وتنبه الفكر . فياليت شعرى ماهذا التكرار للسموات والأرض فى هذا المقام وما مناسبة ان الله قادر على ذهاب الدول واستبدال سواها وأية علاقة لذلك كله بما نحن فيه ولماذا ذكر هنا الارادة وأن منها ماهو أعلى ومنها ماهو أدنى ثم نرى انه كرر السموات والأرض مقدّما وأخر ذكر الارادة وجعل الكلام على استبدال الدول فى وسط الآيات بين العلم بالسموات والارادة فاعلم أنه سبحانه وتعالى كما ذكرنا يريد أن يرينا أن هذه الأحوال النفسية والأحكام الشرعية فى الأعمال الانسانية لايجوز أن تكون سجنا نسجن فيه لئلا تموت نفوسنا فلتصقل بالمعرفة والعلم فتشرق النفوس بالنظر فى السموات والأرض وان كانت فى سجن الطبيعة . واذا كان الفيلسوف المخلوق حاول بفطنته أن يجلو الحديد فيجعله مرآة بهية تارة وتارة يجعله كرة خفيفة والحديد معدن ثقيل مظلم فبذلك حاول أن يجعله خفيفا ومضيئا والخفة والاضاءة من شأن العوالم الجميلة ليجعل ذلك رمزا للنفوس الأرضية فى المحاورة السابقة فلننظر فى هذه الآيات كيف جعل الله عزّوجل النظر فى السموات والأرض مكررا ثلاث مرات أثناء المباحث الأرضية والأعمال الحيوانية التى انغمست فيها النفوس الانسانية أفلا ترى أن النظر فى السموات والأرض المذكور ثلاث مرات أشبه بالأعمدة الياقوتية أوليس قوله ـ من كان يريد ثواب الدنيا الخ ـ أشبه بالعمود من الماس أوليس السفط الذى فيه الجواهر أشبه بالأمّة الاسلامية فاذا لم تتشوّق الأمّة بالعلوم العلوية والسفلية الى معرفة مافى هذا العالم من جمال وبهاء وحكمة لم تنبعث لها ارادات للاعمال الشريفة فاذا سقطت أعمدة العلم أوسقط عمود الارادة خرّت الأمّة ساقطة ـ ولات حين مناص ـ

فاذا سمعت قوله صلى الله عليه وسلم انما الأعمال بالنيات فلتعلم أن النيات لاتأتى بلفظ نويت وانما تأتى بعلوم وأشواق وبحث وتنقيب فاذا قال المصلى ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ فانّ الله لايستجيب الدعاء إلا بحضور القلب بما أثر فيه من الرحمة التى لحظها فى المخلوقات عند قوله تعالى ـ الحمد لله ربّ العالمين * الرحمن الرحيم ـ واذا شرع فى عمل من الأعمال النافعة للأمّة فلايتم على الوجه الأكمل إلا بعلم يتقدّمه والعلم هو الذى يحدث النية فالنية نتيجة العلم والأمّة بين العلم والنية اذا لم يكونا أولم يكن أحدهما خرّت صريعة لليدين وللفم فهذا سرّ هذه الآيات . وهذه صورته

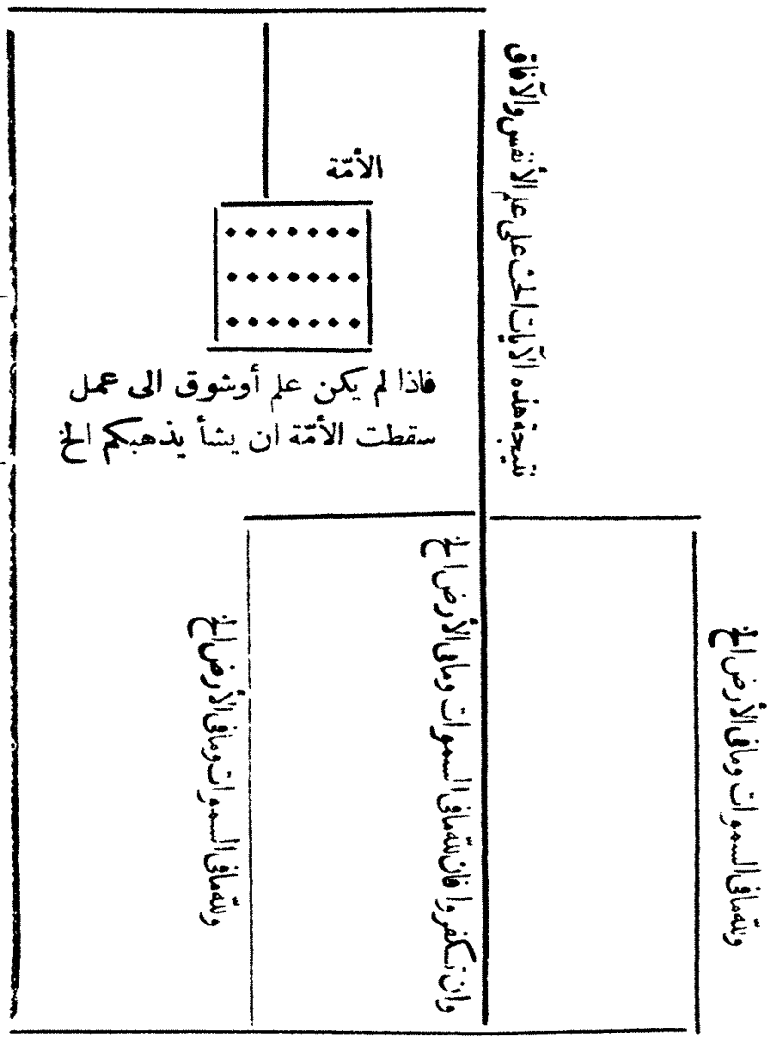

هذا هو الذى خبأه الله فى القرآن وكنزه فى الآيات ليظهر فى هذا الزمان وليكون هناك جيل فى الشرق لم تحلم به الدهور ولم يعلمه الجمهور فأما الفقيه فانه لا يعرف من هذه الآيات إلا أحكام القسم والنشوز والصلح والاعراض وأن الرجل يجب عليه أن يحسن العشرة مع المرأة ويجمع بين الأحاديث ويستنتج ثم يقف عند حد ذلك وأما العالم الاسلامى الذى سيكون فى هذه الأمة بعد الآن فسينظر ويقول انا نرى الله خلق النبات وجعله قوت الحيوان والانسان ومع ذلك قد جعل الله فيه حكما تدق عن العقول يفرح بها العالمون والذى خلق النبات هو الذى أنزل القرآن بطريق الوحى فأنا ان قصرت همى على المباحث الفقهية صرت كالعامة لا يعنينى إلا مثل ما تتعاطاه الدواب ويفرح به الجهلاء فى النبات وان تدبرت فى ذكر السموات والأرض وكيف كررت فى هذا المقام وكيف ذكر ذهاب الدول وانه يأتى الله بقوم آخرين فانى أقول الحق وهو أحق أن يتبع ان هذا القول له مغزى شريف ومعنى رفيع وكما كان فى النبات غذاء الحيوان وحكمة الحكماء هكذا - ولله المثل الأعلى - كان هذا القرآن فيه المسائل الفقهية لنظام الحياة الانسانية وفى نفس الآيات النازلة لذلك أشرقت شمس العلوم ونظام الحكمة وتجلت للناظرين من آفاق الجلال بالحكمة والكمال ولعمرى ان الآخرة خير لنا من الأولى واذا تجلت الحكمة والجلال الأفقى فى العالم العلوى والسفلى قل النزاع وكثر الحب فلا محكمة ولا محاكم ولا نزاع ولا جدال بل يشرق النور على هؤلاء المتشاجرين فالقضايا والدعاوى انما تكون من الجاهلين فالشرع الحقيقى هو العلم الالهى والنظر الحكمى والله يؤتى الحكمة من يشاء - والله واسع عليم - اه الفصل الثالث

﴿ اللطيفة الثالثة ـ عجائب العلم الحديث فى هذه الآيات ﴾

(وبيان مافيها من الرموز والاشارات ومعجزات القرآن فى القرن العشرين)

يقول الله ـ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط الخ ـ يأمرنا اننا اذا قتلنا أو سرقنا أو زنينا ووقفنا تحت آلات القتل تقرّ واذا رأيت أبى واقفا وآلة الشنق منصوبة له أقول ان أبى قاتل ولا أخجل ولا أخاف كل ذلك يأمرنى به الله . يأمرنا الله بما لم يشهد أحد عمله إلا نادرا جدا وليس فى النوع الانسانى من يبادر الى ذلك إلا فى النادر ولكن الله سبحانه انما يريد أن يعيش الناس بسلام ووئام ويكونوا اخوانا لتحلو الحياة ويكون الصفاء

فهل لك أن تسمع من العلم الحديث والكشف الغريب مايجعل هذا الاقرار أمرا متداولا . هل لك أن تقرأ مارسمته الدول المعاصرة لنا وما كشفوه فى هذا المقام حتى تحكم أنهم اذا ساروا على هذا المنوال سنين أصبح مايقوله الله الآن أمرا معتادا ويقرّ الانسان على نفسه وعلى أمّه وعلى أبيه وعلى قريبه وعلى ملكه وعلى اللص الذى سرق معه بل يصبح الناس لا سرقة عندهم ولا قتل إلا نادرا ويزول الكذب فى الشهادات وتصدق الأحكام . فلأذكر لك ثلاث مسائل

﴿ المسألة الأولى الاقرار بحمل الصدق ﴾

وأصل هذا المحل أن طبيبا يسمى الدكتور هاوس من المختصين بالتوليد وعادة الأطباء أنهم اذا رأوا امرأة تعسر وضعها حقنوها بهذا المحل المسمى (اسكو بلامين) فلاحظ أثناء الحقن والمرأة تضع وهى لاتحس بألم انها تفشى أسرارا ما كانت تنطق بها عادة بل تلك الأسرار من أكبر الفضائح والعار فتوجه الى رجال الحكومة وأحضروا من السجون نحو خمسمائة مسجون وحقنوهم بالمحل كما تحقن الوالدات واستنطقوهم فكانوا يجيبون اجابات صريحة ويخبرون بالحقائق كما هى ولم يجدوا فى جميع من سألوهم كلمة واحدة تخالف الصواب ولما أفاق أولئك الرجال دهشوا لما علموا أنهم أجابوا بالحقائق التى أنكروها قبلا وقد قال العلماء فى ذلك أن استعماله سيفضى الى اخلاء السجون من الأبرياء ولقد وضعوا الرجال المتهمين على موائد كما توضع المرضى وحقنوهم ثم سألوهم فى معارض حضرها رجال القضاء والطب فأسفرت عن النتائج عينها ويقولون انه فى بلاد الانجليز التى كشف فيها هذا المحل يقدم عشرة متهمين للمحاكمة فلايحكم إلا على واحد لثبوت التهمة ويبرأ الباقى ومتى حقنوا بهذا المحل ظهر المحق من المبطل وأيضا يقبض على الثلث من المقبوض عليهم خطأ ويبرؤن فيما بعد فهذا المحل ينفى التهمة ويخرجهم وليس هذا نافعا لانكلترا وحدها بل للعالم قاطبة متى انتشر فى الكرة الأرضية

﴿ المسألة الثانية ﴾

ان الجناة يعرفون فى العالم الانسانى الآن بآثار ابهامهم وذلك أن بلادنا المصرية جعلت ادارة خاصة لآثار الأصابع وجعلتها أصنافا وأنواعا بحيث ان الانسان ليس يكون أثر ابهامه له مشابه آخر فى الشرق أو فى الغرب ولذلك تراهم يأتون بالمذنبين ويأمرونهم بوضع أصابعهم على الورقة وهى ملوثة بالحبر فهذا الأثر يدل على صاحبه لايشاركه فيه سواه . هكذا الأقدام فان عرب البادية فى بلادنا يعرفون الناس بآثارهم كالقدماء من العرب الذين كانوا يقصون الأثر فكل امرئ له قدم بصفات خاصة لايشاركه سواه

﴿ المسألة الثالثة ﴾

لقد ظهر فى أمريكا وفى أوروبا علم يقال له (علم السيكومترى) أعنى علم قياس الأثر وقد استعملت هذه اللفظة سنة ١٨٤٢ وهى مشتقة من لفظة يونانية (سيكى) أى النفس و (مترون) أى قياس ومعناها اللفظى قياس النفس

وقالوا فى هـذا العلم انه لايقع ظل على حائط من دون أن يترك أثرا فيه يمكن اظهاره بالوسائل الصناعية وكل غرفة تظن انها محجوبة عن العيون فيها آثار كل ماحصل فيها ولومن مئات السنين بل كل حجر وشجر ومدر توجد عليه رسوم ماحصل عنده من خير أوشرّ فكل حركة وكل فكرة تصدرمن الناس ترسم على ماحولهم فكأن هناك صورا لطيفة لاعدد لها ثابتة على جميع الأشياء لازول بمرور القرون والدهور

قال الدكتور جون وليم مؤلف كتاب سرّ تقدّم أوروبا مايأتى (بعد أن أفادمعنى ماتقدّم) ويمكننى أن أصرح بأن صدى العبارات التى قالها الواحد منا يمكن أن يسمع بعد مرور الأعوام العديدة على موته ويبقى من بعده عظة لأولاده

ثم ان هذه الصور والآثار التى أشار اليها دربير قد تظهر بهيئة أفكار تطرأ على الأذهان فكل فكرمن أفكارنا وحركة من حركاتنا وعمل من أعمالنا يترك حتما أثرا لاتمحوه الأيام . ثم قال وأنا أصرح بأن البارع فى هذا العلم يمكنه اذا سئل أن يصف عيشة اى انسان بمجرد مايرى أثرا من آثاره أو يسمع بعضا من أقواله أو يتأمّل فى مكان يقيم فيه أو يتردّد فقط عليه

وقد كان الاستاذ دانتون زوجته وأولاده وأخته جميعهنّ بارعات فى قياس الأثر فتى أعطاهنّ شعرا من شعرانسان أوأى شئ من آثاره قصوا أثره وقد أثبتوا أن فى كل عشرة من الرجال وفى كل ست من النساء واحدا يقدر أن يتعلم هذا العلم بسهولة ثم العالم دانتون وثق بهذا العلم بعدأن جرّبه . مثلا أعطى قطعة من حجر من الأحجار الساقطة من الجوّ الى حمته فقالت انى أرى أشياء تشبه النجوم والندى ويخيل لى أنى صاعدة الى فوق ثم أعطاها لزوجته فى مكان آخر وهى لاتعلم فقالت مثل ماتقدّم ثم وضعه فى صندوق مع أحجار كثيرة وأمر زوجته أن تلتقط كل حجر وتصفعه فصارت تصف كل حجر ومدر وتقول هذا من بلدة كذا وحصل عنده كذا وكذا وهذا من المكسيك وهذا من رومه وهكذا ومنها حجر من جبل الزيتون فوصفت أورشليم وصفا جيدا ولما وصلت الى الحجر الذى سقط من الجوّ وصفته كما وصفته أوّلا اه

انظر الى هـذه المسائل الثلاث بعقلك وتفكر فيها ألست ترى أن المسألة الأولى هى التى تحقق اقرار الانسان على نفسه وعلى أبويه وتكون الأمم أقرب الى السعادة منها الآن واذا كان هـذا الكشف الحديث يعم العالم ويظهر صدقه أفليس ذلك يكون مما يجب علينا الأخذ به متى تحققنا أن مايقوله الفرنجة حق لاخطأ فيه فلسنا نحن نأخذ بقولهم بل نجرب تجار بهم ونعمل بها بعدالتحقق واذا كان النوع الانسانى ليس عنده من الصدق والأمانة مايحمله على الاقرار على النفس والأهل أفلا يكون أمثال هذا المصل (اذا صح مايقال) من أوجب الواجبات على أمّة الاسلام . بل أقول فوق ذلك انه يجب على أمراء الاسلام والمجالس النيابية أن يظهروا رجالا فى العلوم ويمدّوهم بقوّتهم حتى يكشفوا ويخترعوا وينظروا وكفانا نوما فقد نامت عقول المسلمين آمادا طويلة

﴿ اعتراض على مؤلف هذا التفسير ﴾

ولما وصلت الى هذا المقام حضر أحد العلماء واطلع على ماكتبت فأظهر أشدّ الاستياء وقال ياسبحان الله كيف تجيز أن تأخذ بقول من حقنوا بهذا المصل وكيف نأخذ بأقوال من فقدوا الارادة إن هذا لقول هراء عجبا لك كيف تقول ذلك والله عزّ وجل يطلب أن نقرّ على أنفسنا وأهلنا بمحض ارادتنا وأما أنت فانك تقول يكفى أن يسلبوا عقولهم كالمجانين ثم يقرّون وهذا لايقرّك عليه العقلاء ولا الجهلاء وهو أشبه بالخرافات وأقرب الى الضلالات

﴿ الجواب ﴾

فقلت له حياك الله وبياك فهل اذا أقمت لك دليلا على ما أقول من كتاب الله تعمل به فقال بشرط

أن يكون مقنعا . فقلت له ألست ترى أن الله أحكم الحاكمين قال بلى قلت أفلست ترى أنه مطلع على مافى ضمائرنا قال بلى * قلت لقد قبل هو الشهادة من الأيدى والأرجل وحكم بها فمن باب أولى الذين هم ليسوا بأحكم الحاكمين وهم قضاة البشر ألم تر الى قوله تعالى — يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون — وقوله أيضا — حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون — وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أوّل مرة واليه ترجعون — وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون — وفى آية أخرى — اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم الخ — فاذا كان الله قبل هذه الشهادة من الجلود والجوارح بالرغم من أصحابها وهم يعاتبون أعضاءهم على ذلك صريحا فكيف لانقبل من يحقق بالمصل ويشهد بالحق ويكون حكم القضاة حقا لازال فيه بخلاف الأحكام الحاضرة فانها ظنية لأن الشهادات لاتثبت الحقيقة أوليس الاستدلال بآثار الأقدام وآثار أصابع الأيدى فى أيامنا الحاضرة هو نفس الذى صرّح به القرآن واذا كان الله يعلم مافى البواطن بل هو القائل للانسان — كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا — والقائل — بل الانسان على نفسه بصيرة —

أفلا يكون ذكر الأيدى والأرجل والجلود وشهادتها يوم القيامة ليلفت عقولنا أن من الدلائل ماليس بالبينات المشهورة عند المسلمين وان هناك ماهو أفضل منها وهى التى يحكم بها الله فاحكموا بها ويكون ذلك القول لينبهنا ويفهمنا أن الأيدى فيها أسرار وفى الأرجل أسرار وفى النفوس أسرار فالأيدى لا تشتبه والأرجل لاتشتبه فاحكموا على الجانين والسارقين بآثارهم والألسنة تنطق بالحق متى أنعمت البصيرة انامة بهذا المصل أو بغيره . أوليس فى الحق أن أقول ان هذا من معجزات القرآن وغرائبه والا فلماذا هذه المسائل التى ظهرت فى هذا العصر تظهر فى القرآن بنصها وفصها والمسلمون كانوا غافلين عنها كما غفلوا عن منع الخمر والربا وقامت الأمم الغربية بهذا خير قيام

أوليس قوله — قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ — يشير الى ماكشفه علماء أوروبا وأمريكا فى علم (السيكومترى) المتقدم وأن كل فكر من أفكارنا وقول وعمل يرسم بصور غير محسوسة على الحيطان والأبواب والأحجار ويقرؤه قوم بعد آلاف السنين ويفهمون حوادثنا التى فعلناها . أليس هذا من معانى النطق التى جعلها الله فى كل شئ أوليس ذلك يفسر لنا كثيرا من أسرار ديننا مثل ان المؤذن يشهد له ماحوله الى غاية ماوصل اليه صوته . ولقد علمنا أن أستاذا فى المدرسة الأمريكية معه آلة لها مفتاح فاذا تكلم فتحها وبعد انتهاء المجلس أوالخطبة يستمع لتلك الآلة فتلقى له القول كما قاله فاذا وجد خطأ فى الحديث أرسل لأصحابه ما يكمله وهذا موجود فى زماننا الحاضر بل المدرسة قريبة من بيتى الذى أسكنه بينهما نحو كيلومترين وهذه الآلة استحضرها من أمريكا وهو أمريكى الجنس

وأقول لعل هذا العلم هو الذى ورد فى حديث الترمذى عن أبى سعيد الخدرى وان لم يرد فى الصحيحين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده ومعنى عذبة سوطه المعلق فى طرفه اه

ومعلوم أن الآلة التى تسترق السمع المذكورة يمكن أن تسمع كل شئ حولها فى المكان حتى الهمس الذى يهمس ثم يكبر الصوت كما يكبر المبصر سواء بسواء اه

فعلى المسلمين أن يفتحوا أعينهم فليس لهم أن يقعدوا على الجهالة البتراء وليعلموا أن دين الاسلام فيه أبواب واسعة ماطرقوها وعرفها الغربيون والطرفان يجهلان أن تلك الأبواب فى القرآن

﴿ الفصل الرابع ﴾

(يأيها الذين آمنوا آمنوا) خطاب لجميع المؤمنين (بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والذى أنزل من قبل) أى اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا عليه ولتوافق قلوبكم ألسنتكم فان منكم من لم يثبت ايمانهم لأنه لا علم لديهم يثبت عقائدهم وهذه العقائد المزلزلة هى التى جعلتهم معرضين عن خلق السموات والأرض التى تقدم الكلام عليها فزلزلت نياتهم وذلك يؤول الى انقراض تلك الأمم الزائغة كما تقدم فى الآيات السابقة وهؤلاء هم المنافقون الآتى بيانهم فيما سيأتى من الآيات فلذلك أتبعه بقوله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه لأن اتحاد العقائد يدعو الى اتحاد القلوب فتتحد المشارب فتكون الحياة الدنيا منظمة وتتبعها الأخرى والايمان بجميع الأنبياء يدعو للاتحاد ولو أننا كفرنا بنبى من الأنبياء السابقين لكان ذلك مورثا للتقاطع والتدابر مع الأمم المنتسبة اليه ولو بحسب الظاهر ولكن احترام الجميع أدعى للوئام فما بالك فيما بين المسلم وأخيه فليكن اتحاد العقائد والا ضل الانسان وحاد عن الجادة فبترمن مجموع الأمة وسلك مفازة فغايرهم فى الأخلاق والطرائق

هذا هو الاسلام أما الفرنجة فانهم استبدلوا بالدين الوطنية وجعلوا الأمة مرتبطة بالوطن لا الدين وقالوا الوطن يوجب الاتحاد وهناك جامعات أخرى كاللغات والملك الجامع والاشتراك فى ملك واحد وما أشبه ذلك فليكن كلامنا فى الجامعة الدينية التى نحن فيها وهى ترجع الى الاتحاد فى العقائد واعلم أن هذه الآية تمهيد لذكر المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ولذلك أتبعه بقوله (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) وهؤلاء هم المنافقون كفروا فى العمر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وعلى التمادى فى افساد الأمر على المؤمنين ثم رتب عليه قوله (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) وضع بشر موضع أنذر للتهكم بهم * قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الأعمال المترتبة على تزلزل العقائد فقال (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة) أى أيتعززون بموالاتهم ومودتهم (فان العزة لله جميعا) لا يتعزز إلا من أعزه الله وقد كتب العزة لأوليائه فقال ـ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ـ فعزة غيرهم لا يؤبه لها ثم زاد تفصيلا لهذه المخالفات المبنية على زلزلة العقائد فقال فى سورة الأنعام (وقد نزل عليكم فى الكتاب) أى القرآن وأنتم بمكة لما كان المشركون بها يستهزؤن ـ واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ـ فلما هاجرتم الى المدينة أخذ اليهود يستهزؤن كما استهزأ أهل مكة فكيف لا تعرضون عنهم اذا خاضوا وهذا قوله تعالى (أن) أى انه فهى مخففة من الثقيلة (اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم) فى الاثم لأنكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أو فى الكفر اذا رضيتم بقولهم وطعنهم فى الاسلام وهذا هو النفاق (إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) فالقاعد والمقعود معه فى النار مجموعين (الذين يتربصون بكم) ينتظرون وقوع أمر بكم وهو صفة المنافقين (فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) من الحرب التى تكون سجالا عادة (قالوا ألم نستحوذ عليكم) أى قالوا للكافرين ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء (ونمنعكم من المؤمنين) بأن خذلناهم وتوانينا فى نصرهم والتعبير بالفتح فى جانب المسلمين والنصيب فى جانب الكافرين اشارة لشرف الأول وخسة الثانى لأنه أمر دنيوى (فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أى حجة يوم القيامة على قول على وابن عباس رضى الله عنهم وقال كثير من العلماء فى الدنيا فلا تفنى دولة الاسلام بحيث تمحى من الوجود بالكلية فيستبيحوا

بيضتهم فلا يبقى منهم أحد وقد قال بعض العلماء ان معنى ذلك أن شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة وفرعوا على ذلك مسائل فقهية مثل ان الكافر لا يرث المسلم واذا استولى كافر على مال مسلم لا يملكه وان الكافر ليس له أن يشترى عبدا مسلما وأن المسلم لا يقتل بالذمى على رأى وأنت تعلم أن قول على وابن عباس أنسب لسياق الكلام ثم أخذ يصف النفاق فى العبادات بعد النفاق فى السياسة فقال (ان المنافقين يخادعون الله) يعاملونه معاملة المخادع (وهو خادعهم) مجازيهم (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) متثاقلين إذ لا يرون لها ثوابا فكيف يتعبون أنفسهم فكأنهم مكرهون على الفعل (يراءون الناس) ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة (ولا يذكرون الله إلا قليلا) فان المرائى لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه والمراد بالذكر ما يشمل الصلاة والذكر فى غيرها فهم يصلون ويذكرون بحضرة من يراءونه حال كونهم (مذبذبين بين ذلك) متحيرين مترددين (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الحق والصواب * ثم أمر المؤمنين أن لا يفعلوا مثل ما فعل المنافقون من موالاة الأعداء فان هذا يضيع البلاد فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) وكيف تفعلون ذلك (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة فيعاقبكم بضياع دولكم وهذا العقاب طبيعى لأن موالاة الأعداء تفرق شمل الدولة وهو الحاصل الآن فى الأمم الاسلامية فلعمرك لا تجد أمة فرنجية احتلت بلادا اسلامية إلا باتحادها مع بعض أفراد أهل البلاد ولن يقدر الفرنجة أن يعيشوا يوما واحدا فى الشرق إلا بمساعدة أهل البلاد فلذلك ابتلعوا ثروتنا وأخذوا ملكنا فهذا هو السلطان المبين والحجة الظاهرة ولما كان ذلك خلق المنافقين أردفه بانذارهم وتخويفهم فقال (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) وهى الطبقة التى فى قعر جهنم والدرك بسكون الراء وفتحها قراءتان (ولن تجد لهم نصيرا) يخرجهم منه (إلا الذين تابوا) عن النفاق (وأصلحوا) ما أفسدوه من أحوالهم فى حال النفاق (واعتصموا بالله) وثقوا به وتمسكوا بدينه (وأخلصوا دينهم لله) لا يريدون بطاعتهم الا وجه الله (فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما) فيساهمونهم فيه . ثم أفاد أن كل ما ذكر من عقاب المنافقين والكافرين ليس تشفيا من غيظ ولا انتقاما من عدو (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا) منيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل (عليما) بحق شكركم وايمانكم وكيف يكون ذلك والناس جميعا مخلوقون له تعالى وانما ينزل الكتب السماوية ويسلط الآفات الحيوية والحوادث السماوية والأرضية بحسب النظام العام لاستخراج ما كمن فى النفوس من الغرائز والعجائب الحكمية حتى تخلص من الطبيعة وترقى الى عالم الجمال وتتبرأ من المادة هذا هو العقاب وكما أن من الأجسام ما يذوب الاعلى درجة ١٧٧٥ من الحرارة كالبلاتين ومنها ما يذوب على درجة الصفر كالماء المقطر هكذا النفوس الانسانية منها ما لا يظهر ما فيها من الجمال الا بعد عناء وتعذيب ومنها ما يظهر بأدنى التفاتة اليها فهؤلاء المنافقون وكثير من العصاة أشبه بالبلاتين فيعذبون فى الدنيا بالانذار والتخويف وفى القبر وفى جهنم ثم يخرجون منها كما فى الحديث الآتى ومنهم من لا يحتاج الى شئ من ذلك ويكفيهم أدنى اشارة كالصديقين وعظماء الأمم فهم كالماء المقطر به الحياة وليس البلاتين مع صلابته عديم المنفعة بل له مصالح نشاهدها كذلك أصحاب هذه القلوب الجاحدة الفاجرة خلقوا للنظام العام فليس الله مبغضا لأحد فيعذبه بل هو مربى العالمين ومصلح لخلقه فليس يعذب انتقاما بل يصلح الناس إصلاحا . ولنا أن نمثل ذلك أيضا بقابلية توصيل المعادن للحرارة

أن الأجسام على قسمين أجسام موصلة للحرارة توصيلا جيدا واجسام رديئة التوصيل للحرارة فالمعادن موصلة جيدة للحرارة بل هى أكثر الأجسام الصلبة توصيلا للحرارة وغير المعادن كالخشب والزجاج والفحم والصوف والحرير وجميع الأجسام العضوية رديئة التوصيل للحرارة . والمعادن درجات بعضها فوق بعض فى توصيل الحرارة فاذا فرضنا توصيل الفضة للحرارة مائة فان البزموت (هو أحد المعادن) يكون ١٫٨

والبلاتين ٤ ر ٨ وهكذا . ولأرسم لك الجدولين جدول الصهر والذوبان وجدول توصيل الحرارة

جدول الذوبان

الأجسام	درجات لانصهار	الأجسام	درجات الانصهار
الالمنيم	٦٢٥	الفسفور	٢ ر ٤٤
البلاتين	٧٥ ١٧	الفضة	٩ ٥٤
حض الستياريك	٧٠	القصدير	٢١٠
الخارصين	١٥ ٤	الكبريت	٥ ر ١١٤
الذهب	٧٥ ١٠	ماء البحر	٥ ر ٢
الرصاص	٢٦ ٢	الماء المقطر	٠
الزئبق	٥ ر ٣٩	النحاس	١٠ ٥٤

جدول توصيل الحرارة فى المعادن باعتبار أن توصيل الفضة لها معتبر مائة درجة وهى مرتبة فأعلاها توصيل الفضة وأدناها البزموت

المعدن	الدرجة	المعدن	الدرجة
الفضة	١٠٠	القصدير	٥ ر ١٤
النحاس	٦ ر ٧٣	الحديد	٩ ر ١١
الذهب	٢ ر ٥٣	الرصاص	٥ ر ٨
الشبه	٦ و ٢٣	البلاتين	٤ ر ٨
الخارصين	١٩	البزموت	١٫٨

واعلم أن الناس يشاهدون بعض ما فى هذه الجداول ولا يفكرون فيها فانهم يصنعون مقابض للقدور وأوانى الشاى وغيرها من كل ما تغلى فيه السوائل من خشب لأن الخشب موصل ردىء للحرارة أى ان الحرارة لا تسرى فيه بسرعة ولو كانت تلك المقابض من نفس المعدن لسرت الحرارة فلم يمكن التصرف فيها بالقبض عليها واستعمالها فالخشب خير وقاية لذلك فالموصل الردىء للحرارة نعمة علينا كما أن الموصل الجيد كالحديد والنحاس نعمة علينا فمنه علينا الفضل فى الخشب الموصل الردىء للحرارة وفى المعادن الموصلة الجيدة فكلاهما نعمة وكلاهما لا بد منه لحياتنا وترى الناس يفعلون أنابيب المياه الحارة وأنابيب البخار وجميع الأجزاء التى قد تكون معرضة للهواء من مراجل بعض الآلات البخارية بغلف من الفلين أو خليط من طين بتبن أو طين بشعر أو نوع من طوب قد صنع من فتات الفلين كل ذلك لان هذه موصلة رديئة للحرارة أى الطين المخلوط بالتبن والطين المخلوط بالشعر مثلا يمنعان ويحبسان الحرارة فى المراجل فلا تتبعثر فى الخارج فهذه الأجسام الرديئة التوصيل الحابسة للحرارة أشبه برعاة الغنم والأمراء والحكام والوعاظ الذين يحافظون على الأمم

ولعمرى ان نعمة العلم والحكمة أجل من الدنيا ومن فيها وأى خير فى الحياة اذا لم نطلع على هذه الحكم والعجائب فالجاهل يتعثر فى الأوهام والعالم يرى العالم كله جمالا وكمالا فاذا رأى جسما يذوب سريعا كماء البحر وجسما يحتاج لزمن متوسط كالفضة وآخر يحتاج الى زمن أطول كالبلاتين وهكذا فى توصيل الحرارة أدرك بعلمه وعلم بفطنته فى العالم المشاهد أن البلاتين والفضة والنحاس لو ذابت سريعا ما أمكننا الانتفاع بها ولم تصبر الفضة على الحرارة الجوية التى نعيش فيها وهى تختلف من صفر الى ٤٠ ر ٥٠ وهكذا النحاس لو أنه يذوب سريعا ما أمكننا

أن توقد عليه النار لنطبخ فيه الطعام فجموده وعدم ذوبانه بالحرارة النارية لمنفعتنا فاذا كان الماء يسيل على درجة ٠ر٢ والنحاس لايظهر الا على درجة ١٠٥٤ فهذان معا لمنافعنا فلو علا الماء عن الذوبان أو سهل ذوبان النحاس لكانت الحياة لاتطاق

عجبا أيها الناس عجبا أيها المسلمون مالنا نعيش فى جو مملوء من الحكمة ونحن ساهون لاهون ياقوم أليس العلم نلمسه بأيدينا ونحن نائمون حقا ان الانسان لظلوم كفار حقا ان الانسان لجهول حقا ان المسلمين فى المستقبل خير من كثير من الأمم السابقة انهم سيطلعون على ما أذكره الآن ويبرعون ويعرفون عجائب هذه الدنيا التى غفلت عنها الأمم السالفة التى نزل اليها القرآن وهم نائمون بعد الصدر الأول الذين اشتعل الايمان فى قلوبهم فطاروا الى الأقطار وسيشتعل العلم فى قلوب أبنائنا بعدنا فيطيرون الى عوالم الجمال والكمال ويقرؤن عجائب ماحولنا والله اننا لفى جو من الجمال والحكمة — وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون — فهل لك أن أسمعك الحديث الذى رواه مسلم ويذكره المفسرون عادة فى الآية المتقدمة فى هذه السورة — وان تك حسنة يضاعفها — ولكن أذكره لك الآن لترى ان نظام الله فى أحوال النفس الانسانية أشبه بنظامه فى أحوال المخلوقات الطبيعية سواء بسواء — ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت — ولا اختلاف بل هو عالم متجانس متحد الوجهة . العالم الروحانى أشبه بالجسمانى فى النظام والترتيب . فالذين نسميهم عصاة لم يخرجوا عن كونهم قوما لهم درجات مختلفة كاختلاف المعادن انصهارا بالحرارة وتوصيلا لها . وذلك لمنافع كثيرة فلو كان الناس كلهم على نسق واحد لاختلت أمور هذه الحياة فاذن لاتجزع ولاتتألم لماترى من الاختلاف . واذن أسمعك الحديث بعد أن اطلعت على الطبيعة

عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده مامن أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار وفى رواية يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شئ أفضل من هذا فيقول رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدا لفظ مسلم وهو بعض حديث

ألست ترى أن اختلافهم فى مرورهم على الصراط مابين طرفة العين والريح وأجاويد الخيل أشبه بما ذكرناه وان نفس النبوة قد جعلت الحركات الطبيعية واختلافها كاختلاف الخلوص من الذنوب والعروج الى مستوى

السعادة فلم يكن هذا العذاب الا للتهذيب واذا كانت شفاعة الشافعين المذكورة فى الحديث بعدما فهمتها فى سورة البقرة بما يناسب رقى الأمة الاسلامية هناك توجب خروج طوائف كثيرة من العصاة من جهنم ورقيهم فان الله بما أودع فى هذا العالم من النواميس الطبيعية يهذب كثيرا من النفوس بالحوادث الطبيعية وينقيها بما يصيبها من الأوجاع والأمراض والأحزان فتخف الأرواح وتطير الى العلا فالعلوم مهذبات والديانات مهذبات والحوادث مهذبات والمقصود التام خلوص النفوس من عالم الطبيعة قال تعالى ـ لتركبن طبقا عن طبق ـ الى عالم السعادة والهناء والحياة الروحية فاذا كان البلاتين والماء لا سبيل الى ذوبانهما أو غليانهما الا بالحرارة فالسبل الى رقى النفوس الانسانية متشعبة فتارة تكون بالدين وأخرى بالعلوم التى يطلبها الدين وأخرى بالمصائب والحوادث وما أشبه ذلك هذا هو السر المصون فى حكمة العذاب الذى قد تجلى الآن بأجلى بيان وبه تعلم معنى هذه الآية التى نحن بصددها ـ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما ـ فانه لم يخلق الخلق ليفرح بغيظهم أو يشمت فى مصائبهم كلا بل هو الله الرحمن الرحيم الذى خلق الخشب الذى لا يوصل الحرارة ليكون واسطة نمسك به الاناء الذى فيه الشاى كما خلق الغلاظ الجفاة من الرجال الأقوياء البغية ليقوم بهم نظام الحياة فتارة يهذبون بالديانات وتارة يهذبون بالحوادث وتارة يهذبهم عذاب بعد الموت أو فى جهنم واذا خفت نفوسهم خرجوا كما يخرج الفرخ من البيضة والجنين من بطن أمه فى أمد معلوم وكما يخرج النبات من الحب والبزور هذا فى المؤمنين معلوم أما فى عذاب الكفار الذى يكون مخلدا فلعلك تقول لم يعذبهم وهم عباده . واذا قلت لنا ان الله لا عذاب عنده وانما هو إنضاج وطبخ وصهر وترقية فأين الترقية فى عذاب الكافرين . أقول لك كذلك ماذكرته الآن ولا أزيد فكفى ولكن أشير عليك بقراءة كتاب ﴿فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة﴾ للامام الغزالى . واعلم أن أكثر الناس عن العلم محجوبون وبالله جاهلون وعن الطبيعة التى خلقها غافلون

واذا كان أهل أمريكا قد جعلوا السجون مواضع للتهذيب ويحيطون المسجون بجميع أنواع الرأفة حتى اذا ظهرت عليه علامات الكمال أخرجوه وهكذا ترى الناس قد عرفوا أن الذنوب لم تكن الا من فعل البيئة والتربية والأحوال المحيطة بالانسان وأنه لا موجب للتعذيب فلذلك جعلوا المسجون يغتسل ويتنظف ويتعلم صناعة لانه ثبت عندهم كما قاله بنتام أنه لا يقترف الذنوب الا الذى لا عمل له أو الذى لا نظافة فى جسده فلذلك ترى السجون فى بلادنا المصرية تفعل بعض هذا تقلا وتقليدا لأهل أوروبا اذا كان هذا كله حاصلا فى النوع الانسانى فبالك بالله تعالى . أفلا ترى أن يكون فعله تهذيبا لا تعذيبا وأن يكون قول نبينا صلى الله عليه وسلم فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة رمزا لحال يراها الناس بعد هذه الحياة وتكون تلك أشبه بمدرسة يتربى فيها الجاهلون الذين لم تهذبهم الحياة الدنيا وتكون سلسلة الحياة كسلسلة المدارس المنظمة درجة بعد أخرى وتكون كباب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فالحياة فى الدنيا ظاهرها عذاب وباطنها رحمة وهكذا تلك الحياة التى يحياها العصاة بعد الموت وهم ناقصون وأن الى ربك المنتهى

هذا ولما كان ذكر المنافقين وذمهم فى الآيات السابقة تعريضا لا تصريحا أردفه الله بما يفيد أن الجهر بالسوء من القول لا ينبغى ولكن من ظلم بالبناء للفاعل يفعل مالا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء من القول وقرئ بالبناء للمجهول بمعنى أن من ظلمه أحد فتظلم منه لمن يدفع عنه الظلم فلا عقاب عليه ولا ذنب ثم قال (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بالظالم (إن تبدوا خيرا) طاعة وبرا (أو تخفوه) أو تفعلوه سرا (أو تعفوا عن سوء) لكم أن تؤاخذوا عليه (فان الله كان عفوا قديرا) يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته فلتقتدوا به ولا تجهروا بالسوء من القول وان كنتم مظلومين وقد رخصت لكم فى الجهر فان ذلك من مكارم الأخلاق ولقد فعلت ذلك مع المنافقين فلم أصرح بأسمائهم فى الآيات السابقة لعفوى عنهم ولاستجلاب قلوبهم الى المودة الدينية (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله (ويقولون

نؤمن ببعض ونكفر ببعض) نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولاواسطة إذ الحق لايختلف فالايمان بالله لابد معه من الايمان بالرسل وتصديقهم فيما بلغوا (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون فى الكفر (حقا) مصدر مؤكد لغيره (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) ثم ذكر أضدادهم فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) ودخول بين على أحد مع أن بين يقتضى متعددا لأن أحدا وقع فى سياق النفى فصار عاما (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) الموعودة لهم (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) عليهم فيضعف حسناتهم انتهى المقصد الثامن

(المَقْصِدُ التَّاسِعُ)

يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا * فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا *

لٰكِنِ ٱللّٰهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّٰهِ شَهِيداً * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللّٰهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ ٱللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى ٱللّٰهِ يَسِيراً * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ ٱللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى ٱللّٰهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللّٰهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ٱنْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا ٱللّٰهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلاً * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنْكَفُوا وَٱسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَٱعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً * يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَٱللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

﴿ فى هذا المقصد ثلاثة فصول ﴾

الفصل الأوّل • تقريع اليهود على الطامات التى ارتكبوها وهى قريب من ١٦ ذنبا من قوله ـ يسألك أهل الكتاب الى قوله أجرا عظيما ـ

الفصل الثانى • فى بيان أن الرسالة الملاحقة كالسابقة كلها بالوحى وتعداد بعض الأنبياء والوعظ باتباعهم من قوله ـ إنا أوحينا اليك الى قوله وكان الله عليما حكيما ـ

الفصل الثالث • فى خطاب النصارى وتقريعهم على ضلالتهم فى شأن المسيح وأنه ليس ثالث ثلاثة وفى خطاب المسلمين أن يعطوا كل ذى حق حقه فى الميراث من قوله ـ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم الى آخر السورة ـ

﴿ الفصل الأوّل ﴾

هذا الفصل فيه الذنوب التى ارتكبها اليهود قديما ولقد تقدم كثير منها فى سورة البقرة ولكن ذكرها

نحو ١٦ ذنبا لتعنت الأحبار منهم على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا فائتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة فقال الله لا تطمعن في إيمانهم يا محمد فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء ما آمنوا بك وكيف يؤمنون وقد لقي موسى منهم ما لقي والذي لقيه أشد مما لقيت منهم

(١) فهم قالوا له (أرنا الله جهرة) عيانا وتقدم هذا في سورة البقرة (فأخذتهم الصاعقة) وهي نار من السماء فأهلكتهم

(٢) (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) المعجزات والعجل كان من ذهب صنعه لهم السامري فعبدوه وتركوا عبادة الله (فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) حجة واضحة تدل على صدقه

(٣) (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) أي رفعنا الجبل المسمى بالطور فوق رؤسهم لما لم يقبلوا التوراة حتى يخافوا فقتلوه وهذه الأمور كلها لا ينكرها اليهود فهي حجة عليهم

(٤) (وقلنا لهم) والطور يظلهم (ادخلوا الباب سجدا) أي ادخلوا باب ايلياء مطأطئين عند الدخول رؤسكم فخالفوا ودخلوها وهم يزحفون على أستاههم

(٥) (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) أي وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت الحد الى ما لا يحل لكم فلا تعملوا عملا فيه لا صيد سمك ولا غيره فاصطادوا السمك فيه

(٦) فنقضوا ميثاقهم ففعلنا بهم ما فعلنا (فبما نقضهم ميثاقهم) ما زائدة للتأكيد والتقدير فعاقبناهم بنقضهم ميثاقهم

(٧) (وكفرهم بآيات الله) في التوراة والقرآن

(٨) (وقتلهم الأنبياء بغير حق)

(٩) (وقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف أي على قلوبنا أغطية وغشاوات فهي لا تفقه ما تقول

(١٠) (بل طبع الله عليها بكفرهم) فجعلها محجوبة عن العلم بكثرة الذنوب والكفر فأصبح ذلك كالطابع يختم على القلب فلا يدخله شيء (فلا يؤمنون الا قليلا) كعبد الله بن سلام

(١١) (وبكفرهم) بعيسى بن مريم معطوف على كفرهم فهو من عطف الخاص على العام

(١٢) (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) إذ رموها بالزنا

(١٣) (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) ادعت اليهود أنهم قتلوا عيسى وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله قائلا (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) ولقد تقدم إيضاح هذا المقام في سورة آل عمران بما لا مزيد عليه فارجع اليه إن شئت تر أن انجيل برنابا قد تكفل بهذه المسألة ونقلنا النصوص هناك وأن يهوذا هو الذي ألقي عليه شبه المسيح وصلب وقتل وقد كان هو التلميذ الذي خان نبيه وأستاذه (وان الذين اختلفوا فيه) في شأن عيسى (لفي شك منه) فهذه الأناجيل قد اختلفوا فيها حتى كانت المجامع التي أقيمت قديما وهناك حصل حذف واثبات كما تقدم (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) بسبب ان المسيح اختار رسله من الشعب الهادي قوما كانوا صيادي سمك في بحيرة طبرية ليفهم الناس أن دينه لا يحتاج الى ذكاء خارق للعادة فجاء بولص وهو (فريسي) ويعرف اللغة اليونانية وادعى أنه هو المختص بالمعرفة الحقيقية لدين المسيح وأخذ يخاصم بطرس فتألف بعد رفع المسيح صنفان من النصارى صنف يتبع بقية أتباع المسيح وصنف يتبع بولص المذكور ثم نشبت الحرب بين الدولة الرومانية في زمن نيرون بقيادة فسباسيانوس الروماني وبين اليهود ولما مات القائد الروماني تولى القيادة ابنه طيطس وفتحت أورشليم عام ٧٠ وضرب الهيكل فتفرق اليهود في كل واد يهيمون وانحلت الرابطة وكان كل أسقف يعلم جماعاته بما يغلب

على عقله مع الحكمة المأثورة عن المسيح ثم اختلطت التعاليم بالفلسفة اليونانية لاسيما فى مدارس الاسكندرية وغلبت الفلسفة على تلك التعاليم البسيطة لجهل القائمين بها وقوة الفلاسفة فنشأت فى آخر الجيل الأول الأناجيل المنقولة فى الأصل عن الرسل وقد أحصى فابريسيوس منها ٣٥ انجيلا فهذا العدد كان بعض مافى الجيل الأول والثانى وبقى الأمر على هذا المنوال الى سنة ٣٨٤ لما رأى البابا داماسيوس مافى الأناجيل المنتشرة من الاختلاف والتناقض فأمر مارايرو نيموس أن يحرر ترجمة لاتينية جديدة وذلك لان الملك تيودوسيوس ضجر من المخاصمات وصدر الأمر بأن يكون الأسقف فى رومة هو الذى له الحق وحده أن يتبعه عموم النصارى وهذه الترجمة ثبتها المجمع الترينتينى سنة ١٥٤٦ وخطأها سيستوس الخامس سنة ١٥٩٠ ونقحها بنسخة جديدة وخطأ هذه كليمنضوس الثامن وطبع نسخة جديدة بترجمة جديدة وهى الباقية الى الآن عند الكاثوليكيين . فهذا هو معنى قوله تعالى ـ وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن ـ أى لكنهم يتبعون الظن فالاستثناء منقطع (وماقتلوه يقينا) أى قتلا يقينا (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لايغلب على مايريده (حكيما) فيما دبر لعيسى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) يعنى ومامن أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى بل أهل الملل جميعا الا والله ليؤمنن بعيسى حتى ينزل من السماء ويقتل الدجال فيهلكه حتى تكون الملة واحدة وهو الاسلام وتقع الأمنة فى الأرض حتى ترتع الأسود مع الابل والنمور الخ هذا ماجاء فى كلام علماء التفسير وسأوضح هذا المقام مع بعض التحقيق (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله

(١٤) (فبظلم من الذين هادوا) أى فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) أى ماحرمنا عليهم الطيبات التى كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه من نقضهم الميثاق ونحوه وتلك الطيبات التى حرمت ستأتى فى سورة الأنعام بأن حرم عليهم كل ذى ظفر الخ

(١٥) (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا

(١٦) (وأخذهم الربا وقدنهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل) قد كان الربا محرما عليهم فأحلوه هم وحرمت عليهم الرشوة فأخذوها بالباطل (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) دون من تاب وآمن (لكن الراسخون فى العلم منهم) عبد الله بن سلام (والمؤمنون) منهم كأصحاب عبد الله بن سلام (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك و) أمدح (المقيمين الصلاة و) هم (المؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) وجاء أمثال ذلك فى كلام العرب قال الشاعر

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

أى أذكر النازلين وهم الطيبون فالنازلين كالمقيمين هنا والطيبون كالمؤتون الزكاة وبعضهم جعل المقيمين معطوفا على قوله بما أنزل اليك أى يؤمنون بالكتاب وبالأنبياء الذين يقيمون الصلاة وهذا لايحتاج الى تبيين انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطيفة لشرح مسألة المسيح وكيف ينزل فى آخر الزمان وما المقصود من هذا ﴾

اعلم أن العالم الانسانى قد سئم الصراع والنزال والجدال والحروب والمدافع والبارود والسفن والطيارات والقنابل والغواصات الغائصات فالعالم الانسانى فى هرج ومرج مستمرين دائبين فكأن الانسان حكم عليه أن يكون شقيا أبد الآبدين ودهر الداهرين . فيالليت شعرى ماهذه المدارس والديانات المشروحة والعلوم المفقة والآداب العامة والعالم الانسانى أجمعه فى الشرق والغرب يقول نحن فى عصر المدنية والعرفان مع أنهم

لايزدادون الاطغيانا ولم تزدهم المعارف الابهتانا فالناس فى الشرق والغرب مخادعون كاذبون دجالون يخادع كل أخاه وهم يخدعون أنفسهم كيف لاوضعف أمة واحدة يضعف المجموع وقتل ذكاء فرد واحد يدعو لقتل ذكاء المجموع فكيف يقتل ذكاء أمة بتمامها ذلك هو الدرس السائد الآن فان علماء أوروبا وحكماءها ومدرسيها سلطوا مجالس نوابها وجيوشها الجرارة على أهل الشرق فأخذوهم وقتلوا ذكاءهم وجردوهم من السلاح العلمى كماسلبوا منهم السلاح البرى والبحرى وهكذا الانسان قديما وحديثا فهو فى الصورة إنسان وفى الحقيقة العملية ثعبان أوشيطان ولقد ألفت كتابا فى ذلك سميته ﴿ أين الانسان ﴾ وأرسلته الى مؤتمر الأجناس فى انسكلترا قبل الحرب العظمى بنحو ثلاث سنين فمنع علماء أوربا الحقد والحسد أن يترجموا الكتاب بعدماوعدونى بترجمته ولكن جاء العلامة سنتلانه الطليانى وقرظه فى مجلته وقال ان هذا الكتاب ظاهره خدمة المجموع الانسانى وباطنه احتجاج على أوروبا لجشعها وابتلاعها الشرق وبالاختصار ان هذا الانسان اليوم حائد عن الصراط السوى ولكن يدور على الألسنة وتتناقل النفوس الى يوم يكون الناس فيه أسرة واحدة ،واذا كان الناس يشاهدون خلية النحل فيها نظام جميل ولها ملكة ونحل شغال وآخر لأجل الفسل ثم ان النحل يجتمع على مالاعمل منه فيقتله والنظام سائد فيها المربيات للأولاد ومنها الجامعات للشمع ومنها الجامعات للعسل ومنها الحافظات الحارسات فلا يدخل غريب عليها وهكذا مما لاتحصره المقام فاذا كان هذا فى خلية النحل فأين مزية الانسان نعم يقال ان كل أمة من الأمم كخلية النحل وما أكثر الخلايا ونحن نقول أين مزية الانسان ماذا كان طوائف كطوائف النحل وأين مزيته التى يمتاز بها على الحيوان ليس فى قدرة نحل البلدة الواحدة أن يكون خلية واحدة ليس فى طاقته ذلك ولكن الانسان الذى سخر له البحر والبر وذلل له السهل والجبل وخاطب شرقيه غربيه وغربية شرقيه قادر اليوم أن يكون كخلية نحل واحدة لها نظام خاص بحيث تكون كل أمة منه أشبه بعضو فى الجسم الانسانى وكل فرد من الأمة أشبه بالأعضاء الداخلة فى تكوين ذلك العضو وبعبارة أخرى اننا نجد اليد مركبة من عضد وساعد والساعد من عظمين وعظام فى الرسغ وعظام فى اليد والأصابع فاليد الواحدة فى الجسم تشبهها الأمة من أمم الأرض والأعضاء الداخلة فيها كأفراد تلك الأمة

ولاتظنن أن هذا العلم حديث بل هو قديم اقرأ كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة) للفارابى فانه جعل المدينة الفاضلة أن تكون الأمة متنظمة تنظيم الجسم الانسانى ويجعل الأفراد فى الأمة فى المراتب التى تناسبهم فكما ان المعدة لاتصلح للتفكير والكبد لايصلح لهضم الطعام هكذا لايصلح أصحاب العقول المتوسطة للحكمة العالية وأصحاب العقول الكبيرة لايجوز أن ينزلوا لما هو أقل من مراتبهم بل يوضع كل فى مرتبته وزاد على ذلك فقال وقد يقال معمورة فاضلة أى ان الأمة من الأمم تكون أشبه بعضو فى جسم الانسان العام وتجعل فى مركزها الخاص بها وبناء على هذا يصبح الانسان كله أسرة واحدة ولهم مجلس عام وهو الذى يخصص لكل طائفة من الأمم أعمالها ويقرر على كل أمة مقدار ما يلزمها من العمل العام للانسانية على مقدار طبيعة أرضها ونسبة عدد سكانها وقدرتهم ويلزمون بذلك قسرا إن لم يقم التعليم العام بانشراح الصدور لذلك واذا حصل هذا أعطيت كل أمة ماتحتاج اليه من المال العام للأمم بنظام خاص فتوزع نتائج الصناعات والمزارع على الأمم ومتى قصرت أمة منها تقاتل وتؤدب كما ان المرد اذا قصر حوكم بالقتل كما كان قدماء المصريين يعملون ذلك

هذا هو النظام العام الممكن فى مستقبل الأمم . هذا هو الأمر المحبوب من جميع العقلاء فى العالم وجميع المصلحين عنه يبحثون فهل هذا الخيال الذى ذكرته لك الآن ممكن أم ذلك خرافة تقال وتمحق فى المقال . فلننظر فى الآيات التى نحن بصددها الآن * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم المسيح ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله أحد زاد فى رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول أبوهريرة رضى الله عنه اقرؤا ان شئتم - وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية - وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلايسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلايقبله أحد أخرجاه فى الصحيحين

فيالیت شعرى كيف يترك القلوص من الابل وعلى أى دابة يركب ولعله يركب القطار والطيارات وكيف يقول خذوا المال فلايأخذه أحد وما هذه الثروة العظيمة فى الأرض بل ماهذا الصلاح العظيم وكيف يكون الناس أمّة واحدة وما هذا التضامن وماهذه العفة يقول خذوا المال فيقولون لانأخذ كأن المال حجارة أوحديد أوأشغال شاقة

اعلم أن هذه الحال حال أخرى من أحوال الانسانية لاتأتى فجأة فلابدّ لها من مقدّمات وليس فى عمل هذه الطبيعة المسخرة بأمر الله من طفرة • الطفرة محالة فلابدّ من مقدّمات تتقدّم هذه الأحوال المستقبلة

واعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يخبرنا بهذا إلا لنستعدّ لذلك اليوم الذى يرتقى فيه الانسان ويكون جميع الناس اخوانا كأنهم خلية نحل واحدة • وانظر الآن ألست ترى أن الانسانية تغالت فى الآلات المهلكة والفاتكة والغازات الخانقة والدول الآن تزيد فى المهلكات والدولة الألمانية المغلوبة اليوم على أمرها تدبر فى السرّ من المهلكات مالم يحلم به البشر • بل يقال انهم يقدرون أن يجعلوا فى الجوّ سما يهلك من فى الأرض جميعا ويهلكون مع الناس أنا لا أقول لك هذا سيحصل وانما أقول هو ممكن وما فى الامكان فى هذه الأيام سريع الوجود • سريع الظهور • سريع العمل • كثير الأثر • وهذا زمن العجائب الذى أخبرت به الأنبياء

فالمستقبل أحد أمرين اما أن الأمم يهلك بعضها بعضا وهذا على ما أظن لايكون واما أن تتغلب أمّة قوية على البقية وتجبرها على اتباع النظام العام الذى ذكرته لك ويصبح هذا النظام خلقا للناس ينقادون اليه وتكون هناك ألفة جامعة • أنا لا أقول ذلك سيكون ولكن أقول انه محتمل فاذا حصل هذا ودام أجيالا ألف الناس العمل ونبذوا الكسل وظهرت المحبة والمودّة وجاء يوم الانسانية الجديدة وظهر الانسان بأوفى معانيه وحينئذ مافائدة المال ولم يخزن الانسان المال مافائدة النقود ولانقود • النقود للتعامل بها ولاتعامل اذن بل هى المبادلات واذن تبطل البنوك (المصارف) فلا ربا ويبطل الخمر وأبشرك اليوم بأن الخمر أبطلته أمريكا والترك والربا أبطله أهل الروسيا وهم البلشفيه وبعض ماذكرته لك يفعله الروسيون فالنقود عندهم أوراق وقتية تبطل فى أمد معلوم والخبز والملبس يأخذهما الناس فى مقابلة العمل • ولست أقول ان هذا هو الذى سيكون ولكن أقول ربما أن يكون هناك عمل يشبه هذا فى المستقبل ويترقى لأنى اليوم أجهل مافى تلك البلاد

فاذا ارتقى النظام على هذا المنوال على توالى الزمان فلايمضى زمان قليل حتى يكون الاتحاد العام وحينئذ يفسر الحديث الشريف الذى روى فى البخارى ومسلم وعلى المسلمين إذ ذاك أن يتأهبوا لذلك اليوم فلا يأخذون جزية لأن الجزية تكون حيث لم يكن هناك اتحاد عام فاذا حصل فعليهم أن يكونوا مع الأمم يدا واحدة

يقول بعض المفسرين ان أخذ الجزية مقيد بزمن نزول المسيح عليه السلام فلا جزية إذ ذاك وسيأتى فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى - فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها - أن

ذلك حين نزول عيسى أى أن وضع الحرب أوزارها أيام عيسى عليه السلام

﴿ كيف ينزل المسيح ﴾

وهنا نقول هل ينزل المسيح بنفسه أم ذلك رمز لنزع الغل والحقد من القلوب واتحاد الأمم وتعاونها وتصافحها

اعلم أن أتباع كل دين فى الأرض لايصدقون بغير دينهم ولو أن المسيح اليوم جاء للنصارى لقالوا له كذبت وكذلك نحن معاشر المسلمين لوجاءنا أى انسان وقال أنا عيسى أوموسى أومحمد لقلنا أنت مدع . ألا ترى أن اليهود وعدوا بمجيء المسيح فلما جاء كذبوه والنصارى لما أرسل سيدنا محمد كذبوه إلا قليلا منهم . فهكذا نحن معاشر المسلمين اذا جاء لنا أى انسان مهما كان شأنه فان الجمهور لايصدقه وانما يفعلون معه مافعلته الأمم مع الأنبياء فيتبعه قوم ويرفضه آخرون . هذا هو الأمر الذى يمكن وقوعه فاذا نزل المسيح فلا ينال من النصارى واليهود والمسلمين إلا ماذكرته لك فيتبعه قوم ويخذله آخرون ويقولون أنت لست الموعود به

فأين الهناء وزوال التحاسد والتباغض وثبوت المحبة فى الأرض اللهم إلا أنه يحصل فى عقول النوع الانسانى حال غريبة فجائية ثم مافائدة هذا الزمان القليل أى زمان وجود المسيح فى الأرض وللأمم أعمار طويلة فاذا تهنأت الأمم كلها عدة أعوام وذهب المسيح من بينهم فهذا أمر لاتكون فائدته تامة . ومالى أذهب معك بعيدا أنظر الى الأمم الآن ألست ترى فى الهند من قام وقال انى أنا المسيح ومات فى زماننا وجاء بتعاليم اسلامية ونهى عن الحرب والحكومة الانجليزية ساعدته وله أتباع هناك فى الهند أولاترى انى طائفة البهائية ببلاد الفرس فانهم قاموا بتعاليم عامة من القرآن ونشروها فى أمريكا وأوروبا واتبعهم أناس كثيرون وأخبرتنى سيدة انجليزية من أتباعه أنه هو المسيح ومع ذلك لايزال التحاسد فى الأمم كما هو والحرب والضرب والتخريب وهم يقولون ان هذه الشريعة تعلو على الأديان كلها وأكثر المتبعين لهذا الدين من أمم الفرنجة وقليل من المسلمين اتبعوه وهم يجعلون شرعهم هذا هو شرع المسيح الموعود به وقد اتبعهم ملايين كثيرة وربما جاء كثير يقولون بهذه الدعوة فأيهم يتبعه الناس ولعل مقدمات عيسى المذكورة فى الحديث هى الحال التى سيصير اليها البشر من الاتحاد والأخاء والاعمال النافعة العامة الموافقة لروح الاسلام ثم يأتى هو ويظهر أن الزمان المستقبل يكون مداره على الحقائق لاعلى الظواهر فيكون الدجال رمزا لما عليه الأمم الآن من الدجل والكذب والنفاق والجهالة والعمى والمسيح اشارة لما تستأهل له الأمم فى المستقبل من ظهور الحقائق وتقارب الأمم واتحاد الأعمال والنظام العام وربما كان ذكر أنه لايركب الابل فى الحديث الشريف الاشارة الى أن زمان ذلك الحب قد قرب فان الناس أخذت تركب القطار والطيارات فاذا عم هذا يكون قد اقترب زمان التعاون بين الأمم لأن سرعة النقل بين الشرق والغرب تقرب وجهة النظر فأما تباعد المسافات فانه يورث الاختلاف فى الغايات ولاتظن انى أقول بمنع وجوده فى الأرض ولكنى أقول ان المهم فى الأمر ليس شخصية المسيح ولاوجود ذاته وانما المهم السلام العام والصدق والاخلاص هذا هو الذى نشد اليه الرحال ويعتنى بشرحه أكابر الرجال فليس القصد من المسيح ذاته سواء احضر بنفسه أم كانت المحبة الأخوية بين الجامعة الانسانية فالمقصد سعادة الأمم لا حضور الأشخاص فلينزل المسيح فهو أمر ممكن ولكن المدار على الاخاء العام فأما الديانات فان الكتب تنتشر فى أنحاء المعمورة كما هو حاصل اليوم . ألاترى أن دولة انكلترا قد أخذت تعتنق الاسلام وابتدأ بذلك عظماؤها الأغنياء وذلك للدراسة فنشر الدين اليوم يسير بطريقة غير طريقة السيف بل بالاقناع فالمدار على الحقائق فاذا وجدنا أن ديننا ينتشر بطريقة الاقناع وسيتم ذلك فى زمان السلام العام بنزول المسيح فلنفعل ذلك كما يفعل الفرنجة فى دينهم فلانحارب ولا نقاتل لأن المقصود هو الايمان والايمان يحصل بلا حرب ولا ضرب ونحن ليس عندنا مبشرون فما بالك لو كان هناك مبشرون

دينيون مسلمون . وسترى كلام المفسرين فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهم يقولون بمنع الحرب أيام نزول المسيح . واعلم أن الأرض كانت منذ مئات (الملايين) من السنين عبارة عن كرة نارية وبتوالى الأزمان برد سطحها شيأ فشيأ وبهذا التبريد المستمر تكونت طبقات بعضها فوق بعض وعدوا أزمنتها ستة أعصر تسمى (الأعصر الجيولوجيه) وهى العصر الأصلى والانتقالى والثانوى والثالثى والطوفانى واللاحق للطوفانى وهو الحالى وترى أن الأرض ترتفع حرارتها درجة واحدة فى كل ثلاثين مترا من العمق ففى عمق ثلثمائة متر عشر درجات وفى عمق ثلاثة آلاف مترمئة درجة وهى درجة الماء المغلى وفى عمق ثلاثين كيلو مترا ألف درجة وفى عمق مائة كيلو متر أكثر من ثلاثة آلاف وثلثمائة درجة وهى حرارة تذوب فيها الجوامد كلها وقطر الكرة الأرضية نحو ثلاثة عشر ألف كيلو متر فتكون الأرض بعد ذلك كلها مواد سائلة

فانظر كيف كان سكان الأرض قبل هذا العصر وكيف كانت الحيوانات والنباتات وكيف كان الانقلاب ان الانقلاب كان عظيما وقد جاء العصر الطوفانى وهو الخامس وزلزل الأرض زلزالا شديدا واستدارت الأرض فى غمضة عين وحدث انفجار هائل فانقلبت كلها حتى ان القطبين اللذين كانا نخط الاستواء حرارة انقلبا فجأة وأصبحا فى برد قارس وثلج متراكم كأنه الجبال الشاهقات على ظاهرها والدليل على ذلك ماوجدوه فى باطن الأرض من الفيلة العظيمة التى لاتكون إلا فى الأقطار الحارة فكأن الزلزلة والطوفان لما جاآ لم يجد ذلك الحيوان ملجأ للفرار فانطمر وهلك . كل هذا يريك أن الأرض كلما كان سطحها أكثر حرارة كان الساكنون عليها أقرب للمفاجآت كما هو معقول وكلما كان سطحها أقرب للاعتدال كان الحيوان عليها أقرب الى البقاء والسكون والهدوء . ألاترى أن العصر الطوفانى المنقضى أعقبه العصر الحالى ولم يحصل فيه إلا بعض الزلازل المعروفة والا الطوفان الاسيوى المذكور فى القرآن والتوراة وكتاب الهيدا وهو الكتاب المقدس الهندى ومادلك إلا ماحصل من انقلاب البحر العظيم الذى كان يمتد قديما من البحر الاسود الى الاوقيانوس الشمالى فترى من آثاره بحر الخزر والأزوف والبحيرات المالحة المنتشرة فى سهول التتر ومفاوز روسيا فلما ارتفعت جبال القوقاس اندفع قسم من المياه الى الاوقيانوس الشمالى والقسم الآخر انقلب فى الاوقيانوس الهندى ففرق بلاد مابين النهرين وكل البقاع التى يسكنها أسلاف الشعب العبرانى

هذا هو تاريخ الأرض الذى مضى والأرض لها عمر محدود ودورات محدودة وهى بدورانها حول الأرض جارية على مدى الزمان تزيد كمالا كالانسان يكون فى أول حياته بنشوة الصبوة والفتوة ثم يصير كهلا ثم شيخا وقورا . هكذا أرضنا الآن استقرت أما سكانها ونوع الانسان على الخصوص فانهم يفعلون اليوم ماحصل للارض وقد اضطربوا فى أخلاقهم والحروب قائمة بينهم لأنهم من الأرض خلقوا والأرض نار خارجة من نار وسطحها مكون فوق النار ولاتزال البراكين تخرج كل يوم من باطنها نارا فترى جميع أفعال أهلها نارية من فرح وحزن وغم وحرية وعشق وغرام وحقد ورحمة وغيظ وطمع . كل ذلك حرارة فى النفوس كالحرارة التى فى النبات والأجسام فهذه فى القلوب معنوية وهذه فى الأجسام حسية وهذا الانسان أخذ الآن يرتقى ويتقارب فاستخرج الفحم الذى تكون من ملايين السنين وها هوذا ينتفع به ولابد بعد اجتياز هذا الدور الذى نحن فيه من بلوغ دور الكمال كما كملت الأرض التى نحن عليها شيأ فشيأ فالأرض تزيد فى الثبات والانسان لابد يوما ما يصير أكمل منه الآن وتتغلب الحكمة على الشيطنة التى غلبت عليه الآن وبوادر ذلك ظاهرة اليوم فانهم يقولون جمعية الأمم وتنقيص السلاح وما أشبه ذلك وذلك هو اليوم الذى قيل فيه ان المسيح يرسل لأهل الأرض ويزول الحقد والحسد من أهل الأرض ويعيش الناس بسلام ويصبح الناس اخوانا ولايأخذ المسلمون الجزية بل يعيشون بسلام مع الأمم وهذا هو مقصد الحديث النبوى ليستعد المسلمون لذلك اليوم ولاندرى أقريب هو أم بعيد اهـ

وكل هذا ذكرته للتقريب وليس على ذلك برهان عقلى

﴿ لطيفة فى تعاليم الأرواح وكيف كانت أخلاق المسيح وأعماله موافقة لذلك الحديث النبوى المتقدم ﴾

قد قلت لك قبل هذا الفصل ان العقل ليس له منفذ لاستطلاع المستقبل وليس يمكنه أن يعرف هل الناس فى مستقبل الزمان يكونون سعداء وليس لدينا من الدين مايدل على نزول المسيح إلا الأحاديث المذكورة والقرآن ليس فيه نص على ذلك وعلى هذا قال بعض علمائنا إن هذه المسألة ليست من العقائد اليقينية لأن العلماء يجعلون الأحاديث الصحيحة كالتى فى البخارى ومسلم ظنية لا يقينية كما فى فتح البارى على البخارى والعقائد عندنا هى اليقين لا الظن وغاية الأمر أن صحاح الأحاديث يعمل بها فى الأحكام الشرعية ومخالفها فاسق لا كافر . هذا ما كان من أمر شريعتنا الاسلامية الغراء

فلننظر الى ماوصل الى علماء الجمعيات النفسية فى أوروبا وهل عندهم من هذا القبيل شئ . نقول قد اطلعت بعد ماكتبت ماتقدم على أن بعض الجمعيات فى أوروبا استحضرت روح غاليلى الفيلسوف فأجابها قائلا ما مختصره

لابد للارض أن تزول يوما ما وتمحى من سفر الحياة ويمكن تقسيم حياة العوالم الى أدوار ثلاثة دور الطفولة إذ يتم تجمع مادة الكواكب الحديثة كالأرض فى أول وجودها

الثانى دور الكهولة وفيه يتم تجمد القشرة وتتكامل الحياة حتى يظهر المثال الأكمل

الثالث دور الانحطاط وفيه يفقد الكوكب مادته بسببين الأول الاحتكاك والثانى تحلل أجزائه كما ينحل الحجر الى حصى ورمال . وفى هذا الدور يزيد سكانه ارتقاء فى الكمال العقلى والروحى وكلما نقصت مادة الكوكب أثر ذلك فى دورانه فيحصل هناك تغير فى الدورات ويصبح النظام بالتدريج غير النظام المعتاد فى الأيام والأشهر الخ

هذا ملخص ماقيل فى ذلك عن الأرواح

اذا علمت هذا فانك تجده يطابق الحديث بعض المطابقة فان المروى فيما تقدم أن الناس يكونون غير متحاسدين ولامتباغضين ويكونون أسرة واحدة وهذا هو المناسب للدور الثالث المذكور إذ ترتقى الأرواح فتكون أرضنا شيخة كبيرة ونحن عقلاء كاملون وكأن هناك تناسبا بين أخلاقنا وحياة أرضنا وأن حياتنا مرتبطة بأخلاق أرضنا وعمرها وكهولتها ودورتها ولذلك تجد فى بعض الأحاديث ان أيام آخر الزمان تكون غير أيامنا هذه مغايرة لها بعض المغايرة

واذا ارتقت الأرواح كانت الحياة قائمة بالمحبة . وعليه نذكر كيفية حياة المسيح فنقول اعلم أن قوما يسمون (الاسونيين) كانوا عائشين فى فلسطين حتى وادى النيل حافظين تقاليد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخلاقهم وكانت مهنتهم فى الظاهر الطب وفى الباطن نشر المحبة والاخلاص بين الناس وروى عنهم المؤرخ يوسفوس وفيلون وبلينوس انهم كانوا أفضل قوم على وجه الأرض وتعليمهم أشبه بتعليم فيثاغورس فيقولون بخلود النفس وانها كانت فى الأقطار الشفافة العلوية المضيئة وقد ربطت فى الجسد لترتقى ومتى انطلقت منه ترجع الى عالمها وكانت أرزاقهم شائعة بينهم يأكلون على مائدة واحدة ويطعامهم زهيد ولايذوقون اللحم إلا نادرا ولم يستخدموا الأسرى لاعتقادهم أن هذا حرام ومخالف للطبيعة العامة لأن الناس جميعا أحرار ولباسهم كان عبارة عن حلة بيضاء يرمزون بها الى نقاوة النفس وصفائها وفوقها عباءة بيضاء ويقسمون أوقاتهم مابين الصلاة والعمل والتأمل والدرس

أما الأساتذة فكانوا متفرغين للفلسفة والطب يبحثون فى خواص النبات والمعادن ويستعملون الطريقة المغنيطيسية فى شفاء الأمراض وقد تحقق اليوم عند العلماء الباحثين أن المسيح كان مختلطا بهؤلاء القوم

سنين طويلة وان لم تذكر ذلك الأناجيل ويثبت ذلك عند هؤلاء المؤرخين أن تعليمه مشابه لهذه التعاليم فكان يأمر بحب القريب والمساواة بين الناس ولايقرّ إلا باله واحد يسمى (الأب) ولايقدّم له ذبيحة فى هيكل وهيكله هو هذا الكون فلاحاجة للعبادة فى مكان محدود ومكان عبادته الحقيقى للقدّس هو القلب وكان يحقر الكذب والانتقام والحرب وكان يحب الوداعة ودماثة الأخلاق والتواضع والسهولة واحتقار المال والتجرّد من حطام الدنيا وكان شعار المسيحيين (السلام عليكم) والنصارى الأولون اختلطوا مع الاسونيين فكانوا شعبا واحدا اهـ

هذا هو الدين المسيحى الذى كان عليه المسيحيون الحقيقيون واذا كان كذلك وقد قرّرت الأحاديث نزول المسيح فهل هكذا سيكون الناس جميعا اخوانا فى سائر الأرض ويكون المسلمون هم أصحاب هذا الرأى اذا تم هذا فهو نفس الاسلام يقول الله تعالى ـ ليظهره على الدين كله ـ ويقول ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ هذه هى الرحمة المحمدية التى رمز لها فى الحديث انها عيسوية فدين عيسى داخل فى الدين الاسلامى فالاسلام ظاهره تشريع وباطنه حب وسلام . ويا ليت شعرى ما المقصود من الحدود والأحكام ليس لها والله معنى ولا مغزى إلا السلام فى الأرض ومتى حصل السلام بالتعالم فقدت الشرائع والأحكام سلطانها لأنه لاسلطان لها إلا على الخاطئين فاذا زال الخطأ واصطلح الناس وتقدّمت العقول فأىّ داع لقطع اليد والصلب وشهادة الشهود بل كل ذلك يقل ويحل محله الحكمة والعمل . أيها المسلمون اعلموا أن نبينا صلى الله عليه وسلم ينبهنا أنكم مستعدون للرقى والسعادة مستعدون للكمال النفسى واذا كانرى سويسرا النصرانية أصبحت ولايسمع فيها بخائنين ولاسارقين ولاقاتلين ولاظالمين إلا قليلا فما بالنا عن الكمال ناكبين . ولقد سأل المرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى فتاة ترعى بقرا كثيرا فى المراعى الواسعة فى سهول سويسرا قائلا كيف تنامين ألا تخافين من اللصوص فما فهمت مايقول بل قالت وهل أحد يأخذ مال غيره وترى الرجل لايأخذ تذكرة للقطار اذا سافر فيه اتكالا على أمانته وهو الذى يضع النقود فى الصندوق بذمّته وأمانته . ولقد سأل المرحوم محمد بك فريد أيضا عن قاض من القضاة متى يحضر المحكمة فقالوا له ليس يحضرها إلا فى أوّل كل شهر فتوجه اليه فوجده يخيط النعال ليقتات بصناعته فقال له أليس لك مرتب فقال المرتب على قدر العمل ولا عمل لى إلا ثلثة أيام فى أوّل الشهر لقلة القضايا اهـ

أفليس الاسلام أحقّ بهذه الفضيلة ألا فليحوّل لناس وجههم الى الفضيلة وهى مقصد الاسلام

يامعاشر المسلمين هل قصرت أنظارنا أن نكون كهؤلاء يامعاشر المسلمين ويا علماء الأمّة اقتصاركم على الأحكام الشرعية جهالة عمياء ونذالة حمقاء افتحوا عيون الشعوب للجمال الالهى والأخلاق والفضائل ولعمر فتح لكم الباب نبينا صلى الله عليه وسلم فأراكم انه سيأتى زمان تكونون فيه كالمسيحيين الأوّلين الذين كانوا على الحق فيرشدكم بطريق الاشارة الى أن تكونوا أمّة أرقى من هذه الأمّة . إن نبينا جاء للهدى فلنكن هداة وهاهوذا يقول لنا ان ذلك الزمان لايؤخذ فيه الجزية وأن الحسد ينزع فجدّوا فى العلوم بهذا جاء الدين ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ اهـ الفصل الأوّل

﴿ الفصل الثانى ﴾

اعلم أن هذا الفصل متصل بالفصل الذى قبله لأن ذلك كان فى ذكر ذنوب اليهود وهى ١٦ ذنبا دالة على أنهم كانوا مجرمين من قبل فاذا اقترحوا أن تنزل عليهم يامحمد ـ كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ـ الخ

ثم أخذ يجيب بنوع آخر من العلم فاذا قال أوّلا ان اليهود اذا اقترحوا عليك أن تنزل عليهم كتابا من السماء فهم قوم غلاظ القلوب وحق لهم كذا وكذا فانه يقول فى هذا الفصل ـ وهل كنت بدعا من الرسل ـ

وأى نبى نزل عليه الكتاب جملة واحدة من السماء وان اليهود يعترفون بالأنبياء السابقين ولم ينزل على واحد منهم كتاب مرة واحدة فكيف يريدون مخالفة سنة الله فى انزال الكتب السماوية فمن أشهر الأنبياء نوح وابراهيم واسماعيل الخ وهم اثنا عشر نبيا هذا هو قوله تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) الى قوله (وآتينا داود زبورا) أى كتابا مزبورا أى مكتوبا و يصح أن يكون الزبور بالفتح اسم للكتاب الذى أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل تسبيح وتقديس وتمجيد وثناء على الله ومواعظ (ورسلا قد قصصناهم عليك) أى قصصنا رسلا الخ من باب الاشتغال (من قبل) من قبل هذه السورة (ورسلا لم نقصصهم عليك) أى لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم (وكلم الله موسى تكليما) وتكليم الله أقصى مراتب الوحى ثم قال امدح (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا) لايغلب على أمره (حكيما) فى تخصيص كل نبى بنوع من الالهام واذا كانوا تعنتوا عليك ولايشهدون بنبوتك فعليهم وزرهم (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) من القرآن الدال على النبوة (أنزله بعلمه) أى متلبسا به الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم معجز مشتمل على مايحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم (والملائكة يشهدون) بنبوتك (وكفى بالله شهيدا) أى كفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) ذلك لأنهم جمعوا بين ضلالهم واضلال غيرهم (إن الذين كفروا وظلموا) محمدا بانكار نبوته وصد الناس عن الاسلام (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) لايعسر عليه ولايستعظمه ولما قرر أمر النبوة وردّ دعوة المعترضين دعا الناس دعوة عامة فقال (ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا) ايمانا (خيرا لكم وان تكفروا) فهو غنى عنكم (فان لله مافى السموات ومافى الأرض) لايتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم (وكان الله عليما حكيما) فيما دبر لكم . انتهى الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث ﴾

يقول الله (يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) يخاطب النصارى (ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم) أوصلها اليها وحصلها فيها (وروح منه) وذو روح صدر منه فالملك يحيى الأموات والقلوب (فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة) أى الآلهة ثلاثة أو الله ثلاثة أوالله ثلاثة أقانيم الأب والابن والروح القدس فالأب الذات والابن العلم وروح القدس الحياة (انتهوا) عن التثليث انتهاء (خيرا لكم انما الله إله واحد) بالذات لاتعدد فيه بوجه ما (سبحانه أن يكون له ولد) أى أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد فان الولد يكون لمن يفنى فيكون بقاء لذكره بعده الى أمد معلوم وينفع والديه فى كبرهما والله ليس كذلك فهو باق (له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا) والحاجة الى الولد ليكون وكيلا عن أبيه قائما بنظام بيته والله هو الوكيل فأين الحاجة للولد اذن هذا من جهة الله أمّا المسيح فلن يأنف أن يكون عبدا لله بل الملائكة المقربون لايأنفون من ذلك ولذلك قال (لن يستنكف المسيح) لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته بأصبعك من (أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) أن يكونوا عبيدا لله (ومن يستنكف عن عبادته و يستكبر) ومن يترفع عنها (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم (فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم و يزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) تفسيره ظاهر ثم خاطب الناس قائلا (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) البرهان المعجزات والنور القرآن (فأمّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه) فى ثواب (و يهديهم اليه صراطا مستقيما) هو

الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة * يروى أن جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت هذه الآية وهى آخر مانزل من آيات الأحكام (قل الله يفتيكم فى الكلالة) تقدم تفسيرها فى أول السورة (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك) الأخت هنا من الأبوين أوأب لأن أخاها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة وقوله - ليس له ولد - يعنى ولا والد فالأخت المذكورة لها نصف المال ان انفردت والباقى لبيت المال على مذهب زيد والشافعى فأما أبوحنيفة وأهل العراق فانهم يردّون الباقى اليها أما اذا كان للبيت بنت فانها تأخذ النصف بالفرض وتأخذ الأخت النصف الثانى بالتعصيب لابالفرض لأن الأخوات مع البنات عصبة (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) أى والرجل يرث أخته ان كان الأمر بالعكس فاذا ماتت الأخت وتركت أخا من الأب والأم أومن الأب فانه يستغرق جميع ميراث الأخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد فأما الأخ للأم فانه صاحب فرض لايستغرق جميع المال (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) فمن مات وترك أختين أوأخوات فلهن الثلثان مما ترك فالمراد بالاثنتين هما وما فوقهما (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) أى وان كانوا اخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث أى وان كان المتروكون من جهة الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من أخواته الاناث (يبين الله لكم) الأحكام والفرائض كراهية (أن تضلوا والله بكل شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات

﴿ لطيفتان ﴾

﴿ اللطيفة الأولى فى شرائع الأنبياء - اللطيفة الثانية فى المسيح ﴾

اللطيفة الأولى ارجع الى شرائع الأنبياء فى سورة آل عمران وكيف نرى أن الدين واحد بما نقلناه هناك فى مسألة المسيح فقد ذكرنا نبذا من ديانات كثيرة .

اللطيفة الثانية قد كتبت فى مجلة الملاجئ العباسية تفسير آيات المسيح المتقدمة باتساع أشمل وموعظة أكمل فلا نقلها هنا الآن برمتها فأقول - قل ياأهل الكتاب - الى قوله - فسيحشرهم اليه جميعا -

الانسان أرقى من الحيوان تمتع بالحرية وهو مع ذلك ضعيف الارادة خامد العزيمة تتجاذبه الأهواء وتعنف به فى هوّات الجهالة وترديه فى أسفل سافلين

يطغيه المال حتى يستعبده وبه يتعالى على أخيه واذا تولى أمر الناس سعى فى الأرض ليفسد فيهابالظلم والعدوان واذا اتبع دينا أوعظم كبيرا تغالى فى وصفه وغفل عن نواهيه وأدبه واذا أعرض عنه أساء وصفه ووسمه بأشنع السمات

عجب أمر هذا الانسان ان كان غنيا طغى أوقائما بأمر الناس بغى أومتدينا بدين غلا وزل وحاد عن القصد فى العقيدة . ومن عجب أن أولئك المتغالين يسحرون الناس ويسخرونهم فيستذلون للظالمين، ويخضعونهم ويتبعون أهواء أهل الغلوّ من رجال الدين . ألم تر الى لويس الرابع عشر كيف كانت تقام حفلتان لاستيقاظه كل صباح وكيف كان يتولى خدمته جوع لوصرف ذكاؤهم العجيب فى الأعمال النافعة لكان خيرا للانسان وكيف كان لبعض ملوك الاسلام عند الصلاة عساكر يصطفون وجيوش بالسلاح مدججون . الانسان حرّ لكنه كالفراش يتساقط فى النار الغنى تحبسه ماله والملك يذله ملكه وذوالعلم أوالدين كثيرا مايتبع أهواءه بلا هدى ولا كتاب منير

من ذلك ماقصه الله فى هاتين الآيتين من تغالى اليهود فى التشهير بالسيد المسيح عليه السلام وبعض النصارى قديما من اتخاذه الها

فقال - يا أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لاتغلوا فى دينكم - لاتجاوزوا الحدّ فيه إذ يقول اليهود

انه عليه السلام ولد لغير رشدة و بعض النصارى انه إله (ولاتقولوا على الله إلا الحق) وكيف ينزله بعضكم الى أسفل الدرجات وآخرون يرفعونه الى مافوق السموات ونهاية الغايات . فهلا انتهجتم سبيلا وسطا لاشطط فيه ولاخطل فلاتنزلونه الى أسوإ المراتب ولاترفعونه الى رتبة لاتليق إلا للخالق — انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم — أوصلها اليها وحصلها فيها بلاتوسط مادة على خلاف العادة المألوفة والسنة المعروفة وهذا مفاد قوله — وروح منه — وقوله (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله إله واحد) ظاهر معروف — سبحانه — تنزيها له أن يكون له ولد ولا يولد إلا لمن يعتريه العناء ويحل به الفناء ليقوم الولد باعبائه ويخلفه بعد فنائه وكيف يصطفى الله ولدا مما خلق و — له مافى السموات ومافى الأرض — ملكا وخلقا وعبيدا وهل احتياج الناس للولد الا ليخلفهم ويكون وكيلا لهم والله عزّ وجل قائم بنظام العالم حافظ لكل شئ — وكفى بالله وكيلا — فكفى الله من جهة قيامه بالأشياء وحفظه لها فالولد له ضرب من المحال . ليس التغالى فى الدين قاصرا على أمة دون أمة ولاطائفة دون طائفة جهل الانسان وطغى قديما وحديثا . اقرأ تاريخ الأمم أمة أمة وابحث أخلاقها وأسرارها وتاريخ دينها تر التعصب فى الأمم والجمود فى القرائح ساريا فى أكثر البشر — ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم — ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر — الحق والصبر سعادة الانسان وماعداهما فانما هو الضلال والطيش أوالباطل والرعونة . ينزل الله الدين على لسان رسله فيستمسكون بقشوره وينبذون العمل به وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ولقد أخذ المسلمون حظهم من الخلاف وافترقوا نيفا وسبعين فرقة خلقتها وساوس الشيطان ونصبتها أيدى الشهوات واغترّ كل قوم بعصبيتهم واعتزوا بجيوشهم وفرحوا بما عندهم من العلم — وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن —

ما كادت شمس الذات المحمدية تغرب من سماء هذا العالم حتى اتبع كل فريق أحد كبار هذه الأمة فمزقوا حزائق وتفرّقوا طرائق وكان منهم من عبد سيدنا عليا كرّم الله وجهه فى حياته فقاتلهم عليه السلام وهزمهم ومنهم من اعتقد العصمة فى رجل وقال بالامام المعصوم حتى ان الحاكم بأمر الله لا يزال يعظم الى اليوم ولقد كثر المغترون فى هذه الأمة فالعالم يغترّ بعلمه والعابد بعبادته وكثير من الناس يغترّون بطاعة فعلوها ثم يتبعونها بالمخزيات والذنوب وقد يعتز الشريف بنسبه والتلميذ الذى اتخذ له شيخا بشيخه

فأنزل الله هذه الآية ليعرف الناس منازلهم ويقفوا عند حدّهم ومن العجب أن المبتدعين من المسلمين انتهجوا سبل الضلالة ونصبوا أشراك الغواية واستحبوا العمى على الهدى وعظموا أناسا ليأكلوا باسمهم ويظلموا الناس بالانتساب اليهم ألا وان أثر تلك السيئة ظاهر فى الأمة الآن

وكم مريد قنع بما تلقفه من شيخه وهو عن الدين والقرآن غافل وانى وان كنت أقرّ لكثير بالأدب والعلم والاصلاح فلاأزال آسى على هذه الأمة لما تسلط على أفئدتها كثير ممن لاخلاق لهم فيوحون الى الناس مايوحون من الزور والبهتان حتى لم يبق فى الأرض ملك فى بحبوحة العيش ونعيم الحياة الا بعض أولئك الرؤساء الذين تسللوا لواذا من الجامعة القومية والتفّ حولهم أشياعهم وأغدقوا عليهم النعم وحبس أولئك السادة عنهم العلم والحكمة وعجائب القرآن وزهدوهم فى العلوم وأناموهم على مهاد الراحة فاحيط بهم من كل جانب وهم لايشعرون واذا قلت ياأيها المريد لم غفلت وعصيت وجهلت يقول ان صلة شيخى بالله تشفع لى وانى بتعظيمى له والتجائى اليه تغفر ذنوبى فاذا أجبناه انه لايملك لك من الله شيأ — ومن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره — امتعض وقال لقد حططت من قيمته وأنزلت من قدره وذلك كما جاء وفد نجران للنبى صلى الله عليه وسلم وقالوا لم تعيب صاحبنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال وأىّ شئ أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن

يكون عبد الله و رسوله فنزل قوله تعالى ـ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ـ نكف عنه كفرح ونصر كاستنكف يقال نكفت الدمع اذا نحيته بأصبعك أى لن يأنف وهذا كقولهم أصبح لا يخالفه رئيس ولا مرؤس مبالغة فى التدثير والاستعمال شائع عربى

واذا كان السيد المسيح عليه السلام لا يستنكف أن يكون عبدا لله وهو من أولى العزم فكيف يضل فريق من أمتنا و يتغالون فى الطرق التى يسلكونها و يعولون على شيوخهم الأحياء أو الأموات فى مغفرة ذنوبهم ولن يصل شيوخهم الى رتبة المسيح عليه السلام وانى للولى أن يصل مرتبة النبى صلى الله عليه وسلم . أقول ذلك وقد أيقنت بأن طائفة تغالت من الأمة فظنوا انهم يصلون الى حال تصلهم بالله يرفع عنهم بها التكليف ولقد سمعت مريدا يقول ان شيخى هو . الله . ومن هنا علمت أن التعاليم الباطنية القديمة العهد بمواثيقها وعهودها لا تزال تتوالى فى الأمة يتلقنها الأبناء عن الآباء . وأنا أقول أيها المسلمون وجب علينا الآن أن نبين للأمة عيوبها وحق علينا نصحها وارشادها

يا أيها الناس انى فى وجل أن تضيع الأمة وتذهب ريحها يقول العاصى انى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكفتنى هذه النسبة

وقد ضرب الامام الغزالى لهؤلاء الجهال مثلا فقال مامعناه من المغترين بالله من يعظم الدين وهو مقيم على معاصيه فمثلهم كمثل رجل أمسك بذقن آخر وضربه على وجهه وقال ان أباك كان عظيما شريفا

قال لى رجل فى محفل فى بلاد الفلاحين بالشرقية ان الله يغفر بالحج الذنوب الكبائر فقلت له ياهذا اذا أرسلت اللصوص فسرقوا ألف جمل وقتلوا مائة رجل واسترقوا عشرين ألف جنيه ثم حججت بمائة منها فماذا ترى أفترى أيها الرجل أنك أدخلت الحيلة عليه ومكرت به وهو سريع الحاسبين

يا أيها الناس اتقوا الله واعلموا أن نبينا أفضل الأنبياء فشرعه أنسب للأمة وهل يليق بكرامته أن يكون تابعوه أقل الناس أدبا وأكثرهم ذنوبا وأجهلهم صناعة وأضلهم سياسة وأبعدهم عن الفضائل وأقربهم الى الرذائل و يتبجحون بقولهم (انما أتباعه) وهل هذه النسبة اللفظية تقنع الجاهل فضلا عن العالم

لقد قال اليهود والنصارى قديما مثل ذلك فنزل ذمّا لهم قوله تعالى ـ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ـ بالقتل والهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ـ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير ـ وقال قبل ذلك ـ قل فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير ـ هنا جاء الحق وزهق الباطل و بطلت حجة الجهال المدّعين أنهم أحق بالله من غيرهم

واذا كان المسيح عليه السلام عرضة لهلاكه هو وجميع من فى الأرض فأى حجة يا أيها الناس للتوا كل الأنبياء جرى عليهم القانون والناموس يقول الله عزّ وجل على لسان نبيه ـ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ـ و يقول الله عزّ وجل على لسان نبيه أيضا ـ وما أدرى مايفعل بى ولا بكم ـ يا أيها الناس إياكم والشك فى كلام الله أن يقول امرؤ هذا ظاهر وله باطن . ياقوم انا نظرنا فى طرق هذه الأمة فرأيناها مزقت كل ممزق . ياقوم لا سبيل لأن يزول الضلال الا بالعلم والحكمة . ياقوم ديننا ناموس عام لا يستثنى شريفا ولا وضيعا وليس عند الله عظيم ونسيب . ياقوم ليس لى من هذا القول كلمة واحدة انما هذه آراء أسلافنا وعظمائنا

ياقوم انّ هذا رأى الامام الغزالى وشيوخ الصوفية أنفسهم فاحذروا بعض رجال العصر الحاضر فأكثرهم لا يعلمون واذا كان الله عزّ وجل يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (وان كان) يامحمد (كبر عليك

اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا) منفذا تنفذ به (فى) جوف (الأرض أوسلما) مصعدا تصعد به الى (السماء فتأتيهم بآية) مما يقترحون عليك فافعل ذلك أى أنت لاتقدر عليه (ولوشاء الله لجمعهم على الهدى) فاندرهم واصبر (ولاتكونن من الجاهلين) الذين يجزعون فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلاء

ويقول سبحانه إذ جاء ابن أم مكتوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزل قوله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) وأى شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك (ومايدريك لعله يزّكى أويذكر) يتعظ (فتنفعه الذكرى * أما من استغنى فأنت له تصدّى) تتعرض بالاقبال عليه وليس عليك بأس فى أن لايتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على الاسلام الى الاعراض عمن أسلم (وماعليك ألا يزّكى وأما من جاءك يسعى) يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) كبوة الطريق لأنه أعمى لاقائد له (فأنت عنه تلهى) تتشاغل فانظروا يارجال الاسلام خطاب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولعيسى ولأهل الأرض قاطبة

انظروا ياأهل العلم كيف عتب الله على نبيه ان أعرض عن رجل أعمى وقد تصدّى لدعوة عظماء قريش وهو يطمع أن يعزّ الله بهم الاسلام لاتكبرا عليه * ولقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يكبره ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرّتين

ولقد روى أن عتبة بن أبى وقاص شج النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهمّ أن يدعو عليهم فنزل قوله تعالى (ليس لك من الأمر شئ) ويقول صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ويقول يافاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيأ . ياأمة الاسلام هذا كلام ربكم وهذه حال نبينا والأنبياء والمسيح عليه السلام الناس أجمعون عبيد لله

فانظروا من أين دخلت الغفلة على المسلمين . ياقوم من يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره . دين الاسلام أخلاق فاتقوا الله أيها الناس واعلموا أن الاسلام . دين الفضيلة . دين الحكمة دين العلم . دين الأدب

واذا اكتفى الحاج بحجته والمصلى بصلاته والمريد بشيخه والفقيه بفقهه والأديب بأدبه اللفظى فلمن أنزل القرآن وآدابه . يارجال الاسلام أنذركم هلاك العدد وقطع المدد ورق الولد وضياع البلد أنذركم اقتراب أجل الأمة المحمدية أنذركم صاعقة العذاب الهون . لم يبق الا أيام قلائل فان لم ترجعوا الى الجادّة هلكت الأمة وصاروا كأهل الأندلس قديما . لقد أطلت فى هذا المقام وشرحت حال المسلمين الحاضرة بعد أن أطلت فيها التفكير فأيقنت بما كتبت

هذا لمناسبة السيد المسيح عليه السلام ولعمرك لم يسمعنا الله ذلك الا لنذكر ونعتبر . ولنرجع الى بقية الآية (ومن يستنكف) يترفع عن عبادته (ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم والاستكبار دون الاستكاف حيث لااستحقاق وقد يكون الاستكبار عن استحقاق

ياأيها المسلمون ماأكثر الغرور وماأجهل المغرورين . دين الاسلام أخلاق وفضيلة ولقد عيرنا سائر الأمم بهذا النقص المشين فان لم نرجع عن عيبنا فاننا فى عذاب الخزى واقعون . اللهم ارزق أمتنا رجالا مصلحين وفقهها فى أخلاق دينها انك سميع قريب

هذا الذى شرحناه اليوم فى الآيتين من سورة النساء بعض مافهمه الصحابة رضوان الله عليهم . وانظروا الى عمر رضى الله عنه وقد تلقى الشريعة عن صاحبها وشاهد كسر رباعيته فى أحد والدم يسيل على وجهه وسمع آية الوحى

ـ ليس لك من الأمر شئ ـ أنظروا كيف علم أن الناس كلهم خاضعون لناموس واحد في الدنيا والآخرة فقال لابن القبطي اضرب ابن عمرو بن العاص كما ضربك بمحضر من الصحابة وكيف يقول له كيف تستعبدون الناس وقد ولدوا أحرارا وكيف جعل الأمر شورى عند موته . تأملوا ياقوم في الأمر فاني أخاف أن يضيع من أيدينا فالوقت قصير حكي لي أن رجلا هولاندي قال ان دين محمد صلى الله عليه وسلم فهمه أصحابه في القرن الأول ثم تولى شأن دينه شعوب حقيرة ونفوس صغيرة وعقول قصيرة فرجعوا القهقرى وتقهقروا الى الورا وصاروا عبرة للورى

﴿ تم تفسير سورة النساء ﴾

﴿ سورة المائدة مدنية ، وآيها مائة وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تقسيم سورة المائدة ﴾

(١) الحلال والحرام في الصيد ونحوه من أول السورة الى قوله الخاسرين

(٢) طهارة الجسم بالماء وطهارة القلب بالصلاة وبالعدل وشكر النعمة من قوله ـ يأيها الذين آمنوا ـ الى قوله ـ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ـ

(٣) أخذ العهد على بني اسرائيل بالصلاة والزكاة والايمان فنقضوا عهدهم وكذلك النصارى وتوبيخ الطائفتين وتقريعهم وقصة دخول بني اسرائيل بيت المقدس من قوله ـ ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل ـ الى قوله ـ على القوم الفاسقين ـ

(٤) قصة ابني آدم وكيف كان الظلم قديما كما صار حديثا من قوله ـ واتل عليهم ـ الى قوله ـ فأصبح من النادمين ـ

(٥) حكم القاتل وقاطع الطريق والسارق من قوله ـ من أجل ذلك ـ الى قوله ـ والله على كل شئ قدير ـ

(٦) أحكام التوراة والانجيل والقرآن وأن أهل كل كتاب يحكمون به من قوله ـ يأيها الرسول لا يحزنك ـ الى قوله ـ يوقنون ـ

(٧) أمر الله للمؤمنين أن لا يتولوا اليهود والنصارى وأن لا يرتدوا وتقريع اليهود والنصارى على ذنوبهم من قوله ـ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى ـ الى قوله ـ وكثير منهم ساء ما كانوا يعملون ـ

(٨) أمر الله للنبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الرسالة ووعده له بحفظه من الناس وان يجاهر اليهود والنصارى بأنهم ليسوا على شئ من دينهم وذكر فريقين من النصارى هادين وضالين وذم اليهود من قوله ـ يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ـ الى قوله ـ أولئك هم أصحاب الجحيم ـ

(٩) الحلال والحرام في الصيد وذكر الخمر والميسر ونحوهما من قوله ـ يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ـ الى قوله ـ فينبئكم بما كنتم تعملون ـ

(١٠) نوع من الشهادات من قوله تعالى ـ يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم ـ الى قوله ـ لا يهدي القوم الظالمين ـ

(١١) خطاب الله لعيسى ابن مريم يوم القيامة وجوابه من قوله ـ يوم يجمع الله الرسل ـ الى آخر السورة

﴿ مقدمة ﴾

نزلت سورة المائدة بالمدينة الا قوله ـ اليوم أكملت لكم دينكم ـ فانها نزلت بعرفة فى حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبة وقال يا أيها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها * قال البغوى روى عن ميسرة أن الله تعالى أنزل فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها فى غيرها وهى قوله تعالى (١) والمنخنقة (٢) والموقوذة (٣) والمتردّية (٤) والنطيحة (٥) وما أكل السبع الا ماذكيتم (٦) وماذبح على النصب (٧) وأن تستقسموا بالأزلام (٨) وماعلمتم من الجوارح مكلبين (٩) وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم (١٠) والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (١١) وتمام بيان الطهر فى قوله ـ اذا قمتم الى الصلاة ـ (١٢) والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما (١٣) ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم (١٤) ماجعل الله من بحيرة (١٥) ولا سائبة (١٦) ولا وصيلة (١٧) ولا حام وقوله (١٨) شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت . أقول وهذه تنقسم الى ثلاثة أقسام . الأوّل ماحرم وكان حلالا عند العرب وهو سبعة . والثانى ماأحلّ وهو سبعة . والثالث أربعة أقسام مايفضى الى تنزيه الجسم من الأقذار الحسية والمعنوية وهى النجس والحدث والى تنزيه النفوس من الخيانة فى الأموال بالسرقات والى عدم قتل الحيوان فى أحوال خاصة والى العدل فى الشهادة فهذه هى ١٨

فلنشرح (١) أوّلا هذه الأقسام الثلاثة (٢) ثم لأبين كيف أباح الله قتل الحيوان مع انه رحيم وكيف اجتمعت الرحمة والايلام فى عالمنا الأرضى (٣) و بيان الحيوانات الآكلة والمأكولة (٤) وكيف كان النظام يطلب ذلك (٥) وكيف اختلف نوع الانسان اختلاف الحيوان وكيف كان الاسلام وسطا وكيف كان الله هو الملهم والمعلم بالالهام تارة والاختبار تارة أخرى (٦) وتحريم أكل الطيور النافعة للانسان شرعا (٧) وكيف سمى الله هذه السورة مائدة و بسط فيها الحلال والحرام (٨) وكيف كانت هذه السورة هى مفتاح لباب العلوم الحيوانية حتى يلج منه المسلمون فيعرفوا الضار والنافع بتعليم الله لهم والهامه سبحانه وتعالى واختبار الضار والنافع فيحفظون ماينفعهم ويحرّمون أكله و فى ذلك باب واسع لدرس الحيوانات كلها ولسائر ما فى الأرض وهذا بحر مستمدّ من قوله تعالى ـ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ـ فلابدّ من دراسة العالم الذى نحن فيه

فأما البقاء على الجهالة العمياء فى الاسلام فذلك باب يجرّ الى فناء هذه الأمّة وقيام غيرها مقامها فليس علم الفقه المعروف كل شئ بل هو جزء قليل جدّا من الدين والدين لا يزال بحاله فليقم فى الاسلام عقلاء وليفكروا فهذا موسمهم والله قد أذن بذلك . فهذه ثمان مسائل فلنبتدئ بالمسألة الأولى فنقول

(١) شرح هذه الأقسام الثلاثة ذات المسائل الثمانية عشرة

القسم الأوّل منها ما كان حلالا وحرم بالقرآن وهو ٧ خلاف الأربعة التى حرمت قبل هذه السورة فى القرآن وهى الميتة والدم والخنزير وما أهلّ لغير الله به فيكون هذا بما أضيف اليه أحد عشر محرما

(١) أحدها الميتة كانت العرب تقول انكم تأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ماقتل الله . ان تحريم الميتة موافق للعقل لأن الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس الدم فى عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضار

(٢) ثانيها الميتة كانوا يملؤن المعى من الدم و يشوونه و يطعمونه الضيف فحرم عليهم ذلك وقال الأعشى

فاياك والميتات لاتقربنها * ولا تأخذن نصلا حديدا لتفصدا

ولا تنكحنّ جارة ان سرّها * عليك حرام فانكحن أو تأيدا

يقول مفسروا هذه الأبيات ان العرب كانوا اذا أجدبوا جرحوا ابلهم بالنصال فتزل الدم فشربوه

(٣) الثالث لحم الخنزير لأن الخنزير أضرى الحيوان على الطعام والشهوات وأشرهه فأكل لحمه يورث الأخلاق التى عليها ذلك الحيوان كما ان الحيوان المريض يورث آكله مرضا . وقد ثبت فى العصر الحاضر أن الدودة الوحيدة

لاتكون الا من أكل لحم الخنزير فلحوم الناس وعظامهم تابعة لأغذيتهم وهذا باب واسع فى العلم يجب النظر فيه طويلا والبحث فى الحكمة والعالم المشاهد

(٤) الرابع ـ ماأهل لغير الله به ـ الاهلال رفع الصوت يقال أهل فلان بالحج اذا لبى به ومنه استهل الصبى وهو صراخه اذا ولد وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى فحرم الله تعالى ذلك وانما حرم ذلك لتصان العقائد عن التفرق والاختلاف فان ذكر اسم الأصنام عند الذبح مشعر بتفرق الوجهة وتفرقها داع لتفرق الأعمال والأحوال فلا يكون نظام للأمور الحيوية ويتبعها أن يخسروا الآخرة والآخرة انما هى نتيجة الحياة الدنيا تنظيما واختلالا فى العقيدة والعمل

(٥) الخامس المنخنقة يقال خنقه فاختنق والخنق والاختناق انصار الحلق . فهذا الخنق بأى وجه موجب للتحريم فمنه انهم كانوا فى الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت أكلوها ومنها مايخنق بحبل الصائد ومنها مايدخل رأسها بين عودين فى شجرة فتختنق فتموت . وهذه المنخنقة بأى وجه من جنس الميتة لأنها لما ماتت لم يسل دمها فكانت منها

(٦) السادس الموقوذة وهى التى ضربت الى أن ماتت يقال وقذها وأوقذها اذا ضربها الى أن ماتت ومن الموقوذة مارمى بالبندق فمات وهى من الميتة لأنها لم يسل دمها

(٧) السابع المتردية والمتردى هو الواقع فى الردى وهو الهلاك قال الله تعالى ـ ومايغنى عنه ماله اذا تردى ـ أى وقع فى الردى وهو فى الآية النار ويقال فلان تردى من السطح فالمتردية هى التى تسقط من جبل أو موضع مشرف فتموت . وهذه أيضا من الميتة لأنها ماتت وماسال منها الدم . وكذلك ماتشابه أمرها فلم نعلم أمتردية هى أم مصابة بالسهم بأن وقعت من فوق الجبل وقد أصابها سهم فلايدرى بأيهما ماتت أبالسهم أم بالتردى

(٨) الثامن النطيحة وهى المنطوحة الى أن ماتت كشاتين تناطحتا الى أن ماتتا أو ماتت احداهما وهى من الميتة لأنها ماتت من غير سيلان الدم واعلم أن فعيل بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث اذا كان الموصوف مذكورا فاذا لم يكن الموصوف كما هنا دخلت التاء فارقة

(٩) التاسع ـ ماأكل السبع الاماذكيتم ـ السبع يقع على ماله ناب ويعدو به على الانسان والدواب ويفترسها مثل الأسد ومادونه * وكان أهل الجاهلية اذا جرح السبع شيأ فقتله وأكل بعضه أكلوا مابقى فحرمه الله تعالى وتقدير الآية ـ وماأكل السبع منه ـ لأن ماأكل السبع قد نفد وقوله ـ الاماذكيتم ـ أصل الذكاء اتمام الشئ ومنه الذكاء فى الفهم ويقال ذكيت النار أتممت اشعالها فقوله ـ الاماذكيتم ـ أى الا ماوجدتم له عينا تطرف أو ذنبا يتحرك أو رجلا تركض فذبحتموه فانه حلال فانه لولا بقاء الحياة ماحصلت هذه الأحوال ويكون هذا الاستثناء مما تقدم من المنخنقة الى قوله ـ وماأكل السبع ـ والتذكية هنا هى التى أجهزت على الحيوان لا الخنق ولا الوقذ الخ وهذا قول على وابن عباس والحسن وقتادة ويقول بعضهم كلا بل هذا راجع لما أكل السبع والقول الثالث انه استثناء منقطع أى ـ الاماذكيتم ـ من غير هذه فأما هذه فلا تحل ذكيت أو لم تذك

(١٠) العاشر ـ وماذبح على النصب ـ وهى أحجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للأصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويضعون اللحوم عليها فقال المسلمون يارسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق بأن نعظمه وكان النبى صلى الله عليه وسلم لم ينكره فأنزل الله ـ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ـ والنصب جمع نصاب كحمار وحمر أو نصب كسقف وسقف أو النصب وهى العلامة تنصب للقوم أى وماذبح على اعتقاد تعظيم النصب أو للنصب

(١١) الحادى عشر قوله ـ وأن تستقسموا بالأزلام ـ كان أحدهم اذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا آخر ومن معاظم الأمور ضرب بالقداح وكانوا قد كتبوا على واحد منها أمرنى ربى وعلى الثانى

نهانى ربى والثالث لاشئ عليه فان خرج الأمر أقدموا على الفعل وان خرج النهى أمسكوا عنه وان خرج الذى لم يكتب عليه أعادوا العمل مرة أخرى فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ماقسم لهم من الخير والشر بواسطة ضرب القداح والأزلام القداح واحدها زلم وسميت الاقداح بالازلام لانها زلمت أى سويت ويقال رجل مزلم وامرأة مزلمة اذا كان كل منهما خفيفا قليل العلائق ويقال قدح مزلم اذا ظرف وأجيد قده وصنعته وانما حرم ذلك لأنهم كانوا يحملون تلك الأزلام عند الأصنام ويعتقدون أن مايخرج من الأمر والنهى على تلك الأزلام انما يكون بارشاد الأصنام واعانتها فلهذا السبب كان فسقا وحراما

واعلم أن الله عز وجل منع علم الغيب عنا لحكمة وهى الجد ولو أننا عرفنا الغيب ماعملنا عملا بل كان الانسان ينام منتظرا مايجىء به القدر وهذا تعطيل لمصالح الدنيا فلذلك منع الله علم الغيب عن الناس وجعل الرؤس وغيرها فيها الحق والباطل والصدق والكذب ليحترس الناس وليفكروا بعقولهم ولا يتكلوا إلا على ربهم الذى حجبهم برحمته عن معرفة الغيب إلا بما شاء لحكمة . اه القسم الأول من الأقسام الثلاثة وهى السبعة التى حرمت فى هذه السورة مضافا لها الأربعة التى معها وكانت محرمة قبل نزول هذه السورة

القسم الثانى ماأحل وهو سبعة (١) ماصدناه بالجوارح المعلمة (٢) وطعام الذين أوتوا الكتاب (٣) والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (٤) بيان الطهر والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام

(١) ماصدناه بالجوارح المعلمة — وماعلمتم من الجوارح مكلبين — والجوارح جمع جارحة وهى الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازى والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانه يجرح الصيد عند امساكه ويصح أن تسمى جوارح بمعنى كواسب من جرح واجترح بمعنى كسب واكتسب ومعنى مكلبين معلمين والمكلب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد أوهو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له الاسم من الكلب لأنه أكثر احتياجا الى التعليم هكذا قالوا وأقول بل هو أقرب الى الاقتناص بالناس وأدنى الى طاعتهم بخلاف الطيور . ثم قال تعالى — تعلمونهن مما علمكم الله — من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله أومكتسب بالعقل الذى هو منحة منه سبحانه وتعالى ومنه أن يتبع الصيد اذا أمره صاحبه وان ينزجر عنه اذا انزجر وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه ولا ينفر من صاحبه اذا أراده وأن يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم الجوارح فاذا وجد منها ذلك مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات عند أبى يوسف ومحمد ومرتان فى رواية عن أبى حنيفة وعند أحد أيضا ومرة واحدة عند الحسن البصرى ويعتبر العرف عند الشافعى وأبى حنيفة فى أظهر الروايات عنه * قال صلى الله عليه وسلم لعدى بن أبى حاتم اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل

(١) فاذا كان الكلب معلما وصاد صيدا وجرحه وقتله وأدركه الصائد ميتا فهو حلال لأن جرح الجارحة كالذبح

(٢) الجوارح المعلمة حكمها حكم الكلب

(٣ و ٤) والسهم والرمح كذلك . فاذا صاده الكلب وجثم عليه وقتله بالفم من غير جرح ففيه قولان

(١) انه ميتة لايؤكل (٢) يحل لدخوله فيما أمسكن عليكم وهذا كله مالم يأكل منه فان أكل منه فقد اختلف العلماء فيه فمن قائل لايحل وهو قول ابن عباس وطاوس والشعبى وعطاء والسدى وأظهر اقوال الشافعى مستدلين بقوله تعالى — فكلوا مما أمسكن عليكم — وهذا قد أمسكه على نفسه * وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعدى بن أبى حاتم اذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فان أدركته ولم يقتل فاذبح واذكر اسم الله عليه وان أدركته وقد قتل ولم يأكل فكل فقد أمسك عليك وان وجدته قد أكل فلا تطعم منه شيأ فانما أمسك على نفسه . ومن قائل يحل وهو قول سلمان الفارسى وسعد بن أبى وقاص وابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهم . فهؤلاء

يقولون يحلّ وان أكل منه وهو القول الثانى للشافعى

(٢) الثانى من السبعة التى تحل طعام الذين أوتوا الكتاب فى قوله تعالى - وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم - فطعام الذين أوتوا الكتاب هنا هى الذبائح التى يذبحونها وأما المجوس فلا نأكل ذبائحهم ولا نتزوّج نساءهم ولا نأكل ذبائح أهل الشرك من العرب وعبدة الأصنام ومن لا كتاب لهم فأما غير الذبائح فلا كلام فيها لأنها محللة قبل أن كانت لأهل الكتاب و بعد أن صارت لهم لا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة ولو ذبح اليهودى أو النصرانى على غير اسم الله (١) قيل لا يحل ذلك وهو قول ربيعة (٢) ولكن أكثر أهل العلم انه يحل وهو مذهب الشعبى وعطاء قالا لأن الله أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون (٣) وقال الحسن إذا ذكرا غير اسم الله وأنت تسمع فلا تأكل واذا غاب عنك فكل فقد أحله الله (٤) وزعمت طائفة أنه يحل مطلقا ولو ذكروا اسم غير الله وأما قوله - وطعامكم حلّ لهم - أى يحل لكم أن تطعموهم من طعامكم وكأنه لما كانت المناكحة غير جائزة من بعض الوجوه بأن يتزوّجوا نساءنا نبه بهذا على أنه يجوز أن نطعمهم من طعامنا وان لم يجز أن نزوّجهم من نسائنا

(٣) الثالث من السبعة التى تحل - والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم - أى وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى وهل يراد بالمحصنات الحرائر منهن

(١) وهذا قول ابن عباس فلا يتزوّج بالأمة الكتابية من اليهود والنصارى لأنه اجتمع فى حقها نوعان من النقص الكفر والرق وهو مذهب الشافعى (٢) وقال الحسن والشعبى والنخعى والضحاك المحصنات العفيفات من أهل الكتاب فيجوز التزوّج بالأمة الكتابية وهو مذهب أبى حنيفة لعموم هذه الآية فزواج الكتابيات الذميات جائز وقد تزوّج عثمان بن عفان نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهى نصرانية وطلحة بن عبيد الله تزوّج يهودية وقد كره ابن عمر ذلك وكان يحتج بقوله تعالى - ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ - وقال الجمهور هذه الآيات التى ذكرها عامّة وخصصت بهذه الآية جميع المشركات محرمات ما لم يؤمنّ إلا الكتابيات فذلك عام وهذا خاص فحلت الكتابيات وبقى تحريم غيرهنّ من المشركات . وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب لعموم الآية والجمهور انها خاصة بالذميات دون الحربيات * قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من تحل لنا ومنهنّ من لا تحل لنا وقرأ - قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله - الى قوله - حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون - والمراد بهم أهل الذمّة دون أهل الحرب من أهل الكتاب وقوله - اذا آتيتموهنّ أجورهنّ - أى مهورهنّ وهى العوض الذى يبذله الرجل للمرأة - محصنين غير مسافحين - أى مستعفين بالتزويج غير زانين - ولا متخذى أخدان - يعنى ولا منفردين ببغى واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده . حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن واحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالايمان) ومن يجحد ما أمر الله به من توحيده ونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) بطل ثواب عمله الذى عمله فى الدنيا وخاب وخسر فى الدنيا والآخرة (وهو فى الآخرة من الخاسرين) اذا مات على ذلك

الرابع والخامس والسادس والسابع من التى تحل هى المذكورات فى قوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب فهذه هى البحيرة . وأما السائبة فان الرجل منهم كان يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها . وأما الوصيلة فقد كانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه وأكل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركوها فى الغنم وان كانت ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت

أخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من أجل ذلك والحامي هو الفحل اذا انتفق له أحد أمرين اما أن يركب ولد ولده أو ينتج من صلبه عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى فاذا مات أكله الرجال والنساء وقوله - ماجعل الله - ماشرع الله - من بحيرة الخ -

القسم الثالث وهو مايشير الى تنزيه الجسم عن الأقذار الحسية والمعنوية وهي الحدث والنجس والى تبرئة النفس من الخيانة في الأموال بالسرقات والى عدم قتل الحيوان في أحوال خاصة والى العدل في الشهادة وأدائها

﴿ المسألة الأولى - نظافة الجسم ﴾

(ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أي اذا أردتم القيام الى الصلاة - فاغسلوا وجوهكم - من منابت شعر الرأس الى منتهى الذقن طولا ومن الأذن الى الأذن عرضا مع وصول الماء الى ماتحت الحاجبين وأهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة وأما اللحية فان كانت كثة لاترى البشرة من تحتها لايجب غسل ماتحتها ويجب غسل الخفيفة ولم يوجب أبو حنيفة مرور الماء على مانزل من شعر اللحية عن حد الرأس ويجب امرار الماء على ظاهره عند غيره - وأيديكم الى المرافق - المرفق بالكسر هو من الانسان أعلى الذراع وأسفل العضد ومذهب جمهور العلماء دخول المرفقين في الغسل الواجب ونقل عن مالك والشعبي وأبي بكر بن داود الظاهري انه لايجب وكذا ابن جرير الطبري وحجة الجمهور أن الى بمعنى مع وحجة غيرهم أن الغاية للشئ لاتدخل فيه والحد غير المحدود - وامسحوا برؤسكم - أي رؤسكم أوالصقوا المسح برؤسكم فالباء اما زائدة واما أن يكون الفعل تضمن معنى الالصاق والمسح عند الشافعي أقل مايقع عليه الاسم . وعند أبي حنيفة ربع الرأس . وعند مالك جميع الرأس - وأرجلكم الى الكعبين - بالنصب عطفا على وجوهكم أو بالجر للجوار (وفرض الرجلين)

(١) اما المسح عند ابن عباس وقتادة وعكرمة والشعبي والامامية من الشيعة (٢) واما المسح بالقرآن والغسل بالسنة عند أنس (٣) واما الجمع بين الغسل والمسح عند داود الظاهري (٤) واما التخيير بين الغسل والمسح عند الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري (٥) واما الغسل فقط عند جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة الأربعة وأصحابهم وهذا الخلاف كله راجع لقراءة الجر والنصب والأحاديث واردة بطرق مختلفة ولاستنتاج كقول الشعبي انما المسح على الرجلين ألاترى أن ما كان فيه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل وقال ابن عباس الوضوء غسلتان ومسحتان وهكذا وقوله - الى الكعبين - الخلاف في دخول الكعبين كالخلاف في دخول المرفقين والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم عند جمهور العلماء في اللغة والفقه وشذت الشيعة والقائلون بمسح الرجلين إذ قالوا الكعب عظم مستدير على ظهر القدم فيكون في كل رجل كعب واحد

﴿ كيفية الوضوء ﴾

فروض الوضوء . اعلم أن فروض الوضوء التسمية وتقديم غسل اليدين والمضمضة والسواك والاستنشاق والنية عند غسل الوجه وغسل الوجه وداخل العين مع مقدم الأذن وغسل اليدين وتقديم اليمنى ومسح الرأس وغسل الرأس مع المسح وغسل الرجلين والترتيب والفور ويكون لكل صلاة والتدليك

فالتسمية عند أحمد واسحق وتقديم غسل اليدين عند بعض الفقهاء كما في الرازي والمضمضة والاستنشاق عند أحمد واسحق في الوضوء والغسل . وعند أبي حنيفة في الغسل دون الوضوء والسواك عند داود . والنية عند الشافعي والترتيب عنده أيضا والفور وهو الموالاة عند مالك وما أقبل من الأذن مع الوجه غسلا وما أدبر مع الرأس مسحا عند الشعبي وادخال الماء في العين عند ابن عباس وتقديم اليد اليمنى عند أحمد ومسح الرأس مع غسلها عند داود الظاهري ويجب الوضوء لكل صلاة عنده أيضا والتدليك عند مالك

وأبو حنيفة لم يوجب منها إلا أربعة وهي المذكورة في الآية وزاد الشافعي خامسا وهو النية وزاد الشافعي أيضا وأحمد سادسا وهو الترتيب كالآية وأوجب مالك الموالاة والتدليك فالاتفاق على أربعة والاختلاف في اثني عشر

﴿فائدة﴾ قال الأوزاعي والثوري وأحمد يجوز مسح العمامة بدل مسح الرأس وخالفهم الجمهور والمسح على الخفين أجازه الشافعي وأبو حنيفة وأكثر الفقهاء وذلك للمسافر ثلاثة أيام بلياليها من وقت الحدث بعد اللبس وأنكره الشيعة والخوارج وأما قوله تعالى ـ وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ـ فقد سبق تفسيره في سورة النساء ولكن لنوضح الطهارة من الجنابة فنقول . للجنابة سببان التقاء الختانين والانزال وقال زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري لا يجب الغسل إلا عند نزول الماء وختان الرجل موضع قطع جلدة الغلفة وختان المرأة موضع قطع الجلدة الرقيقة القائمة مثل عرف الديك بين الشفرين وتحتها مجرى البول وهو ضيق وتحت هذا ثقبة يخرج منها الحيض والولد وهي مدخل ما يجب به الغسل والتطهر الاغتسال وهو أن يعم الجسد بالماء وأوجب مالك الدلك وأوجب أبو ثور وداود تقديم الوضوء وأوجب أبو حنيفة المضمضة والاستنشاق . ثم ان شعر الرأس ان كان مفتولا مشدودا بعضه ببعض ومنع وصول الماء الى البشرة لم يوجب مالك نقضه ـ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ـ أي ما يريد الله بالطهارة للصلاة ولا بالأمر بالنعيم تضييقا عليكم ـ ولكن يريد ليطهركم ـ لينظفكم والنظافة الظاهرة داعية للباطنة ومن اعتاد نظافة الظاهر صار سجية له يعتادها وملازمة الاعتدال والجمال تؤثر في نفس الملازم ولقد بينا هذا في سورة البقرة عند قوله تعالى ـ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ـ وأفدنا هناك أن النظافة والعمل يرفعان النفوس الانسانية والقذارة والبطالة يوجبان نقصها فارجع اليه إن شئت ـ وليتم نعمته عليكم ـ بالطهارة والنظافة وما يترتب عليها من صفاء القلوب واخلاص السرائر وصفاء النيات ـ لعلكم تشكرون ـ نعمته

﴿ المسألة الثانية ﴾

ـ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ـ حد اليد من رؤس الأصابع الى الكوع أي فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة وهذه جملة وقوله ـ فاقطعوا أيديهما ـ جملة أخرى ـ جزاء بما كسبا ـ مفعول لأجله ـ نكالا من الله ـ أي عقوبة مفعول لأجله أيضا ـ والله عزيز حكيم ـ عز فحكم فقطع ولا تقطع اليد إلا اذا كان المسروق يساوي ربع دينار وسرق من حرز مثله وقال مالك وأحمد واسحق يقطع في ثلاثة دراهم أو قيمتها وعن أبي هريرة أنه خمسة دراهم وقال قوم لابد من دينار أو عشرة دراهم وهذا مروي عن ابن مسعود وسفيان وأبي حنيفة وابن عباس ويروى عن ابن الزبير والحسن أن القدر غير معتبر فيقطع على القليل والكثير ولا يشترط أن يكون من حرز مثله وهو مذهب داود

وتقطع يده اليمنى من الكوع فان سرق ثانية قطعت رجله اليسرى * وهنا قال سيدنا على اني استحي أن لا أدع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها فلا يقطع اليد الثانية ولا الرجل الثانية بل يحبس وهو قول الشعبي والنخعي والأوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي وذهب غيرهم الى أنه تقطع يده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة

﴿ التخفيف فلا قطع في حالين ﴾

الحال الأولى . اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق مال والده والوالد يسرق مال ولده والعبد يسرق مال سيده والشريك يسرق مال شريكه بل ان مجرد الانكار عند بعضهم كالشافعية يمنع القطع فلو قال لم أسرق وقد سرق كان شبهة تمنع القطع ويكتفى بالعقوبة (التعزير)

الحال الثانية . أن يتوب كما قال الله تعالى ـ فمن تاب ـ من السراق ـ من بعد ظلمه ـ بعد سرقته

ـ وأصلح ـ أمره بالتفصى عن التبعات والعزم على أن لا يعود اليها ـ فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ـ يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة ولا تقطع يده عند بعض العلماء بدليل قوله تعالى ـ غفور رحيم ـ

﴿ المسألة الثالثة ﴾

ـ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ـ محرمون جمع حرام أو داخلون الحرم فيحرم على من أحرم بالحج أو العمرة وعلى من دخل الحرم وان لم يكن محرما أن يقتل الصيد وهو كل حيوان متوحش مأكول اللحم أو غير مأكول اللحم كالغزال والأسد واستثنى من ذلك خمس الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور ـ ومن قتله منكم متعمدا ـ ذاكرا لاحرامه عالما بأنه حرام عليه قتل ما يقتله ـ فجزاء مثل ما قتل من النعم ـ أى فعليه جزاء يماثل ما قتل من النعم * روى أنه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحشى فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت هذه الآية

واعلم أن من تعمد قتل الصيد وهو ذاكر لاحرامه فان ذنبه أكبر من أن يكون له كفارة ولكن ابن عباس والجمهور يحكمون عليه بالجزاء * ومن تعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام أو قتل الصيد خطأ بأن قصد غيره بالرمى فأصابه فهو كالعمد فعليه الجزاء فالقرآن نزل فى العمد والسنة جرت بالخطأ

﴿ المثل الواجب ﴾

أما الخلقة فهو أم بالقيمة والجمهور على الأول فقد حكم الصحابة رضى الله عنهم فى النعامة ببدنة وهى لا تساوى بدنة وفى حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوى بقرة وفى الضبع بكبش وفى الظبى بشاة وفى الأرنب بسخل وفى الضب بسخلة وفى اليربوع بجفرة ويجب فى الحمامة وكل ما عب وهدر كالفواخت والقمرى وذوات الأطواق شاة وما سوى ذلك من الطير ففيه القيمة فى المكان الذى أصيب فيه * وروى عن عمر أنه قضى فى الضبع بكبش وفى الغزال بعنز وفى الأرنب بعناق وفى اليربوع بجفرة

وقال أبو حنيفة يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت القيمة ثمن هدى خير بين أن يهدى ما قيمته قيمته و بين أن يشترى به طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من برّ أو صاعا من غيره و بين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم قال تعالى ـ يحكم به ذوا عدل منكم ـ أى يحكم بالجزاء فى قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من أهل ملتكم ودينكم وينبغى أن يكونا فقيهين فينظران الى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به ـ هديا ـ حال من الهاء فى به ـ بالغ الكعبة ـ وصف به هديا ومعنى بلوغه الكعبة انه يذبح فى الحرم ويتصدق به ثم وقال أبو حنيفة يذبح فى الحرم ويتصدق به حيث شاء ـ أو كفارة طعام مساكين ـ عطف بيان أو بدل من كفارة والمعنى عند الشافعى أن يكفر باطعام مساكين ما يساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدّا ـ أو عدل ذلك صياما ـ أو ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وانما كان عليه الجزاء أو الطعام أو الصوم ـ ليذوق وبال أمره ـ ثقل فعله وسوء عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله وأصل الوبال الثقل ومنه الطعام الوبيل ـ عفا الله عما سلف ـ من قتل المحرم الصيد فى الجاهلية أو قبل التحريم أو فى هذه المرة ـ ومن عاد فينتقم الله منه ـ مع أن عليه الكفارة ـ والله عزيز ذو انتقام ـ ممن أصرّ على عصيانه ثم أخذ يشرح صيد البحر فقال ـ أحل لكم صيد البحر ـ ما صيد منه مما لا يعيش إلا فى الماء وهو حلال كله

وقال أبو حنيفة لا يحل منه إلا السمك وقيل يحل السمك ومايؤكل نظيره فى البر ـ وطعامه ـ ما قذفه ورمى به الى الساحل أو نضب عنه ـ متاعا لكم ـ تمتيعا لكم ـ وللسيارة ـ أى ولسياراتكم يتزودونه قديدا أى يتمتع به المسافرون والمقيمون

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

الحيوان البحرى إما سمك واما غير سمك فجميع السمك حلال وقال أبو حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب

وماعدا السمك فهو قسمان قسم يعيش فى البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكلهما . وقال سفيان أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس

والجراد وطير الماء من صيد البر فان أصاب جرادة فعليه صدقة . وقال أحمد يؤكل ما فى البحر إلا الضفدع والتمساح قال لأن التمساح يفترس ويأكل الناس . وقال ابن أبى ليلى ومالك يباح كل ما فى البحر وقال بعضهم الكلب والخنزير فى الماء وكل ماله نظير لا يؤكل فى البر لا يؤكل هو والبقر البحرى والجاموس يؤكل لأن له نظيرا فى البر يؤكل اهـ

﴿ المسألة الرابعة من هذا القسم ـ يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم ـ الآية ﴾

اعلم أن تميما الدارى وعدى بن بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون مامعه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به وأوصى اليهما بأن يدفعا متاعه الى أهله ومات فبتاعاه وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر كما هو نص الآية ثم خلى سبيلهما ثم وجد الاناء فى أيديهما وأتاهما بنوسهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن عليه بينة فكرهنا أن نقربه فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بقية الآية وهى تفيد أن يقوم اثنان من أولياء الميت ليحلفا بدل هذين الوصيين النصرانيين فقام عمرو بن العاص ومطلب بن أبى رفاعة السهميان فقاما مقام النصرانيين فأقسما أن شهادتهما أحق من شهادة الوصيين المذكورين بالقبول وهذا هو قوله تعالى ـ يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم ـ أى الاشهاد فى الوصية واضافه الى بينكم توسعا ـ اذا حضر أحدكم الموت ـ أى شارفه كما اتفق لبديل ظرف لشهادة حين الوصية بدل منه ـ اثنان ـ فاعل شهادة ـ ذوا عدل منكم ـ وصف لاثنان ـ أو آخران من غيركم ـ عطف على اثنان أى من غير دينكم وملتكم ـ إن أنتم ضربتم فى الأرض ـ أى سافرتم ـ فأصابتكم مصيبة الموت ـ أى قاربتم الأجل ـ تحبسونهما من بعد الصلاة ـ وكأنه قيل كيف نفعل بهما ان ارتبنا قال تحبسونهما وتقمونهما من بعد الصلاة أى صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس ـ فيقسمان بالله ان ارتبتم ـ أى ارتاب الوارثون منكم والمقسم عليه قوله ـ لا نشترى به ـ أى لا نستبدل بالقسم أو بالله ـ ثمنا ـ عرضا من الدنيا أى لا نحلف بالله كذبا لطمع ـ ولو كان ـ المقسم له ـ ذا قربى ـ قريبا منا ـ ولا نكتم شهادة الله له ـ أى الشهادة التى أمرنا باقامتها ـ إنا إذن لمن الآثمين ـ ان كتمنا ـ فان عثر ـ اطلع ـ على أنهما ـ أى النصرانيين ـ استحقا إثما ـ خيانة ـ فآخران ـ أى وليان آخران من أولياء الميت وهو بديل وهما هنا عمرو بن العاص ومطلب بن أبى رفاعة يقومان مقامهما مقام النصرانيين ـ من الذين استحق عليهم الاوليان ـ أى من الورثة الذين استحق عليهم أى الأوليان أى الأحقان من بينهم بالشهادة فيصطفيهما الورثة ليظهرا كذب هذين الوصيين فالورثة يختارون اثنين يكونان أحق بالميت وأولى به فيقسمان بالله أن شهادتهما أحق من شهادة الوصيين وذلك لأنه قد ظهر للناس خيانتهما

﴿ قضاء شريح بهذه الآية وانها ليست منسوخة وقضاء أبى موسى الأشعرى ﴾

قال شريح من كان بأرض غربة لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على أى دين كانا من أهل الكتاب أو من عبدة الأصنام فشهادتهم جائزة فى هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال إلا على وصية فى سفر لا يجد فيه مسلما

وعن الشعبى أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاء هذه ولم يجد أحدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال

أبوموسى هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله ماخانا ولا كذبا ولا بدّلا ولا كتما ولاغيرا وانها وصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما

ومذهب الشافعى ومالك وأبى حنيفة والحسن والزهرى وعكرمة عدم جواز شهادة الكافر ولا فى هذه المسألة وانما أجاز أبوحنيفة شهادة أهل الذمّة فيما بينهم واحتج آخرون بأن هذه السورة ليس فيها منسوخ ألبتة وأيضا ماذا يفعل المسلم الذى حضرته الوفاة فى المال اذا لم يجد مسلما فهذا مضطر أن يشهد أىّ كافر كان اه

ثم قال الله تعالى ـ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ـ أصدق من شهادتهما وأولى بأن تقبل ـ وما اعتدينا ـ أى وما تجاوزنا فيها الحدّ ـ إنا إذن لمن الظالمين ـ الواضعين الباطل موضع الحق وهذا المقام من المواضع التى ردّ فيها اليمين الى الورثة لظهور خيانة الوصيين ـ ذلك ـ الحكم الذى تقدّم ـ أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ـ على نحو ماحملوها من غير تحريف وخيانة فيها ـ أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم ـ أى تردّ اليمين على المدّعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة كما فى مسألة بديل ـ واتقوا الله واسمعوا ـ ماتوصون به سماع اجابة ـ والله لايهدى القوم الفاسقين ـ فان لم تتقوا وتسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لايهدى القوم الفاسقين

وإذ فرغت من المسائل الثمانية عشرة وهى التى قسمتها ثلاثة أقسام وهى المروية عن ميسرة فلأشرع فى الكلام على أن الله عزّوجل (١) كيف أباح قتل الحيوان مع أنه رحيم وكيف اجتمعت الرحمة والايلام فى عالمنا الأرضى (٢) وبيان الحيوانات الآكلة والمأكولة (٣) وكيف كان النظام يطلب ذلك (٤) وكيف اختلف نوع الانسان اختلاف الحيوان (٥) وكيف كان الاسلام وسطا (٦) وكيف كان الله هو الملهم والمعلم بالالهام تارة والاختبار والعقل تارة أخرى (٧) وتحريم أكل الطيور النافعة للانسان شرعا (٨) وكيف سمى الله هذه السورة مائدة وبسط فيها الحلال والحرام وكيف كانت هذه السورة هى مفتاح للعلوم الحيوانية حتى بلج المسلمون منه فيعرفوا الضار والنافع بتعليم الله لهم والهامه سبحانه وتعالى واختبار الضار والنافع فيحفظون ماينفعهم ويجتنبون مايضرهم

﴿ كيف أمر الله بذبح الحيوان وهو أرحم الراحمين ﴾

اعلم أيها الذكى العاقل الفطن أن هذا التفسير قد جعل بابا من أبواب الحكمة وبه سيصير المسلم القارئ له من الذين دخلوا للحكمة من بابها . ذلك انك ستجد الاجابة على أسئلة كثيرة ترد على العقول ولقد ضل بها كثير من الناس . ولتعلم أن الانسان لايصل الى السعادة والصفاء والجمال إلا اذا وقف على الحقائق ولكن مادام واقفا على شاطئ الحقيقة لم يهجم عليها ولم يركب سفن النجاة الجارية فى بحارها عاش جبانا جاهلا ومات غير متزوّد من هذه الدنيا زادا يسير به فى الحياة العقلية فى العالم الكامل بعد خروجه من السجن الأرضى الذى حكم عليه بالبقاء فيه أياما وأعواما

فمن الأسئلة التى ترد على قلوب العقلاء والفضلاء هذا السؤال . كيف يؤلمنا الله وهو أرحم الراحمين فاما أن يكون ليس أرحم الراحمين واما أن لايؤلم من لاذنب له وقد رأيناه يؤلم الصبيان والبهائم والمجانين فأصبح الشك محصورا فى الرحمة . فأين الرحمة إذن

﴿ الجواب ﴾

اعلم أن الرحمة التى بمعنى رقة القلب مستحيلة على الله تعالى . بل الرحمة التى هى الرقة ناقصة . ألاترى أن الطبيب يعطى المريض الدواء المرّ ويسقيه كل ما يكرهه ويقطع عضوه وهذه الرحمة خير من رحمة أم المريض وصاحبته التى لاترضى له بالألم الذى يكون نعمة عليه . ولاجرم أن رحمة الأب الممزوج رقتها بشدتها خير من رحمة الأم القصيرة النظر المنعمة للابن

ولقد رأينا فى أهل الأرض حالا مطردة وهى ان من صبروا على ماجاءهم من صروف الدهر وذاقوا المرّ والنصب والتعب فان هؤلاء يسودون ولذلك رأينا الأنبياء والحكماء وهكذا عظماء الأمم فى الوقت الحاضر هم الذين قاسوا ماهو مرّ المذاق والصاب والعلقم وأنواع الآلام والسجون والمشقات وأن المترفين المنعمين هم الهالكون فى هذه الدنيا الذين يسقطون فى أيام امتحان نوائب الدهر وحدثانه فيسقطون ويعلو عليهم سواهم من المجدّين الكاملين . ذلك هو الناموس والصراط المستقيم

ويوضح هذا قوله تعالى ـ فأمّا الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأمّا اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن كلا الخ ـ ولقد تقدّم تقريرهذا المقام فى تفسير آل عمران عند قوله تعالى ـ لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ـ واقرأ اذا شئت كتابا حديثا يسمى ﴿ الكوخ الهندى ﴾ ألفه أحد المرنسيين وهو وكتاب ﴿ لفز قابس ﴾ الذى شرحته فى البقرة من واد واحد وهو أن المنعمين لا سعادة لهم فى هذه الدنيا وأن الذين يصيبهم النصب والتعب هم الذين ينالون حظهم وكمالهم

﴿ الحيوان منه آكل ومأكول ﴾

اعلم أن الحيوان ينقسم قسمين قسم يأكل الحشائش والنبات وأوراق الشجر والزهر والحب كالأنعام والبهائم والغزلان والأرانب وماأشبه ذلك . والقسم الثانى لايأكل إلا اللحم وهى الأسود والنمور والضباع والسباع فهذه الحيوانات حرم عليها أن تأكل شيأ غير اللحم وترى هذه الطائفة منها مافى الجوّ من الصقور والشواهين . ومنها ماعلى الأرض كالآساد . ومنها مافى التراب كالحيات . ومنها ما فى البحر كالتماسيح والتنانين . وهذه الأقسام الأربعة هى التى تتولى نظام الحيوان ولاعلم لها بهذه الولاية

وايضاحه انك ترى أن الحيوانات التى تأكل الحشائش تتكاثر وتتناسل على وجه الأرض فلو تركت وشأنها لملأت السهل والجبل ولكانت ربما تملأ الأودية والسهول فتعفن فيحصل الهلاك لها ولغيرها . لذلك خلقت الحيوانات الآكلات التى حكم عليها أن لا تكون بلمونها إلا مقابر لهذه الحيوانات ومتى كانت مقابر لها أصبحت داخلة فى دمائها مختلطة بلحومها منقلبة الى أجزائها صالحة للحياة لاضرر منها على سكان الأرض

اعتبر ذلك فى كل ماتراه . ألا ترى أن الذباب لايرى إلا فى محال الرطوبات والأمكنة الرطبة وعند اللبانين وبائعى السمن والعسل وماأشبه ذلك لأنها تتعاطى العفونات من تلك الأماكن وتصبح أجسادها مأوى لتلك العفونات التى لو بقيت لكان منها المضار فى الهواء فيفسد وتكون الأمراض الوبيلة الفتاكة . وذلك الذباب وما أشبهه كالبق والناموس يصطاده العصفور والعصفور يصطاده الخطاف والخطاف يصطاده ماهو أقوى منه وهكذا اذا مات الباز والشاهين وكل ماتصطاد ماهو أدنى منها أكلها الدود والدود يمتص الرطوبات فهى دائرة أولها آخرها ولولا هذه الدائرة لم يبق حى فى عالمنا الأرضى . هكذا ترى الآساد والنمور وبنى آدم جميعا تأكل الضأن والمعز والابل والبقر وما أشبه ذلك . ثم ان بنى آدم والاسود والنمور اذا ماتوا أكلهم الدود

﴿ الأمراض العامّة فى الانسان والحيوان ﴾

ثم انك فى الحياة الدنيا ترى أن الانسان تنتابه الحمى والجدرى والتيفوس والحصباء وأكثر الأمراض انما تكون من حيوانات لاعدد لها وهكذا الحيوانات الأخرى ويعرف ذلك البياطرة للحيوان والأطباء للانسان

﴿ القاتل للانسان نوعان من الحيوان ﴾

والذى يقتل الانسان من الحيوان نوع ظاهرى ونوع باطنى . فالنوع الظاهرى الآساد والنمور والذئاب والحيات وما أشبه ذلك . والنوع الباطنى حيوانات صغيرة جدا تسمى (المكروبات) وهذه الحيوانات تدخل أجسامنا وتتوغل فيها وتحدث فينا أمراضا مختلفة بما تثير فى داخل أجسامنا من الحرارة بالثورات الداخلية ويكون اختلاف الأمراض باختلاف أنواع تلك الحيوانات فمنها حيوانات للوباء العام ومنها حيوانات

لاحداث مرض البول (البلهارسيا) ومنها ماتحدث الحمى ومنها ماتحدث الجدرى وما أشبه ذلك وكل هذه الحيوانات تؤلمنا أشد الألم ولايخلصنا منها ولامن أضرارها بنا إلا أحد أمرين . إما الأدوية الفوية كتلك التى اخترعوها للمرض المسمى بالزهرى وتسمى دواء (٦٠٦) لأنه نتج من ٦٠٦ تجربة و إما الموت الذى يكون أرحم من الحياة معها . ثم ان الحيوانات الظاهرة القاتلة للانسان تنقسم قسمين ناطقة وغير ناطقة فغير الناطقة قد تقدمت والناطقة هى الانسان يقتل الانسان وتساعده على ذلك دياناته فانك لاتجد دينا فى الأرض إلا حرض على حفظ النفس وحفظ الوطن وحفظ الشرف ومن الديانات ما منعت المقاتلة كالدين المسيحى ولكن الفطرة الانسانية أبت أن تسكت على ذلك فأصبح هؤلاء المسيحيون رافعى لواء القتل والاهلاك والابادة فى الجنس البشرى . فدلنا هذا أن الحيوان والانسان ودياناته غالبا متعاونون على تطهير الأرض من ازدحام الأحياء

﴿ ولعلك تقول لماذا يكون هذا الاهلاك والقتل ﴾

أقول اعلم أن الأرض التى نحن عليها ليست أرقى عالم فى هذا الوجود بل الظاهر انها عالم متأخر بدليل أن الكشف الحديث دلنا أن هناك مايقرب من ثلثمائة مليون أرض وتلك الملايين بعضها عوالم أوسع من أرضنا وألطف وأجل وأبهى وأعظم بما لاحد له . واذا كنا نرى أن أرضنا مع ضيقها وصغر حجمها قد حوت من أنواع الحيوان مالاحصر له فمنه الدود الذى ليس له إلا حاسة واحدة ومنها القرود المتمتعة بجميع مواهب الحواس ومنها الانسان وفيه الأنبياء والعلماء وأنت لو نسبت لدود الى الانسان لم تجد هناك أى مناسبة بل وجدت بينهما بونا شاسعا عظيما مترامیا فاذا كانت أرضنا مع ضيقها قد جمعت مابين العقارب التى تسكن التراب و بين الانسان الذى يقطن فى الأرض ويركب متن الهواء و يستخدم البخار والكهرباء فمابالك بتلك العوالم الشاسعة . تلك العوالم التى لايعرف مدى كمالها وجمالها . أفليس من المعقول والمقبول أن يقال ان هناك حياة تكون نسبة حياتنا اليها كنسبة حياة الدود الينا . أوليس ذلك أقرب لعقولنا . أوليس العقل بطريق القياس يرى أن هناك من الارتقاء مالاحد له فاذا كان الارتقاء فى أرضنا بلغ حدا عظيما جدا . فياليت شعرى أين الدودة التى فى الصخرة وأين الانسان و بمثل ذلك نقول أين حياة هذا الانسان التى هى أشبه بالدود بالنسبة لحياة أخرى فى عالم أرقى من عالمنا فالعقل يرى أن أرضنا عبارة عن مزرعة تزرع فيها أنواع الحيوان ثم ترتقى تلك المزارع انتقالا مجهولا لنا وغاية الأمر أن نقيسه على ماتفعل بالزرع فان الناس يزرعون البزور ثم ينقلونها كما ترى فى الأشجار عند رجال الحدائق والبستانيين الذين يزرعون البزر فى مواضع خاصة ثم ينقلونها فتزرع زرعا أرقى ويكون اللاحق على مقتضى السابق والآخرة كالأولى فهكذا هذه الحيوانات خلقت فى الأرض خلقا مؤقتا لتنقل الى حال أرقى ونحن هنا لاندرى الى أى جهة تصدر تلك الحيوانات

﴿ فطرة العامة والنبوات ﴾

وهذا القياس الذى يخطر بالنفس هو بعينه ما جاء على قلوب الأنبياء وماغرس فى فطرة البشر فانك لاتدخل أرضا ولاتأتى مملكة إلا سمعت صدى صوت هذا الموضوع والاخبار بما هو غائب عن العيون فترى كل أمة تؤمن أن للنفوس حالا غير هذه الحال ولم يشذ عن هذا إلا أفراد فى كل أمة خلقوا للبحث فتحيروا وهؤلاء لايؤثرون فى المجموع واذا وجدنا قوما زهدوا فى الطعام تدينا وتزهدا فذلك لايقدح فى الفطرة العامة التى تطلب الطعام لبقاء الأشخاص

وليس وجود أناس يحرمون النساء من أهل الديانات بمؤثر فى الفطرة العامة الانسانية فان فطرة اقتراب الجنسين عامة لبقاء النوع . هكذا هنا ان الفطرة قاضية ببقاء الناس بعد الموت وأن هناك حقائق لابد منها

وأن أعمالنا تؤثر فى ذلك المستقبل ضعة وشرفا . هذه عقيدة عامة فى البشر كعقيدة الطعام والشراب فانكارها مكابرة والفطرة العامة قط لاتكذب هى أبدا صادقة وانما الخلاف فى تأدية العبارات والصور الظاهرة والقشور أما الحقائق فانها لاتتغير فالطعام والشراب واقتراب الجنسين والاعتقاد بحال بعد الموت كل ذلك لم يتغير ولن يتغير والفلسفة تقول كذلك . فياليت شعرى أى فائدة من هذا الوجود مالم يكن هناك ارتقاء وحال غير هذه والا كان ذلك كله ضلالا ووبالا

﴿ أفى الاعدام رحمة ﴾

ولما كان الأمر على ماذكر وكانت الحياة الدنيا مؤقتة وكان التناسل يوجب أن يبقى الأبناء ويعدم الآباء وأن كل جيل يحل محل الذى قبله كان الاعدام حتما لازما . ان الحياة رحمة حياة الحيوان وحياة الانسان ولكن لو عاش الانسان ٥٠٠ سنة لكانت الحياة وبالا والعيش نكدا وأصبح على القدم ألف قدم وأصبحت الحياة لاتطاق . هذا من جهة ومن جهة أخرى نقول اذا كانت هذه الحياة مؤقتة فى عالم غير متقدم بل هو متأخر فالبقاء فيها أذى وشر بل يجب الرحيل منها فكان من الرحمة والحكمة أن يساعد الأحياء بعضهم بعضا على التفانى والخروج من هذه الحياة بعد اكتساب الفضائل والتجارب فكفى أن الحيوانات قد تربت وجريت على مقدار طاقتها وهكذا الانسان بالآلام والامراض والديانات والتجارب يستعد لحياة أخرى فيخرج من الأرض فكما أن كل واحد يحافظ على صحته وحياته هكذا يقوم غيره فيقتله ويفنيه لرحمته ولرحمة أهل الأرض لتخلو لمن يأتون بعدنا

﴿ عقائد الانسان فى أكل الحيوان وتحريمه وعاداته فى ذلك ﴾

واعلم أن الانسان منه مالا يأكل إلا اللحم كقوم فى الأقطار الشمالية وهؤلاء يسكنون فى أماكن ثلجية ولايعيشون إلا على حيوانات البحر وليس لديهم نبات فمثلهم إلا كمثل الاسود والنمور . ومن الانسان من لايأكل إلا نوع النبات ولايذوق غيره . ومنه ما يأكل الحيوان والنبات معا كأكثر أهل الأرض

ولما كانت الديانات لاتخرج غالبا عن مجاراة العادات كان منها مايحرم اللحم كالبوذيين وعكسهم أهل الصين . وجاء فى بعض الجرائد فى ٢٢ مايو سنة ١٩٢٥ أن الصينيين يأكلون الديدان الصغيرة والنمل والضفادع يشوونها ثم يفرمونها والمفرومة منزلتها عظيمة جدا عندهم ولهم فيها صناعات تبلغ أربعين صنعة وكذلك الهر والكلب والجرذان اه

ومنها مايبيح لحم الانسان كبعض ديانات المتوحشين . ومنها مايجمع بين الأمرين وجاء الاسلام بطريق وسط فلم يبح أكل الانسان . ونظر فى الحيوان فما رآه مخلوقا لافادة أهل الأرض كالاسود والنمور حرمه وما ليس كذلك حلله فيقول ـ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ـ ويقول أيضا ـ اليوم أحل لكم الطيبات ـ فالطيبات حلال والخبيثات حرام وقد جعل لذلك قانون عام وهو أن الطيبات ما استطابته النفوس الشريفة من المؤمنين أصحاب اللسان العربى ولاعبرة بأهل البادية الا ماورد الشرع بتحريمه وما استخبثوه فهو خبيث إلا ماورد الشرع بتحليله

وقد جاء فى كتب الشافعية أنه يحرم من السباع كل ماله ناب قوى يعدو به وذكروا من ذلك الأسد والنمر والذئب والدب والفيل والقرد ومن ذى الناب الكلب والخنزير والفهد وابن آوى وهو فوق الثعلب ودون الكلب طويل المخالب فيه شبه من الذئب وشبه من الثعلب والهرة

ويحرم من الطيور ماله مخلب قوى وهو للطير كالظفر للانسان يجرح به كالصقر والباز والشاهين والنسر والعقاب وجميع جوارح الطير

﴿ كيف وافق الاسلام الطبيعة ﴾

انظر أيها الذكى كيف وافق الاسلام الطبيعة وكيف حرم من الحيوان ما كان نافعا بقاؤه ليطهر الأرض

من الرمم والعفونات وأباح ذبح ماليس كذلك كالبقر والجاموس . أفلاتتعجب معى كيف اتفق الشرع والطبع وكيف أصبحنا فى زمان تظهر فيه مخبآت الحقائق وتتجلى للناظرين

يحرم الطيور الجوارح وتحرم الاسود . لماذا لأنها جارحة ثم لماذا هذا . يكون الجواب السكوت . ونحن نقول لاسكوت إن هذه الحيوانات نافعة لازالة الجراثيم والحيوانات ورمها من وجه الأرض . هذا هو السبب

ثبت إذن أن ذبحنا للحيوان ليس مخالفا للطبيعة بل هو مساوق لها فان الانسان يذبح والحيوان يذبح الانسان يذبح بالحيوانات التى تدخل جسمه فتفترسه وتدخل فيه الأمراض وليست الآلام التى يتحملها الانسان بأقل من الآلام التى يتحملها الحيوان . الانسان لابد أن ينال حظه من الآلام أكثر من الحيوان . الحيوان يذبح مرة والانسان يذبح كل يوم بأمراضه وهمومه وأفكاره

ولذلك تجد بعض الناس يقتلون أنفسهم ومن بقى اجتمعت عليه الحيوانات من داخله فخربت هيكله تدريجا وكل يوم تذيقه أنواع العذاب وتقطع لحمه وعروقه وتؤلمه ألما شديدا ولكن ذلك كله رحمة واسعة لما قدمنا . ان المتاعب تقوى الروح فاما أن يتعب الانسان بالنظام العام ويتألم لحفظ الصحة والنظافة والا فلابد من تعب ونصب . فنحن والحيوان سيان فى تحمل الآلام وحركات المذبوح من الحيوان ليست شيأ مذكورا فى جانب آلام الانسان التى تعتريه كل آن . بل الحيوان متى قطعت أوداجه اعتراه الذهول فلايحس بألم وانما تلك الحركات عضلية لا أثر للألم فيها وانما يألم الأحياء منا

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الأحياء
انما الميت من يعيش كئيبا * كاسفا باله قليل الرجاء

﴿ النتيجة ﴾

ان الحيوان يألم والانسان يألم والذبح من آلام الحيوان أخف من آلام الانسان بما لايقدر . وألم كل منهما نعمة عليه تقوى روحه ولابد لهما من حال بعد الموت — وما من دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شئ — ولاندرى ماهى الا ماتصوره الديانات بصور عامة . والحيوانات الجارحة تأكل التى تأكل الحشائش لتكون نعمة على سكان الأرض بمنع العفونات والناس اختلفوا فى أكل الحيوان كاختلاف الحيوان فى أكل اللحوم والاسلام عدل حرم ماجعله الله لأكل اللحوم لتطهير الجو من العفونات . فاذن يكون ذبح الحيوان غير خارج عن الطبيعة بل هو مساعد له على الخروج من الدنيا ومن هذه الحياة على الأرض وهى من العوالم المتأخرة

﴿ البوذية والمانوية وأبو العلاء المعرى ﴾

ما أكثر الجهل فى الأمم فياليت شعرى اذا كانت هذه هى الحقيقة الناصعة فأى حجة للبوذية الذين يحرمون أكل كل حيوان لأنه تعذيب لها . وانظر لما كان يقوله أبو العلاء المعرى . عرض عليه الطبيب دجاجا فقال لماذا لم يصفوا لى شبل الأسد اطلقوا سراحه فوالله مامنعهم من وصف الشبل إلا قوته وضعفنا أفلست ترى أن هذه النظرات ضئيلة فاسدة . فياليت شعرى كيف غفل هؤلاء عما نقتله من الحيوان كل يوم ونحن أمرنا طبيا ألانشرب ماء النيل حتى نغليه لقتل الحيوانات التى فيه . أفايس هذا قتلا للحيوان فاذا كانت شربة الماء يقتل لأجلها مئات الالوف وألوف الالوف ولاينكره أحد فى الشرق والغرب فكيف ننكر القليل مما نأكله ان أكثر الناس جاهلون

﴿ لم سميت هذه السورة باسم المائدة — وجوب درس علم الحيوان ﴾

اعلم أن هذه السورة حقيقة مائدة نصبها الله لعباده ليأكلوا منها مايشتهون ويتزودوا ويتعلموا

لقد جعل الله الحيوان فيها على ثلاثة أقسام . حيوان يحرم قتله وهو ما كان فى الحرم وما كان له

مخلب من الطيور أوناب من حيوانات البر . وقسم يحلّ أكله وهو ما استطابته الاشراف من هذه الأمّة كالابل والبقر والغنم . وقسم جاز قتله كالكلب العقور والفأرة وهكذا بقية الفواسق الخمس الواردة فى الحديث فكأن الله جعل هذه المائدة منصوبة لنا ولم يترك الأمر سدى بل أبان مايؤلمنا وجوده كالفواسق الخمس الواردة فى الحديث ومايؤلمنا عدمه الذى سماه بالخبائث لأنه ينظف جوّنا و يطهر أرضنا ومانفعنا أكله كالبهائم و بقية الطيور . أولست ترى أن هذه المائدة التى نصبها الله لنا لايصح الاغضاء عنها وهل من الأدب أن ننظر اليها من بعيد كأنها ليست لنا

﴿ كيف ساغ للمسلمين أن يناموا بعد الأوّلين السابقين من الأئمة الأعلام ﴾

لقد ظنوا أن الأئمة رضوان الله عليهم ماتركوا قولا لقائل فى جميع العلوم ولكن فاتهم أن الأئمة اعتنوا أشدّ العناية بما هو أمسّ بالعبادة اتكالا منهم على عقول الأمّة فى الباقى . واذا كنا نرى الامام الشافعى رحمه الله تعالى يقول ان الترتيب واجب فى الوضوء مستنتجا ذلك من ترتيب الأعضاء فى القرآن ويوجب النية فى الوضوء مستنتجا ذلك من آية فى آخر القرآن — وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين — ونرى أباحنيفة يقول لا نية للوضوء لأنها لم تذكر فى القرآن ونرى أنهم اختلفوا فى اثنتى عشرة مسألة فى فرائض الوضوء ومسحوا الوجه وجميع أجزائه قطعة قطعة فما تركوا شعرا ولا بشرة ولا جفنا ولا عينا ولا عنفقة إلا بحثوا ودققوا فلماذا هذا كله . للطهارة والطهارة مقدمة العبادة

فانظر كيف كان جدّهم واجتهادهم وحرصهم على الدين وعلى ارتقاء الانسان فى أموره الدينية . فهلا نظر المتأخرون فيما أودعه الله فى القرآن وحققوا كما حقق آباؤنا وأجدادنا . وهلا نظروا فيما حوته هذه المائدة المنصوبة فى الأرض فوفوها حقها كما كان الأئمة رضوان الله عليهم يفعلون . حرضت السنة على قتل كل حيوان يؤذينا فليبحث علماء الأمّة فى أنواع المكروبات القاتلة لنا قياسا على ماعلم من الكلب العقور والفأرة وأمثالهما ولو أنا وجدنا كلبا يعقر الناس لوجب علينا قتله . هكذا يجب علينا أن نبحث فى الكلاب المستترة تحت أجسامنا وهى المكروبات والحيوانات الذرية الصغيرة ولنخصص لها الأطباء ودیننا يأمرنا بذلك كما أمر نبينا صلى الله عليه وسلم فى الفواسق الخمس . وهكذا اذا وجدنا انه أبقى بعض الحيوان فى الحرم . وغيره أبقاه فى كل مكان . وظهر الآن أن بقاءه لتنظيف الجوّ فلنقم نحن بحراسة هذه الحيوانات ولنبحث على أمثالها فى الأرض . لنبحث على كل حيوان نافع لزرعنا ولنبقيه ولا نأكله

﴿ حكاية ﴾

قد ذكرت فى هذا التفسير أن الحكومة المصرية قد بحثت فى أمر الطيور ومنعت قتل كثير منها لنفعها فى الزراعة . وسبب ذلك أن المصريين القدماء كانوا قد درسوا أنواع الحيوان وجعلوا بعضها محفوظة لأنها قاتلة للحشرات الآكلة للزرع فلما دار الزمان دورته وتقلب الغرب والشرق وجاء أهل أوروبا الى بلادنا أنسوا المصريين أخلاقهم وعوائدهم فانهالوا على الحيوانات التى كانت نافعة فقتلوها صيدا ليتزينوا بريشها فلما تنبهت الحكومة المصرية الى ذلك أمرت باحصاء الحيوانات الآكلة للحشرات وأمرت بحفظها وهى هذه

(١) عصفور سكسيكولا . هو عصفور ملوّن بالزرقة والصفرة والسواد
(٢) العصفور المغنى . هو أصغر من العصفور السابق
(٣) أبوفصاده . هو كالسابق حجما
(٤) عصفور بيبيت . تغلب على لونه الصفرة مع السواد
(٥) عصفور آكل الذباب
(٦) الورور . هو فى حجم الحمامة ذومنقار طويل تغلب على لونه الخضرة

(٧) الهدهد . هو معروف
(٨) الكروان . هو كبير الحجم كالدجاجة ملوّن بلون الشفق مع السواد
(٩) الزقزاق الشامى . أصغر مما قبله قليلا لكنه جميل الشكل
(١٠) الزقزاق البلدى . يقرب من السابق وللأوّل غرة ممتدة خلفه وتغلب عليه الخضرة من ظاهره والبياض من باطنه . وعلى الثانى لون مختلط بياضا وصفرة من ظاهره والسواد فى أسفله
(١١) القنابر وهى معروفة تقرب من شكل صغار العصافير
(١٢) أبوقردان . وهو معروف أبيض اللون طويل الرجلين والمنقار كبير الحجم

﴿ الدليل على أن هذه الحيوانات محرّم أكلها ﴾

هذه الحيوانات هى التى يجب حفظها ليحفظ الزرع . ولعلك تقول هل كل هذه الحيوانات نصّ على تحريمها القدماء . أقول اعلم أن هذه الحيوانات متى ثبت نفعها للزراعة صارت محرّما أكلها وان لم تكن مما استخبثته الطباع . ألاترى الى قوله تعالى ـ ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ـ فى سورة النساء وقد قدّمنا أن هذه الآية تحرّم علينا أخذ التجارة الفرنجية إلا ماعجزنا عن عمله وإلا كان ذلك قتلا لنا ومامثل التجارة الفرنجية إلا كمثل الحلوى تعطى للأطفال وفيها السم فيموتون أوكمثل الحب يرمى تحت الشبكة والشبكة تقتنص الطير بسبب هذا الحب أوكالصائد يحفر حفرة فى الجبل ويغطيها بشئ من الحشائش والأعشاب فيمرّ عليها الأسد فيسقط فيها . فهذا معنى قوله تعالى ـ ولاتقتلوا أنفسكم ـ فى مسائل التجارة هكذا هنا فى الزراعة لوأنا تركنا تلك الطيور يفتك بها الجهال بعد أن ثبت لنا نفعها لأنها تأكل الحشرات فان قتلها ابقاء للحشرات وابقاء الحشرات موت لزرعنا وهلاك زرعنا هلاك لنافكأنا باباحة قتل الحيوانات أبحنا قتل أنفسنا وهذا هو الجهل المبين

فليقم فى الأمّة الاسلامية أقوام يخصصون بالعلوم المختلفة كلّ فيما يناسبه وليكن للحيوان علماء من حشرات وأنعام حتى نعرف مايضرّ ومايننفع فهناك من المنافع والمضار مانجهله جهلا فاضحا ودیننا يأمرنا بالبحث فى ذلك ألاترى الى قوله تعالى هنا ـ تعلمونهنّ مما علمكم الله ـ وقال علماؤنا تعليم الله لنا بالالهام وبالعقل فدلّ هذا على أن هناك علما فى الحيوان سيعرفه المسلمون . ويالیت شعرى لماذا يقول هنا ـ مما علمكم الله ـ فكأن هذا تنبيه على أن الله سيعلمنا فى الحيوان مالم نعلم الآن ومن ذلك التعليم مانعلمه للحيوان الذى به نصطاد غيره . فليكن فى أمّة الاسلام النابغة الآن علماء للحيوان وعلماء للنجوم فانا لانعيش على هذه الأرض ونحن جاهلون مافيها

﴿ هذه المائدة حسية ومعنوية ﴾

فعلى هذا تكون المائدة التى نصبها الله للمسلمين ليست قاصرة على التزوّج والتناسل والمأكل ومأشبه ذلك فانه لوكان الأمر كذلك لم يكن فرق بيننا وبين الحيوان . اننا خلقنا على الأرض ليكون التفاعل والتدخل بيننا وبين بعضنا وبيننا وبين الحيوان موجبا لاظهار ماكمن فى نفوسنا من الفطر والغرائز والأخلاق . وليس يمكن أن يتم هذا إلا بالاحساس بما هو مؤلم وبالاحساس بما هو مستلذ فيكون ألم وتكون لذة وكلاهما ليس مقصودا لذاته . كلا

وكما ان الفتى والفتاة يقترنان لداعى الشهوة ثم يظهر فى آخر الأمر أن تلك اللذة غير مقصودة وانهما معا يتحدان ويتعاونان ويجتهدان فى تعليم الولد وتربيته والقيام بواجباته وحبه وينسيان تلك اللذة ويفرغان من تلك الطفولية وهما مدفوعان لحبّ الولد وبقائه وكلاهما مجدّ فى التفرّغ لسعادته وبقائه حريصين على تقدّمه وارتقائه ويعطيانه مايملكان ويورثانه مايكسبان . فهكذا هذه المائدة التى أنزلها الله لنا فى القرآن

وأبرزها فى هـذه الدنيا للعيان وفيها المآكل الحيوانيـة واللذات الحسية من اقتران الجنسين فى أوّل هذه السورة لم تكن مقصودة لذاتها بل يراد النظر فى دقائقها والتحقق من عجائبها والفهم لبواطنها ودرس العلوم التى أدمجت فى أسرارها ويرمز لذلك بقوله ـ مما علمكم الله ـ

ولما أتم الكلام على الحيوان وآكله والنساء والتزوج بهنّ من المحصنات شرع يطهرنا بالوضوء و يفتح لنا باب الصلاة وكأنه يقول ان الصلاة بعد النظافة معراج تعرجون عليه لأفتح لكم كنوز هـذه الأرض فارفض عقولكم بالبحث فى مائدتى والتفرّج على أنواع حيوانها وأسرارها وغرائبها فتعرج أرواحكم الىّ وأنتم فى الدنيا بالعلوم واذا صرتم الىّ كنتم فى جوارى لأنه لايجاورنى إلا العلماء ولايصل الى ملكوتى إلا الفضلاء فاذا وقفتم عند المآكل والنساء المذكورات فى أوّل السورة وغفلتم عن العروج الىّ بالنظافة والصلاة لتشاركوا نعمتى بمعرفتها اذا فعلتم ذلك فأىّ فرق بينكم و بين الحيوان

﴿ العلماء الذين سيكونون فى أمّة الاسلام فى مستقبل الزمان ﴾

سيكون هناك طوائف لدراسة المخلوقات . واليك بيانها

(١) علم طبقات الأرض لدرس علوم كثيرة أخصها التاريخ الطبيعى للحيوان

(٢) علم النبات

(٣) علم الحشرات

(٤) علم الأنعام والآساد والطيور

(٥) علم الانسان

(٦) علوم السياسة

(٧) علوم المعادن

(٨) علم الكواكب والفلك . وهكذا

(٩) علم الطب

وسيكون هناك مجلس عام من هؤلاء العلماء ويكون قرارهم معمولا به فى شؤون الأمّة

مثال ذلك (١) ان الحيوان النافع يحرم قتله (٢) وان الحيوان الضار يجب قتله (٣) وتكون الأحكام الصادرة من هذه المجالس واجبة التنفيذ

ياعلماء الأمّة الاسلامية وياأمراءها لقد رأيتم فى هذه السورة أن هذه العلوم أصبحت واجبة ودين الاسلام لايزال بكرا ولم يدرس منه إلا القليل . يارجال الأمّة ان آباءنا رحمهم الله قد أدّوا ماعليهم فى ألف وثلثمائة سنة فها نحن أولاء قد جئنا اليوم فلتكن الألف والثلثمائة سنة المستقبلة للبحث فى حقائق الكون التى سترت وكنت وحفظت لكم . حفظها لكم الآباء حفظوا القرآن لكم حفظوه فى المصاحف كما تحفظ الأم الجنين فى البطن وتخاف عليه و يزعجها أن يمس بسوء . هكذا آباؤنا حافظوا لنا على أمرين . أمر القرآن حتى سلموه لنا وأمر التحقيقات الدينية فأرونا كيف كانوا يحققون . ولقد بينت لكم هنا كيف كانوا يحققون وكيف كانوا يدققون فى أقلّ المسائل فى غسل أنف أوغسل عين أوغسل جفن كل ذلك لحرصهم وفضلهم فى العلم وفى الدين . كأنى بكم وقد صار فيكم محققون وأئمة فى الفلك والنبات والحيوان و فى العلوم التى ذكرتها لكم انظروا كيف كانوا يستدلون . انظروا كيف كانوا يبحثون . آن الأوان وجاء الزمان وظهر الحق وسيكون الجيل المقبل من خير الأجيال علما وعملا

أيها الأبناء الذين ستكونون بعدنا انظروا كيف اختلف آباؤنا فى آية واحدة وهى آية الوضوء وكيف وصلت فروض الوضوء الى ١٦ فرضا وكيف أتوا بالأدلة والبراهين والأحاديث . فكيف اذا جئتم أيها الأذكياء

وبحثتم فى أمر الجمال الالهى فى الأرض والسماء كعلم الحيوان الذى ذكرته لكم من سورة المائدة وكيف ترتقى العقول بارتقائه وكيف تكون فى الكرة الأرضية أمم عظام . اذا كان ذلك الخلاف كله فى آية فى الوضوء والوضوء مقدمة العبادة فما بالكم اذا عرف المسلمون فى أقطار الأرض أن العلم والفكر فى مصنوعات الله عبادة حقة وهى أرقى من العبادة العملية . العبادة العملية مشرفة للنفس فالصلاة معراج والوضوء مفتاح لذلك المعراج ولكن بم يكون العروج . يكون بالعلوم . فاذا نصبنا سلما وجعلنا له بابا فالسلم هو الصلاة والباب هو الوضوء ولكن العروج على ذلك السلم لا يكون إلا بدرس العلوم من القادرين والدراسة اما أن تكون للمنافع كالتى قدمناها لمقتضى هذه السورة واما أن تكون لارتقاء الروح مع المنافع كما فى قوله تعالى — إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون * فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم الخ — ألم يقل الله لنا — هو الذى خلق لكم ما فى الأرض — فلماذا لا نبحث ما فى الأرض جميعا لماذا لا نبحث بحثا تاما فاذا كان الله خلق لنا هذا كله فلماذا تركناه وأضعناه وعقولنا نامت جميعا نومة واحدة حتى ملكنا الفرنجة فليستيقظ المسلمون وليتعلم المخلصون

فاذا تعاون آباؤنا على آية الوضوء فلتتعاونوا على ماهو أشرف من الوضوء وماهو المقصود الأكمل وهو المعرفة وعروج النفس الى مقامات الكمال . إن الله لا يجلس على مائدته إلا الاكابر ولا أكابر إلا المفكرون ابتدأ سورة المائدة بالحيوان وحله والنساء وحلهن وختمها بمائدة عيسى ابن مريم وأن الحواريين اطمأنت قلوبهم بها لما أكلوا منها

إن الملك اذا مد سماطه لرعيته فتناولوا الطعام فالعامة يفرحون بما أكلوا والخاصة لا يبالون بالطعام وانما يتعرفون مجلس الوزراء وخواص الدولة وأكابرها ولو أن أحد الفضلاء أكل على سماط الملك وحرم من التشرف بلقائه والتمتع بالشرف العظيم لرجع كليل الطرف حسيرا لعلمه أن الملك معرض عنه فويل لمن ظن أن المائدة طعام وشراب وفاكهة وحسان وانما المائدة الحقيقية شرف العلم والوقوف على أسرار هذا الوجود لاسيما الحيوان وأنواعه للانتفاع به — فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون — فويل ثم ويل لشيوخ حصروا تلاميذهم فى دائرة ضيقة وويل ثم ويل للتالين لكتاب الله وهم به جاهلون وويل ثم ويل لشيوخ جهلوا وعلموا تلاميذهم أنواع الجهالات فصدوهم عن العلم وأنكروه فليبك على نفسه من أضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

قال لى عالم فاضل لما اطلع على هذا . ان من اطلع على كلامك هذا يرى انك تحرض على أكل اللحم والاكثار منه لأنك جعلت أن الحيوان ان تألم من الذبح فألمه أقل من ألم الانسان وأبنت أن الحيوانات الدنية تفتك بأجسامنا فقيتنا وجعلت ان نوع الانسان وأنواع الحيوان خلقوا فى نصب وتعب للارتقاء وتقوية الأرواح وأن هناك عالما أرقى وأبنت أن الأحياء على الأرض مختلفون جميعا من أضعف حياة الى أقواها ولا تكاد تحصى تلك الأنواع من الحياة وأن العوالم التى نراها لابد أن تكون فيها عوالم أوسع وأعظم وأشرف درجات كثيرة كل هذا لاغبار عليه انما افاضتك القول فى اللحم وأكله ينافى ما ذكرته فى سورة البقرة وأن أكل اللحم والاكثار منه مضر بالصحة فأين هذا القول من ذاك المقال

الاجابة . اعلم انى الآن أبحث فى نظام هذه الدنيا وقراءة حيوانها واختلافه وأن بعض المخلوقات يأكل الآخر فأما كون اللحم مذموما أو ممدوحا فشئ آخر وهذا يرجع الى أحوال الشخص فان أراد صفاء النفس وقلة الأمراض فليقلل من اللحم فأما المكثرون منه فهم معرضون للأخطار كما قدمنا واذا ترك اللحم كان خيرا وأحسن تأويلا

واعلم أن الناس اذا أكلوا اللحم فان البهائم المذبوحة المأكولة تتحول دائما اجسامها الى عضوات

وتلك العفونات تنقلب فى الأجسام ذرات قتالة ولها حياة فتفتك بالناس وتقتلهم — ولكن أكثر الناس لا يشعرون — ان أكثر الأمراض فى الطعام وأضر أنواعه اللحم فانه هو الذى يورث فى الجسم العفونة التى تنقلب حيوانات فاتكة تفسد حيا كلها

﴿ هذا من العجائب ﴾

أليس من عجب أن نريح الحيوان بذبحه فيثيبنا على ذلك باعدام حياتنا بعد دفنه فى أجسامنا . نريحه بالذبح ونأكله وهو يريحنا بأن يكون سببا لأمراض تورث الموت أو تقربه لنخرج من هذه الأرض . وبعبارة أخرى نعذب الحيوان بذبحه ونقطع حياته فيفعل معنا ما فعلنا معه حذو القذة بالقذة وجزاء سيئة سيئة مثلها أفلا ترى أن كل جزاء من جنس العمل . ياعجبا كل العجب نفنى الحيوان فيفنينا ونذبحه فيمرضنا ونقتله فيقتلنا هو الذى يدخل فى الأجسام فيضع فيها أنواعا من الأمراض كما نص عليه الأطباء فى عصرنا الحاضر ودلت عليه التجارب . ان العذاب بعد الموت يكون بنفس العمل ونفس العمل هو الذى يفتك بنا اذ ذاك كما فتك بنا لحم الحيوان

انتهى الكلام على المقدمة فى تفسير آيات الأحكام الواردة فى حديث ميسرة وانما جعلتها هنا تيمنا بالحديث الشريف وتسهيلا للمراجعة وسأحيل عليها عند ذكر آياتها فيما سيأتى فى تفسير السورة . فلنبدأ فى تفسير مقاصد السورة فنقول

(المَقْصِدُ الأَوَّلُ)

يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ ٱللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

أمر الله سبحانه وتعالى أن نفى بالعقود ونقوم بها والعقود مايعقده الناس بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن وكذلك ماعقده الله من عهود الأيمان فيما أحل وحرم وهكذا عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة

(١) مسألة • لو نذر أن يصوم يوم العيد أو يذبح ولده وجب عليه الوفاء به عند أبى حنيفة لأجل هذه الآية ـ أوفوا بالعقود ـ ولكن يصوم غير يوم العيد و يذبح غير ولده حلالا والشافعى يمنع ذلك و يقول لاينعقد النذر

(٢) خيار المجلس فى البيع عند أبى حنيفة غير جائز لقوله ـ أوفوا بالعقود ـ فأين الوفاء مع الخيار والشافعى يقول بخيار المجلس للحديث المخصص للآية • وهذا تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) اعلم أن الابل والبقر والغنم والمعز والظباء و بقر الوحش وحمر الوحش ونحوها وهى بهيمة الأنعام حلال لنا والبهيمة اسم لكل ذى أربع من الحيوان واضافتها الى الأنعام كثوب خز للبيان أى البهيمة من الأنعام • وحل هذه البهائم اذا لم تحرم بالأسباب الآتية فى قوله ـ حرمت عليكم الميتة الخ ـ واذا لم تكن الوحشية منها كالظباء و بقر الوحش والحمر قد صدتموها وأنتم محرمون والا حرمت كما اتضح فى المقدمة • هذا معنى قوله تعالى مبينا بعض العقود التى يجب الوفاء بها (أحلت لكم بهيمة الأنعام الا مايتلى عليكم) أى الا محرم مايتلى عليكم فى قوله ـ حرمت عليكم الميتة ـ حال كونكم (غير محلى الصيد وأنتم حرم) أى غير محلى صيدها وأنتم محرمون فى حال الاحرام كما تقدم (ان الله يحكم مايريد) من تحليل وتحريم • ثم ان الله حرم علينا أن نتهاون فى الشرائع التى سنها وهى المسماة (شعائر الله) جمع شعيرة فالشرائع والشعائر بمعنى ومنعنا أن نصد الناس عن الحج فى أشهر الحج (ولا الشهر الحرام) وأن لا نتعرض للهدى جمع هدية وهو مايهدى الى الحرم من النسائك فلا نعضبه ولا نمنعه أن يصل الى محله وكذلك لا نتعرض الى الابل والبقر والغنم التى اعتاد العرب أن يشدوا فى أعناقها قلائد جمع قلادة من نعال أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به انها هدى فلا يتعرض لها وكذلك لا نتعرض لقاصدى البيت الحرام وهى الكعبة يطلبون فضلا من ربهم ورضوانا

وهذا معنى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين) قاصدين (البيت الحرام) الكعبة (يبتغون فضلا من ربهم) بالتجارة حال من الضمير فى آمين (ورضوانا) وان يرضى عنهم أى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم • ثم اذا كان الصيد حراما وقت الاحرام فان الحرمة تزول متى حل وانتهى أمر الاحرام هذا معنى (واذا حللتم فاصطادوا) فهذا اذن لا أمر للوجوب * واعلم أن أهل مكة صدوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الوصول الى مكة عام الحديبية لأداء العمرة فأراد المسلمون الانتقام منهم فقال الله (ولا يجرمنكم) أى لا يحملنكم (شنآن قوم) شدة بغضهم (أن صدوكم عن المسجد الحرام) عام الحديبية (أن تعتدوا) عليهم بالانتقام أى لا يحملنكم بغض أهل مكة على أن تعتدوا عليهم لصدهم لكم عن المسجد الحرام (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) والبر حسن الخلق والاثم ماحاك فى الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فانتقامه أشد من انتقامكم من أهل مكة وقوله (حرمت عليكم الميتة) الى قوله (ذلكم فسق) قد سبق تفسيره فى المقدمة * ونزل يوم الجمعة بعد العصر فى يوم عرفة والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق و بركت من شدة الوحى فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة آية ـ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ـ الى قوله ـ ورضيت

لكم الاسلام دينا ـ يقول الله (اليوم) فى هذا الزمن وليس يوما بعينه كما يقال يوم لنا و يوم علينا (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسوا من رجوعكم عن دينكم ومن تحليل هذه الخبائث كما يحللونها ومن أن يغلبوكم (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار أيها المؤمنون أن يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون) وخافوا مخالفة أمرى ولقد كنت أنزل لكم الأحكام لأوقات خاصة فكان كما لها وقتيا (اليوم أكملت لكم دينكم) بحيث يصلح الى آخر الزمان بما فيه من الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام و بأنه لم يحج معكم فى هذا العام مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين و بأنى أظهرت دينكم على الأديان و بأن دينكم لا ينسخ ولا يزول وانه باق الى يوم القيامة و بأنكم آمنتم بكل نبى بخلاف الديانات كلها و بأنكم سلمتم من عدوكم (وأتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق واكمال الدين وفتح مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام دينا) الاسلام الانقياد لطاعتى فيما شرعت لكم من الفرائض والأحكام والحدود

قال أصحاب الآثار انه لما نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم لم يعمر بعد نزولها الا احدى وثمانين يوما أو اثنين وثمانين يوما ولم يحصل فى الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل البتة وكان ذلك جاريا مجرى اخبار النبى صلى الله عليه وسلم عن قرب وفاته وذلك اخبار عن الغيب فيكون معجزا * ومما يؤيد ذلك ما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على الصحابة فرحوا جدا وأظهروا السرور العظيم الا أبا بكر رضى الله عنه فانه بكى فسئل فقال هذه الآية تدل على قرب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ليس بعد الكمال الا الزوال فكان ذلك دليلا على كمال علم الصديق رضى الله عنه حيث وقف من هذه الآية على سر لم يقف عليه غيره . ومن عجب أن خطبة الوداع كانت مصرحة بهذا المعنى ألم تر الى قوله فيها ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع وقوله لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وأحذيوصى بالنساء و بالارقاء وغير ذلك فقوله لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا أشبه بما فى الآية

وقد روى أيضا أن عمر رضى الله عنه بكى بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية وفهم كما فهم أبو بكر رضى الله عنه وتوفى صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة

وروى البغوى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه وهذا كقوله تعالى ـ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم * إن الدين عند الله الاسلام ـ ولقد فتح الكسائى همزة ـ ان الدين ـ وجعل البصريون ذلك بدلا مما قبله كقولك ضربت زيدا نفسه فيصير التقدير هكذا شهد الله والملائكة وأولوا العلم انه لا إله إلا هو العزيز الحكيم قائما بالقسط ان الدين عند الله الاسلام فعلى هذا كون الدين عند الله الاسلام هو عين ان الله واحد حين كونه قائما بالقسط فى تدبير ملكه وأصل الدين الجزاء وتسمى الطاعة دينا لأنه سبب الجزاء والاسلام أصله امّا الانقياد وامّا الدخول فى السلم وهو السلام وامّا الاخلاص . وللآية وجه آخر فى الاعراب وهو ان الدين مفعول شهد وقوله انه لا إله الا هو أى لأجل انه لا اله الا هو فيصير نظم الآية هكذا شهد الله والملائكة وأولوا العلم أن الدين عند الله الاسلام بسبب انه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله حال كونه قائما بالعدل فى المخلوقات كلها فتصير وحدانيته وتوحيد أفعاله بالعدل فى هذا النظام سببا فى أن الله شهد بأن الدين انما هو الاسلام وأن العلماء والملائكة شهدوا بذلك أى لأنهم شهدوا الوحدة فى هذا الوجود والوحدة يصحبها العدل لأن العدل وحسن النظام أثر وحدة الخالق جلّ وعلا فلما علموا ذلك شهدوا أن الدين انما يكون الانقياد والاخلاص لمن نظم هذه الوحدة العجيبة والعدل المتقن والنظام الكامل الذى يراه العلماء كأنه شخص واحد منتظم كامل فاذا لم يعرف علماء الأمة ذلك فشهادتهم أن الدين هو الاسلام فقدت سببها وهو معرفة حسن النظام فى الطبيعة والفلك ونحوهما . ولما كانت الآيات السابقة على هذه قد ذكر فيها المحرمات ختمها بقوله ـ ذلكم فسق ـ ثم أبان

بهذه الجمل الاعتراضية أن تجنب هذه المحرّمات من جملة الدين الكامل . وهنا شرع يقرّر أن التناول منها اضطرارا جائز بأن كان الانسان فى مجاعة وليس مائلا لاثم فلاهو آكل فوق الشبع كما قال فقهاء العراق ولا متعرّض لمعصية وهوقول علماء الحجاز . وهذا معنى قوله (فمن اضطر فى مخمصة) مجاعة (غيرمتجانف) غير مائل (لاثم) من أكل فوق الشبع أومعصية (فان الله غفور رحيم) لايؤاخذه بأكله . ولما أتم الكلام على المحرّمات أخذ يذكر ماأحلّ أكله فقال (يسألونك ماذا أحلّ لهم) فأجابهم قائلا (قل أحلّ لكم الطيبات) مالم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر منه ومفهومه أن المستخبثات حرام فالحلال والحرام تبع الاستخباث والاستطابة* وقد تقدّم فى المقدّمة أنه يجب أن تكوّن لجنة اسلامية تبحث فى جميع الحيوان فما نفعنا لزراعة حرّمنا صيده كما حرّمنا صيد الحرم ومايضرّ أكله طبيا منعناه وماخلق للمنفعة العامّة تركناه كما أوضحناه واذا كانت الاستطابة والاستخباث يرجعان الى طبائع أفضل رجال العرب فلان يكونوا أطباء خير وأبقى وأنفع وأما قوله تعالى ـ وماعلمتم من الجوارح مكلبين ـ الى قوله ـ وهو فى الآخرة من الخاسرين ـ فقد تقدّم تفسيره فى المقدمة

﴿ عجائب القرآن ﴾

(زيادة ايضاح ـ ورضيت لكم الاسلام دينا ـ)

يقول الله فيما تقدّم ـ ورضيت لكم الاسلام دينا ـ ومعلوم هناك أن كون الدين عند الله الاسلام سببه انه قائم بالعدل فى الخلق والنظام فلابقاء لأمّة بلاعدل ولانظام مؤمنة كانت أوكافرة والحيوان والمعدن والسموات والأرض لاقيام لها الا بحسن النظام فأخذ يذكر هنا القسط والعدل فى أفعال العباد ليكون على وفق نظام الله كما قال الله تعالى فى سورة الرحمن ـ والسماء رفعها ووضع الميزان ألاتطغوا فى الميزان ـ فهوهناك يقول وزنت كل شئ ونظمته لأجل أن تعدلوا وتنظموا وهنا يقول ـ رضيت لكم الاسلام دينا ـ فقوموا بالقسط والعدل الذى كان سببا فى أنى شهدت وشهد العلماء والملائكة ان الدين هوالانقياد والاخلاص لمن أبدع النظام فتنظموا كما نظم وتعدلوا كما عدل وتكونوا متخلقين بأخلاق الله

(المَقْصِدُ الثَّانِي)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

فأما قوله (ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) الى قوله (وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) فقد تقدم فى المقدمة وأما قوله (واذكروا نعمة الله عليكم) من الصحة والمال والحياة وتسخير السموات والأرض ومنها الطهارة والصلاة والأحكام الشرعية المذكورة فان الله يذكرنا بذلك كله (وميثاقه الذى واثقكم به) يعنى الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره (واتقوا الله) فيما أخذ عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) أى بما فى قلوب عباده من خير وشر . واعلم أنه سبحانه ابتدأ السورة بطلب الوفاء بالعقود وأخذ يذكر كثيرا منها فذكر الحلال ومنها الحرام ثم ختمها بتذكيرهم بالميثاق مرة أخرى . ولما أتم الكلام على العهد والميثاق فى الحلال والحرام فى بهيمة الأنعام أخذ يذكر معاملات الانسان مع الناس وانه يجب أن يكون المرء عدلا فى شهادته فلا يشهد لقريبه ولا على عدوه بل الشهادة تكون على وجهها . وهذا قوله (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) أى ولا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا بسبب ما فى قلوبكم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى العدل أقرب للتقوى وبهذا أمر بالعدل

واذا كان العدل يجب أن يكون مع الكافرين فكيف يكون الأمر مع المسلمين (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) والتكرار لمزيد الاهتمام (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) وقوله ـ لهم مغفرة وأجر عظيم ـ دال على المفعول الثانى لوعد ولما كان أحد الفريقين يذكر بعد الآخر أتبعه بقوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) ثم أخذ يذكر المسلمين نعم الله عليهم بالنجاة مما دبر لهم من الكيد . ذلك أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا بعسفان الى الظهر معا فلما صلوا ندموا على أنهم لم يفاجئوهم بالقتل مرة واحدة وهموا أن يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله عليهم كيدهم . وأيضا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه خلفاؤه الأربعة وقريظة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى يحسبهما مشركين فقالوا نعم وأكرموه ظاهرا وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده فنزل جبريل فأخبره فخرج . وأيضا نزل النبى صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاءه اعرابى فسل سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فنزل قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) انتهى المقصد الثانى

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ

لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ، وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ

وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ .

اعلم أن هذا المقصد مملوء بالعجب غاص بالحكم ذكر أخبار بنى اسرائيل اذ خرجوا من مصر وكيف وعدهم الله أن يملكهم الأرض المباركة وقد أرسلوا اثنى عشر رجلا منهم فرأوا الأرض المباركة فرجعوا وفى أيديهم الثمر فلما رأوهم قد مدحوا تلك الأرض تركوا هذا الخبر وجبنوا وأصغوا لأقوال المرجفين المخوفين وقالوا لاطاقة لنا بقتال القوم فأبقاهم الله أربعين سنة كما سأنقله لك من نفس التوراة فهؤلاء بنو اسرائيل عصوا ربهم وجبنوا عن الحرب ولم يوفوا بالميثاق فلما عصوا أذلهم الله فأبقاهم أربعين سنة ولم يدخل الأرض المقدسة الا أبناؤهم . هكذا يكون حال المسلمين الذين أعطوا ميثاق الله بقبول القرآن وأمروا فى أول هذه السورة أن يفوا بالعهود فقيل لهم — يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الخ — وسرد العقود والعهود ثم أخذ يذكر مافعله بنو اسرائيل اذ أخذ عليهم العهد والميثاق فخالفوا العهد فخرجوا من الأرض المقدسة وهكذا النصارى لم يفوا بعهودهم فأوقع الفشل بينهم وجعلهم فرقا متشاكسة وألقى بين دولهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وذلك لأنهم قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم مع ان المسيح وأمه وأهل الأرض قاطبة تحت رحمة الله فلو شاء لأهلك الأرض ومن عليها بأى علة من العلل السماوية أو كوكب يقترب منها فيهلكها

ومن هو المسيح ومن هى أمه ومن هم أهل الأرض وما الأرض التى هم عليها إلا من المخلوقات المتأخرة التى ليست أعظم الخلائق ولا أكبر الأرضين وكم فى الكون من شموس وأراض قد تبلغ ثلثمائة مليون أرض على حسب ما استنتجه الانسان اليوم فكيف يكون عيسى ابن مريم الذى هو فى أرض ضئيلة ضعيفة إلها ان هذا لعجب عجاب وجهل عظيم

هذه هى ذنوب اليهود والنصارى معا . ثم أخذ يقرعهم جميعا أى اليهود والنصارى ويقول أيها اليهود أيها النصارى كيف تدّعون لكم أبناء الله وأحباؤه وبأى وجه تقولون هذا القول . خبرونى اذا كنتم صادقين فى قولكم . فلماذا يكون عقاب على الذنوب فالمحبوبون لايعاقبون ولقد قلت لكم ان من فى الأرض جميعا ليسوا شيأ يذكر فى جانب السموات والأرض . أهل الأرض مغترون وأين أرضكم ومن عليها بل أنتم بشر من خلق فأغفر لمن أشاء وأعذب من أشاء . لقد طال عليكم الأمد وقست قلوبكم وطالت الأيام على أديانكم فها أنا ذا أرسلت لكم رسولا يبشركم وينذركم ثم ختم هذا المقصد باتمام الكلام على عصيان بنى اسرائيل لموسى ولم يشأ أن يطيل الكلام على النصارى لأن بنى اسرائيل أصحاب التوراة وهم أصعب مراسا فقال اذكر يامحمد خبر موسى اذ قال لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أعطاكم نعما لم يعطها أحدا من العالمين . كيف تجبنون وتخافون من دخول الأرض المقدسة فقالوا — ان فيها قوما جبارين — الخ الآيات . هذا ملخص موجز لهذا المقصد سأوضحه لك الآن من نفس التوراة ولعمرك ليس يريد الله من هذه الحكايات ولا الأحاديث سرد تاريخ اليهود ودخولهم الأرض المقدسة

ولم يرد قط سبحانه وتعالى أن يفهمنا مافعله النصارى مجرد اخبار فلم يقصد الا أمر المسلمين تذكيرا لهم بقول الله تعالى . أيها المسلمون انظروا فى أمر بنى اسرائيل كيف جبنوا عن قتال الجبارين فحرمتهم الأرض المقدسة وتمتع بها أبناؤهم الشجعان ويقول كيف نظر الناس الى المسيح نظر الاله فمن هو المسيح وماهى الأرض

ومن أنتم . يقول الله جعلت النصارى فرقا بينها حرب شعواء وقد حصل ذلك فى أوروبا فقد اقتتلوا أجيالا وتحاربوا أعواما لأجل الدين والعقائد . وهذا معنى قوله - فألقينا بينهم العداوة والبغضاء - يقول الله اذا اختلف الناس فى الامور العظيمة والعقائد العالية أوقعت الحرب بينهم كما فعلت فى النصارى واذا عصوا ربهم وجبنوا حرمتهم التمتع بالسعادة فى الدنيا كما حصل من اليهود خافوا دخول الأرض المقدسة جبنا فأوقفتهم بطور سيناء مدة طويلة لاربيهم هكذا المسلمون لما اختلفوا فى العقائد ودخلت الشكوك بينهم ذاق بعضهم بأس بعض واقتتلوا على الخلافة والامامة ولما جبنوا سلطت عليهم الفرنجة لأهذبهم كما هذبت بنى اسرائيل بالتيه وبقائهم به أربعين سنة

فلعمرك لم تكن هذه القصص لمجرد التاريخ وماذا يهم المسلمين من ذلك لايهم المسلمين الا التعقل والتفكر . أيها المسلمون كفوا عن السير الذى أنتم عليه . ان هذه القصص جاءت لكم أنتم فليقم منكم علماء وليتركوا تلك البدع والجهالات فلقد ظن قوم أنهم وصلوا للالوهية من طوائف المتصوفة وآخرون أخذوا يتفاخرون بالدين أو بالطرق التى اتبعوها وكل يدعى انه أولى بالله ولكن الله يقول على رؤس الأشهاد انى لا أعبأ بأرضكم ومن عليها فاتركوا هذه الدعاوى واعلموا أنكم عبيد خاضعون فاعملوا صالحا ودعوا الكبرياء . واذا عرفت المقصود من هذا المقصد فتعال أسمعك ما جاء فى التوراة فى هذا المقام

قال فى سفر العدد . الاصحاح الأول - وكلم الرب موسى فى برية سيناء فى خيمة الاجتماع فى أول الشهر الثانى فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا . احصوا كل جماعة بنى اسرائيل بعشائرهم . وهنا ذكر تعدادهم سبطا سبطا قبيلة قبيلة ثم قال هؤلاء هم المعدودون الذين عدهم موسى وهارون ورؤساء بنى اسرائيل اثنى عشر رجلا رجل واحد لبيت آبائه فكان جميع المعدودين من بنى اسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعدا كل خارج للحرب فى اسرائيل كان جميع المعدودين ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين ثم لم يعد اللاويين منهم

وقال فى الاصحاح الرابع والثلاثين . وكلم الرب موسى قائلا أوص بنى اسرائيل وقل لهم انكم داخلون الى أرض كنعان هذه هى الأرض التى تقع لكم نصيبا أرض كنعان بتخومها الخ

ثم سمى فى هذا الصحاح الرجلين اللذين يقسمان الأرض بين بنى اسرائيل وهما (ألعازار الكاهن ويشوع بن نون وهكذا رئيس واحد من كل سبط وذكر من سبط يهوذا (كالب بن يفنة)

وقال فى الاصحاح الذى قبله ان هارون مات فى السنة الأربعين لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر فى الشهر الخامس فى اليوم الأول من الشهر وكان هارون ابن مائة وثلاث وعشرين سنة حين مات فى جبل (هور)

وقال فى سفر (التثنية) . قال فى الاصحاح الأول ففى السنة الأربعين فى الشهر الحادى عشر فى الأول من الشهر

كلم موسى بنى اسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب اليهم بعد ماضرب سيحون ملك الأموريين الساكن فى حشبون وعوج ملك باشان فى عبر الأردن فى أرض موآب (قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم) وهنا ذكر لهم انه جعل منهم قضاة يقضون بينهم الخ . ثم أخذ يوبخهم بكلام طويل ملخصه أن الرب قال لا تخف ولا ترتعد وادخل أرض كنعان فلما سمعتم ذلك منى قلتم نرسل منا ١٢ رجلا ليدخلوا تلك الأرض ويتجسسوا فصعدوا الجبل وأتوا الى وادى (أشكول) وتجسسوه وأخذوا فى أيديهم من أثمار الأرض ونزلوا به الينا وردوا لنا خبرا وقالوا جيدة هى الأرض التى أعطانا الرب إلهنا لكنكم لم تشاؤا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم وتمرمرتم فى خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا الى أيدى الأموريين

لكى يهلكنا . الى أين نحن صاعدون لقد أذاب اخواننا قلوبنا قائلين شعب أعظم وأطول منا مدن عظيمة محصنة الى السماء وأيضا قد رأينا بنى عناق هناك فقلت لكم لاترهبوا ولاتخافوا منهم وهكذا أخذ موسى يذكرهم أن الرب قد نظر لكم نظر رحمة فى مصر فهو لاينساكم فلم يفد الكلام فيكم فسخط الرب عليكم وأقسم قائلا لن يرى انسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التى أقسمت أن أعطيها لآبائكم ما عدا (كالب بن يفنة) وعلىّ أيضا غضب الرب بسببكم قائلا وأنت أيضا لاتدخل الى هناك يشوع ابن نون الواقف أمامك هو يدخل الى هناك فشدده الخ وأما أطفالكم الذين لم يعرفوا الخير والشر فهم يدخلون الى هناك وهم يملكونها وأما أنتم فتحولوا وارتحلوا الى البرية على طريق بحر سوف

ثم ذكر هنا أن موسى رحل بهم وبقى فى البرية ثمانيا وثلاثين سنة حتى فنى كل الجيل وحينئذ أمر موسى بالحرب ففعل وقابلهم ملك يقال له عوج وهو ملك باشان فغلبه موسى وأخذ أرضه لبنى اسرائيل

ثم قال فى الاصحاح الثالث من التثنية . وتضرعت الى الرب قائلا ياسيد الرب دعنى أعبر وأرى الأرض الجيدة التى فى عبر الأردن هذا الجبل الجيد ولبنان لكن الرب غضب علىّ بسببكم ولم يسمع لى بل قال لى الرب كفاك لاتعد تكلمنى أيضا فى هذا الأمر . الى أن قال لاتعبر هذا الأردن وأما يشوع فأوصه وشدده لأنه هو يعبر أمام هذا الشعب وهو يقسم لهم الأرض التى تراها

﴿ تذكيرهم بالنعم ﴾

ثم قال فاسأل عن الأيام الأولى التى كانت قبلك من اليوم الذى خلق الله فيه الانسان على الأرض ومن اقصاء السماء الى اقصائها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم أوهل سمع نظيره أوهل شعر الله أن يأتى ويأخذ لنفسه شعبا بتجارب وآيات وعجائب وحرب مثل كل مافعل لكم الرب إلهكم فى مصر أمام أعينكم انك قد رأيت لتعلم أن الرب هو الاله ليس آخر سواه الخ وهذا كله هو وغيره تذكير بالنعم وهو ما يقوله الله هنا — اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين —

﴿ حكمة هذه التجارب ﴾

﴿ فى الاصحاح الثامن من التثنية ﴾

أفاد فى هذا الاصحاح أن الأربعين سنة التى قضوها فى القفر ليذلهم بالجوع والعطش وليأكلوا المن الذى لم يأكله آباؤهم وذلك لفائدتين الأولى انهم يعرفون انه ليس يعيش بالخبز وحده بل بكل مايخرج من فم الرب يحيى الانسان . وقال فيه فاعلم فى قلبك انه كما يؤدب الانسان ابنه قدأدبك الرب إلهك . ثم وصف الأرض التى وعدهم بها وذكر جناتها وأعنابها وزيتها وعسلها وحديدها ونحاسها ووصى أن لاينسى الرب وحذرهم من نسيانه اذا شبعوا وليتذكروا أن الله هو الذى أخرجهم من أرض مصر فى ذل العبودية وحكم عليهم بالعطش والجوع فى البرية وسقاهم من الماء النابع من الحجر

ثم قال (لكى يذلك ويجربك لكى يحسن اليك فى آخرتك ولئلا تقول فى قلبك قوتى وقدرة يدى اصطنعت لى هذه الثروة بل اذكر الرب إلهك) اه ملخصا مختصرا من التوراة

لندظهر لك مقصود هذه الآيات من التوراة فلا ذكر لك تفسيرها اللفظى ومطابقتها للحقائق فأقول

قوله (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل) أى كما أخذ الميثاق على المسلمين فاولئك بالتوراة وهؤلاء فى القرآن كما فى أول السورة فهذه سورة العهود والمواثيق (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) شاهداهم الذين أرسلوهم لينقبوا ويفتشوا فى أرض كنعان من كل قبيلة واحد وهكذا فى كل أمر كان يؤخذ من كل سبط واحد يقوم مقام اخوانه وهذا شرحناه فيما تقدم من نفس التوراة (وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة) الى قوله (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) وهذا الميثاق وأمثاله أخذ على المسلمين وفى هذه السورة ١٨ ميثاقا جديدة لم

تكن فى السور السابقة وقوله (فبما نقضهم ميثاقهم) ما زائدة للتأكيد (لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) ولذلك (يحرفون الكلام عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) فحرفوا الكلام المنزل فى التوراة وتركوا نصيبا مهما منها (خائنة) فرقة خائنة (إلا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا ثم قال (و) أخذنا (من الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا) من غرى بالشئ لصق به (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بين فرق النصارى ومنهم نسطورية ويعقوبية وملكانية وفرق أخرى كالبروتستانت والارثوذكس اللتين ظهرتا بعد نزول القرآن ومن المسيحيين من ينكر وجود المسيح ومنهم من يرى أن هذه روايات وأباطيل وكل هؤلاء من نفس النصارى تنصلوا من الدين وقوله (مما كنتم تخفون من الكتاب) كتمت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة و بشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى انجيل برنابا وقد أخفى ذلك الانجيل عمدا كما وضحناه فى سورة البقرة (و يعفو عن كثير) فلا يفضحكم باظهار ما كتمتموه عن شعوبكم (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) هو القرآن (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب (الظلمات) الكفر (والنور) الاسلام (باذنه) بارادته (صراط مستقيم) طريق هو أقرب الطرق (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) هم الذين قالوا بالاتحاد منهم يعنى ان الله قد حل فى بدن عيسى ويقولون الأب والابن والروح القدس اله واحد وأنت تعرف أن هذه سرت للمسيحيين من الانجيل الهندى فانى رأيته بعينى رأسى وقد وازن المسيحيون بينه و بين بعض الأناجيل فلم يجدوا الا فرقا يسيرا بلا تصرف فيه وفيه التثليث والصلب وقد كان تاريخه قبل المسيح بنحو أربعة آلاف سنة وستراه مفصلا فى آخر هذه السورة وقوله (قل فمن يملك من الله شيأ) أى فمن يمنع من قدرته وارادته به بهذا بين عجز البشر واغترارهم بأنبيائهم وأن الله له من فى السموات ومن فى الأرض وقد تقدم ثم أخذ يوبخ الطائفتين اليهود والنصارى اجمالا بعد التفصيل فقال (وقالت اليهود والنصارى الخ) يقول ان اليهود قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل انى أدخل من ولدك النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد أن اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فيخرجون وقال النصارى ان المسيح ابن الله والمسيح منهم فقالوا نحن أبناء الله هذا السبب والمسيحيون أيضا لما سمعوا قول المسيح أذهب الى أبى وأبيكم وأيضا يقرؤن فى صلواتهم يا أبانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك ظنوا أن البنوة كبنوة الناس وأن الأب يفيمهم على فراش الراحة فقال الله لهم ٭ كلا هذه ديانات تغيرت (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) أى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى كراهة (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير الخ) ٭ وقد قيل كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة و بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة ثم قال (و إذ قال موسى لقومه) شرع يكمل قصص بنى اسرائيل إذ خرجوا من أرض مصر (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء) فأرشدكم وشرفكم وقد تقدم ملخصه من التوراة منقولا من سفر التثنية (وجعلكم ملوكا) أى وجعل منكم ملوكا (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) كما قال فى سفر التثنية المتقدم من اليوم الذى خلق الله فيه الانسان على الأرض ومن أقصاء السماء الى أقصائها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم وهل سمع نظيره الخ فهذا هو معنى الآية هنا (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) ولقد عرفتها وهى ما بعد نهر الأردن التى منع موسى من دخولها ووعد بها فتاه (التى كتب الله لكم) قسمها لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة (فتنقلبوا خاسرين) ثواب الدارين (قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين) لا تتأتى مقاومتهم وقد تقدم ايضاحه فى التوراة (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ٭ قال رجلان من الذين يخافون) أى يخافون الله تعالى وهما كالب و يوشع (أنعم الله عليهما) بالايمان والثبات (ادخلوا عليهم الباب) باب قريتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) كما جاء فى الوحى لموسى

وأما قوله (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) الى قوله (إنا ههنا قاعدون) فهو مفهوم و يقصدون من

قولهم ـ اذهب أنت و ربك ـ الاستهانة بالله ورسوله فبث شكواه الى الله و (قال ربّ انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين * قال فانها) أى الأرض التى وعدوا بها (محرّمة عليهم أربعين سنة) لا يدخلونها حتى يفنى هذا الجيل الجاهل الشرير (يتيهون فى الأرض) يسيرون فيها متحيرين (فلا تأس على القوم الفاسقين)

لقد فسرت لك الآيات فى هذا المقصد تفسيرا ينطبق على الحياة الاجتماعية الاسلامية وقلت ان المسلمين عاهدوا الله و بنو اسرائيل عاهدوه أيضا . فأما بنو اسرائيل فانهم خالفوا موسى وجبنوا عن محاربة الكنعانيين فحرمهم الله ولم يدخل البلاد إلا أبناؤهم . وهكذا النصارى تغالوا فى الدين وتفاخروا بقربهم من الله فجعلهم فرقا متشاكسين الخ وأزيد الآن ايضاحا للمقام فأقول

أيها المسلمون فى أقطار الأرض لم ينزل القرآن لمجرد التلاوة . احذروا احذروا وهذه القصص لا تقصد لغيرنا مالنا وللأمم السابقة انما قصصهم عبرة والعبرة هنا أن بنى اسرائيل قست قلوبهم وهكذا المسلمون قست قلوبهم وغلظت نفوسهم فانكبوا على الفقه عاكفين وظنوا أن مذاهبهم هى كل شئ فى الدين فنسوا جمال الله فى الأرض والسموات وجهلوا خلق الكائنات فأذلتهم الفرنجة لأنهم جاهلون وقتلوهم لأنهم نائمون

ولما طغوا فى العقائد وتفرقوا فرقا أوقع العداوة فيما بينهم كما حصل للنصارى ثم زاد المسلمون المتأخرون فتغالوا فى الاسلام وجعلوا أن كل من انتسب اليه فهو ناج ففعلوا كما فعل اليهود والنصارى وكأنهم أيضا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وهذا هو الغرور الباطل كما تقدم فى سورة النساء ـ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ـ فهذه الآية التى هنا وهى آية المسيح يراد بها أن لا يتغالى المسلمون فى الاغترار بالدين وانما لكل امرئ ما كسب وعليه ما اكتسب . هذا هو القصد من هذه الآيات

وأيضا يفيدنا الله قائلا . أيها المسلمون اذا رأيتم الأعداء حلوا بساحتكم فاعلموا أن الذى يخرجهم انما هو الصبر والقوة والجلد والعزيمة وأن يظهر جيل جديد يخرجهم وأن من يعيشون فى نعيم وترف أحكم عليهم بالهلاك والدمار . أما أولئك الذين يعيشون فى شظف العيش فانهم أقوياء البنية يجددون نشاطهم ويرجعون مجدهم ويرفعون لواءهم . وكأنه يقول أيها المسلمون اذا رأيتم هذا الجيل خاضعا للفرنجة فربوا أولادكم على الشهامة والمروءة كما ربيت بنى اسرائيل فى الصحراء تقوية لأبدانهم وتعويدا لهم على الاحتمال والصبر . وان شئت فاقرأ هذا المقام فى سورة البقرة عند قوله ـ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ـ ثم ذكر انهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاقرأ هذا الموضوع هناك فانه مستوفى ولكن هنا بعض زيادات نافعة فافهم اه المقصد الثالث

(المقصدُ الرّابعُ)

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ، فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ، وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ، قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ ٱللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى

سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ .

﴿ التفسير اللفظى لهذا المقصد ﴾

يقول الله (واتل عليهم) يامحمد (نبأ) قابل وهابيل (ابنى آدم) اللذين أوحى الله الى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأم الآخر أى التى ولدت معه من بطن حوّاء وكانت حوّاء تلد فى كل بطن اثنين ذكرا وأنثى أما هابيل فرضى وأما قابيل فسخط لأن توأمه كانت أجمل من توأم هابيل التى حكم عليه أن يتزوّجها فحكم عليهما آدم أن يقرّبا قربانا فمن نزلت نار من السماء فأحرقت قربانه فهو المقبول وهو الذى يتزوج هذه الجميلة فقبل الله قربان هابيل فابتلعته النار فازداد قابيل سخطا * ويقال ان ابنى آدم رجلان من بنى اسرائيل وسواء كان هذا أوذاك فان الله أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يتلو علينا نبأهما (بالحق) أى تلاوة ملتبسة بالحق (إذ قرّبا قربانا) الظرف متعلق بنبأ * وكان قابيل صاحب زرع وقرّب أردأ القمح وهابيل صاحب ضرع فقرّب جملا سمينا (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) لأن قابيل غير مخلص النية (قال لأقتلنك) حسدا لقبوله عندالله وزواجه بالحسناء (قال) فى جوابه (انما يتقبل الله من المتقين) فأنا بتقواى قبل قربانى فلتجتهد مثلى ليقبل قربانك ولا تعوّل على ازالة النعمة عنى لأن الله جعل الدنيا دار جهاد فكن مثلى ولاتعزم على اهلاكى وأنا قادر على اهلاكك ولكنى لا أفعل امتثالا لأمر الله والله (لئن بسطت الىّ يدك لتقتلنى ماأنا بباسط يدى اليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين) فأنا وان كنت أقوى منك يمنعنى خوف الله تعالى من الاقدام على قتلك فلاضعف عندى وانما هو دينى (إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك) أى ترجع بعقاب ذنبى بقتلك لى وعقاب ذنبك بمعاصيك (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت) سهلت ووسعت من طاع له المرتع اذا اتسع (له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) دينا ودنيا ولما قتله تحير فى أمره ولم يدر مايصنع به فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر بمنقاره ورجليه فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة (ليريه كيف يوارى سوأة أخيه) ليرى الله أو الغراب قابيل كيف يوارى جسد أخيه هابيل ولما رأى ذلك (قال ياويلتا) كلمة جزع وتحسر (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى) أى فأستر جيفته وعورته عن الأعين (فأصبح من النادمين) لأنه ندم على قتل أخيه لأنه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس) أى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (أوفساد فى الأرض) أو بغير فساد فى الأرض كالشرك أوقطع الطريق (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث انه هتك حرمة الدماء وانه سنّ القتل وجرّأ الناس عليه (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) أى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أومنع عن القتل أواستنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون) أى بعد ماكتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية وأرسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحات لكى يخافوا . أسرف كثير منهم فى القتل وتباعدوا عن الاعتدال فيه * سئل الحسن عن هذه الآية أهى لنا كما كانت لبنى اسرائيل فقال أى والله الذى لا إله غيره ما كانت دماء

قال لم يتمل الله ذلك فأوضح . قلت ألست تعلم مما ذكرناه فى أول سورة النساء أن الناس على وجه الأرض كأنهم شخص واحد وأن بنى آدم على ظهر الكرة الأرضية متضامنون وان لم يعلموا متعاونون وان لم يعرفوا . وعندى أنه لافرق بين النحل وتلقيحها الأشجار وهى تجهل ذلك أثناء شربها العسل من الزهرات وبين الانسان فان كل أمة تخدم سائر الأمم وهى غافلة عما تفعله بل تحارب كل أمة الأخرى وهم جميعا غافلون نائمون لايعلمون انهم بهذا ينقصون الثمرات التى هى خير للجميع . قال أوضح قلت انك ترى أن القطن فى بلادنا المصرية لوحصل فى بلاد الصين أو اليابان نكبة وفقر ولم نأخذ من قطننا أفليس ذلك يكون نكبة علينا قال بلى . قلت اذا لم نأخذ نحن معاشر المصريين الشاى الوارد من الصين أوالبن الوارد من اليمن أوالثياب المصنوعة فى أوروبا . أفليست كل تلك الأمم تتأثر وتنقص ثمراتها بنسبة عدم شرائنا قال بلى . قلت أفلست ترى هذا الانسان المكين تحارب كل أمة منه لأخرى وتقتل رجالها وهم لايحفلون بتلك المساعدة الخفية قال بلى . قلت فالفيلسوف فى الصين والهند وفى أوروبا والمخترع من هذه الأمم يؤثر فى أمته مباشرة وفى الأمم الأخرى اما مباشرة واما بالواسطة . قال وكيف ذلك قلت فالذى اخترع قطار السكة الحديدية والتلغراف والكهرباء وأمثالها أترى أمته وفى الأمم الأخرى فعلا قال نعم . قلت لكن العالم والمدرس والمهندس وأمثالهم يؤثرون فى أمتهم فينفعونها وتنفعهم عضو من سائر الأمم تفيد فى المجتمع قال نعم . قلت اذن العامل الصغير والفلاح والمزارع كل له عمل فى أمته وأمته فائدة فى جميع الأمم اجمالا . قال هذا حق . قلت هذا معنى الآية

يقول الله لم تخل الانسان عن عقله وترك الكبرياء والحسد يطغيان عليه تارة فيقتل سواه وتارة أخرى يقع فى التهلكة ولا يستيقظ عقله تفكر الا بعد مايذوق الشدائد كما اتفق لقابيل . أرسلت رسلا وعلمت الانسان بوسطتهم لأن غريزة الانسان قد يتركها هواه وتقوم الشهوات عقله تنويما مغناطيسيا فلا يستيقظ للفكر الا بعد حلول النوائب وعما قلته فى ذلك التعليم — ن من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا — لأن الانسانية متضامنة وهو عضو منها — ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا — ومثل هذا يظهر فى النابغين والمخترعين الذين يظهر فضلهم لسائر الناس وينفعونهم جميعا ولكن غير النابغين لايتقطن لمنفعتهم للانسانية الا الاقلون

فعلى ذلك يكون كل من قتل من الناس تعطلت منفعته عن العموم وكل من بقى فمنفعته للعموم . قال هذا حسن ولكنه خفى على أكثر العقول

قلت فاذا قال الله فى أول السورة ان من الصيد ماهو حلال ومنه ماهو حرام وقال أحلت لكم صنف كذا من النساء فقد قارهنا . أيها الناس انما أحللت لكم لأجل اللذات ولم تحيوا للشهوات وانما هذه مقدمات يراد بها الحياة فايا كم أن تشغلكم شهوات الصيد عن عجائب الطبيعة وغرائبها البديعة كما ترون فى غرائز الغراب من آيات الله والحكمة وكيف تعلمتم منه ومن سائر الحيوان فاحذروا أن يلهيكم أكل الحيوان وصيده عن الحكمة والعلم فيه وكيف يلهيكم هذا وقد قلت لكم ان ابن آدم دعا بالويل والثبور وفاته كيف جهات علم الطيور ولم أعرف حفر القبور فعلى عفوا لكم فلتبكوا وعلى ضياع غرائزكم فلتحزنوا وكأنه يقول اذا أحللت لكم النساء فليس معناه أن تغفلوا عن العدل كما فعل قابيل فقتل أخاه لأجل امرأة ولكن اعدلوا فى أعمالكم تنتظم جماعاتكم وادرسوا علوم الطير والأنعام لتنالوا سعادة الحياة والممات

واذا قال الله ان اليهود والنصارى أفرطوا وأسرفوا فى عقائدهم وقلما نحن أيضا ان المسلمين قد خلقوهم فيما وقعوا فيه فقد قال الله هناك أيها الناس ارجعوا الى العقل والتفكر وليرجع الناس لعقولهم ويفكروا

وكما أن قابيل تنبه الى فعل الغراب بعد الآلام والندم . هكذا من أصابهم العطب ونزل بهم الشقاء من الأمم فليفزعوا لعقولهم وليفكروا فيما حولهم وليتأملوا فيما خلقته لهم . ان المسيحيين لما مسهم الضر بسبب عقائدهم العتيقة جاء الاسلام فحدث وفعل واستنارت عقولهم بسببه فأما الاسلام فان أهله أصابهم الغرور

وناموا نوما عميقا فنبههم الله بالمصائب والكوارث وقد جاء دورهم فلينتبهوا

﴿ نداء لأمة الاسلام ﴾

هذا هو الذى انشرح له صدرى يا أمة الاسلام . أقول لكم وأنا ملزم أن أقول لكم . أقول لكم كيف يقول الله على لسان ابن آدم - ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب - كيف دعا ابن آدم بالويل والثبور لجهله وكيف يقال ذلك ألمجرد حكاية . كلا . هل يظن المسلمون أن القرآن يأتى لمجرد الفكاهة . كلا . ثم كلا وانظر كيف يقول الله - فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه - الله هو الذى يقول بعث غرابا يعلم ابن آدم ويريه كيف يوارى سوأة أخيه -

أيها المسلمون ان الأمر عظيم تضعضع المسلمون وضعفوا ومانجاتهم إلا بهذه القصة وأمثالها . هذه القصة تقول ان ابن آدم لما ندم على تفريطه عقل وفهم عن الطير وأنا أقول الله يريد أن يعلمنا علم مافى الأرض والسماء وما الغراب إلا ضرب مثل وما الحكاية إلا رمز . رمز حقا حقا وليس القصد منها لفظها واذا كان شرّاح كتاب كليلة ودمنه والوزير الفارسى وكذلك ابن المقفع يقولون ان الحكايات الخرافية التى فيها تكون تسلية للعامّة وعلما وحكمة وسياسة وفلسفة للخاصة أفلا يكون كتاب الله تعالى أولى بهذا فاذا كانت الخرافة تجعل رمزا للحكمة والفلسفة فما بالك بكتاب الله الذى قال انه سيظهره على الدين كله

إذن المسألة أكبر مما نظن وأعظم مما نفهم والمسلمون اليوم لهم حصن يلجؤون اليه وملجأ وهو التفكر والتعقل والفهم وجميع العلوم أصبحت هى نفس الدين ولم اختار الله الغراب فى التعبير . الغراب من الحيوانات الفواسق التى ورد الشرع بجواز قتلها كما تقدّم فاذا كان ابن آدم اذا أخطأت فكرته يرجع الى الحيوان بل الى أقلّ الحيوان احتراما فى الدين الاسلامى وكيف يكون الفكر فى باقى الحيوان وفى علوم الأمم وصناعاتها . نحن أمرنا الله أن نعرف علم الحيوان بل أدنى الحيوان فما بالك بعلم الانسان

فلا أقل أنا أيها الاستاذ لك ولتقل لى ياويلتنا أعجزنا أن نعرف ماتعرفه الأمم التى حولنا فنوارى سوأة أممنا الاسلامية فأصبحنا من النادمين . أعجزنا أن ندرس جميع العلوم ونعرف كل ماخلق الله ليرينا الله كمال غرائز الحيوان ولكن الانسان يخطئ ولذلك نرى الانسان يتعلم من الحيوان وتعلم ابن آدم من الغراب فالحيوان غريزته كافية لحياته والانسان تدنس الشهوات غريزته وبعد ذلك يتعلم من الطبيعة بتعليم الله . هكذا يقول الله - ليريه - فهو خلق لنا ماحولنا ليعلمنا ولم يخلقه لنصطاد منه فقط بل خلقه للتعليم وكأن الله يقول هل ذكرت فى هذه السورة أن ابن آدم قال ياويلتا على ضياع صيد أوضياع الشهوات بل دعا بالويل للجهل بالامور الطبيعية . هكذا يعلم الله بالقرآن ويرشد أمّة الاسلام . واذا كان الله يعلمنا بالغراب أفلا يعلمنا بما هو أقرب الينا من الغراب وهم الأمم التى حولنا . هكذا يقول الله تعالى . يقول لاتجهلوا ماحولكم مما علمته للامم وماخزنته فى الطبيعة ورمز لذلك بتعليم الغراب

قال صاحبى ولكن الناس يقولون ان غرامك بالطبيعة وعلومها جعلك تلح فى هذه الآيات وتأتى فيها بما هو بعيد عن الآية فهل هذا كله يترتب على قول الله - ليريه كيف يوارى سوأة أخيه - قلت فاسمع غيرها قال الله تعالى - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد - فانظر كيف ذكر أن هذه الأشياء تكون تبصرة وذكرى وتكون رزقا للعباد وقدّم التبصرة والذكرى على كونها رزقا للعباد وهذا يدل على عناية الحكمة الالهية فى القرآن أن يتفكر الناس فى علوم الطبيعة والمخلوقات

فقال ولكن هذه الفكرة مفهومة من سبعمائة وخمسين آية كما قلت أنت فما الداعى إذن لاستخراجها من قصة كهذه

فقلت المجاز أبلغ من الحقيقة وهذه القصة متى عرفها المسلمون على الوجه الذى ذكرناه و بالمنهج الذى سلكناه ثاروا فى وجه الجهالة وقاموا للعلم قومة رجل واحد لأن الأمة ليست على بينة من هذا فهذا القصص دلالته أفصح ومنافعه أكمل وتأثيره أشد وفعله أوقع فى النفوس وأذهب للبوس وأجلب للفهم وأقرب للعلم وأدعى لرجوع الأمة الى كمالها ونهوضها الى شرفها العظيم

﴿ نداء الى علماء الاسلام ﴾

حرام على علماء الاسلام أن يذروا الأمة تتخبط فى دجورها وحالك ظلامها . ألم يأن لكم أيها العلماء أن ترشدوا الأمة لكمالها . ألم يأن لكم أن تهدوهم الى الصراط المستقيم . انظروا كيف استنبط الامام الشافعى رحمه الله من آية واحدة من القرآن واردة فى غزوة من الغزوات وهى — فاعتبروا يا أولى الأبصار — ربع الدلائل الفقهية وهو القياس وكيف جعل أبوحنيفة الاقتصار على الأعضاء الأربعة فى آية الوضوء دليلا على أنه لايجب على الانسان غيرها وكيف جعل الشافعى الترتيب فرضا لأن الآية ذكرت الأعضاء على هذا النمط . وانظروا كيف كانوا يدققون فى كل صغيرة وكبيرة فهل نام الذين بعدهم وهل عموا وصموا فلم ينظروا فى القرآن ليسدوا هذه الثلمة الاسلامية والحوادث الحربية والمصائب الأوروبية الواقعة على الأمم الشرقية فاذا كان أئمتنا بهذه الدقة . فمابالنا أصبحنا نائمين هل على الأعين غشاوة أم فى القلوب مرض . عجب للمسلمين وأى عجب كيف تمر عليكم أيها القوم هذه الآية . يقول الله بعثت الغراب ليبحث فى الأرض و يعلمكم وأن ابن آدم تألم لجهله بما علمه الغراب فكيف يمر هذا القول عليكم وأنتم نائمون . أين أنت يا أبا حنيفة وأين الشافعى ومالك فليحضروا ليستنتجوا لنا من القرآن فقد فترت الهمم وماتت الأمم ولم يبق إلا الرمم

لو كان الشافعى حيا وأبوحنيفة ومالك ورأوا مانحن فيه لاجتهدوا لنا فى الدين ولألزمونا بقراءة نظام العالمين كما عرفونا الصلاة والركوع والسجود والزكاة وأكثر المعاملات

لو كانوا يعلمون أننا سنكون على هذه الحال لألفوا لنا فى هذه الأمور كتبا كثيرة ولكنهم ما كانوا للغيب بعالمين

نعم ألفوا لنا فى العبادات لفظوا أنفاسها فى داخلها فجزاهم الله خيرا ولو أنهم اطلعوا علينا فى هذا الزمان لأفهمونا أن علوم الكائنات أولى بالرعاية وأحق بالتعقل وأولى بالفهم والتوحيد أفضل من العبادات . نعم ورد عنهم مثل هذا ولكنه لم يكن له أبواب وفصول والحق أن علوم الكائنات أفضل من العلوم الفقهية لأنها دالة على الله عزّ وجل ولأن فيها نظام الأمم وحياتها فأصبح اليوم علم التوحيد مأخوذا من الطبيعة وحياتنا موقوفة على الطبيعة وتفسير قوله تعالى — فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض — متوقف على الطبيعة

فليقرأ المسلمون علم الكائنات ليقربوا من ربّ البريات فذلك خيرلهم وأحسن تأويلا

﴿ الخزائن الحديدية فى القرآن ﴾

لقد خزن الله فى باطن الأرض الفحم واستخرجه الانسان الآن وخزن البترول والنفط والحديد والذهب وخزن الكهرباء فى الجوّ والماء والأرض وفى كل شئ وكذا البخار . كل ذلك خزنه الله ولم يطلع عليه الناس إلا شيأ فشيأ وليس الخزن معناه الاختفاء . كلا بل يكون الشئ أمام أعيننا ولانعقل له معنى . فالبخار كما نراه وانه يميل الى الصعود ولكنا مافكرنا فى منفعته والسمك المسمى بالرعاد كما نحسّ بكهربائيته ولكنا كما عنها غافلين . هكذا القرآن قد ظهر لعامة المسلمين والفقهاء السابقين منه الأعمال الشرعية والتكاليف الدينية . أما الحكم الكونية والعجائب الالهية فقد كان المسلمون عنها غافلين اللهم إلا أكابرهم وما كان المسلمون لهم بصغين ولا لقولهم سامعين . وهاهى ذه آية الغراب وكيف ذكرها الله فى القرآن وقال فى

هذه

هذه السورة قولين فى هـذا المعنى . القول الأوّل ـ تعلمونهنّ مما علمكم الله ـ والثانى قوله ـ يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين ـ فتارة يقول لنا علموا الحيوان مما تعلمتم من الله وكلوا مما أمسكن عليكم وتارة يقول تعلموا من الطير و يقول ابن آدم ياويلتا أبلغ الجهل بى والحق أن أكون أدنى من الحيوان علما وأقل منه فهما وأنزل منه شرفا

ألست ترى أن هذه خزائن أودعت فى القرآن وأقفلها الله كما أقفل خزائن البخار والكهرباء ونحن نراها فهذه الآيات تتلى والمسلمون نائمون حتى اذا جاء الأوان وساعد الزمان وظهر نوع الانسان و برع فى الاتقان فتح الله هـذه الخزائن المقفلة الحديدية وأرانا عجائبها وأطلعنا على جاهلها وقال قولوا لاخوانكم المسلمين ان هذه العجائب من دينكم والتفكر فيها من أعظم عباداتكم ـ و إن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزّله إلا بقدر معلوم ـ ولقد خزنا أمثال هذه القصة لأمثال المسلمين الآتين بعدكم وهذا أوان مجدكم واشراق شمسكم

فبينوا للناس تبيينا وزينوا لهم ما زيناه وأظهروا لهم ما خزناه فهـذا أوانه وليقم فى كل أمّة مصلحون وفى كل اقليم مجدّدون فانشروا العلوم وأبرزوها للعموم واذا كان بعض السابقين لم يكن لهم من هذا حظ عظيم فلقد أذن الله ببلوغ المسلمين درجـة الايقان وارتفاع الشان وقد كانوا بالجهل كصغار الأيتام فلما أذن الله بانشراح القلوب للعلوم صاروا أهلا لنيل ما خبأه لهم واستعدّوا لاستثمار ما غرسه لهـم إذ صاروا بالفهم كالبالغين ان الله لا يعطى إلا المستحقين و يمنع من لا يشكرون النعمة وليس يشكرها إلا من يعقلها والله هو الولىّ الحميد

﴿ فتح الخزائن القرآنيـة والتفرج على عجائبها الحكمية ﴾

(فى الطيور)

لقد كنت ألفت كتابا سميته (جمال العالم) منذ ٢٢ سنة وذكرت فيه من كل نوع من أنواع المخلوقات عجبا . فها أنا ذا أيها اللبيب أقصّ عليك منه ما يناسب المقام وأذكر عجائب بعض الطيور لتتفرّج على خزائن الله التى أذن باظهارها وفتحها لأبنائنا المسلمين الذين سيوقنون أن الدين الاسلامى جاء لكشف الحقائق واظهار الدقائق وابراز العجائب ولتعلم أن أعظم المخترعين وأكبر المفكرين وأهم الذين ينفعون النوع الانسانى سيكونون من المسلمين لايقانهم أن العلوم الطبيعية قربى الى الله وهى علوم ترفع فى الدنيا والدين وأن كل مخترع ومدقق وكاشف ونافع للأمم جميعها بالعلم خليفة الله وهم أولى بهذه الخلافة . فلأسمعك ماجاء فى ذلك الكتاب

﴿ الكلام على الطيور ﴾

فقال صاحبى لقد اتضح لى السبب وعرفت الحكمة وفهمنا الحيوانات وعجائبها فأرجو أن تذكر كلاما على الطيور وغرائبها وما أودع فيها من الحكم فقال ان الله قسمها قسمة عادلة كقسمة الحيوانات التى على الأرض فجعل منها الآكلة والمأكولة وترى الصقور والشواهين والبزاة والبوم والغربان قد خلقت لها المناقير الملتوية والمخاليب المعقربة والريش الطويل فى الأجنحة والأذناب وهـذا الأخير ليكون موازنا لأجسامها ليمكنها أن تديرها كدفة المركب وذيل السمكة اذ لا يمكنها أن تستدير يمنة أو يسرة الا بتحريكه ضـد ما تريد (أنظر كتابنا جواهر العلوم) وحدب مناقيرها لئلا تصادم الرياح فتعوقها عن الطيران اذا كانت عريضة وأعطيت حواس قوية حتى يمكنها أن ترى أقلّ شئ فى الأرض على بعد عظيم وتشم الرائحة من أبعد مكان ولها من السرعة مالا يخطر بالبال حتى ان الصقر ليطير فى الساعة أكثر من مائة ميل وقد يحمل الأرنب أو الجدى أو الطفل وعلى ذلك ربما لا يزيد وزن الطائر عن نحو اثنى عشر رطلا

(لطائف عن الطيور الجارحة)

ولنذكر غرائب الخفاش والغراب والبوم ليكون مجلسنا هـذا جميلا فلا نذكر فيه الا ما جل من الحديث وليكون تذكرة للعقلاء وسلوة للحكماء وتنبيها للنبهاء وليرى الشبان الأذكياء مالم يكن ليخطر على بالهم من

العجائب التي يراها عامّة الناس ولا يفقهون لها معنى وكيف جهلناها وأعرضنا عن العلم فأعرضت المدنية — ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا * ونحشره يوم القيامة أعمى * قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى — فاذا قرأت ما يأتي من غرائب الطيور وفطنت الى ما سنذكره من الحكم ثم نظرت الأمّة حولك كيف أعرضت وجهلت تعرف سرّا من أسرار القرآن وكيف سمي هذا نسيانا وظنّ العامّة منا وكثير من الخاصة أن المدار على أن يقول أعرف الله بلسانه وهو يجهل ما حوله من الكائنات ومنافعها — أفلا ينظروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض — ثم هدّد فقال — ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء — اشارة الى الذلة التي تحيط بالجاهلين . وانشرع فيما وعدنا فنقول

﴿ الخفاش ﴾

لا يعدّ الخفاش من الطيور الا تساهلا اذ لا ريش له ثم هو لا يرى الا ليلا لقوّة عينيه فيجهر بصره نهارا ويقوى ليلا ليكون لصا وهذا النوع أعطى قوّة على أن يطير فلا يسمع ويبصر ليلا وهو لا يبصر ومنه خفاش جثته كبيرة كالثعلب أو الكلب حتى يسمى الكلب الطيار فهذا وذاك كلاهما موجودان في العالم وشاهدهما أهل هذا العصر ووصفوهما في الكتب — وفي الأرض آيات للموقنين . ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبثّ من دابة آيات لقوم يوقنون . وكم من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون — وربّ قارئ يقرأ هذا ويقول أنا لا أصدق الا بما شاهدت وهذا انما هو من الغافلين فان هذا من آيات الله الدالة على صفته المشحونة بها الكتب في العصر الحاضر الآتية بها الأخبار من أقاصي المعمورة — أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا — ونحن اذا تمادينا على الاستهزاء بهذه العجائب وأعرضنا عن ذكر الله بسببها ذهبت منا سدنيتنا مع ان علماءنا السابقين وآباءنا الأوّلين كانوا هم السابقين لها المعلمين لعلماء أوربا الهادين لهم الى سبيل الفكر والعلم والقرآن هو الهادي الى ذلك

ومن الخفاش نوع يعيش على دم الانسان والحيوان فيشرب دم الخيل والابل والبقر والغنم فاذا رأى انسانا نائما جاء بلطف وخفة وروّح على وجهه حتى يستغرق في نومه بتجديد النسمات عليه ثم يضع منقاره في موضع مكشوف من جسده ويمتصّ منه الدم ولا يزال كذلك حتى يمتلئ ثم يطير بأسرع من لمح البصر ويترك النائم على شفا جرف هار من الموت أو المرض . وما أشبه هذا بالأمم الفاتكة بغيرها بطرق الخداع واستهواء العقول فجلّت صنعة الحكيم العليم الذي أتقن صنعه وعلم الحيوان فوق علم الانسان في كل فنّ من الفنون حتى السياسة عجب من هذا الصنع الباهر والحكمة الظاهرة فالى متى يا قوم لا تقرؤن علم الحيوان ولا تذكرون الله الا قليلا — ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين —

﴿ حكمة الله في البوم ﴾

البوم حيوان قويّ جدّا لا يظهر نهارا لأن له عينين كبيرتين واسعتين لا تقدر أن تحمل نور الشمس القوي وانما تقدر أن تنظر في الغلس وتبحث اذن عن الطعام . تعيش على الفيران الغيطية والمنزلية والسمك والحشرات فاذا جاعت ولم تجد شيأ من ذلك أكلت من الطيور . صنعت أجنحتها بحيث تطير بلا صوت ولها أذنان قويتا الاحساس جدا بحيث تسمعان أقلّ حركة من حيوان صغير كالفأر على الحشيش فاذا رأت فأرا على الأرض أو سمكة على سطح الماء أسرعت اليه في الحال نازلة في طبقة الهواء وحينئذ تنقضّ عليه وتقتنصه بمخاليبها ثم تطير به وتزدرده كله عظاما ولحما فاذا هضم اللحم في فمها وتخلص من العظم لفظت العظم . اذا شاهدت عش بوم في جوف شجرة أو خربة فلتعلم أنك سترى آكاما كبيرة من العظام التي أكل لحمها البوم بل نفس تلك الاعشاش انما هي آكام صغيرة من عظم يابس . البوم نافع عظيم للفلاح فيأكل الفيران التي تضرّ بالزرع * وقد قيل ان بومة واحدة قد تأكل قدر هرّة خمس أو ست

مرات * حكى أن رجلا له يمام مستأنس فى برجه فوجده ناقصا فأخذ بندقيته وتربص ليلا حتى اذا جاءت بومة ودخلت البرج ولما خرجت وفى فمها شئ ظنه الرجل يماما وظنها سارقة له ولما ضربها و وقعت صريعة وجدما فى فمها الفأرا التى هى المفترسة على الحقيقة فندم ولات ساعة مندم . وفى بعض الجهات يستعملون البوم لصيد الطيور وذلك انهم يأتون بأغصان و يدهنونها بصمغ يسمى صمغ الطيور يلتصق الشئ به كالغراء ثم يربط البوم فى حبل قريب من تلك الأغصان حتى لا يتمكن من الفرار فى الحقل ثم ان الطيور تكرهها كراهة شديدة لأنهن يعلمن أنها فى بعض الأزمان تقلق راحتهن وتحاول اقتناصهن فاذا رأوها مربوطة ولن تقدر على أن تلحق ضررا بهن يذهبن فى عدد كبير وجم غفير و يلتففن حولها لينقرنها بالمناقير و يضررنها بأى وسيلة يقدرن عليها وفى الحال تقب تلك الطيور على الأغصان المدهونة بالغراء أو تلمسها بأجنحتها فيمسكهن حالا و يقتنصهن الرجل سريعا و يضعهن فى القفص المعد لذلك و يذهب الى حيث يريد

﴿ الغراب ﴾

هو من الملحقات بآكلة اللحوم وضعه الله فى الأرض ليساعد الفلاح على عمله فى الحقول ليأكل الدود والجرذان وغيرهما من هوام وحشرات . ومن العجيب أنه يعرف الخطر فيتقيه الهاما من الله تعالى فيبنى مساكن من الأغصان مجمعة على الاحكام والاتقان فى أعالى الأشجار حتى لا يقدر الريح على افساد أعشاشهن أو ايقاعهن عن أماكنها و يخرجن لطلب الرزق زرافات فاذا وقعن فى حقل ليلتقطن ما أودع الله لهن من الحشرات والهوام جعلن واحدا منهن حارسا مترقبا للأعداء محاذرا هجمات الفاتكين فاذا نعق (غاق) علمن قرب خطر محدق بهن فطرن فى الهواء . ومن العجيب أن الناس فى بلادنا لا يفهمون لهذا الطير معنى و يؤذونه وقد يضربونه بالبنادق وهم يجهلون انه صديقهم قاتل عدوهم الدود فهو يحسن وهم يسيؤون

وفى ظنى أن كثرة الدود فى بلادنا انما جاءت من قلة الأشجار ولو أن الناس غرسوا على الترع والجسور والخلجان أشجارا لعششت فيها الطيور المختلفة وأبادت الدود والحشرات . إذ من المحقق أن الحشرات أصلها الدود فكل حشرة تبتدئ بيضة فتنقلب دودة حتى اذا أكلت ونامت نسجت عليها نسجا حريريا فكونته كتلة صغيرة أو كبيرة وتسمى بلسان علماء الحيوان (شرنقة) و يبقى فيها ذلك الحيوان نائما ثم تخلق له الأجنحة والأرجل فيحرقها و يطير كما فى دود القز ودود القطن الذى يخرج منه أبودقيق وسنوضحه فى هذا المختصر ان شاء الله تعالى وستقف فيه على أن الطيور وضعت لأكل الحشرات والدود الضارة بالزراعات والأشجار فى مساكنها فمن قطعها فقد جنى على الزرع جناية لا يكفرها إلا العلم بها

﴿ الغراب والموازنة بينه و بين البوم والخفاش والفلاح فى الحقل وأن هذه مملكة سياسية ﴾

لقد صدق علينا اليوم قوله تعالى — وكم من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون — هذه آية هذا الغراب نشاهده كل يوم ونسمع ذكره فى القرآن وأن بعض عباد الله تعلم عنه وقال — يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب — وحرم علينا أكله . فيالليت شعرى ماالذى فيه من المنافع وماالذى أودع مدبر الكون فيه من الحكم والمصالح وهل له ارتباط بمعايشنا وأرزاقنا . نعم إى وربى انه لحق وهل يذكر فى القرآن إلا لينبه النفوس الغافلة والعقول الخامدة . اعلم أن الغراب من أعظم نعم الله على الفلاح وزرعه فانه يأكل الحشرات الصغيرة والديدان من الأرض التى لو بقيت لأضرت الزرع فهلك الحرث والنسل

فانظر كيف جعل الله هذا الحيوان مساعدا على نمو نباتنا و بقاء حياتنا كما جعل البوم آكلا للفيران ليبقى الزرع محفوظا الى أجل مسمى . فانظر كيف سلطهما الله على تلك الحيوانات المضرة بزرعنا وانظر الحكمة فى الشريعة المطهرة وكيف حرم أكلهما على الناس لطفا من الله بنا و بقاء لزرعنا فضلا عن ضررها بأجسامنا كما تشير اليه الآيات والأحاديث

﴿ مقارنة بين سياسة الله تعالى فى العالم وسياسة الأمم وبرهان على وجوده وحكمته ﴾

هل لك أيها السيد الأخ أن تتأمل معى فى أربع أصناف كونت محكمة واحدة

تصور الغراب والفلاح والبوم والخفاش يتعاونون على انماء الزرع فترى الفلاح يحرث ويبذر ويسقى ويحضر الآلات لتنقية الحشيش وهذا هو الوزير الأول لهذه المملكة وهذا الوزير يعجز عن ابادة الجنود المجندة من الحيوانات التى تفتك بزرعه صباح مساء فلما عجز عن ذلك أغاثه الله وأعانه بالبوم فقد جعل الله معيشته على الفيران والحشرات وأشياء أخرى مما يضرّ بالزرع فاذا أفلت شئ من هذه الحيوانات ولم يبده البوم تلقاه الخفاش فانه مسوق طبعا لأكل الفراش وغيره وهذا لو ترك وشأنه لوضع بيضا يبقى فى الأرض زمنا ثم يخرج منه دود وهو فى الغالب عند ابتداء خروج النبات من الأرض فيهلكه ومتى بقى شئ من ذلك وقد أفلت من البوم والخفاش سلط الله عزّ وجل حيوانا نهاريا وهو الغراب فأكل ذلك الدود من الأرض فانظر كيف جعل كل صنف من هذه الأصناف الأربعة وهى الانسان والبوم والخفاش والغربان مساعدا للآخر فى انماء الزرع وهو لا يدرى ما نتيجة عمله . ومن العجيب انك ترى أن الخفاش والبوم حيوان ليليان أعدهما الصانع الحكيم للهجوم على الحيوانات المبصرة السميعة القادرة على الطيران والجرى فوهبهما أعضاء وحواس تناسب الهجوم فى الظلمة . وانظر كيف كان الغراب حيوانا نهاريا لأن معيشته غالبا من أكل الدود وهو لا قدرة له على الجرى ولا سمع له ولا بصر فلم يكن من الحكمة أن يجعل ليليا وهكذا الانسان

وانظر كيف جهل كل صنف من هذه الأصناف عمل الآخر كما قدمنا . ولا جرم أن الذى علم النتيجة من هذه الأعمال الليلية والنهارية هو الصانع الحكيم الذى دبر الكون وأتقنه فظهر إذن أن الحقول كالممالك . فكما أن الملك أو الوزير يعطى كل عامل قسطه من العمل الذى يصلح له فهكذا نرى أن كل حيوان ناطق أو غير ناطق قام بعمل يصلح له فى الزرع . وكما أن الملك أو الوزير يوعز الى رئيس الأشغال أو الادارة أو الحقوق أو المعارف بما لا يوعز به الى الآخر فهكذا نرى أن كل حيوان جبل على عمل برع فيه . وكما ان كل رئيس من رؤساء الحكومة يعلم ما تحت امرته تفصيلا ويجهل سواه فهكذا تلك الحيوانات والانسان كل يعلم ما استعد له ويجهل سواه . وكما أن نتيجة جميع نظام الأمة موقوف على ارادة الملك أو الوزير بحيث ينظران الأشغال والادارة وغيرهما وينسبان بعضهما الى بعض ويلاحظان النتيجة ويزيدان ما نقص وينقصان ما زاد فهكذا الحكيم مدبر الكون رتب هذه الأصناف من الحيوانات وغيرها وعرف مقدار ما تخرجه المزارع بعد ترتيبها واحكامها فالميزان العمومى فى يد الله تعالى يخفض ويرفع ويزيد وينقص على حسب ما أراد فى اخراج النتيجة والثمرة التى يختارها . وكما ان رؤساء المصالح فى الحكومات اذا لم يكن لها رئيس أكبر يجمعها وينظر شؤونها مزقت كل ممزق ولم يكن لها نتيجة ألبتة فهكذا هذه الحيوانات ان لم يضع مدبر الكون لها حدودا ولم يلهم كلا رشده لم تحصل الثمرة المطلوبة ومن هنا نفهم قوله تعالى ـ أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ـ يشير الى أن الحرث انما قصد لانمائه والنبات يحتاج لأمرين جلب المصالح ودفع المضار فيفعل الانسان جلب المصلحة وبالحيوان دفع المضرّة ولذلك قال ـ لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون بل نحن محرومون ـ

ولما بلغ بنا المقال الى هذا المقام . قال صاحبى قد عرفت شيأ من عجائب الطيور الجارحة وغرائبها فهل لك أن تذكر لى شيأ من عجائب الطيور غير الجارحة ليعرف من يطلع على مقالنا هذا كيف حال الطيور غير الجارحة مع الجارحة ويقارنها بحال الحيوانات أكالة الحشيش مع المفترسة فقلت ان الكلام على هذه الطيور يطول ولنذكر كلاما اجماليا عليها فنقول

تقسم باعتبار الماء والأرض والهواء الى ثلاثة أقسام كلها زينت بالريش القصير على أجسامها الطويل فى

أجنحتها وذيولها ليكون كدفة السفينة يساعدها على الدوران بسرعة يمينا ويسارا فى الهواء . هذا مع مالها من الألوان المختلفة والأصوات العجيبة المتباينة

﴿ المائية ﴾

وانظر كيف ميز الله المائية عما عداها بزيت وضع فى ريشها طبيعيا ليقيها غوائل البلل وأرجل منسوجة نسجا عجيبا لتساعدها على العوم فى الماء كمجاديف السمكة والسفينة . فانظر وتأمل كيف وضع للماء ماينا سبه من ذلك النسيج بين الأصابع ومن ذلك الزيت الدائم الذى يبقى من البلل . ولم تكن هاتان الخاصتان إلا فى هذا النوع وحده والبط والاوز من هذا النوع

﴿ الهوائية ﴾

أمّا الطيور الهوائية فقد دبرها الله بصنعة تناسب الهواء والتسلق على غصون الأشجار فجعل أجسامها صغيرة وأجنحتها طويلة وصور الأصابع مستعدّة أن تقبض بخفة على غصون الأشجار حتى فى أثناء النوم . والعصافير والغربان من هذا النوع . فانظر كيف صغرت الأجسام لتستقلّ بالطيران فى الهواء . وكيف طالت الأجنحة لتقوى على ذلك . وكيف فصلت أظافرها وجعلت صالحة للقبض على الغصون كما نسجت فى الطيور المائية لسهولة العوم فى الماء

﴿ الأرضية ﴾

أما الطيور الأرضية فأجسامها كبيرة وأرجلها قصيرة قوية وأظافرها صالحة للبحث فى الأرض والدجاج نوع من هذا . فتأمل ياسيدى كيف قويت أرجلها لكبر أجسامها وكيف كانت أظافرها غير منسوجة كالمائية ولا صالحة للقبض على الغصون كالهوائية بل مستعدّة للبحث فى الأرض لمناسبة المعيشة فيها . وهذه حكم عجيبة — وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزّله إلا بقدر معلوم —

﴿ عجيبة ﴾

ذكر علماء الحيوان عن هذه الطيور عجائب لايسع المقام ذكرها نكتفى منها بمسألة واحدة . عن أحد العلماء صاد خطافا ضربه بالبندقية فوق سطح البحر فوقع على الموج فانتظر ذلك العالم حتى يأتى به الى الشاطئ وبينما هو كذلك اذا بأربعة من ذلك النوع أحدق اثنان منهنّ بالمجروح كل واحدة أمسكت بطرف جناح وطارتا به قليلا وتعبتا فنابت عنهما أختاهما فحملتاه أمتارا وهكذا مازلن يتناوبن الحمل بمرأى

﴿ العصفور ﴾

وهل أتاك نبأ عصفور دورى أخبر عنه المستكشفون وذلك أن فيه حكما تخبرنا عن عجيب الاتقان فى ذلك الصنع الباهر والحكمة الظاهرة . وذلك أن هذا العصفور لايبنى له عشا وانما يبحث عن أعشاش نوع آخر من جنسه يماثله حجما وينتهز فرصة غياب صاحب العش ويضع فيه بيضته فاذا رجع صاحب العش لم يعرف الفرق بين العددين فيحضن الجميع وأوّل فرخ يخرج من البيضة ذلك الفرخ الأجنبى فيفرح به صاحب العش ظنا منه أنه ابنه وقد جرت عادة الله أن من تعب فى شئ مستحسنا له أحبه ثم يمرّ هذا العصفور بسرعة حتى يضيق المكان إذ ذاك وتبتدئ الفراخ التى فى بيض صاحبة العش أن تنقر البيض بمناقيرها وتخرج واحدة بعد الأخرى . فانظر كيف وضع الله فى فهم ذلك العصفور الأجنبى أن يساعد أمّه الحنون الجديدة ويبنى عشا آخر فى أقرب زمن . وانظر كيف جعل الله فى ظهره جؤة أوحفرة فيها يضع اخوته الصغار واحدا بعد الآخر وينقلهنّ الى العشّ الجديد فتأمل ثم تأمل كيف ساعد أمّه الجديدة على تربية أبنائها مكافأة لها على حضنه ثم استيطانه المكان الذى بنته فلعلك اذا تأمّلت هذه الحكم العجيبة تسعى لنفع أمّتك مثل ماعلمك الأوّلون وتجدد مجدها . انتهى ماجاء فى كتاب (جمال العالم)

الحيوان كتاب مفتوح للناظرين كتبه الله بيده وسطره بحروف بارزة واضحة بهجة تسرّ الناظرين ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون فدلهم على ذلك الكتاب المنظور بما أنزله فى الكتاب المسموع الوارد من الوحى على قلوب الأنبياء فقال تعالى هنا على لسان ابن آدم (يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى) وقال فى سورة النمل على لسان الهدهد مخاطبا النبى سليمان عليه السلام — قال أحطت بما لم تحط به — وفى سورة البقرة يقول الله تعالى — ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها — ولقد سمى الله السور بأسماء الحيوانات كالأنعام والبقرة و بأسماء الحشرات كالعنكبوت والنمل والنحل فانظر كيف يقول الهدهد أحطت بما لم تحط به مخاطبا نبيا عظيما مشيرا الى أن الانسان وان عظم مقامه وارتفع شأوه جدير بأن يقرأ علم الحيوان واذا كانت عناية الله عز وجل موجهة الى أحقر الحشرات وهى البعوضة وما هو أدق منها فضرب بها الأمثال ولم يكتف بذلك بل سمى السور بأسمائها فلا جرم ان الأمر لعظيم

إن المسلمين بعدنا سيكونون أبعد مرمى مما نحن عليه إن المسلمين اليوم نائمون لا يعلمون ما للحيوان وللحشرات من الأهمية العلمية ولم يوجهوا هممهم الى ذلك وكم للحيوان من حكومات منظمات فترى النمل يخدم كل واحد من الجماعة الآخرين وهكذا النحل ومثلها كلاب البحر والغربان وغيرهما . إن دراسة الحيوان تفهمنا الى أىّ اتجاه تتجه الحياة وان نظام الحياة الفردية موجه للمجموع . إن سنة الله فى الحيوان أن يخدم الفرد المجموع بل لا سعادة له ولا كمال ولا لذة الا بحسب غيره والعمل له سواء أعلم ذلك أم كان من الجاهلين فاذا تربى المسلمون تربية فردية كما هى الحال اليوم قادتهم الأمم الى أسفل سافلين وأصبحوا فى العذاب المهين فليكن كل فرد عاملا للمجموع قصدا ولتكن وجهة تربيته لذلك والا اضمحل وتفرق المجموع وان أردت زيادة التبيان فهاك حياة الحشرة المسماة فرس النبى وحياة العقرب

﴿ فرس النبى والعقرب ﴾

إن الحشرة المسماة فرس النبى التى ترى على الأشجار و بين الأوراق خضراء مشاكلة لما هى فيه من الخضرة والتى يغرّ ظاهرها أنها أشبه بالصالحين من هيئة منظرها هذه الحشرة من الحشرات التى تعيش على صيد غيرها وتفتك بما يمرّ بها من الحشرات وصمتها وسكونها وهدوءها لأجل أن تغرّ ما يمرّ بها من الحشرات فتلتقمه على حين غفلة هذه هى المسماة فرس النبى وطريقة تناسلها أن يقترب الذكر من الأنثى وتحصل عملية الالقاح ولا يكاد الذكر يفرغ من تلك العملية حتى تنقضّ عليه الأنثى فتأكله وهو ساكن لا حراك له

﴿ العقرب ﴾

العقرب حيوان معروف يتغذى من العناكب والجراد والصراصير والذباب

﴿ تناسله ﴾

اذا أتى فصل الصيف خرج الذكر فى الليل باحثا عن الأنثى فاذا لقيها قبض بطرفيه المساكين على طرفى الأنثى المماثلة فتريد الأنثى أن تتخلص منه وتفرّ من الذكر فيذهب للبحث عنها ثم يسير بها مدة من الزمان لاويا ذيله فوق جسمه المفرطح راجعا القهقرى جارا معه الأنثى حتى يدخلا معا تحت حجر أو فى شق فى الأرض ولا يدخلان ذلك المضيق الا بعد دوام الرياضة مدة ساعات كأنهما يتغازلان والذكر فى أثناء تلك الرياضة يقرب فمه من فمها ومتى دخلا الشق أو المكان المختبئ حصلت عملية الالقاح ومتى تمّ التلقيح تنقضّ الأنثى على الذكر وتأخذ تنهشه وهو لا يزال حيا حتى اذا أكلت الأعضاء العصبية الرئيسية مات وانتهى أجله وفى بعض الأوقات يفلت الذكر من الأنثى بخلاف فرس النبى فان الذكر لا يفلت من الأنثى بل لا بدّ من موته هنالك ينمو البيض فى رحم العقرب الأنثى ثم تبيض نحو أربعين بيضة وهى تشق غلاف كل بيضة تلدها فتخرج العقارب الصغار وتنام على ظهر أمها أسبوعا كاملا وهنالك يتغير جلد الصغار وتعيش أيضا أسبوعا آخر على أمها وقد

صارت جلودها المتساقطة على أمها أشبه ببساط على ظهرها تنام الصغار عليه ومتى تمّ الأسبوعان استقلت العقارب الجديدة ومضت تطلب رزقها أما أمها فانها غالبا تموت بعد مفارقة صغارها لها

﴿ دود القز وتناسله ﴾

ويماثل ماتقدم دودة القز فان الفراش الذى تنقلب اليه الدودة يتناسل بعد خروجه من الشرنقة فيلقح الذكر منه الأنثى ثم يموت الذكر وتموت الأنثى بعد أن تبيض فهذه الحياة الطويلة للشرنقة إن هى الا تحضير لهذا التناسل

﴿طبيعة الانسان لاتخالف طبيعة الحيوان فى أن التناسل مقدمة الموت وأن حياة الفرد حياة للمجموع﴾

قل لى بربك أيها الذكى المطلع على هذا الكتاب ماذا يراد بحياة الفرد الانسانى إنه يراد بها أن تكون فداء للمجموع وعضوا عاملا فيها فالفرد غذاء للمجموع ومقدمة له وهاك البرهان

لعمرك انى رأينا ذكر العقرب وذكر فرس النبى يذهبان ضحية الأنثى فتأكلهما عقب الحمل بحيث يلتحق المأتم بالعرس واحتفال الجنازة باحتفال الزواج ليظهرن ذلك فى الانسان أتمّ ظهور بعد البيان . فقل لى رعاك الله أىّ فارقة بين مغازلة الانسان ومغازلة الحيوان نرى الديك الرومى (المالطى) يظهر للأنثى جمال ريشه وهو منتفخ معجب بنفسه ليعجبها جماله وهكذا نرى الطيور المغردة يغرّد الذكر للانثى ليسرها صوته فتحبه ثم يكون الالقاح وهكذا مامرّ فى العقرب الذكر مع الأنثى كل هؤلاء يحتال ذكرانها على أنثاها لمسألة الالقاح هكذا نرى الانسان يغازل الحسان وينتهى الأمر بالزواج فاذا بعد ذلك . لا يكون الا مارأيت فى العقرب وفى فرس النبى أبناء يولدون وأم رؤم وزوج يكدّ ويكدح ليلا ونهارا لارضاء الزوجة وتربية أولادها وهو وهى معا قد أخذا يقبلان الأطفال بعد تقبيل كل منهما صاحبه فأصبحا خاضعين خادمين لأولادهما لايرضيهما الا مايرضى الأولاد ثم تتبرع الأم بما لديها من مال وحلى لابنتها والأب يخرج عن ماله بطيب خاطر فى حياته وبعد موته لأولاده فلعمرى أىّ فارقة بين العقرب وفرس النبى والانسان الذكر فى الأولين افترسته الأنثى لماذا؟ لأجل أن يكون قوة عظيمة لتربية البيض فى بطنها ثم ان العقرب تموت بعد استقلال صغارها فهى لم تعش بعد الذكر الا لحفظ الأمانة التى استودعها اياها فهى تحافظ على البيض وتربيه ثم تموت والبيض فى بطنها نما وكبر بفضل جسم الذكر الذى تحلل فى باطنها وامتزج بجسمها . أفلا ترى أن الرجل كذلك . جاد ذكر العقرب وذكر فرس النبى بجسمه لنموّ أولاده وهو مايملك . أما الانسان فانه يجود بماله وكسبه وكدحه وكده مدّة حياته ولايزال جسمه فى ضمور وولده فى ظهور وهو فرح فخور به حتى يزول هو من الوجود ويبقى ابنه بعده الى حين هذه قضية الانسان وقصته . مغازلة وعرس وزواج فولد فموت . يظنّ الرجل أنه تزوّج المرأة بحظ نفسه وهى تظنّ كذلك ولكن خاب فألهما فاهما فى ذلك الا مخدوعان كما خدع العقرب وفرس النبى اللذين يجىء الموت للذكرين عقب الحمل وهنا يكون الموت تدريجيا ويبتدئ بأوّل مولود فترى كلا من الأبوين يحنو عليه ويحبه ويودّ لو يقدّم له كل مايملك ومهما طال الزمن فان المسألة ترجع الى فقد الابوين وحلول الولد محلهما

العرس واحتفال الزواج أشبه بالمأتم لانهما اخوان فالعرس يعقبه التناسل والنسل يحل محل الاصل فى حياته وبعد موته . ان من احتفل بالعرس فقد أخذ يهيئ الاسباب للجنازة يتزوّج ليلد والولد يحل محل الوالدين فالاحتفال بالزواج احتفال بالموت فى الحقيقة مضار الانسان فى ذلك كالعقارب أو فرس النبى كل يحتفل بالقران وبعد ذلك احتفال الموت غاية الامر أنه فى الانسان بطىء وفى الحيوان سريع تغنى المغنيات فى العرس وماهنّ الا داعيات للنادبات الصارخات بعد حين على العروسين ذلك هو المبدأ والختام

﴿ نتيجة ذلك كله ﴾

ان الانسان مخلوق للمجموع لا لنفسه ومن خلق لمنفعة غيره فلاحظ له الا فيما خلق لاجله فاذا رأينا المرأة

تحنو على ولدها فذلك لغريزة حيوانية واذا نظرنا الى ماهو أعلى من ذلك وجدنا القواد والامراء والملوك يسهرون على الرعايا ووجدنا الحكماء والعلماء يؤلفون لمن بعدهم ووجدنا فوق ذلك الأنبياء يأتون بوصايا وشرائع لمن بعدهم هؤلاء هم الذين فهموا الوجود . طبيعة الوجود أن الفرد للمجموع فمن كان للمجموع أشبه بالأم لأولادها فذلك الذى هو جار على سنن الفطرة ومن ليس كذلك فهو فاسق هذا هو دين الاسلام وهذا هو الحق . وياليت شعرى أىّ كارثة حلت بالاسلام وأىّ مصيبة أصابته كيف تقاعدوا وتباعدوا فأخذتهم الأمم من كل جانب ذلك لجهلهم بالقرآن و بسنن الله فى الوجود و بتربية الأمم . مات الذكر والأنثى من فراش دود القز بعد عملية الالقاح والبيض كأنهما قد أتما ماعليهما فى الوجود هكذا يموت العالم فرحا اذا أتمّ ماعليه للأمة من الاصلاح وهكذا الحكماء والأنبياء يقول الله تعالى — اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا — نزلت هذه السورة فعرفوا منها أن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انتهت لأنه خلق للدعوة وقد تمت فماذا بعد ذلك الا الموت

كل ذلك جار على هذا الناموس فى الوجود فالفرد خلق للمجموع فالحيوان والنساء من نوع الانسان يعملون للأبناء بالغريزة والأنبياء بالالهام يعملون للأمم والعلماء والحكماء بالتعليم على هذا فليكن تعليم الاسلام و بهذا ارتقت أمم فى الوجود . ولأذكر لك نموذج التعاليم الألمانية

﴿ حكاية اليمامة ﴾

يمامة باضت فى عشها فى قصر ببرلين ثلاث بيضات فخرج لها منها ثلاث أفراخ فاحترق القصر فأخذت تحوم حول النار ثم انقضت على أفراخها فاختطفت منها واحدا ثم وضعته بجانب شجرة ثم رجعت كرة أخرى وخرجت ظافرة بالثانى بعد أن احترق بعض ريشها وقد كان القوم من منظرها يائسين فلما رجعت ثالثة لتأخذ الثالث وقد اشتد لهب النار لم ترجع وماتت ضحية انقاذ الثالث من أفراخها

ذلك هو نوع الحكايات التى يربون بها تلاميذهم ليعلموهم أنهم خلقوا للمجموع والله يقول فى القرآن على لسان ابن آدم — ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب — والهدهد يخاطب سليمان عليه السلام بقوله — أحطت بما لم تحط به —

هكذا يجب أن يكون التعليم فى الاسلام

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

ولما وصلت الى هذا المقام حضر عالم من أصدقائى واطلع عليه وقال أهكذا تكتب فى التفسير وهل هكذا سيرك فيه فقلت نعم قال إن هذا الأسلوب مخالف للحقائق بعيد عن الصدق والصواب . فياليت شعرى أى مناسبة بين الانسان فى الزواج والموت و بين العقرب وكيف تدعى أن احتفال الزواج مقدمة لاحتفال الموت وكيف تقول ان مغازلة ذكران العقارب لاناثها الذى جعل مقدمة لموت الذكر هو بعينه مغازلة الرجال للنساء فى الانسان ويتبع ذلك الموت . ان هذا القول أشبه بشعر أبى العلاء المعرّى القائل

وشبيه صوت النعى اذا قيس * بصوت البشير فى كل ناد

ولعمرى لئن صحّ هذا فى الشعر لايصحّ فى تفسير القرآن المبنى على الحقائق . فقلت ليس ماقلته شعرا بل هو حقائق ثابتة فقال وأين هى . قلت اعلم رعاك الله أن الحيوانات على ثلاثة أقسام قسم يذر بيضه فى العراء ويتكفل الله بتربيته واخراج الذرّية منه وذلك كالذباب والناموس والجراد وما أشبه ذلك ومن هذا دود القز . والقسم الثانى مايحافظ على صغاره ويتعهدها زمنا ما وذلك فى الطيور الجارحة وغير الجارحة فانها أرقى من الذباب فترى العصافير والحمام وجوارح الطير تحضن بيضها وتربى أولادها . والقسم الثالث ذوات اللبن من السباع والأنعام والقرود والانسان . فكل هذه تربى أولادها بعد حملها فى بطنها مدّة ما

ثم انظر الحكمة العجيبة . انظر وتعجب كيف رأينا الموت يتبع طريقة التناسل

(١) فان كان الحيوان من أدنى الطبقات بحيث لايقدر على تربية صغاره ولاحضن بيضه كالجراد وكدود القز فهذا لايبقى لتربية صغاره لأن الفرع يقوم مقام الأصل ولاحاجة للاصل فى التربية واعتبر هذا فى فراش دود القز الذى يموت الذكر والأنثى منه عقب البيض وترى أمثال الجراد والناموس ليس عندها غريزة حفظ الولد ولاحضن البيض فلذلك ماتت وتركت بيضها والله سبحانه وتعالى تولى تربيته فيهلك أكثره وما بقى يملأ السهل والجبل

(٢) وان كان الحيوان أرقى قليلا كالعقارب فانا نرى الذكر عقب حفلة الزفاف تنتهشه الأنثى لبقائها وبقاء أولادهما وهذه هى الثروة التى يملكها الذكر فقدمها لنسله ولزوجه فأما الأنثى فلابد من بقائها حتى يستغنى عنها أولادها فلذلك تبقى حتى تبيض وتعيش أربعة عشر يوما ويستغنى عنها صغارها ثم تموت . ذلك لأنها لاحاجة لبقائها . أليس هذا يدلك على أن بقاء الأصل انما يكون لمصلحة الفرع

(٣) فاذا كان الحيوان أرقى كالحمام وكواسر الطير فانه يعيش ليحضن البيض ويعلم الولد ويلد مرارا وتكرارا ولايموت عقب عملية البيض لأن الحاجة ماسة لبقائه هكذا الأنعام والدواب والقرد والانسان . كل هؤلاء يعيشون متمتعات بالحياة . ألست ترى أن القاعدة العامة أن الأصل انما يكون بقاؤه لاحتياج الفرع اليه وأنه لو كان الانسان واخوته من الحيوان لاتحتاج الذرية الى حياتهم ماعاش انسان بعد وجود الذرية وأن حياته لابد منها لتربية الذرية وأن ذكر العقرب اذا مات عقب ساعة العرس يشبه الانسان غاية الأمر أن موته بطىء وبقاءه مدة لحفظ ولده . هذه هى القاعدة العامة بقاء لحفظ الولد وموته للاستغناء عن الرعاية

ولايضر هذه القاعدة أن من الناس من لايلدون ومنهم من يموتون وقد تركوا ذرية وقد يموت الرجل والمرأة عن طفل صغير وماأشبه ذلك فان هذه أحوال عارضة وقد جعل الله الناس أشبه بجسم واحد فاذا مات الأبوان فهناك مجموع الأمة يقومون بذلك النقص . فتبين من هذا أن حياة الرجال والنساء بعد حصول الذرية بمركز فى نفوسهما من القدرة على التربية وأن الحكمة الالهية اقتضت أن لاتكون حياة إلا لعمل ومن خالف هذه الحكمة ضل وغوى . واذا أعطى النمل قوة الادخار وهكذا النحل فذلك لأنه فى حاجة اليها فألهم ذلك مع تربية الذرية وحرم من ذلك الجراد فلا ادخار ولا تربية للولد . فاذن لم يعط هذه الغريزة لعدم الحاجة اليها . هذا هو الصراط المستقيم فبنو آدم خلقوا متضامنين وفيهم غريزة حفظ الولد وحفظ المجموع كما فى جبلة النمل والنحل والغربان ونحوهما فمن أعرض عن فطرته ولم يعمل للمجموع فهو ضال جهول لم يجر على فطرة الله التى فطر الناس عليها . الله فطر الناس على حب التربية للذرية وعلى حفظ المجموع ومساعدته ولامعنى لبقائهم فى الدنيا إلا لمساعدة الذرية ومساعدة المجموع ولولا هذا لم يكن لبقائهم فائدة كما لم يكن لفراش دود القز ولا لذكر العقرب بعد الالقاح ولا لأنثاه بعد استقلال الصغار فائدة فى الحياة

إن المسلمين اليوم قد خالف كثير منهم فطرة الله فترى قوما يحاربون مع أهل أوروبا ضد اخوانهم كما نراه فى شمال أفريقيا . يحارب قوم بدراهم معدودة مع الطليان وآخرون مع الأسبان والفرنسيين ضد اخوانهم فى الدين . وهكذا ترى التربية والتعليم فى نقص مستمر . لذلك سلط الله على أكثر المسلمين غيرهم فأذلوهم حتى يستيقظوا وهذا الكتاب إن شاء الله وأمثاله سيكون من أسباب استكمال النهضة الاسلامية الحالية . وهذا كله داخل فى قوله تعالى — قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى — . كل ما ذكرته فى هذا المقام من سر هذه الآية وكيف أصبح بعض المسلمين الآن لايصنع ماصنعه الغراب الذى يوارى سوأة أخيه . أما المسلم الساذج فانه يكشف سوأة أخيه ويحارب مع عدوه فاذن صار الغراب أشرف وأرقى من بعض المسلمين اليوم . إن فى القرآن لسرا سيكشفه علماء بعدنا وهذا من

مبادئ الكشف

فقال صديقي ولم خص الله الغراب بالذكر هنا . قلت الغراب حاز الفضيلتين فضيلة تربية الولد وفضيلة خدمة الجمهور فليس كذكر العقرب ولا كالجراد فهؤلاء لا تربي صغارها ولا كالحمام والدجاج اللاتي وان ربت الصغار لا تحتاج الى جماعة تعيش معها فالغراب يربي الأفراخ ويتصل باخوانه إن هذا هو الذي تضمنه قوله تعالى ـ ليواري سوأة أخيه ـ فان مواراة سوأة الأخ لا تكون إلا بعد المحافظة على الذرية فهي تكون في الحيوانات الراقية والانسان أرقى الحيوان فليكن نافعا لنفسه ولولده ولأهل وطنه وأهل دينه ولسائر الناس ان كان من المفلحين

إن المسلم الصادق هو الذي يكون خليفة الله والناس جميعا عباده فهو لهم خادم أمين

﴿ خاتمة هذا المقال وجماله في السفينة والسمكة والمنطاد والمراكب الهوائية التي تعلمها الانسان من الطير حوالي أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضي ﴾

ذلك كله في عجائب قوله تعالى ـ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي الخ ـ أي عجائب الآية التي نحن بصدد الكلام عليها والتي قد ذكرنا عجائب الطيور بصددها وغرائب الحيوان وكيف يموت اذا استغنى عنه ويعيش اذا كان له منفعة وكيف كان الحيوان عبرة للانسان يريه ما استقر في فطرته وكمن في خلقته وعجائبه . أقول هذه الآية الآن وسأسمعك عجبا فيها وأي عجب ذلك أن الله سبحانه وتعالى عبر فيها بلفظ بعث وقال ان الغراب يرينا كيف نواري سوأة اخواننا فندفن الموتى كما دفن

التعبير بلفظ البعث عجب وأي عجب . بعث الله الأنبياء وبعث الله الطيور التي منها الغراب . ان لهذا التعبير رمزا . الله بعث الطيور قبل بعث الأنبياء إن الله بعث كل مخلوق في الأرض من طير وأنعام وحجر وشجر

بعثت هذه العجائب لنا قبل بعث الأنبياء . بعثت لنا فهي لنا مبعوثة وأعمالها وأحوالها هي كتبها التي نقرؤها فأعمالها صحف منشورة يراها الناس ولكن أكثر الناس لا يعقلون ولما جهل الناس مارون بأبصارهم لأنهم في هذه الأرض من عالم منحط الادراك ضعيف ميز الله منهم أناسا اصطفاهم فبعثهم ليسمعوا أقوالا والاقوال معبرات عن المعاني والمعاني هي المقصودة والناس للاقوال أفهم منهم للمحسوسات . الأبصار ترى العجائب ولكن العقول غافلة أما الأسماع فانها تلقي اليها تلك المبصرات بعبارات سهلة فتفهمها اجمالا . أنزل الله الكتب السماوية لتنبه الناس الى مايشاهدون ليتعقلوه ولو أن الناس جميعا واعون فاهمون لم يحتاجوا الى الرسل فالرسل أرسلوا ليسمعوا الخلق الوحي ومتى سمعوا تيقظوا فأدركوا ففكروا ففهموا فاستخرجوا المجهول . إن الله بعث لنا هذه العجائب التي رمز لها بالغراب وبعث لنا الأنبياء ليدلونا عليها . بعث الله هذه المخلوقات من طير وذر ونجم وشمس كلها مبعوثات كما انها مسخرات كلها منافع لنا وكلها كتب مقروءة كل هذا نفهمه من آية الغراب فالغراب وماشاكله كتاب نقرؤه والعوالم المشاهدات كتب نقرؤها والقرآن هو الذي يدلنا على ذلك يقول ـ ليريه كيف يواري سوأة أخيه ـ الغراب يواري سوأة أخيه والمسلم والانسان عامة عليه أن يواري سوأة أخيه بل عليه أن يجد حتى يجد للانسان مقاما في الهواء ومنفذا من هذه الأرض الضيقة ضاقت الأرض بأهلها فاذا أرانا الغراب انه له مدنية وجماعة يعيش معها وانه يربي أولاده وانه يحافظ على جماعته وانه يهيمن على الجمهورية الغربانية واننا ان قصرنا في دولتنا وجماعتنا فقد أصبحنا أقل من الغراب وأمثال الغراب من كل جماعة تعيش في الهواء أو على الأرض أو في البحر . ففي البر الفيلة وحمار الوحش وأنواع كثيرة تعيش جماعات وهناك الحشرات كذلك مثل النحل والزنبور والنمل فهذه كلها تعيش

جماعات وكلها ترينا كيف نحافظ على الجماعة والجمهورية كلها تعلمت ذلك بفطرتها الغريزية ونحن نتعلمها منها بالفكر والعقل . حكم الله علينا أن لا يكون رقينا إلا بالتفكر وحكم على تلك الحيوانات أن يكون ارتقاؤها بالغريزة فهي تعلمنا أن ننظم جماعاتنا ونرقيها . هكذا نرى جماعات من السمك كالحيوان المسمى (بالنمر) في البحر وهو قد يكون طوله ثمانية أمتار فانه يعيش جماعات ومثله الحيوانات المسميات (بحوت العنبر) وهو المسمى (كشلو) ذلك الذي يبلغ طول بعضه نحو ٣٠ مترا ثم ينقض على النمر المتقدم ذكره فيأكله وهذا النمر المذكور شرس الطباع جدا فتاك كالنمر المعروف فيكون طعاما لحوت العنبر ذلك الحوت الذي تتعفن المواد التي يأكلها من أنواع السمك في بعض أجزاء الامعاء فتصير عنبرا ثم ان سلسلة الظهر المستطيلة تحيط بها مواد شمعية كثيرة بيضاء تقريبا تتجمد في الهواء ممتدة على جانب العمود الفقري وعند الرأس فهذه المواد هي المسماة (من القيطس) وهي تستعمل في معاجين الزينة وفي صناعة اللؤلؤ الصناعي ومن الواحد منها يستخرجون نحو عشرين طنا ومعلوم أن لكل أكثر من عشرين قنطارا فانظر كيف كان هذا الحوت عظيم الجثة وعظيم المنفعة وكيف استخرج منه العنبر ان كان مريضا والمن يوزن بمئات القناطير وهذا الحيوان يعيش جماعات قوية البأس شكسة الطباع وهي كلها تتنفس بالهواء ثم ترجع الى قاع البحر مدة طويلة وهي لا تترك ثأرها اذا قتل أحدها فتكسر أعظم السفن

فها أنا ذا ذكرت لك الجماعات في الجو وعلى الأرض وفي البحار وكلها تعلمنا مما علمها الله . تعلمنا علما أعظم من العلم الذي نعلمها إياه فنحن نعلمها كيف تصيد لنا فنأكل ولكنها هي تعلمنا كيف نعيش جماعات ونحب أبناء جنسنا وهذا هو السر في أنه قال ـ فبعث الله غرابا ـ ولكن لم يقل إني بعثتكم لتعليمها بل قال ـ تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا الخ ـ فهي مبعوثة لتعلمنا ونحن لسنا مبعوثين لها بل نعلمها لنأكل مما تحضره لنا . تبين لك أن تعليم النظام المدني والحب الأخوي ليس خاصا بالغربان ولا بالطيور

﴿ فلم اختصت الطيور بأنها ترينا ﴾

علمت أن الجماعات والجمهوريات ليست خاصة بالطيور التي منها الغربان بل رأيت أن الحيتان فيها الجماعات والحشرات والدواب والأنعام كلها ذات جماعات ونظام عجيب جعله الله بفطرتها الغريزية . فيا ليت شعري لم يقول الله ذلك في الطيور وحدها ويجعلها ترينا حفظ الأخ مع ان حوت العنبر والنمل والفيل كل هذه لها جماعات منتظمات وكلها ترينا حفظ الأخ ومنفعة الأخ والمحافظة على الأخ . فلم خص الطيور

(أقول) جوابا على ذلك اعلم أن هذا السر لم يظهر إلا في هذا الزمان . هذا هو الزمان الذي تظهر فيه العجائب والغرائب . هذا هو الزمان الذي أذن الله فيه باظهار الأسرار وجمال الأنوار والمناطيد والمراكب الهوائية

خص الله الغراب وهو من أنواع الطيور بأنه يرينا كيف يوارى سوأة أخيه وقال في سورة تبارك الملك ـ أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ـ فهنا يقول ـ ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ـ وهناك يقول ـ أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ـ فالطير هنا يرينا وهناك يوبخنا الله قائلا ـ أولم يروا الى الطير فوقهم صافات الخ ـ فهنا الاراءة وهناك التوبيخ على عدم الرؤية فالطيور أرتنا ونحن يجب علينا أن نرى . أي نرى عجائب صنع الحكمة الالهية ولا جرم أن الذي نراه قسمان قسم يختص بالنظر في العجائب الالهية إذ قال هناك في موضع آخر ـ ما يمسكهن إلا الرحمن ـ وقسم يختص بالمنافع الدنيوية كما قال هنا ـ ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ـ فاذن الطيور تنفعنا في علم معرفة الله تعالى لأنه رحيم وعليم وتنفعنا في أن ننفع الناس كما ستر الغراب على أخيه وكما فعل الله ذلك في الغراب والطيور فعل في الزرع والشجر فقال تعالى ـ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ـ الى أن قال ـ والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد ـ فاذن الله خلق النبات والشجر لأمرين التبصرة والرزق وهكذا يقول في النار ـ نحن جعلناها تذكرة

ومتاعا للمقوين ـ فالنار تذكرة والطير تذكرة والنار متاع للمقوين والغراب يرينا منافع اخوانه فننظر فى أمر الطير فماذا نجد

نجد أن الأمم التى حولنا نظرت فى أمره فصنعت المراكب الهوائية والمناطيد بتعليمه . اذا قرأت أيها الذكى هذا سيأخذك أعظم الشك فى قولى وتقول أى مناسبة لهذا الكلام أقول لك اعلم أنه لولا الطير ماطارت المراكب الهوائية فى الجو بين لندن وباريس أثناء طبع هذا الكتاب . الكتاب الآن يطبع والجرائد تقول ان المراكب الهوائية تجرى الآن بين باريس ولندن فى زمن قليل وقد جربت الطيارات بين طهران وأنقره فى اثنتى عشرة ساعة . كل ذلك فى هذين اليومين وهكذا قد عولوا على انشاء محطة فى بلادنا المصرية لتكون نقطة الاتصال بين بلاد الشرق وبلاد الغرب للسفن الهوائية . الطيارات ملأت أقطار الأرض . الطيارات كثيرة فى اليابان والصين وتركيا والعراق وأوروبا

إن الله عز وجل بعث الحرب الكبرى التى ابتدأت سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨ بعثها رحمة بالعباد . هذه الحرب قد نبهت الأمم للطيارات لتنفعهم فى الحرب . إن الناس على الأرض أطفال جهال مغمورون فى العداوات والشهوات . فهذه الحرب التى هى مفشطة لهم كانت هى أكبر عامل فى ارتقاء الطيارات وهانحن أولاء اليوم نحصد مازرعنا . النوع الانسانى ابتكر الطيارات للحرب ولكن الله يعلم انها ستكون من أكبر نعمة فى السلم . فى زمن قريب جدا سيكون الجو محل السفر وتخلو الأرض للزرع . فى زمن قريب جدا سيكون الانتقال فى الجو بالمراكب الهوائية ويحتقر الناس ماعلى الأرض من القطرات والسيارات والمركبات التى تسير بالكهرباء كل هذا ستقوم مقامه السفن الهوائية و يشارك الناس الطير فى الهواء ويتمتعون بنعم لم يحلم بها السابقون . أتدرى لم كل هذا لقوله تعالى ـ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ـ

و إيضاح ذلك أن علماء القرن التاسع عشر كانوا يطيرون بالمناطيد والمناطيد ماهى الا على قاعدة السفن و بيانه أن كل ماهو أخف من الماء يعوم فوقه وماهو أثقل منه يغرق فيه فجميع السفن التى تجرى فى البحر لوانك وزنتها لوجدتها تساوى وزن الماء الذى أزاحته من البحر فلذلك تعوم وكما انك ترى الفلين وأمثاله من الخشب يعوم على وجه الماء هكذا تعوم السفن وتعوم السمكة . إن السمكة لها فى باطنها منفاخ فاذا أرادت أن تعوم نفخته فصارت أخف من الهواء فتعوم واذا أرادت أن تغوص فى الماء قبضته فصغر حجمها فغارت فهى دائما فى عوم وغوص كل ذلك بهذا المنفاخ الذى هو آلتها الرافعة الخافضة المتحركة على القاعدة التى شرحها (أرشميدس) فكل ماخف علا وكل ماثقل سقط فالسفينة والسمكة اختان متشابهتان السفينة كالسمك . السفينة لولا خفتها لغرقت ولولا انهم يحسبون حجمها ووزنها ومقدار الماء الذى تزيحه حتى تكون أشبه بالسمكة فى حال انتفاخ منفاخها لولا انهم يفعلون ذلك لغرقت ولم تعم وسواء فى ذلك المراكب الشراعية والأساطيل الحربية

﴿ المناطيد ﴾

سترى فى سورة الملك بايضاح هذا المقام وترى أن المناطيد عبارة عن مراكب هوائية جارية مجرى السفينة والسمكة فكما أن السفينة والسمكة لاتعومان إلا اذا كانتا أخف من الماء هكذا هذه المناطيد لاتطير فى الجو إلا اذا كانت فيها غازات أخف من الهواء فترفعها كما رفعت السفينة والسمكة ولولا انها كانت فى ثقل الهواء أوأثقل منه لم تطر ولم ترتفع فاذن لافرق بين المناطيد والسفن فهذه سفن فى الهواء وتلك سفن فى الماء وتكون القاعدة واحدة فلله ما أجل العلم والحكمة . إن المناطيد أشبه بالكرات التى يلعب بها الأطفال أيام الأعياد والمواسم . هذا هو سرها وعلمها إن المناطيد لم تخرج عن كونها أشبه بالريش الطائر فى الجو و بالذرات الطائرات فى الكوى كل هذه انما ارتفعت فى الجو بسبب خفة اجرامها لا أقل ولا أكثر

أنا فى هذه الساعة أعتقد أنك فهمت المناطيد وهذا الفهم توطئة لما هو أشرف وهو المقصود

﴿ المراكب الهوائية ﴾

وهنا يظهر سرّ القرآن فأقول لك لقد عرفت المناطيد . عرفتها لأنها ظهرت لك ظهورا تاما وان لم تكن اطلعت على أصول هذه العلوم فها أناذا الآن أنقلك الى المقصود فأقول

إن المناطيد جرت فى الهواء وأدرك الناس أمرها ولكنهم بعد ذلك أنكروا وقالوا لماذا نرى الطيور تطير ياويلتى أعجزنا أن نكون مثل هذه الطيور . نحن الآن تعلمنا علم السفن من السمك وتعلمنا المناطيد من طيارات الأطفال التى هى على قاعدة السفينة والسمك فياويلتى أعجزنا أن نطير كما تطير الطيور . إن الطيور أثقل من الهواء لو وزنا العصفور لوجدناه أثقل جدّا من الهواء الذى أزاحه بجسمه بخلاف السفينة فان وزنها كلها بجيوشها وسلاحهم ودروعهم ومدافعهم ومافيها من حديد وفولاذ وذخائر كل هذه اذا وزناها لاتزيد عن ثقل الماء الذى أزاحته السفينة أما العصفور وأما الغراب وأما الحمامة فاننا نرى كلا منها أثقل مئات المرّات من الهواء الذى أزاحه . الطير أثقل من الهواء فكيف يطير فيه عامت السفينة وعامت السمكة لأنهما أخفّ من الماء وهكذا المنطاد لأنه أخفّ من الهواء أما الغراب وأما الحمام وأما العصفور فانها أثقل من الهواء الذى حلت فى مكانه أضعافا مضاعفة . هنالك قام أحد العلماء فى هذا القرن أى القرن العشرين أيام تأليف هذا التفسير وقبله بقليل . قام هذا العالم بعد أن مات عشرات الرجال فى التجارب التى جرّبوها فلم تغن فتيلا أوذهبت تجاربهم وأعمارهم أدراج الرياح ويئس الناس فى أوروبا وأمريكا أن يلحقوا الطير فى طيرانها فان هذا شئ خاص بها والناس مستحيل عليهم أن يصلوا لمستواها

ولكن الفطرة الانسانية توّاقة للعلا متعطشة للعلم والنظر فقام العالم الذى سيأتى ذكر اسمه وأعماله مفصلا فى سورة تبارك الملك وراقب الطيور وطيرانها وبحث ودقق وعرف بأىّ الأساليب قدرت الطيور أن تطير فى الهواء وهى أثقل منه وخالفت سنة السمكة والسفينة والمنطاد

وهناك أظهر تجاربه ونجح قوم ومات آخرون وانتفع الناس ببعضها فى الحرب وهاهى ذه آثارها ملأت الأقطار وأصبحنا نرى عالما جديدا طائرا كما تطير الطيور . هذا هو السرّ فى قوله تعالى ـ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه ـ إن الله بعث الطيور الينا فأرتنا علما جديدا لم يكن قبل تعليمها ما كنا نعلم قبل الآن إلا السفن ولكن الطيور فتحت للانسان أيام هذا التفسير علما جديدا وهو علم الطيارات التى لم تكن من قبل ولم تكن مقيسة على السمكة والسفينة ولاعلى المنطاد الجاريات على قاعدة (أرشميدس الفيلسوف) بل على قاعدة الطير المعروف الذى أرانا مالا يرينا الحوت فى بحره ولاالفيل والغزال على الأرض

الحوت وان عاش جماعات ونظمها وربى أولاده وعام بمنفاخه لم يعطنا درس الطير الذى هو أثقل وأثقل من الهواء ثم هو يطير فيه والفيلة لاتعوم فى البحر ولاتطير فى الهواء فلاتعطينا إلا نظم السياسة وأما الغربان فانها تربى أولادها وتنظم جماعتها وتحافظ على جمهوريتها وهى فوق ذلك تطير وأجسامها أثقل من الهواء ففاقت السمك وحيوان البرّ فلذلك أرتنا وعلمتنا فعلا

ياليت شعرى من ذا كان يظنّ أن الطير يعلم الناس علما فوق علم السفن الهوائية من ذا كان يعقل هذا الطيور نراها ولكن أين البصائر . أين العقول حتى قيض الله من عباده من فهموا أن الحيوان خلق ليرينا فدرسوه وخبروه لا بكتاب نزل ولا بوحى ولكن درسوه بعقولهم والمسلمون نائمون أجمعون أكتعون أبصعون نملون

﴿ لطيفة ﴾

لما وصلت الى هذا المقام اطلع عليه أحد الأصدقاء ذوى الفكر والفهم فقال لقد أحسنت من وجه وأسأت

من وجه . فقلت وكيف ذلك قال أما الاحسان فظاهر فانك ذكرت أن الحيوان الذى لايربى أولاده يموت لانه لامعطل فى الطبيعة وأن الذى يربى أولاده يبقى كالدجاج والحمام وفوق هذين مايعيش جماعات كالحيتان وفوق هؤلاء مانقتدى به فى أن نطير فى الجو بطياراتنا مع ثقل الطيارات وأن القرآن جاء بهذه المخلوقات لنستفيد منها فى حياتنا ولنعرف بها ربنا كل ذلك فهم من كلامك موضحا بأدلة ساطعة فهذا وجه الاحسان أما وجه الاساءة فانك فى كل مادب ودرج و بأى مناسبة وفى أى حال تلصق بالقرآن و بالدين الاسلامى مالايس منه فلاتذر طيارة ولامنطادا ولا برقا (تلغرافا) ولا كهرباء ولاصناعة ولا علما إلا ألصقته بالقرآن والاسلام فى نظرك سفينة نوح تأخذ من كل زوجين اثنين ان هذا ماهومنك إلا تطرف وزيادة تريد رقى المسلمين فتنسب كل شئ للدين . هذا فن المركبات الهوائية حديث العهد فما للاسلام ولهذا انك فى هذا مقال كثير الغلو طويل النجاد

﴿ الجواب ﴾

فقلت له ان ماقلته انما جاء من وجدانك لامن عقلك قال وكيف ذلك انك أنت تحكم بوجدانك فانك لتغفك برقى المسلمين تحشر كل شئ فى دينهم ولست على حق فيما تقول . فقلت — أولو جئتك بشئ مبين * قال فأت به ان كنت من الصادقين — و بين لى ذلك بطرق العلوم الدينية . فقلت أوتسكن للحقيقة اذا ظهرت قال نعم أسكن لها وأنشرها فقلت إذن أبين ماتقول باختصار يكفيك فروض الكفايات

أيها الفضال أليست الواجبات قسمين واجبات عينية وواجبات هى فروض كفايات قال بلى . قلت أليس فرض العين كالصلاة والصيام اذا تركه الانسان أثم قال بلى . قلت أوليس فرض الكفاية كالصلاة على الميت وتجهيزه الخ اذا تركه أهل القرية أثموا جميعا واذا قام بذلك جماعة سقط الاثم عن الباقين قال بلى قلت ألم يقل بعض العلماء كامام الحرمين ان فرض الكفاية أفضل من فرض العين لأنه أعم نفعا قال بلى قلت أفليست جميع العلوم والصناعات من فروض الكفايات قال فنى أى كتاب هذه . قلت فى جمع الجوامع قال الكلام هناك ليس مفصلا بل هو مجمل . قلت ماتقول فى الذى ذكره الامام الغزالى فى الاحياء قال ماذا قال . قلت عقد فصلا هذا عنوانه (بيان العلم الذى هو فرض كفاية) وذلك فى الجزء الأول فقال لا أتذكر هذا فاذكر لى مافيه . قلت يقول ان فرض الكفاية هو كل علم لايستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا ومثل بأعلى ذلك كالسياسة و بأوسطه كالحياكة والخياطة والفلاحة وأدناه كالحجامة وذكر الطب والحساب قال زدنى . قلت وقال بعد ذلك مانصه بالحرف الواحد (الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان) وقال أيضا (واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم من الشيطان إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق)

وقد شنع أيضا على العلماء بكثرة الجادلات والمشاحنات لاسيما بين الشافعية والحنفية وزعموا أنهم ينصرون به الدين ورتبوا فى ذلك أنواع المجادلات قال وهم مستمرون عليه الى الآن ولسنا ندرى ماالذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار اه

فقال صاحبى ماملخص مايقصده الامام الغزالى . قلت ملخص ماذكره أن علم الدين الحقيق هو معرفة السموات والأرض وجمال الله تعالى وعجائبه مثل ما كتبنا فى هذا التفسير وأيضا قراءة العلوم التى هى فرض كفاية وانما ذم علماء زمانه لاقتصارهم على علم الفقه وقال انما انكبوا عليه وتركوا ماعداه لأنهم به يتوصلون الى تولى القضاء والوصية على الأيتام والتصدر والعظمة فى الدنيا ولايبالون بتهذيب النفس ولابما ذرأ الله فى الأرض والسموات فلايهتمون بأمر المصالح العامة والصناعات التى تحتاج اليها الأمة ولا يكملون أنفسهم فهذا هو السبب فى أنه جعلهم شرا من الشياطين

فقال عجبا ذلك كان فى زمان الدولة العباسية والاسلام قوى الشوكة فما بالنا نحن الآن ونحن على ما كان عليه أسلافنا فلا علوم ولا صناعات . فقلت له إذن أنت اقتنعت بهذه الأدلة ووافقتنى . قال نعم انك بنيت القول على أساس متين من كلام الأئمة . قلت ومن قول الله تعالى - فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون - كما فصلته فى بعض المقالات فلا أطيل به

ثم قلت ألست ترى معى أن علم المراكب الهوائية وغيرها من علوم الكهرباء والمغناطيس أصبحت اليوم لابد منها للناس قال بلى . قلت اذن هى فرض كفاية قال بلى . قلت اذن فهم الناس أن القرآن ورجال الاسلام مجمعون على أن هذا وأمثاله فرض كفاية وأنا وأنت مسؤلون وجميع الأمة عن كل صناعة وعلم حظى به قوم فى أوروبا وهو نافع ثم جهلناه نحن . هذا هو الذى يجب نشره الآن وتعميمه فى أنحاء المعمورة

وأنا لم أقل إن أهل أوروبا استنتجوه من القرآن بل استنتجوه بعقولهم ولقد بعث الله الغراب وغير الغراب لهم كما بعث لنا وأراهم الغراب وغير الغراب كما أرانا ولكن هم رأوا ونحن مارأينا وهذا عار على أمة الاسلام أن تجهل عقلها وتجهل دينها فأنا لم ألصق بالقرآن ياصاح علما ولا صناعة وانما أنا متبع لامبتدع . فقال لقد أحسنت كل الاحسان وأجبت بما شفى صدرى وعلمت اليوم أن الذين يقولون فيك ماقلته الآن جهال لم يقرؤا مقالة تامة من كلامك . فقلت الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . فها نحن ذكرنا الطيور والحيوانات بمناسبة الغراب وجماعاتها وارتماعها فى الجو وتعلم الانسان منها فى أيامنا الحاضرة . فقال لم أعقب الله مسألة ابنى آدم والغراب وحديثه بمسائل السرقة والقتل والافساد فى الأرض وما أشبه ذلك . قلت الأمر واضح فان القصة مسوقة لتعلم الانسان من الحيوان العطف على الاخوان وهؤلاء السارقون والقاتلون ضارون بالمجموع ومثلهم الكاسلون والجاهلون فكل هؤلاء يعاقبون بما فى الآيات ويعاقبون أيضا بالذل فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة . تم الكلام فى هذا المقام والحمد لله رب العالمين اه المقصد الرابع

(المَقْصِدُ الخَامِسُ)

إِنَّمَا جَزَاؤُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلاَّ ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ، فَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ * وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ ٱللهِ وَٱللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ *

ذكر الله فى المقصد السابق أنه من قتل نفسا فقد آذى الناس جميعا ونقص مجموع النوع الانسانى لأنهم متضامنون على اختلاف أجناسهم وأديانهم وأوطانهم فهم أمة واحدة كما قال فى معنى آية أخرى — كان الناس أمة واحدة ففسقوا فأرسلنا لهم الأنبياء — هكذا هنا قال من قتل نفسا بلاسبب فقد جنى على بنى آدم كلهم ومن أحيا نفسا بشفاعة أوعفو أونفع الأمم بعلومه أوصناعاته فقد تعدى عمله له ونفعه للناس أجمعين فعمل الفرد نافع للمجموع وشره راجع للمجموع والرسل قد جاؤا للناس بالبينات ولكن أكثر الناس لايزالون سفاكين للدماء قطاعين للطرق مسرفين فى القتل والنهب فاذا كان هذا النوع الانسانى هذا دأبه لايرجع كثير منهم عن النى بالحكمة والعلم والموعظة الحسنة وهى هنا المحبة العامة والمنفعة لسائر الناس وغفل أكثرهم عن هذه الحكمة العالية وأخذ كل يحارب أخاه جهلا وغفلة وتباعد عن طرق العقل والفهم فلم يبق إلا العقاب الدنيوى فلذلك أعقبه بقوله (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) بالمخالفة والاسراف فى القتل والنهب والسلب وقطع الطرق واللصوصية ولو كانت اللصوصية فى بلد كبير ومصر عظيم وقوله (ويسعون فى الأرض فسادا) أى مفسدين أن يفعل بهم واحد من أربعة اما القتل وحده واما القتل ثم الصلب بعده تشهيرا لهم واما أن تقطع أيديهم اليمنى مع أرجلهم اليسرى واما أن ينفوا من الأرض . هذا كله اذا لم يتوبوا قبل القدرة عليهم فان تابوا قبل القدرة عليهم فالعفو عنهم حسن . فهذه خمسة أمور العفو اذا تابوا قبل القدرة والقتل أوالقتل مع الصلب أوتقطيع الأيدى والأرجل من خلاف أوالنفى من الأرض واعلم أن الحاكم مخير بين هذه الأربعة بفعل مايراه أصلح . وقال أبو حنيفة النفى من الأرض المراد به السجن . وبعض العلماء يقول القتل لذا قتلوا قصاصا والقتل مع الصلب ان قتلوا وأخذوا المال وقطع الأيدى والأرجل ان أخذوا المال ولم يقتلوا والنفى من الأرض اذا أخافوا الناس . وفى هذا المقام أحاديث كثيرة وردت بسبب نزول هذه الآية ولكن نذكر منها مارواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك . ذلك أن أناسا من عكل وعرينة قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يانبى الله انا كنا أهل ضرع (يعنى أهل ماشية) ولم نكن أهل ريف (أى لسنا من أهل الأرض التى فيها زرع وخصب والجمع أرياف والمعنى انهم قوم يعيشون فى البادية ويشربون ألبان المواشى) واستوخموا المدينة (أى لم توافق أمزجتهم) فأمر لهم النبى صلى الله عليه وسلم بذود (الذود من الابل مابين الثلاثة الى العشرة) وراع وأمرهم بأن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة (وهى أرض ذات حجارة سود وهى هنا اسم لأرض بظاهر المدينة معروفة) كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب فى أثرهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم اه وقد اختلف العلماء فى هذا الحديث خلافا كثيرا ورجح بعضهم أن هذا حصل قبل نزول الآية فلما نزلت ظهر الحكم الذى يعمل به النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون

والحاصل أن هذه المسألة محل اجتهاد ينظر القاضى ماهو أصلح . هذا كله فى قطاع الطرق من المسلمين أما الكافر فانه متى أسلم سقط عنه كل شئ قبل القدرة عليه وبعدها واعلم أن الأمم الاوروبية اليوم قد ذهبت فى التعذيب والتنكيل حدا بعيدا جدا فهم لأجل السياسة والجشع يرسلون الطيارات لقتل الأنفس البريئة وينزلون الصواعق على الأطفال الصغار والشيوخ الكبار كما حصل فى العراق والهند وبلاد الغرب لا لذنب جنوه ولا لاثم اقترفوه بل لدريهمات يطلبونها بما يقتضيه أمر الحكومات الفرنجية فيشوهون الوجوه ويفقؤن الأعين ويعملون ما لايخطر على بالنا . وترى أهل اسبانيا وفرنسا ينصبون المشانق ويصلبون الناس عليها ظلما وبهتانا واذلالا وتعذيبا ولقد أخبرنى أحد شبان المغاربة المراكشيين أن اسبانيا تأتى الى جهة من جهات البلاد هناك وتحضر عشرات الرجال من رؤساء العشائر وتذبحهم ذبحا سريعا فيقال لها لماذا تفعلين ذلك فتقول لأن بلادكم فيها قوم يكرهوننا ليذلوا النفوس ويخيفوا الأمة . هذا عمل الاوروبيين

فأما الاسلام فهو الذى حدّد العقاب وحرّم الظلم وآخر عقاب لأعظم جان أن يصلب هو أو يقتل أوتقطع يده ورجله أو يعفى عنه فأما قتل الأطفال والعجائز والنساء كما يفعل أهل أوروبا فذلك شرّ مستطير وجهل كبير ولابدّ أن الله سيغير هذه الأمم بأمم أشرف منها فكفى فقد عمرت الأرض بالاختراعات واكثرت فيها الفساد بالظلم ولايبقى فى الأرض إلا المصلحون فاذا كان شرّهم أكثر من خيرهم فلابدّ من زوال مجدهم بالتدريج أولعلّ الله يهديهم على أيدى الحكومات الشرقية الراقية المستقبلة فيعيشون معهم بسلام ولذلك قال بعدها (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) أى ماتتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وصل الى كذا اذا تقرّب اليه (وجاهدوا فى سبيله) بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة فتذودون عن بلادكم كل غاصب ومحارب من أوروبا مثلا وتعذبون وتذلون كل مفسد فى بلادكم من اللصوص والحكام المرتشين وتعلمونهم وهكذا يجب أن تهذبوا أنفسكم فتصلح الأفراد وتصلح الأمم (لعلكم تفلحون) بالفوز والكرامة والوصول لله تعالى لأن ما فى الأرض من الموادّ الجسمية والأعمال الدنيوية والصناعات الانسانية والأموال الذهبية والفضية وكل ما اقتناه الانسان من الأحوال المادية لاينفع الانسان اذا اعترته المنية واقهيت عليه القضية ولوقدم الفداء أولاذ بالشفعاء وكيف يكون ذلك وأنتم أيها الناس فى الأرض هكذا تصنعون . أليس الذى قطع الطريق وأخاف الناس هكذا عاملتموه فيقتل وليس له شفيع ويصلب وماله من مغيث وتقطع الأيدى والأرجل وهوحسير ويحبس أو يغرب من البلاد وهو ذليل . كل ذلك يلقاه وماله لايغنيه وأهله وأصدقاؤه وشفعاؤه عنه لايدفعون . كل هؤلاء لاينفعون ولايشفعون ولافدية بمال مقبولة ولا رحمة عليه ملموسة

هكذا أيها الناس أفعل يوم القيامة فلاينفع المال ولوكان ملء الأرض ذهبا وكيف يقبل عندى وأنا لم أرد إلا تهذيب النفوس وارتقائها الى مقام الصدق وموقف الحق والشرف الأسمى والمقام الأعلى كما تفعلون فى حكوماتكم ونظام مدنكم وهذا قوله (إن الذين كفروا لو) ثبت (أن لهم مافى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم) والمقصد من هذا أن تعذيب الأجسام سواء أكان فى الدنيا أم فى الآخرة يقصد منه تهذيب النفوس فأما الفدية ونحوها فانها لاتؤدّى الى الغرض المقصود من الكمال . فحكومات الآخرة والدنيا على طراز واحد فالحكومة الفاضلة العادلة هكذا تفعل وحكومات الله المستقبلة هكذا فعلها ولايقصد منها كلها إلا تهذيب النفوس فاذا قام المسلمون وهذبوا النفوس بالعلم والعرفان قام التهذيب مقام التعذيب والتعليم مقام الايلام والحكمة مقام المحكمة والعلم مقام الألم واعلم أن الذين لم يتهذبوا فى الدنيا يحسون بألم فى نفوسهم فترى من اعتاد كثرة الكلام أوشرب الخمر يريد كل منهما أن يخرج من عادته وأن يسلخ من خلقه فيرى نفسه عاجزا عن الانسلاخ بائسا يائسا حزينا يقول مالى وللخمر ومالى ولكثرة الكلام ومالى ولعداوة الناس ومالى وللتفاخر والزينة وهكذا مايحسّ به كل امرئ على وجه الأرض وهكذا هذه الأخلاق تلازم الروح بعد فراقها الجسد وتتمنى لوتخلص من الأخلاق التى لازمتها والأحوال التى لصقت بها هذا هو قوله تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) أى مقيم مع نفوسهم لايفارقها كما لايفارق الظلّ الشخص فالأخلاق هى منشأ العذاب فى الدنيا والآخرة والتهذيب يمنع التعذيب فالعذاب من الصفات التى لصقت بنفوسنا من سوء الأخلاق ولذلك نرى الزاهدين فى الدنيا تجلهم جميع الشعوب من أهل الأرض فافهم

ولما كان قطع الطرق والسرقة متشابهين فى أن كلا منهما شرّ صادر من النفوس الانسانية الصغيرة الضعيفة المتأخرة التى لم تعرف أن الانسانية كلها يؤذيها ما يؤذى واحدا منها وأن عيونهم فى غطاء عن الذكر أردفه بقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) الى قوله (فان الله غفور رحيم) وقد تقدم

تفسير هذه الآية فى المقدمة . ثم أردفه بأن ملك السموات والأرض قائم على النظام التام فيعذب من لا يعقل ليصل الى العقل والحكمة و يغفر لمن أقلع عن المعاصى وهو قادر على كل شئ وبهذه القدرة التامة يصرف العوالم و ينقلها من حال الى حال تارة باللين والكلام العذب حكمة ودينا وتارة بالقمع والقهر والشدة و يجعل النشأة الآخرة منظمة نظاما بديعا متتابعا كما يشاهد فى نظام الدنيا — ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت — فهو يأمر بعقاب من لا يعقلون فاذا مانوا يوضعون فى المراكز التى استعدوا لها خفضا ورفعا وهذا قوله (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير)

﴿ لطيفة ﴾

ذكر السموات والأرض فى كل مقام حكمة بالغة فتارة يذكران لمعرفة الله وتارة للوحدانية وتارة للعلم وتارة للقدرة وهكذا ماذكرناه سابقا وتارة يذكران كما هنا لنظام المخلوقات وتدرجها فى سبل السعادات وطرق الوصول الى المعالى كما نشاهد فى الدنيا ان الأعلى يرى الأدنى أنه فى عذاب كما يرى الناس أن الحيات أدنى منهم والدود فتكون كل مرتبة بالنسبة لما هو أرقى منها معذبة متألمة وترى الزبالين والكناسين يرون أنفسهم فى عذاب بالنسبة للملوك والأمراء و يقول الأمراء انا منعمون وهم معذبون ولكن هؤلاء أيضا بالنسبة لعوالم أرقى منهم كالدود بالنسبة للانسان فهذه المراتب نشاهدها فى نظام السموات والأرض ونراها عدلا . يقول الله هنا ان عذابى فى الآخرة أشبه بهذا تقريبا لعقولنا وتدريبا لنفوسنا على التفكر والحكمة والعلم والنظر وأن نرى أن الحيوانات الدنيئة كالديدان والمكروبات بالنسبة للانسان ذليلة حقيرة ويراها الانسان معذبة بهذه الحياة

هكذا تكون الحياة الأخرى فعذابها أشبه بما نراه من الدرجات فاذا كان الذر والحيوانات الدنيئة نراها معذبة مهانة فى القاذورات فى قاع البحار وفى أقصاها محرومة من الهواء اللطيف والزرع والشجر والجمال والحواس الباهرة الظاهرة ونرانا نحن فى ضوء الشمس وحولنا الشجر والزهر والزرع والحدائق والفواكه والأنوار والجمال والبهجة . لاشك اننا أسعد منها حالا بل نحن فى جنة وهى فى نار وأى زمهرير أشد من هذا فههنا ظهر العذاب ورتبت الدرجات سواء أكان بين الناس أنفسهم أو بينهم و بين الحيوان ولكن جميع الناس على وجه الأرض غافلون لا يرقبون أنفسهم ولا يتفهمون هذه النظرية المحسوسة المعقولة المفهومة فالعذاب والدرجات موجودتان فى الدنيا و يريد الله منا أن نفهم درجات الآخرة من درجات الدنيا وهذا معنى قوله تعالى فى سورة أخرى — قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق — نقول قد سرنا ونظرنا فرأينا درجات لا تعد ولا تحصى بين الأحياء من أقل ذرة الى أعلى نبى وكل واحدة أقل مما بعدها وأرقى مما قبلها وشاهدنا سعادة وشقاء بنسبة بعض الدرجات الى بعض قال الله بعدها — ثم الله ينشئ النشأة الآخرة — فما معنى ينشئ النشأة الآخرة معناه على مقتضى النظام والدرجات فينقلنا فى درجات من كثافة الى لطافة فيكون أعلانا عند مليك مقتدر وأدنانا لا يزال فى الأخريات عند الحيوان ومجاورا للمادة وهو محروم من الصعود الى العلا أشبه بالعقارب والحيات الملازمة للتراب المحروم من الصعود الى الهواء كالطير أو من العقل والحكمة والبصيرة العالية كالانسان

﴿ استبصار ﴾

لعلك يصعب عليك ماذكرته فاياك أن يصعب عليك فهمه فالقرآن هو الذى أوضحه ألم يقل — أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون — فما معنى قوله — ولقد علمتم النشأة الأولى — ان النشأة الأولى منظمة مرتبة درجات بعضها فوق بعض فى المولدات وفى نشأة الانسان

هكذا يقول - أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا - فكأنه يقول إن الآخرة درجات كالدرجات التى تنظرونها فى هذا العالم ولكنها أوسع نطاقا لأنه عالم لطيف واللطيف يسع ما لايسع الكثيف ويقول - ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت - فعلى ذلك يكون عالم الآخرة على نظام الدنيا ترتيبا وترقية وان خالفه هيأة وجمالا . فعالم الآخرة والدنيا نظام واحد ودرجات متناسقات * قال الشاعر

الجهل لايلد الحياة موانه * إلا كما تلد الرمام الدودا
لم يخل من صور الحياة وانما * أخطاه عنصرها فمات وليدا

فانظر لدود خلق من الرمم فان له حياة على مقدار ماخلق فيه فاذا وازنتها بعوالم السباع والضباع والانسان لم تعترض على الحكيم فى صنعه فهو جواد أعطى على مقدار الاستعداد . هذا هو الوجود وهذه هى الدنيا وكذلك الآخرة فهى تناسق ونظام واستعداد وحكيم يعطى على مقدار الاستعداد والجنة والنار على هذا المنوال

هذا هو معنى ذكر السموات والأرض فى هذا المقام فلهما فى كل مقام تفسير . بهذا فليفسر القرآن للمسلمين فى مستقبل الزمان والقرآن جاء لشرح الطبيعة التى خلقها الله قبل أن ينزل القرآن . ان شرح الطبيعة هو كل شئ فياليت شعرى لماذا يذكر الله السموات والأرض بالتكرار . أقول لهذا يكرر ولهذا يذكر وهكذا فليفهم فالمسلم فى المستقبل هو الذى يدرس هذه الكائنات ويدرك هذه الدرجات ويعرف هذه الحكمة ويبصر طرق السعادات . أما المسلمون النائمون فانهم فى الجهالة هائمون وعلى الدعوات متكلون وبالغرور يعيشون وخلقوا وكأنهم ما هم مخلوقون - إنا لله وانا اليه راجعون - انتهى المقصد الخامس

(المَقْصِدُ السَّادِسُ)

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ

النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ *

هذا المقصد فيه حكم أهل الكتاب اذا تحاكموا الينا وهل نحكم عليهم وبماذا نحكم وهل نخير بين أن نحكم و بين أن لانحكم أم نحكم ولا نتريث وفيه أيضا الوعيد الشديد والذم والتقريع والاهانة لمن يأخذون الرشوة فى الأحكام وفيه أيضا توصية القضاة والحكام وتوجيه همهم الى العدل والانصاف لأنهم أمناء الله فى الأرض فلا يخشون شريفا لشرفه ولا يستهينون بضعيف لفقره بل يحكمون بالحق ولا يخافون لومة لائم وكل ذلك فى هذا المقصد مذكور لأسباب أوجبته وأحوال ألزمته وحوادث لأجلها نزلت هذه الآيات وسيقت مع آى التنزيل وذكر فيها أحكام التوراة والانجيل وأن اليهود أعرضوا عنها اعراضا لأغراض شهوية وأمور دنيوية وأحوال جاهلية وأن الأنبياء ينزلون الى أهل الأرض رقباء على عباده فرسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة أخذ يحاسب اليهود على تعطيلهم أحكام التوراة وتجافيهم عما أمروا باقامته من الأحكام وآذوا بمخالفته الأنام . فهاك ماروى فى هذا المقام

ذلك أن رجلا وامرأة من أشراف اليهود بخيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم فى التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فأرسلوا رهطا منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ماقبلها ومابعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فأمر النبى صلى الله عليه وسلم فرجما . اه المقصود

ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم إنى أول من أحيا أمرك اذ أماتوا . ومعنى هذا أن اليهود كانوا يجلدون الزانى أربعين جلدة بحبل مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل

دبر الحمار ويطاف بهما أنحاء البلد وقد جعلوا ذلك مكان الرجم المذكور فى التوراة . وهذا كله بسبب أنهم كانوا اذا زنى شريف تركوه واذا زنى وضيع رجموه فاصطلحوا على أمر يجرى على الشريف والوضيع لأن الزنا بسبب ذلك التهاون كثر فى الأشراف ففعلوا ماتقدم . هكذا قال ابن صوريا للنبيّ صلى الله عليه وسلم وهو من أحبار اليهود وأعلمهم

ولقد كان أهل خيبر لما أرسلوا قومهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصوهم فقالوا لهم إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا والتحميم هو تسويد الوجه كما تقدّم بالحم وهو الفحم

وهل يجب علينا الحكم بين أهل الكتاب

(١) من العلماء من أوجب الحكم بينهم اذا ترافعوا الينا ومنهم ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدّى

(٢) ومنهم من قال نحن مخيرون اذا ترافعوا الينا بين الحكم وعدمه وهذا رأى الحسن والشعبى والنخعى والزهرى وبه قال أحمد

(٣) وقال الشافعى يجب الحكم بينهم ولاتخيير وانما التخيير فى الحكم بين المعاهدين الذين بينهم و بين المسلمين عهد الى مدّة فتكون الآية الآتية الدالة على التخيير مخصوصة بالمعاهدين

أما اذا كان المترافعان ذمّيين أو أحدهما ذمّى فالحكم بينهما واجب لأنا مكلفون بالمحافظة عليهم والذّب عنهم

وكل ذلك منشؤه آيتان . الآية الأولى ـ فان جاؤك فاحكم بينهم أوأعرض عنهم ـ والآية الأخرى هى ـ فاحكم بينهم بما أنزل الله ـ

وروى أيضا أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يامحمد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعك اليهود كلهم وان بيننا و بين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدّقك فأبى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ـ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك الخ ـ

وروى أيضا أن بنى قريظة والنضير وهما حيان من اليهود كان بينهم دماء قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بنو قريظة ان بنى النضير يعطوننا سبعين وسقا من تمر فى القتيل منا واذا قتلنا منهم أخذوا منا الضعف وهكذا ارش جراحاتنا على النصف من أرش جراحاتهم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدل وأن لا فضل لأحدهما على الآخر فغضبت بنو نضير وقالوا لانرضى بحكمك فانك لنا عدوّ وانك ماتألو فى وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله ـ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ـ

هذه هى أسباب النزول التى وردت فى هذا المقصد وآياته المختلفة . والمهم فى هذا المقام كله الحكم بالعدل فى سائر الأحوال وعدم التحيز لفريق دون آخر والرشوة والمحاباة ولو كانت المحاباة أمرا عظيما كدخول أمّة بأسرها فى الاسلام فان اليهود حاولوا أن يفهموه صلى الله عليه وسلم أنهم يدخلون الاسلام اذا حكم لهم فلم يرض وعلى حكام المسلمين أن يقتفوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايبالوا بأمر بل يكونون خلفاءه ويحكمون على البرّ والفاجر . والعالم والجاهل . والغنى والفقير . والشريف والوضيع . هكذا يجب أن يكون الاسلام والمسلمون والآيات لهذا أنزلت فالقرآن اليوم لنا نحن . أما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اليهود و بنى قريظة والنضير فانهم فى العالم الباقى والقرآن اليوم يقرأ لنا والأوامر لنا والعلم لنا فلنأخذ به ولنتبعه . ولنفسر الآيات فنقول

(ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) أى لاتهتم بموالاتهم الكفار ولاتبال بهم فانى ناصرك عليهم وكافيك شرّهم . واعلم أن الآية المتقدمة ذكر فيها أن الله له ملك السموات والأرض فله تعذيب

من يشاء والمغفرة لمن يشاء وقد قلنا ان ذلك على حسب المراتب والأحوال والاستعداد فلا عذاب ولا نعيم إلا على مقتضى الدرجات ـ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ـ فالناس فتنة لبعضهم كل لكل فتنة والله بهذا يختبر العباد ويرقيهم الى مقام الاسعاد فلذلك ذكر عقبها الأمر بعدم الحزن مراعاة للمراتب والدرجات الخلقية فكأنه يقول يامحمد أنا رتبت الدرجات وهذه الدرجات لاعالة تجمع بين الأشقياء والسعداء فمن عرف الحقائق لاتخفى عليه هذه الدقائق فكيف تحزن على المنافقين أو تأسى على القوم الكافرين فاذا رأيت المنافقين يخادعون واليهود جمهورهم للكذب سماعون فلاتحزن عليهم ولاتهتم بشأنهم فقد أريناك لظام الدرجات • فكيف تحزن لهؤلاء المنافقين المسارعين فى الكفر من المنافقين (الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا) وهم اليهود (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) لم يحضروا مجلسك وهم أهل خيبر الذين تقدّم ذكرهم فى الأحاديث السابقة (يحرّفون الكلم من بعد مواضعه) أى يميلون الكلام الذى وضعه الله فى التوراة عن مواضعه تارة باهماله وتارة بتغيير وصفه وتارة بحمله على غير المراد منه (يقولون) لمن جاؤا يتحاكمون عند النبى صلى الله عليه وسلم منهم (ان أوتيتم هذا) أى ان أفتاكم محمد بالمحرّف وهو الجلد والفضيحة للزانى والزانية (فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا) قبول ما أفتاكم به لأننا أرسلناكم ليسهل الأمر عليكم اتباعا للأسهل من الأحكام لاطلبا للحقيقة مراعاة لذوى الوجاهة عندنا وضنا بحياتهم (ومن يرد الله فتنته) ضلالته أوفضيحته (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطيع له من الله شيأ فى دفعها (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) لأن درجاتهم النفسية فى هذه الحياة وفى الحياة الأخرى غير صالحة للرقى كما تقدّم عند قوله ـ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ـ مرتب الدرجات فيعذّب من يشاء ويغفر لمن يشاء فهؤلاء من الذين لم يصلوا لدرجة الكمال النفسية (لهم فى الدنيا خزى) هوان بالجزية والخوف من المؤمنين على حسب درجتهم فى الحياة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو النار (سماعون للكذب) أى اليهود وكرره للتأكيد (أكالون للسحت) الحرام كالرشا من سحته اذا استأصله لأنه مسحوت البركة مثل كعب بن الأشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم • وفى الحديث لعن الله الراشى والمرتشى أخرجه الترمذى وأبو داود • قال الحسن ذلك فى الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقا (فان جاؤك) يعنى اليهود (فاحكم بينهم أوأعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضرّوك شيأ) وهذا إما وارد فى اليهوديين الزانيين وإما فى الرجلين من قريظة والنضير وقد تقدّم كل ذلك (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحبّ المقسطين) فيحفظهم ويعظم شأنهم ثم أخذ فى التعجيب منهم فقال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) بالرّجم وانما طلبوا ذلك فرارا من الحق وعدولا عن العدل وتجاوزا عن النصفة والا فكيف يحكمونك فتحكم بينهم على مقتضى التوراة (ثم يتولون) يعرضون عن حكمك (من بعد ذلك وما أولئك) اليهود (بالمؤمنين) بكتابهم باعراضهم عنه أولا وعما يوافقه ثانيا (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدى الى الحق (ونور) يكشف عما أشبههم من الأحكام (يحكم بها النبيون) يعنى أنبياء بنى اسرائيل (الذين أسلموا) هذه صفة مدح بها النبيين تنويها بشأن المسلمين وتعريضا لليهود الذين حادوا عن جادّة أسلافهم فى أخذ الربا وقد نهوا عنه وأكلوا أموال الناس بالباطل ـ كشأن المسلمين اليوم ـ وكثير من قضاتهم وحكامهم فلافرق بينهم وبين أولئك اليهود فى شئ ولذلك مزّقت البلاد شرّ ممزّق ألا لافرق بين حكام المسلمين فى العصور المتأخرة فى قضائهم الغاش وأفعالهم المنكرة وأحوالهم المحزنة وبين أولئك اليهود فى بلاد العرب الذين دالت دولتهم ـ وخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون ـ أقول هذا وأنا أعتقد أن هذه الآيات أنزلت لأجلنا نحن فاولئك اليهود قد ماتوا وخلفهم قوم آخرون ولايدينون بكتابنا وانما ذكرهم الله عبرة لنا وتعليما وتنبيها والا فما معنى قوله ـ والنبيين الذين أسلموا ـ فكان أنبياء

بنى اسرائيل لما كانوا على الهدى مسلمين . فأما الأمة الاسلامية اليوم وقد حاد القضاة عن الحق والعدل وتنكبوا طرق الشرع القويم وزاغوا عن الحق فهؤلاء القضاة فيها ليسوا على سنن الاسلام ولا طريق الهدى ولا جارين على منهج الاسلام

وعلى ذكر القضاة أذكر هنا حادثة واحدة لقضاة مصر . جاء أحد الولاة فى مصر وقال لمن له الأمر الشرعى فى البلاد انكم تقضون بمذهب أبى حنيفة والفتاوى يناقض بعضها بعضا فهل لنا أن نجعل لنا قانونا واحدا مناسبا لأحوال الأمة من المذاهب الاسلامية كما فعل المسلمون فى الاستانة وفيها خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك الشيخ . كلا افعلوا ما تشاؤن فاضطر الوالى أن يأتى بالقانون الفرنسى فجعله شاملا عاما فى جميع البلاد وذلك بفعل هذا الشيخ الشره لأن هذا الشيخ خاف أن يشترك مع مذهب أبى حنيفة الذى هو يعرفه مذاهب أخرى وهذا مما يجعل علماء المذاهب الأخرى يشاركونه فى الصيت والذكر والشهرة والفتوى وتزول تلك الأبهة والعظمة والهيبة الكبرى من النفوس و يقاسمه العلماء سطوته وهيبته ونفوذه ونقوده . ان ذلك هو التلاعب بالدين وهو أشبه بما جاء عن اليهود وانهم - يحرفون الكلام عن مواضعه -

فهذا أنكر مذاهب ثلاثة لأجل خبز يأكله ومال يكنزه . فبهذا الشيخ وأمثاله ذهبت هيبة الاسلام وضلت الأحكام . وأنا لا أحدثك عن شهاد الزور الذين يقبلونهم رغم يعلمون انهم مزورون ولا عن الرشا ولا عن التهاون فى الأحكام فذلك شائع ذائع . فهل هذه صفة علماء المسلمين الذين هم كأنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا يحكمون بالتوراة (للذين هادوا والربانيون والأحبار) الزهاد والعلماء السالكون طريق أنبيائهم وعطف على النبيون (بما استحفظوا من كتاب الله) بسبب أمر الله اياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل كما فعل كعب بن الأشرف ومن حذا حذوه الذين لم يحفظوا كتاب الله وليسوا عليه رقباء فلذلك يبدل وهكذا أمر بعض علماء الاسلام لما تقهقرت الأمم الاسلامية فانهم قد زاغوا عن طريق الجدة وأجازوا الفتاوى المتناقضة على مقتضى الأقوال المختلفة والله لا يرضى ذلك لأنه صادر عن هوى . فليس هؤلاء شهداء على القرآن ولا رقباء فكأنهم غروه وليس التغيير للفظه بل التغيير فى مقصود الأحكام وذلك يؤدى الى انهيار الأمة وضياعها بما تهاونوا فى لدين القويم . ثم خاطب الله الحكام قائلا (فلا تخشوا الناس واخشون) يقول للحكام لا تخشوا غير الله فى حكوماتكم واياكم والمداهنة فيها خشية ظالم أو مراقبة كبير (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به منكرا له (فأولئك هم الكافرون) لاستهانهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره فكفرهم لانكارهم وفسقهم بالخروج عنه وظلمهم بالحكم على خلافه والظلم والفسق قد ذكرا فى الآيات الآتية هنا . ثم أخذ يسرد أحكاما من التوراة فقال (وكتبنا عليهم فيها) فى التوراة (أن النفس بالنفس) أى ان النفس تقتل بالنفس (والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن) أى ان العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن (والجروح قصاص) أى ذات قصاص أى حكومة عدل وهذه قاعدة عامة ذكرها بعد الأربعة التى خصصها بالذكر يقول ليس هذا خاصا بالأربعة فالجروح على وجه العموم قصاص فيما يمكن أن يقتص منه كاليد والرجل والذكر والأنثيين فأما مالا يمكن القصاص فيه كرض فى لحم أو كسر فى عظم أو جراحة فى بطن يخاف منها التلف ففيها الأرش والحكومة العادلة

﴿ لطيفة ﴾

هذه شريعة التوراة وردت فيه وقد أجمعت الأمة على صحة الاستدلال بقوله - وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الخ - على هذه الأحكام ولا جرم أن هذا من شريعة من تقدم من الأمم فنحن إذن متعبدون بشريعة من قبلنا أى اننا متعبدون بما صح من شرائع من قبلنا بطريق الوحى لا من طريق كتبهم المبدلة ونقل أربابها

وهذا مذهب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في احدى الروايتين عنه . وقال قوم كابن الحاجب من المتأخرين اننا متعبدون بما لم ينسخ من الأحكام الباقية قبل شريعتنا لكنهم لم يعتبروا قيد الوحي فان الوحي واجب التنفيذ سواء وافق شرع من قبلنا أم لم يوافقه

وقال آخرون كالأشاعرة والمعتزلة والآمدي ليس شرع من قبلنا شرعا لنا . وهذا الخلاف بينهم لا يتناول هذه الأحكام التي أجمعت الأمة عليها وهي أن الجروح قصاص مع التفصيل المتقدم (فمن تصدق به) أي القصاص أي فمن عفا عنه (فهو) أي التصدق (كفارة له) للمتصدق يكفر الله به ذنوبه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون * وقفينا على آثارهم) وأتبعناهم على آثارهم (بعيسى بن مريم) مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء (مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) هذه الجملة حال (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) عطف عليه وهكذا قوله (وهدى وموعظة للمتقين)

ثم قال (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) عن حكمه أو عن الايمان به ان كان مستهينا به وهذا يدل على أن الانجيل قد نسخ أحكاما في التوراة وهو بها مستقل ويجب العمل به على متبعيه (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق) أي القرآن (ومهيمنا عليه) ورقيبا على سائر الكتب المنزلة لأن القرآن مصدق لجميع الكتب السماوية وفي قراءة بالبناء للمجهول أي هو من عليه وحفظ من التحريف والحافظ هو الله والحفاظ في كل عصر (فاحكم بينهم بما أنزل الله) اليك (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى ما يشتهونه (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة وهي الطريق الى الماء شبه به الدين لأنه طريق الى ما هو سبب الحياة الأبدية (ومنهاجا) طريقا واضحا في الدين من نهج الأمر اذا وضح

واعلم أن هذه الآيات أبانت أن شريعة محمد وشريعة موسى وشريعة عيسى عليهم الصلاة والسلام متباينات وهناك آيات أخرى تقدمت وستأتي أن الشرائع متفقات كما في قوله تعالى ـ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الخ ـ فآيات الاتفاق راجعة الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وفعل الفضائل العامة واجتناب الرذائل . فأما الاختلاف بين هذه الديانات ففي الفروع كطرق العبادات وبعض الأحكام التي تتغير بتغير الأزمنة لأن الله جبل هذا العالم على الاختلاف (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن) أراد أن يختبركم فكما غاير بين صوركم وأخلاقكم وأوطانكم وأحوالكم غاير بين شرائعكم (ليبلوكم) يختبركم (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة . هل تعملون بها أم لا وهل تذعنون لها معتقدين أن اختلافها مقتضى الحكمة الالهية بنظركم الثاقب وفهمكم لما تشاهدون من نظامنا العجيب الدال على الحكم في الاختلاف في المشاهدات الحسية التي يترتب على اختلافها الآثار النافعة (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها انتهازا للفرصة فلا تشغلوا الفكر فيما يوقعكم في الشك والريب كالاختلاف المذكور فلا تقولوا لا نبالي بالشكوك التي تجول بخواطرنا ولنسر في ديننا ولا نسأل عن هذا الاحتراق في أفئدتنا لناجم من الشكوك المؤلمة بل يجب الفكر في أسبابه لأننا انما نختبركم لتظهر آثار قواكم الفكرية وعجائب عقولكم فعلى أولى الألباب منكم أن يعكفوا على الفكر في كل ما اشتبه لأننا خلقنا عقولكم لهدايتكم فالكتب السماوية جاءت لفتح باب الفكر وبالفكر فيما التبس تكون الهداية (الى الله مرجعكم جميعا) وكيف ترجعون اليه ناقصين بلها متحيرين فهو عليم بالمقصرين منكم والمبادرين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فينزل المقصرين عن درجة المبادرين (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) أي أنزلنا اليك الكتاب وأن تحكم بينهم أي والحكم بما أنزل الله (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) أي يضلك أحبار اليهود فتحكم لهم وتقضي على خصومهم من اليهود على أن يؤمنوا بك فيتبعك عامة اليهود كما

تقدم (فان تولوا) عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أى ذنب التولى عن حكم الله الذى هو بعض ذنوبهم الكثيرة (وان كثيرا من الناس لفاسقون) متمردون فى الكفر (أفحكم الجاهلية يبغون) وهو الميل والمداهنة فى الحكم ومتابعة الهوى كما يريد بنو النضير وقد تقدم هذا فى مقدمة هذا المقصد (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعنى أى حكم أحسن من حكم الله ان كنتم موقنين أن لكم ربا وأنه سبحانه عدل فى أحكامه اه المقصد السادس

(المَقْصِدُ السَّابِعُ)

يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ، حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ، فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ، فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ، وَاتَّقُوا ٱللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ ٱللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ * وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ ، وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ

يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

يروى أن عبادة بن الصامت قال ان لى أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم وانى أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم ولامولى لى إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبى ابن سلول للنبى لا أبرأ من ولاية اليهود فانى أخاف الدوائر ولابد لى منهم

وأيضا لما اشتد الأمر على طائفة من الناس فى وقعة أحد وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودى وآخذ منه أمانا انى أخاف أن يدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا ألحق بفلان النصرانى من أهل الشام وآخذ منه أمانا

وأيضا كان أبو لبابة بن عبد المنذر قد بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل أصبعه فى حلقه مشيرا الى أنه الذبح وانه يقتلكم

هذه هى الأسباب التى ذكرها المفسرون الأجلاء لنزول هذه الآية التى نراد لتهذيبنا اليوم وتعليمنا كيف نكون أمة عزيزة الجانب موفورة المنزلة باتحاد الكلمة وهى (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أنصارا وأعوانا على أهل الايمان بالله ورسوله . ألا ترون أيها المؤمنون أن بعض اليهود أعوان بعض عليكم و بعض النصارى أعوان بعض عليكم فكيف تتخذون منهم أولياء . ان من يتخذ منهم أعوانا فانه منهم وهو يكون ظالما لنفسه ولأمته بمعاونته أعداءهم وهذا هو قوله (بعضهم أولياء بعض) الى قوله (والله لايهدى القوم الظالمين) ثم أخذ يفصل ذلك بنحو ماتقدم فى الأحاديث فقال (فترى الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (يسارعون فيهم) أى فى موالاتهم (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار (فعسى الله أن يأتى بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار دينه على الأديان كلها واظهار المسلمين على أعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وفتح مكة وفتح قرى اليهود كخيبر وفدك ونحوهما من بلادهم (أوأمر من عنده) مثل أن يقطع أصل اليهود من أرض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب كما ألقى الرعب فى قلوبهم فأخلوا ديارهم وخربوها بأيديهم وحملوا الى الشام (فيصبحوا) أى يصبح المنافقون المذكورون (على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) على ما أبطنوه من الكفر والشك وعلى موالاة هؤلاء ولذلك تحقق ماذكر

واعلم أن عسى من الله واجب لأن الكريم اذا أطمع فى خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له وهنا يخطر سؤال فيقال ماذا يقول المؤمنون حينئذ فقال (ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم) أى يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وفرحا بما منّ الله

عليهم من الاخلاص (حبطت أعمالهم) أى بطل ما كانوا يعملون من الخيرات لأجل ما أظهروه من النفاق وموالاة اليهود (فأصبحوا خاسرين) دنياهم بافتضاحهم لموالاتهم من هزمهم الله وفى الآخرة أيضا باحباط ثواب أعمالهم

﴿ الكلام على الردة ﴾

اعلم أنه قد ارتد من العرب فى أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج و بنو حنيفة و بنو أسد . وسبع فرق فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فزارة وغطفان و بنو سليم و بنو يربوع و بعض تميم وكندة و بنو بكر بن وائل وفرقة واحدة ارتدت فى خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الأيهم هؤلاء هم الذين ارتدوا من العرب فى زمان النبوة و بعدها الى زمن عمر رضى الله عنه

﴿ قتال أهل الردة ﴾

أما الفرق التى ارتدت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان بنى مدلج كان رئيسهم ذا الخمار الأسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها وأخبر الرسول فى تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر فى أواخر ربيع الأول

وأما بنو حنيفة فهم أصحاب مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول صلى الله عليه وسلم أما بعد فان الأرض نصفها لى ونصفها لك﴾

فأجاب ﴿من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ فحاربه أبو بكر بجند من المسلمين وقتل كما سيأتى

وأما بنو أسد فهم قوم طليحة بن خويلد ولقد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم أسلم وحسن اسلامه . هذه هى الفرق التى ارتدت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما الفرق السبع التى ارتدت فى زمن أبى بكر رضى الله عنه فاعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بنى عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين

ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا أو قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . وقال أنس بن مالك كره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال مانعى الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره . وقال ابن مسعود كرهنا ذلك فى الابتداء ثم حمدناه فى الانتهاء . واثنى أبو حصين على أبى بكر لبسالته وقال انه أفضل من ولد بعد النبيين لقتاله أهل الردة

ولقد أرسل خالد بن الوليد فى جيش كثير الى بنى حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فأهلك الله مسيلمة على يد وحشى غلام مطعم بن عدى الذى قتل حمزة

والفرق السبع التى ارتدت فى زمن أبى بكر لما حاربها رجعت الى الاسلام بجيوش من الصحابة ومن معهم

وأما التى ارتدت فى زمن سيدنا عمر فهى غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصروا وساروا الى الشام

﴿ من هم القوم الذين يحبون الله و يحبهم الله ﴾

هم الصحابة الذين قاتلوا أهل الردّة وأهل اليمن وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن كما أثنى على الصحابة إذ قال أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وكذلك الأنصار الذين هم قسم من الصحابة وقوم من اليمن منهم ألفان من النخع وخمسة آلاف من أهل كندة و بجيلة وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا يوم القادسية مع عمر وكذلك الفرس لأنه عليه السلام سئل عن القوم الذين يحبهم و يحبونه فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه

هؤلاء هم الذين وردت الأحاديث المختلفة بأنهم الذين يحبهم الله و يحبونه وأن ذلك معجزة فان ردّة العرب ورجوعهم للاسلام ونصر الله للمسلمين بجنوده . كل ذلك كان مغيبا واعلم أن مافى هذه الأحاديث ليس حاصرا لمن يحبهم الله ويحبونه فان معنى حبّ الله العبد ارادته الهدى والتوفيق له فى الدنيا وحسن الثواب له فى الآخرة ومعنى محبة العباد له ارادة طاعته والتحرز من معصيته وليس ذلك خاصا بهؤلاء بل ان الأمم الاسلامية كلما خمدت أمّة جاءت أمم حتى انك ترى التتار الذين جاؤا من بلادهم وأزالوا الدولة العباسية على يد أبنا جنكيزخان وقتلوا الخليفة العباسى وحكموا الاسلام هم الذين أسلموا بعد ذلك وهم فى بلاد الروسيا الآن وعلى نهر فولجا وغيره و يبلغون عشرات الملايين وكذلك يوجد أمم أسلمت فى جزائر الهند الشرقية نحو ٦٢ مليونا من جاوه وما والاها من البلدان وكذلك فى الصين وفى السودان ولايزال الاسلام ينتشر للآن أفليس هؤلاء من الذين يحبهم الله . نعم يحب الله من صلح من هذه الأمم وقام بالأمر خير قيام وكذلك أسلم فى زماننا من عظماء الانجليز اللورد هدلى وقد قابلته فرأيته رجلا عظيما بعد ماقرأت رسائله فى الاسلام خصوصا بعد مازار الأقطار الحجازية وأدّى فريضة الحج فكل هؤلاء داخلون فى المحبة المذكورة

فالله بهذه الآيات يقول لنا كلما ارتدّت أمّة عن الاسلام دخلت فيه أمّة أخرى لأن الاسلام وحى أراد الله بقاءه ليكون من الموازين التى ينصبها الله للعدل وللحياة فى الأرض فهذا هو قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه) الى قوله (والله واسع عليم) ومعنى (أذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لاذلول فان جمعه ذلل وقوله (أعزة على الكافرين) أى شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقوله (يجاهدون فى سبيل الله) صفة أخرى لقوم وقوله (ولايخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون فهم جامعون للمجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه وقوله (ذلك) أى المتقدّم من الأوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء) يمنحه و يوفقه له (والله واسع عليم) كثير الفضل عليم بمن هو أهله

ولما أتمّ الكلام على الردّة المذكورة فى غضون التفاق لمناسبتها له ولقربها منه لاقتراب المنافق من مراتب الكافرين وازدلافه الى دركات المرتدين أخذ يتكلم على النفاق والموالاة ومن الذين تواليهم فقال (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون) لما أسلم عبد الله ابن سلام قال يارسول الله ان قومنا بنى قريظة والنضير هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا فنزلت فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا و برسوله نبيا وبالمؤمنين أولياء

واعلم أن الآية عامّة ولاسبب من الأسباب الواردة يخصصها فهو يقول ان أهل مغوثتكم وموالاتكم هم المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم متواضعون لامتكبرون عليكم كما تقدم فى قوله تعالى ـ أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ـ ثم أبان أن من اتبع هذا الفريق فانه فائز لأنهم هم الغالبون وهذا قوله تعالى (ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) يعنى فانهم هم الغالبون لكن وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما لشأنهم ثم أخذ يشرح الموضوع زيادة ايضاح لأهميته فقال تعالى

(يا

(يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين * واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون) والمعنى أن أهل الكتاب الذين اتخذوا الدين هزؤا ولعبا والكفار وهم عبدة الأصنام لايجوز للمسلمين أن يتخذوهم أنصارا وأولياء وهذا على قراءة النصب بعطف الكفار على الذين اتخذوا دينهم وقرأ بالجر أبو عمرو والكسائى ويعقوب فيكون الذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا من أهل الكتاب ومن عبدة الأوثان وهم الكفار معا وعلى كل من القراءتين لاتجوز موالاتهم

روى أن نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شررها فى البيت فأحرقه وأهله

وروى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنهى الله عن موالاة هؤلاء جميعا وقوله (واتقوا الله) أى بترك مانهاكم عنه وقوله (إن كنتم مؤمنين) أى بوعده ووعيده وقوله (ذلك بأنهم قوم لايعقلون) لأن السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل يمنع منه

ثم إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال ـ أومن بالله وما أنزل الينا ـ الى قوله ـ ونحن له مسلمون ـ فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لانعلم دينا شرا من دينكم فقال الله له (قل) لهم (ياأهل الكتاب هل تنقمون منا) هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه اذا أنكره وانتقم اذا كافأه (الا أن آمنا بالله وماأنزل الينا وماأنزل من قبل وان أكثركم فاسقون) أى لاتنكرون منا الا ايماننا بالله وبما أنزل الينا من القرآن وما أنزل الى الأنبياء واعتقاد أن أكثركم فاسقون وهذا على حد قول الشاعر

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

فهل الحق ينكر أو الخير يعاب آمنا بالأنبياء الذين أرسلهم الله فنقمتم علينا واعتقدنا أنكم فاسقون خارجون عن سنن الحق بتحريفكم فى دينكم وكفركم بديننا وهذا صدق . فكيف تنكرون وتعيبون ذلك . وكيف تقولون لانعلم دينا شرا من دينكم (قل) لهم يامحمد (هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) جزاء وثوابا عند الله والمثوبة فى الخير كالعقوبة فى الشر (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من شر أى بشر من أهل ذلك وهؤلاء هم اليهود أبعدهم الله من رحمته ومسخ بعضهم قردة وخنازير وهم أصحاب السبت إما مسخا جميعا واما مسخا معنويا بأن صاروا مقلدين كالقرود وذوى شهوات كالخنازير بسبب المعاصى التى ارتكبوها بمخالفة التوراة (وعبد الطاغوت) معطوف على صلة من أى أطاع الشيطان فيما سوّل له وفى معناه العجل الذى عبدوه والكهان والأحبار والرهبان الذين اتبعوهم فيما أحلوا وحرموا (أولئك) الملعونون (شر مكانا) واذا كان مكانهم شرا فهم أولى بالشر (وأضل عن سواء السبيل) أى قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود (واذا جاؤكم قالوا آمنا) أى اليهود فانهم نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عامة المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) أى يخرجون من عندك كما دخلوا (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وفيه وعيد لهم (وترى كثيرا منهم) أى من اليهود أو المنافقين (يسارعون فى الاثم) أى مايختص بهم من الحرام (والعدوان) مايتعدى الى غيرهم (وأكلهم السحت) أى الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيأ عملوه (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت) لولا اذا دخل على الماضى أفاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض . يقول الله هلا ينهاهم هؤلاء العلماء الزاهدون والعابدون عن قول الاثم وأكل الحرام (لبئس

ما كانوا يصنعون) وهذا توبيخ لهم وتقريع أشدّ من تقريع العامّة الذين قرعهم على عملهم وهؤلاء قرعهم على صنعهم والصنع لا يكون إلا بعد التروّى وهؤلاء العلماء قد أمسكوا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قصدا وعمدا للمحافظة على رئاستهم وأخذ الأموال بالباطل والعالم أولى بالعقاب من الجاهل • فالعلماء أقرب الناس الى العذاب فى كل أمّة متى قصروا عن النصيحة للأمم

ولقد كان اليهود أغنياء فلما كانت أيام النبي صلى الله عليه وسلم قلّ مالهم فقالت اليهود إن الله يمسك مقتر وهذا قوله (وقالت اليهود يد الله مغلولة) فهو مجاز اما عن البخل أوالفقر (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة أو بغلّ الأيدى حقيقة ليكونوا أسرى فى الدنيا ويوم القيامة (بل يداه مبسوطتان) ثنى اليد مبالغة فى نفى البخل واثبات الجود (ينفق كيف يشاء) أى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء (وليزيدنّ كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فلاتتوافق قلوبهم (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأهاالله) فترى النصارى مختلفين مذاهب دينية وعقائد وهكذا اليهود وذلك موجب لتفرّق الكلمة فكلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بالتخاذل (ويسعون فى الأرض فسادا) أى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحرب والفتن وهتك المحارم (والله لايحبّ المفسدين) فلايجازيهم إلا شرّا (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (واتقوا) ماذكرناه من المعاصى (لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم • ولوأنهم أقاموا التوراة والانجيل) باذاعة مافيها من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والقيام بأحكامهما (وما أنزل اليهم من ربهم) أى سائر الكتب المنزلة (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أى لوسع الله عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض أو بكثرة ثمر الأشجار وغلة الزرع ونموّه ووفرته (منهم أمّة مقتصدة) متوسطة فى عداوة النبيّ صلى الله عليه وسلم (وكثير منهم ساء مايعملون) أى بئس مايعملونه وفيه تعجيب أى ما أسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض والافراط فى العداوة • انتهى التفسير اللفظى ﴿ لطائف ﴾

(١) اللطيفة الأولى ـ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ـ

(٢) اللطيفة الثانية ـ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا ـ الآية

(٣) اللطيفة الثالثة ـ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ـ

(٤) كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ـ ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

ليس المقصد من اليهود والنصارى خصوصهما وانما ذلك يراد به أن يحفظ كيان الدولة ولايفرق الجمع بالتخاذل والاتفاق السرّى مع الأعداء من أى دولة ومن أى دين والا فقدجاء التتار من جهة المشرق وأزالوا دولة العرب واتحد معهم الوزير العلقمى سرا وذهبت الدولة لهذا الغدر • فهل كان يجوز لذلك الوزير ذلك لانهم ليسوا يهودا ولانصارى بل هم مجوس • كلا لاتجوز موالاتهم * قال الشاعر إذ ذاك

يا أمّة الاسلام قومى واندبى * وابكى على ماتمّ للمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمى

وهذا الوزير كان شيعيا وأراد بذلك النكاية فى أهل السنة الذين هم سنيون • ثم ان التتار خربوا الديار وفتكوا بالأمة فتكا شنيعا بسبب موالاة الوزير لهم وانشقاقه على المسلمين

وأيضا اذا عاهدنا أمّة كتابية فانا نفى بعهدهم وكذلك أهل الذمّة ندافع عنهم ونحوطهم بعنايتنا واذا عاهدنا قوما فلنف بعهدهم ونحارب معهم على أى دين كانوا وجاء فى سورة الممتحنة ـ لاينهاكم الله عن الذين لم

يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين * انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ـ

فالقرآن يرجع فيه للعقل وللتفصيل والبحث والتنقيب . فأما العمل بالآيات بدون بحث فانما هو فعل الغافلين

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

يقول الله على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ـ هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل الخ ـ وأنا أورد حكاية لمناسبة هذه الآية . فأقول

﴿ الحكاية ﴾

توجهت يوما الى أحد أصحابى بدكانه جهة باب الخلق بالقاهرة فسلمت عليه فردّ السلام وقد رأيت رجلا معمما جالسا معه . فقال أنا أحب أن أعرّفك بفلان المبشر . فقلت كلنا مبشرون . فقال ذلك الضيف وهل يبشر إلا بابن الله الوحيد . ففلت كلمنى بالعقل وليكن حكما . إما أن تقولوا ان العالم ليس له إله واما أن تقولوا له إله . فقال وكيف ذلك . قلت اذا كان الله يترك العالم بلا هاد ولا مرشد مئات الالوف من السنين ثم يأتى فى آخر الزمان ويقول لهم هذا هو ابنى الوحيد يهديكم أفليس ذلك معناه البخل والجود والاله الذى يترك عباده هكذا سبهللا ثم يتذكرهم آخرا ليس بكريم واذن يكون هذا ليس بإله فالاله متصف بأجل الصفات وأبهاها فقولكم هذا معناه انه لا إله فى العالم فلما سمع ذلك منى اتجه بالكلام الى جهة أخرى وقال ما الذى فعله نبيكم وليس كل فضل له الا فى فصاحة القرآن بالايجاز مع ان امرأ القيس قال

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * وهذا فى الايجاز لا ينقص عن القرآن . فقلت له اذا كان هذا هو البلاغة فى نظرك فاسمع منى (العالم منظم) وهذه الجملة على ايجازها تجمع التوراة والانجيل والقرآن وجميع الكتب السماوية وسائر الديانات فهل أنا بقولى هذه الجملة الجامعة الآن أصبحت فوق النبيين . قال . كلا قلت إذن لا معنى لهذا القول . فقال ان نبيكم علمه رجلان . قلت له أنتم أخذتموها من قول الكفار ـ انما يعلمه بشر ـ وأنا أقول لك أى نبى لم يتعلم . ألم يتعلم موسى . ألم يتعلم عيسى . أليس كل نبى لابد له من طريق يسير فيه . أفليس يسأل الناس عنها . أفليس له ظئر ترضعه ومربية . قال بلى . قلت هذا تعليم . ثم قلت له ألست ترى أن المعلمين فى المدارس المصرية وفى الأزهر متعلمون . قال بلى . قلت ومعلموهم لم يكن لهم نظير فى العلم أيام النبى صلى الله عليه وسلم . قال نعم لأنهم كانوا جاهلية . قلت فاذا كان الأمر كذلك وأن المدار على التعليم فلماذا لم نكن جميعا أنبياء

(يافلان) أنا أقول الحق ان هذه المحاورات التى يقولها المبشرون انما جعلت لأكل الخبز والا فبالله اذا أراد الناس الحق فلماذا ينكر النصارى على نبينا هدايته للناس . أليس يأمرهم بفعل الطاعات وترك المعاصى قال بلى . قلت أليس المسيح جاء ليهذّب الناس فكرهه أتباع موسى وكفروه . قال بلى . قلت أنا أشهد الله أن أكثر المتدينين لا يريدون إلا الخبز والملبس والشهوات وهكذا قال علماؤنا المفكرون ان علماء الدين فى أكثر الأمم عقولهم أقرب الى عقول العامة يسعون للخبز . انظر (يافلان) ألسنا نقرأ كلام شكسبير الانجليزى وروسو الفرنسى وجميع علماء الأمم يقرأ بعضهم كلام بعض بسرور فما بال القسيسين من النصارى يكرهون من جاء بعدهم ليهدى الناس الى الحق والحق أقول ان هذا لأجل الخبز والانسانية ضائعة فى هذه المجادلات والمحاورات . فقال صاحب الدكان (يافلان) ان هذا المبشر يصلى سرا صلاة اسلامية وهو فى الجهر يعيش مع المبشرين ويأكل من صناعة التبشير فوافق المبشر على ذلك

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(حكاية مع شاب هندى)

قابلنى منذ أيام شاب هندى فرأيته لابسا ملابس قطنية مغزولة باليد منسوجة بنسج غليظ الخيطان ومن هذا النسج (قلنسوته) على رأسه وثيابه على جسده . فقلت له أهذا صناعة بلادكم . فقال نعم . فقلت له أنت اليوم فى مصر فهل يمنع أن تلبس كالمصريين . فقال لو فعلت ذلك لكنت خارجا عن الوطنية والعهود التى أخذت علينا . فقلت له وكيف ذلك . قال أخذ علينا العهد الوطنى أن لا نلبس إلا ما نسجه الهنديون وغزله الوطنيون بعد الثورة الهندية . فقلت له حدثنى عنها . فقال ان الهنود الوثنيين ليس بينهم رابطة لاختلافهم أديانا حتى ان كل جماعة منهم تبلغ ١٥ مليونا فى المتوسط لها دين خاص بها ولما أراد الرئيس غاندى (الزعيم الهندى) هو والرؤساء المسلمون الثورة لم يجدوا بابا يلجونه الا مدرسة على كره الاسلامية فقالوا للتلاميذ ابدأوا بالاضراب فأضربوا فاتبعهم جميع الوثنيين وكان ما كان من هذا الميثاق الوطنى وليس عندنا رئيس يخالف الميثاق ولا مرؤس فقال قائل ان الرؤساء فى مصر قد يخطؤن فى أعمالهم فقال ليس عندنا كذلك بل الشعب واقف لهم بالمرصاد قال تعالى ـ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ـ فأعجبنى حسن بيانه وأيقنت أن هناك روحا فى الاسلام استجدت لم تكن من قبل ـ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ـ وهذه الحكاية تقدمت ولكن هنا زيادة تناسب المقام

﴿ اللطيفة الرابعة قوله تعالى ـ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ـ ﴾

اعلم أن هذه القاعدة طبيعية الهية . لقد خلق الله أنواع الحيوان تسلط الآساد على الغزلان ولكنه قلل من نسل الصنف الأول وأكثر من نسل الصنف الثانى حتى يبقى ما هو مأكول لقلة ما هو آكل وهكذا يجعل فى نوع الانسان قوانين لبقائه وشروطا لحياته ألا ترى انه يحدث بين الدول تصادما واختلافا وهذا الاختلاف لولاه لأهلك بعض الأمم بعضا فيقولون يجب حفظ التوازن ومتى حفظ التوازن لا تستبد احدى الدول بالأمم الصغيرة فلذلك نجد أمم أوروبا تجتمع من جهة على اضعاف أهل الشرق ومن جهة أخرى لا تسمح واحدة منها لأخرى بابتلاع بلاد كثيرة خيفة أن تكبر عليهن وتعظم ومع ذلك تراهم دائبين فى ايقاع الفتن والشرور والعداوات بين الأمم الشرقية ليدوم لهم العز والسلطان ويسودوا فى بلادنا والرؤساء فى بلادنا يوالونهم وهم يملؤن قلوبهم حبا للعيش والشره . فهذا هو ايقاد نار الحرب وذلك اطفاؤها . انتهى المقصد السابع

(المَقْصِدُ الثَّامِنُ)

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ، كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، فَعَمُوا وَصَمُّوا

ثُمَّ تابَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَٱللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِٱللهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ، إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ، ٱنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ، ثُمَّ ٱنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَٱللهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ * لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ، ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ، لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ، ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ ٱللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذٰلِكَ جَزَاءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان قد شج رأسه وكسرت رباعيته وهذا قد تقدم فى روة أحد وهكذا أيضا تقدم حديث الاعرابى الذى أراد قتله بالسيف فسقط من يده وهو تحت الشجرة ثم تناول السيف صلى الله عليه وسلم فأسلم الرجل بعد أن تمكن النبى صلى الله عليه وسلم من قتله فلم يقتله

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فأوحى الله تعالى الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت * وعن أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت ـ ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك الآية ـ فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس وهذا قوله تعالى (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) أي جميع ما أنزل اليك ولاتراقب أحدا ولاتخف مكروها ولاتبال باستهزاء اليهود ولا بكراهة المنافقين الجهاد ولاباستثقال اليهود حكم الرجم الذي حكمت به وهو موافق للتوراة (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرت (فما بلغت رسالته) فما أديت الرسالة لأن كتمان البعض يضيع ما أدى منها كما تبطل الصلاة بترك ركن فيها ويموت الحي بقطع رأسه أوقلبه أوعضو رئيس أيا كان من أعضائه وان خفت الناس فقد حفظتك منهم (والله يعصمك من الناس) وهذا عدة من الله وضمان أن يعصم روحه من تعرض الأعادي (إن الله لايهدي القوم الكافرين) لايمكنهم مما يريدون بك وهكذا كل من كتم شيأ من الدين فانه لم يبلغه ويكون ترك البعض كأنه ترك الكل * ألاترى أن رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة لما قالوا ياأحمد ألست تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها حق أجابهم قائلا بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم مافيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فأنا برىء من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما في أيدينا فانا على الحق والهدى ولانؤمن لك ولانتبعك فهاهوذا يقول لهم قد كتمتم فكتمان بعض الدين لم يجز في الاسلام كما لم يجز فيما قبله وهذا هو قوله تعالى بعد ماتقدم (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ) دين يعتد به (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) ومن اقامة الدين الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله ـ فلا تأس ـ لاتحزن عليهم لزيادة طغيانهم

وقوله (ان الذين آمنوا الخ) تقديره ـ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلاخوف عليهم ـ مما أمامهم ـ ولاهم يحزنون ـ على مافاتهم ـ والصابئون ـ كذلك وانما أفرد الصابئين دون الأديان لأنهم أشد انكارا للأنبياء يقولون اننا لانتبع إلا الملائكة فأما البشر فانهم مقاسون ويزعمون أن الملائكة هم الذين يعلمونهم فقيل لهم من لقنكم هذا فقالوا هذا شرع ابراهيم قيل لهم فابراهيم إذن نبيكم فثبت أن البشر يكونون واسطة بين الناس وبين الملائكة والمحاورة هناك مبسوطة في كتاب ﴿ الشهرستاني ﴾

ومعنى هذه الآيات أن من آمن من أي دين وعمل صالحا فان الله يجازيه على ذلك خيرا بالجنة وبالنجاة من النار وقد تقدم نظيرها في سورة البقرة (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا) ليذكروهم (كلما جاءهم رسول) منهم (بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) فقوله كذبوا جواب كلما وجملة كلما صفة رسلا (وحسبوا) أي بنو اسرائيل (أن لاتكون فتنة) أي أن لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم (فعموا) عن الدين وعن الدلائل والهدى (وصموا) عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل (ثم تاب الله عليهم) أي ثم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) كرة أخرى (كثير منهم) بدل من الضمير (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم ثم أخذ يشرح حال النصارى بعد الفراغ من أمر اليهود فقال (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله) هو ظاهر التفسير الى قوله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أي أحد ثلاثة أي يقولون انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح قدس وهذه الثلاثة إله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وقالوا ان الكلمة هي كلام الله اختلطت بجسد المسيح اختلاط الماء باللبن وقالوا ان الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد . ونقل المفسرون قولا

ثانيا أن الثلاثة • الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة والألوهية مشتركة بينهم وكل واحد منهم إله قال تعالى (وما من إله الا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون) ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) أى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) أى أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد (والله غفور رحيم) يغفر لهم ويرحمهم ان تابوا (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار سائر الانسان والحيوان • فهذا تبين ماعنوا به من الرسالة والصدق ولهما مشاركون من نوع لانسان فأين الالوهية وتبين أيضا النقص الذى يساويهما مع أصغر لمخلوقات وهذا موجب للعجب من تصديق الالوهية وهذا قوله (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق (قل) يامحمد لأتباع المسيح (أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا) وكل ماجاء على يده بتمليك الله له لامن نفسه فاذا كان هكذا فى مشاركة المخلوقات له فى النقص لا الكمال وليس له من نفسه نفع ولا ضر فكيف تعبدونه وقوله ـ مالا يملك ـ أى شيأ لا يملك وهو عيسى عليه السلام (ان الله هو السميع العليم) بالأقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قل) يامحمد (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق) أى علوا باطلا وترفعوا عيسى عليه لسلام الى أن تدعوا له الالوهية (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) عن طريق الشرع الحنيف يعنى أسلافهم وأئمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم (وأضلوا كثيرا) شايعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) ضلالا عقليا أخلاقيا (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسان داود وعيسى • فأهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنوا فيه ومسخوا قردة • وأصحاب المائدة لما كفروا بعيسى أصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة بأوفى بيان (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أى لاينهى بعضهم بعضا عن المنكرات التى فعلوها (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجب من سوء فعلهم (ترى كثيرا منهم) أى أهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) يوالون المشركين (لبئس ماقدمت لهم أنفسهم) لبئس شيأ قدموه ليردوا عليه يوم القيامة والمخصوص بالذم قوله (أن سخط الله عليهم) أن غضب عليهم وقوله (وفى العذاب هم خالدون) أى فى الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى نبيهم كموسى وعيسى (وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) لأن دين الأنبياء لايرضى بالشرك (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن دينهم ومتمردون فى نفاقهم • ثم أخذ يوازن مابين النصارى واليهود مع المسلمين والمشركين فقال (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا لليهود والذين أشركوا) لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) لأنك ترى أن دين المسيح يأمر بالمسامحة والعفو والمغفرة وحب العدو والصديق والاحسان الى الغريب والقريب ولكن اليهود على خلاف ذلك بل هم لايريدون إلا أمتهم وحدها وهم قديما وحديثا لايريدون إلا أنفسهم ولو أضروا الناس بذلك ثم أيد مودة النصارى بقوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) أى علماء وعبادا (وأنهم لا يستكبرون) فهم متواضعون فالتواضع والاقبال على العلم والاعراض عن الشهوات كلها خصال محمودة وان كانت فى كافرين

نزلت هذه الآيات حين هاجر المسلمون من ايذاء الكفار بمكة كعثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبى حذيفة وغيرهم وجميعهم ١١ رجلا وأربع نسوة وكان ذلك سرا فى رجب فى السنة الخامسة من البعثة وهى الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبى طالب وغيره وهى الهجرة الثانية حتى صاروا اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فوجهت قريش وفدا على رأسهم عمرو بن العاص ومعهم هدايا للنجاشى وبطارقته ليردوهم الى قومهم فقال عمرو بن

العاص قد خرج فينا رجل سفه عقول مريش وأحلامها وزعم انه نبي وقد أرسل اليك رهطا فنسألك أن تردهم الى قومنا فأحضر النجاشي المسلمين وقال مايقول صاحبكم في عيسى وأمه فقال له جعفر بن أبي طالب يقول هو عبدالله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها الى مريم العذراء البتول ثم طلب منهم ماجاء في ذلك فقرأ جعفر سورة مريم وهو والقسيسون والرهبان يسمعون فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فرد عمرو بن العاص شرأ من المسلمين ورجع بنحو خمسين من عند النجاشي وبقي القوم عنده الى سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان لما مات زوجها فزوجها له والمهر أربعمائة دينار وأمر النجاشي أن يبعث اليها نساؤه مما عندهن من دهن وعود فوردت أم حبيبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو بخاصة خيبر وكذلك جعفر وأصحابه وسبعون رجلا عليهم الثياب الصوف منهم ٦٢ رجلا من الحبشة وثمانية من الشام وسمعوا سورة يس من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جاء ثمانون رجلا ٤٠ منهم من نصارى نجران و٣٢ من الحبشة وثمانية من روم أهل الشام فآمنوا ففي هؤلاء وأمثالهم نزلت هذه الآية وما بعدها وهو قوله تعالى (واذا سمعوا ماأنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) من الذين شهدوا بأنه حق ونبوته وقد أرسل النجاشي ابنه أرهى الى النبي صلى الله عليه وسلم في ٦٠ رجلا من أصحابه وكتب اليه يقول

أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفرا وقد بعثت اليك ابني أزهى وان شئت أن آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يارسول الله فلما ركب ابنه في البحر مع أصحابه (ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) أي وأي شئ حصل لنا حال كوننا غير مؤمنين بوحدانية الله والحال أنا نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (فأثابهم الله بما قالوا) عن اعتقاد (جنات تجري من تحتها الأنهار) الى قوله (المحسنين) أي الذين أحسنوا النظر والعمل واعتادوا الاحسان في الامور كلها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) وهو ظاهر التفسير • اه المقصد الثامن

(المَقْصِدُ التَّاسِعُ)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۞ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ، فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ

الصلاة فهل أنتم منتهون * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين * ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين * يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام * أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ، واتقوا الله الذي إليه تحشرون * جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم * اعلموا أن الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم * ما على الرسول إلا البلاغ ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون * قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون * يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها ، والله غفور حليم * قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين * ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ، ولا يهتدون * يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون *

لما كان مدح النصارى وتواضعهم وانصافهم وربما جر المسلمين أن يفعلوا كما فعلوا ويتركوا النساء ويكونوا رهبانا . لاسيما أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا

واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفراش وأن لا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انى لم آمر بذلك ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزل (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فى الافراط فى كسر الشهوات كما لا يحب المفرطين فى الشهوات بفعل الحرام (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) أى كلوا ماحل لكم وطاب مما رزقكم الله (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون * لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) هو مايبدو من المرء بلا قصد كقولك لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعى وقيل الحلف على مايظن أنه كذلك ولم يكن واليه ذهب أبو حنيفة (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية (فكفارته) أى كفارة نكثه أى الفعلة التى تستره وتذهب اثمه اطعام عشرة مساكين من أوسط مانطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة أى ان الكفارة بأحد أمور ثلاثة

﴿ الأمر الأول ﴾

(١) إما أن يطعم عشرة مساكين بأن يغديهم ويعشيهم عند أبى حنيفة

(٢) أو يعطى لكل مسكين مدّ طعام وهو رطل وثلث بالبغدادى من غالب قوت البلد عند الشافعى وكذا سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب ومالك وغيرهم

(٣) أو مدّين من برّ وهو نصف صاع لكل مسكين عند عمر وعلىّ وعائشة وبه قال أهل العراق

(٤) أو مدّين من الحنطة كما تقدّم وهو نصف صاع ومن غيرها صاع وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد ابن جبير ومجاهد

(٥) أو مدّا من البرّ لكل مسكين ونصف صاع من غيره مثل التمر والشعير

(٦) وجوّز أبو حنيفة اخراج القيمة فى الكفارة كالدراهم والدنانير واخراج الدقيق والخبز كذلك فمذهبه أوسع المذاهب فى هذا . هذا هو الأمر الأوّل

﴿ الأمر الثانى من الكفارات الكسوة ﴾

(١) وهو إما ثوب جامع كالملحفة عند النخعى

(٢) أو ثوب واحد مما يقع عليه اسم الكسوة إزار أو رداء أو قميص أو عمامة أو سراويل أو كساء عند ابن عباس والحسن وعطاء وطاووس والشافعى

(٣) أو ما تجوز به الصلاة فللرجل ثوب وللمرأة ثوبان درع وخمار وهو أدنى مايجزى فى الصلاة وهو قول مالك

(٤) أو قميص وازار ورداء وهو قول ابن عمر

(٥) أو ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين

﴿ الأمر الثالث من الكفارات العتق ﴾

فيجب اعتاق رقبة مؤمنة واجزأت الكافرة عند أبى حنيفة . هذه هى الثلاثة التى يخير بينها الحالف والنوع الرابع الصوم (فمن لم يجد) الكفارة (فصيام ثلاثة أيام) أى فاذا عجز من لزمته الكفارة فى اليمين عن الاطعام والكسوة والعتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام ومتى كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل مايطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام

وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام ان لم يكن عنده من المال ماتجب فيه الزكاة . وقال الحسن اذا لم يجد

درهمين صام . وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم

والتتابع فى الصوم إنما واجب عند ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وأبى حنيفة وأحمد وأحد قولى الشافعى واما لا يجب والتتابع أفضل عند الحسن ومالك والقول الثانى للشافعى (ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا أيمانكم) بأن تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر أو بأن تبروا فيها ما استطعتم (كذلك) أى مثل ذلكم البيان (يبين الله لكم آياته) أعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمة التعليم (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب) الأصنام التى نصبت للعبادة (والأزلام) تقدمت فى أول السورة (رجس) قذر تعاف عنه العقول (من عمل الشيطان) لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) أى الرجس (لعلكم تفلحون) لكى تفلحوا بالاجتناب (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وغيرهما وخصهما بالذكر لعظم قدرهما (فهل أنتم منتهون) هذا أبلغ حث على الانتهاء جاء بصيغة الاستفهام وهى أبلغ فى الأمر

واعلم أن الكلام على الخمر والميسر قد تقدم بأوسع بيان فى سورة البقرة فارجع اليه ان شئت (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما أمرا به (واحذروا) مانهيا عنه (فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) واذا كان عليه البلاغ فقد أداه فاذن أنتم أضررتم بأنفسكم

﴿ فصل فى المطعومات ﴾

(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مما لم يحرم عليهم (اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) فى أنفسهم (ثم اتقوا وآمنوا) بينهم وبين الناس (ثم اتقوا وأحسنوا) بينهم وبين الله (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشئ . ولما كان عام الحديبية ابتلى الله المؤمنين بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون فنزل (ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب) فالذى تناله أيديهم كالفرخ والبيض ومالا يقدر أن يفر من صغار الصيد والذى تناله الرماح كبار الصيد كحمر الوحش . وذلك الابتلاء كما ابتلى أصحاب السبت بصيد السمك فيه ولكن عصم الله المسلمين فلم يصطادوا (فمن اعتدى بعد ذلك) فصاد فى حالة الاحرام بعد النهى (فله عذاب أليم) فى الدنيا فيوجع ظهره وبطنه عند ابن عباس وهذا قول أكثر المفسرين وأما قوله (ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) الى قوله (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) فقد تقدم تفسيره فى مقدمة السورة قال تعالى (جعل الله الكعبة) أى صيرها وسمى البيت كعبة لتكعبه وقوله (البيت الحرام) عطف مبين للكعبة وفيه المدح (قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا الخ) ومعنى كون الكعبة قياما للناس انها انتعاش لهم اى أنها سبب انتعاشهم فى أمر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح التجار عنده ويتوجه اليه الحجاج والعمار والشهر الحرام فى هذا المقام ذو الحجة لأن الحج يؤدى فيه والمراد بالهدى مايهدى الى الحرم من الأنعام والقلائد أى النعم التى تهدى وتقلد بنحو النعال أو لحاء الشجر أو غيرها وهى من عطف الخاص على العام ﴿ومحصل القول﴾ أن الله عز وجل يمن علينا معاشر المسلمين . يقول انى جعلت لكم بيتا تأتون اليه من كل فج عميق تحجون وتأمنون فيه على أنفسكم وفيه تؤدون المناسك وتهدون النعم المقلدة بالقلائد وغير المقلدة وكما جعلت لكم البيت حرما وملجأ ومأمنا حرمت الشهر وأمرت بالكف عن القتال فيه ولو على سبيل الندب بعد النسخ

من نظر الى حال المسلمين اليوم فى الهند والصين وبلاد جاوه والملايو والروسيا والحجازيين والنجديين وأهل البربر والسودانيين علم أن الكعبة حصن لهم وملجأ . مكان يتعارف فيه المتناكرون ويجتمع فيه المتفرقون ومن اطلع على أحوال الحجاج فى تأدية المناسك كالطواف والوقوف بعرفة وغيرها ورأى كيف يلقح

المصرى فكر الهندى والمكى عقل الجاوى والمليزى والصينى واليابانى عرف كيف أصبح المسلمون فى أقطار الارض على نمط متقارب ومبدأ يكاد يكون واحدا • فالكعبة والحج سر مكنون والكعبة شمس تشرق أنوارها على المسلمين • فكم بزغت من تحت أستارها الأنوار • واستضاء باشراقها كوكب سيار • واستنار بنورها بدر التمام

فان بزغ فى الهند كوكب طلع نوره فى مكة المكرمة ومنها يشع على المسلمين بما ينقل الحجاج عن الحجاج ويذكر الصادرون أخبار الوراد • ومن الآثار المشهودة والنفحات المحمودة والعجائب المعدودة ما آنسته فى احدى السنين إذ لقيتنى عالم صالح فاضل من علماء مكة صانها الله وحرسها • ولقد كنا تعارفنا قبل اللقاء بما كان يأتى الينا من الأنباء من الحجاج الواردين والشيوخ الصالحين فلما التقينا تعارفت الأشباح كما تعانقت من قبل ذلك الأرواح وتناجت النفوس وأخبرنى أن ذلك التعارف القلبى بسبب ماقرأه فى نظام العالم والأمم من الآراء العلمية الموافقة للشريعة الاسلامية الغراء وباحثى حفظه الله فى عجائب الماء وكيف يحلل الى الاكسوجين والاودروجين ورأيته مسرورا بذلك فرحا وقد قال لاسعادة للاسلام الا بتطبيق العلوم الطبيعية على الآيات القرآنية فحمدت الله عز وجل إذ جمع بين القلوب واطلع على كل أرض من بلاد الاسلام كوكبا يضىء وبدرا مشرقا • ولقد قابلت مثله من أكثر الأقطار وهم جميعا متحدو الأفكار وان تناءت الديار

أليس ذلك من آثار البيت الحرام فلولا تعارف الحجاج عند تأدية المناسك ماعرفت ذلك العالم ولا عرفنى

ومن ذا الذى كان يخبرنى خبره ويعرفنى قدره • ذلك من آيات الله ولقد كنت كتبت نحو ذلك فى كتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ منذ أربع سنين وقد قرأه العالم الاسلامى وانتشر والحمد لله ولكنى ما كنت أعلم أن ذلك الاجتماع يحصل فى أيام حياتى فها أنا ذا أقول لك أيها الذكى لقد تجلى الحق وسطع وظهرت آيات الله الكبرى فقد اجتمع المسلمون فى هذه السنة فى مكة المشرفة أيام عيد الأضحى أى أثناء طبع هذا التفسير وشكلت لجنة مؤلفة من علماء الهند وتركيا والأفغان والشام وفلسطين ومصر والسودان المصرى وغير المصرى و بلاد الروسيا وجاوه وجميع العالم الاسلامى سنة ١٣٤٤ هـ وهذا أول مجلس اسلامى اجتمع فيه المسلمون من سائر الأقطار يتشاورون فى أحوال المسلمين وجزيرة العرب وذلك بدعوة من الأمير ابن السعود • ومن هنا تستدل على أن هذا التفسير لوحظ عظم لأنه ينشر أيام النهضة وانقلاب الأحوال الاسلامية من الانحطاط الى السؤدد والرقى والسعادة والحمد لله رب العالمين • وهذا من السر المكنون الذى تضمنه قوله تعالى — جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس الخ —

أليس هذا من العجب • ومن ذا الذى كان يعلم هذه الاسرار قبل ظهورها إلا مبدعها وخالقها فلذلك قال بعدها (ألم تعلم أن الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض وأن الله بكل شئ عليم) ولطالما كنت أقرأ القرآن متفكرا فى المعنى أيام الشباب فاذا وصلت هذه الآية تعجبت من قوله — ألم تعلم أن الله يعلم مافى السموات الخ — وأقول فى نفسى هل كون الكعبة محل نسك وحج وعبادة يحتاج الى هذه العناية أو تعوزه هذه الرعاية • وما المناسبة لذكر علمه مافى السموات والأرض لذكر الكعبة وجعلها انتعاشا للناس فى أمر دينهم ودنياهم فلما أن فهمت ما بنته لك علمت أن القرآن مفعم بالأسرار مملوء بالحكم ولن يفهم الناس منه إلا على مقدار ما أنامهم الله من العلم ولتعلم أن ماذكرناه من آثار الكعبة قطرة من بحر أو ذرة من جبل فانك لو تصفحت مايجرى فى الأمم والممالك من تقلبات السياسة وتقلب القلوب ونشر الأخبار بواسطة الحجاج لقضيت العجب العجاب • ولسوف يرقى المسلمون بالمعارف والعلوم وتكون الكعبة مشرق شمسها ومصب أنهارها • ومن يعش يره

ثم أخذ يرغب فى الطيب من الأشخاص والأعمال والأموال وجيدها وينفر من الخبيث من ذلك كله

فقال

فقال تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) فالفرق بين الأشياء بالجودة والرداءة لا بالكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير (فاتقوا الله يا أولى الألباب) فلا تأخذوا الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل (لعلكم تفلحون) راجين أن تبلغوا الفلاح

﴿ الكلام على قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا الخ - ﴾

اعلم أنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس وصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعه فذكر فيها أمورا عظاما . ثم قال من أحب أن يسألنى عن شئ فليسأل فلا تسألونى عن شئ إلا أخبرتكم به مادمت فى مقامى هذا فأكثر الناس البكاء وأكثر أن يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من أبى فقال أبوك حذافة ثم أكثر أن يقول سلونى فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علىّ الجنة والنار آنفا فى عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم فى الخير والشر * ولقد روى أن أم عبد الله بن حذافة قالت لعبد الله بن حذافة ماسمعت بابن قط أعق منك أأمنت أن تكون أمك قارفت بعض ماتقارف أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو ألحقنى لعبد أسود للحقته * وأيضا قد كان قوم يسألون رسول الله استهزاء فيقول الرجل من أبى ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتى * وأيضا لما نزلت - ولله على الناس حج البيت الخ - قالوا يارسول الله أفى كل عام فسكت فقالوا يارسول الله أكل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت * ومما قال وانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم اذا أمرتكم بشئ فائتوا منه مااستطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه . وأيضا كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أى لا تسألوا عن أشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم فمن سأل عن الحج هل يأمن أن يقول له نعم يجب فى كل سنة فلا يطيقه الناس (عفا الله عنها) أى عما سلف من الأسئلة (والله غفور حليم) لا يعاجل بالعقوبة (قد سألها) الضمير للمسألة التى دل عليها تسألوا (قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) أى بسببها حيث لم يأتمروا بها وقوله (ماجعل الله من بحيرة) الى قوله (وأكثرهم لا يعقلون) تقدم تفسيرها فى مقدمة السورة ثم قال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) لقصور عقولهم (أ) حسبهم ماوجدوا عليه آباءهم (ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) تفسيره ظاهر

﴿ الكلام على قوله - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الخ - ﴾

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم - ولا تضعوها موضعها ولا تدرون ماهى وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح . وزاد أبو داود فيه مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون أن يغيروا ولا يغيرون الا يوشك أن يعمهم الله بعقاب . قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ماقبل منكم فان رد عليكم فعليكم أنفسكم واعلم أن هذا لا يصح إلا اذا كان من أمرناه بالمعروف أقوى منا فان قدرنا على تأديبه بالقوة أدبناه . ثم قال إن القرآن نزل منه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آى وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آى يقع تأويلهن فى آخر الزمان ومنه آى يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ماذكر من الحساب والجنة والنار فمادامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر الى آخر كلامه . ويقصد بذلك أن القول اذا لم ينفع يترك وهذه لا نرضاها فان المسلمين قد اتكلوا على مثل هذه الشبهة من أمثاله

وهو من العظماء. ومثل هذا القول يجب أن لا يأخذ به بل علينا الجهاد باللسان و بالقلم والتحيل فى توصيل الآراء الى الناس كافة . واعلم أن الأمة بهذا كأنها نفس واحدة فاذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فقد نفعنا هذه النفس التى نحن كجزء منها. وقد علمت فيما تقدم عند قوله تعالى — ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا — ان الأمة كلها فضلا عن الناس أجمعين يؤثر فيها جهل فرد واحد منها أو فقهه أو كله . فنقص واحد نقص للمجموع . ويوافق هذا القول ما نقل عن عبد الله بن المبارك قال هذه الآية أوكد آية فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن الله تعالى قال — عليكم أنفسكم — يعنى أهل دينكم بأن يعظ بعضكم بعضا و يرغبه فى الخيرات وينهره عن القبائح والمكروهات . والذى يؤكد ذلك أن معنى قوله — عليكم أنفسكم — أى احفظوا أنفسكم وهذا أمر بأن نحفظ أنفسنا ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

يقول مؤلف الكتاب (التفسير) هذا هو القول الحق واياك أن تلتفت الى قول فى أى مسألة من تفسير القرآن لا توافق الحقائق فما كل من قال أباد وماضل أكثر المسلمين إلا بالاتكال على أقوال بعض المتقدمين . وهذا هو تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) أى لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم ومن الاهتداء أن ينكر المنكر كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكرا واستطاع أن يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه . والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة و تمنون ايمانهم (الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) انتهى المقصد التاسع

(المَقْصِدُ العَاشِرُ)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ * فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ، وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *

قد تقدم تفسير هذا المقصد فى مقدمة السورة

(المَقْصِدُ الحَادِي عَشَرَ)

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ، قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ ، إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ

تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ، فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ، وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

قوله (يوم يجمع الله الرسل) على حذف مضاف والتقدير اسمعوا خبر يوم يجمع الله الرسل (فيقول ماذا أجبتم) أى أى اجابة أجبتم (قالوا لا علم لنا) بما كنت تعلم (إنك أنت علام الغيوب) فتعلم ما نعلم مما أجابونا وأظهروا لنا ومالم نعلم مما أضمروا (إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) بدل من - يوم يجمع - والمقصود انه يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وقوله (إذ) ظرف لنعمتى (أيدتك بروح القدس) قويتك بجبريل عليه السلام أو بالكلام الذى يحيا به الدين أو النفس حياة أبدية ويطهره من الآثام (تكلم الناس فى المهد وكهلا) أى كائنا فى المهد وكهلا أى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على حد سواء فى كمال العقل والتكلم (وإذ علمتك الكتاب) الكتابة وهى الخط (والحكمة) الفهم والاطلاع على أسرار العلوم (والتوراة والانجيل) أى وعلمتك التوراة والانجيل (وإذ تخلق من الطين

كهيئة الطير باذنى فتنفخ) أى تجعل وتصور من الطين كصورة الطير فتنفخ (فيها) أى فى الطير لأنها تكون مؤنثة (فتكون طيرا باذنى وتبرئ الأكمه) أى وتشفى الأكمه وهو الأعمى المطموس البصر والأبرص معلوم (وإذ تخرج الموتى باذنى) من قبورهم أحياء (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) أى واذكر نعمتى عليك اذ كففت بنى اسرائيل الخ (اذ جئتهم بالبينات) بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فقال الذين كفروا منهم) استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا (ان هذا الا سحر مبين * واذ أوحيت الى الحواريين) ألهمتهم وقذفت فى قلوبهم فهو وحى إلهام كما أوحى الى أم موسى عليه السلام (أن آمنوا بى وبرسولى) ان هنا مفسرة (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) تفسيره ظاهر واذكر (اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة) أى هل اذا سألته أن ينزل علينا مائدة . المائدة الخوان الذى عليه الطعام ولا يسمى مائدة ان لم يكن عليه طعام . انما يقال خوان أوطبق وأصلها من ماد يميد اذا تحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام (قال) عيسى للحواريين (اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) أى اتقوا الله ولا تسألوا مالا ينبغى أن يسأل عنه فى الايمان بالأنبياء لأن المحسوسات لا تؤدى الى العقائد وثبوتها كما حصل فى بنى اسرائيل اذ رأوا كثيرا من الآيات وكانوا بها يكفرون . فهذه المائدة لا تفيدكم يقينا والمفيد لليقين انما هو البحث والعلم والتنقيب لأن عالم الحس لا سلطان له على القلوب الا ظاهريا فان كنتم مؤمنين ومصدقين فلا تسألوها واتقوا الله (قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال على كمال قدرة الله (ونعلم أن صدقتنا) فى ادعاء النبوة (ونكون عليها من الشاهدين) حتى اذا استشهدتنا فنشهد عن عيان لا سماع للخبر وفرق بين الخبر والمشاهدة (قال عيسى ابن مريم) لما رأى أنهم لا يقلعون عنه (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) العيد يوم السرور العائد (لأولنا وآخرنا) أى فنتخذ ذلك اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيدا لعظمه ونصلى فيه نحن ومن يجىء من بعدنا * يقال انها نزلت يوم الأحد * وقيل تكون المائدة عيدا يأكل منها أول طائفتنا وآخرها (وآية) عطف على عيدا (منك) صفة لها (وارزقنا) المائدة (وأنت خير الرازقين) أى خير من يرزق لأنه يرزق ويعطى بلا عوض (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة لسؤالكم كما أجيب سؤال من فى السموات ومن فى الأرض ولكن ذلك يكون على مقدار حالهم ومقتضى سؤالهم وان كان ذلك لا يتفق مع مصلحتهم كما أعطى الغنى مالا والجاهل ضياعا وقرى (فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه) أى لا أعذب ذلك العذاب (أحدا من العالمين) لأنى أعذب العلماء أكثر من الجهلاء اذا فرطوا وأنتم على حسب أخلاقكم وفوتكم رأيتم أن المائدة مقنعة لكم دالة على حقيقة النبوة وأنا لا أخلط العالم المشاهد وأخرق نواميسه الا لحكمة فاذا لم تتم الحكمة ولم تؤمنوا فاللوم عليكم وهل يكون العذاب معجلا فى الدنيا أم يؤجل للآخرة احتمالان عند العلماء وهل نزلت المائدة . قال الحسن ومجاهد . كلا لأنهم خافوا فلم تنزل فيكون معنى — انى منزلها عليكم — ان سألتم بعد هذا الانذار والتخويف . وأكثر المفسرين على انها نزلت

ونقل المفسرون انها نزلت سفرة حمراء بين عمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين . اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة . ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ماخلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد . فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة . قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ماسألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله . فقالوا ياروح الله لو أرينا من هذه الآية آية أخرى .

فقال ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية . فقالوا ياروح الله كن أوّل من يأكل منها . فقال أن آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء

ويقال انها بعد أن مكثت أربعين يوما يأكل منها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء وتبقى منصوبة حتى يفيء الفيء فاذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل يوما ويوما لا تنزل فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة تنزل حقا من السماء فأوحى الله الى عيسى انى معذب من كفر على مخالفة ماشرطه عليهم . وهناك كلام كثير فى مسخ أناس يعدّون بالمئات ونحو ذلك وقد كتبت أهم ما جاء فى الروايات

﴿ لطيفة فى تحقيق هذا المقام ﴾

لما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد أهل العلم الذين لهم قدم صدق فى العلوم العصرية . فقال (١) كيف يذكر فى القرآن مثل هذا (٢) ومامثل هذه الحكاية الا كما نقرؤه فى ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ من الذى يخترعه العقل البشرى شارحا للنفس وجالبا للانس ثم بعد هذا كله مافائدة هذا القول لنا معاشر المسلمين وأىّ فائدة لنا فى أن عيسى طلب أن تنزل مائدة من السماء

فقلت ان القرآن ليس فيه شئ من ذلك بل ليس فيه أن المائدة نزلت بدليل اختلاف المفسرين كما رأيت فالقرآن لم يذكر تلك الحكايات ولم يعلمنا ماجاء فيها بل جاء الأمر مطلقا ولم يقيده ولم يبين ما المائدة المطلوب نزولها من السماء فأما كونها كحكاية ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ فليس يضرنا فى شئ لأن القرآن لم يذكر هذه الحكاية . قال هذا حق ولكن القرآن نفسه نزل فيه — ربنا أنزل علينا مائدة من السماء — ونزول المائدة سواء أكانت خبزا أم ملحا أم أخر مايأكله الملوك فذلك لايمنع غرابتها فأما طهى الطعام ونظام الأكل وبهجة المائدة فهذا ليس يفرح به الا الجهلاء ولكننا لانفرق بين هذه الامور فالمائدة هى المائدة فتصريح القرآن بذلك هو الذى يحتاج للبحث

وكيف يعقل أن المائدة تنزل من السماء واذا كان ذلك غير ممكن من الطبيعة البشرية فهو غير ممكن من الأنبياء فانى قرأت لك ولغيرك أنه لولا أن الناس يرون رؤيا صادقة أو يسمعون بها ممن حولهم ماصدقوا الأنبياء فبناء على هذا كيف نصدّق شيأ ليس فى قدرتنا الحصول عليه من أنفسنا فكيف يأتى أنبياؤنا بأشياء ليست فى فطرنا حتى تبرز على يد أحد من الناس فنأنس به ونقول انه ممكن فى الفطرة البشرية والأنبياء بامتيازهم نبغوا فيه فصار معجزة لهم . ان كل شئ أحتمله الا هذه المائدة وتعقلها

فقلت له ان الاخبار بالغيب بسبب الرؤيا الصادقة كما قلت فى الفطر الانسانية مع اختلاط الحق بالباطل فيه . هكذا نرى أن فطرنا الانسانية فيها مبدأ ماجاء فى القرآن على لسان المسيح . قال وكيف ذلك

قلت نحن فى هذا المقام نلجأ الى علم آخر . قال وماهو . قلت علم الارواح . قال ان هذا العلم لا أصدّقه . قلت له قل ماتشاء ولكن قولك هذا يشاركك فيه سائر الجهلاء فانى كنت فى البلاد القروية وأما بالجامع الأزهر أسمع من الفلاحين هذا القول ويقولون عن أمور الآخرة والجنة والنار وماأشبهها . هذه أشياء أنتم كبرتموها لأجل وعظنا فهذا الانكار لافرق فيه بين المتعلم والجاهل الآن . والذى يجب أن يكون هناك فرق بحيث يقول العالم أنا لا أصدّق ولا أكذب حتى أقف على الحقيقة . هذا هو العقل والحكمة فأما انكار المتعلمين فانما هو رياء ليظهروا أمام الناس أنهم فلاسفة والانكار الآن هو الباب الأعظم لظهور الناس بمظهر العظماء والحكماء وهم فى أنفسهم ربما صدّقوا بأخس الأشياء وأنفسها . فهذا الفريق من

الناس ضرره عظيم بل يجب عليهم أن يتعلموا . قال أنا معك فى اظهار التوقف لا الانكار . قلت إذن أنت تتوقف فى علم الأرواح . قال نعم . قلت حسن وهل تظن أن أحدا منا يعرف جميع العلوم . قال كلا . قلت أفلسنا كل يوم نسمع كلام الأطباء فى الوباء والذرات الحية التى تفتك بأجسامنا ونحن لم نشاهدها وكذلك فى علم الفلك يقولون هناك نجوم لاتقل عن مائتى مليون ونحن لانقول لهم كذبتم . قال بلى قلت فهاهنا علماء الأرواح الذين ظهروا فى أوروبا وقد قدمت الكلام عنهم فى سورة البقرة فلتقرأ كلامهم وأنا معك اننا لانوقن به ولكنا نطلع عليه حتى نبحث فيه بأنفسنا فيما بعد ويكون ذلك الكلام معرضا للبحث منا لا اننا نقلدهم . قال هذا كلام حسن . قلت اقرأ ما نقلته عنهم فى سورة البقرة فان الجمعية الانجليزية الرسمية الروحانية قررت هذا العلم وانه صحيح وأنا أطلب أن يبحث المسلمون فيه فيما بعد . قال حسن . قلت له انظر مانقلته عنهم فى كتاب الأرواح الذى ألفته وتأمل كيف جاء فيه أن للأرواح سلطة على المادة الأصلية لاتدركونها بعد وبفعل ارادة الروح تستطيع أن تضم العناصر الأصلية بعضها الى بعض وتصوغ منها شكلا على حسب ماتريد وفيه هناك أن الأرواح تقدر أن تصوغ أغذية وفواكه وأدوية وهذه الأدوية قد يبرأ بها العليل وتصيغ أطعمة . وقد ضربت الأرواح مثلا لذلك لما سألوها فقالت ان علم الكيمياء كل يوم يأتى لكم بالعجب العجاب والأرواح آلات غير آلاتكم وهى الارادة منهم وقدرة الله فوقهم وقالوا ان الروح كلما كان أرقى كان أقدر على الصنعة فى المادة وكلما كان أدنى كان أعجز . وهذا ملخص مما نقل عن المعلم (الان كاردك) وروى العلامة (والاسى) الانجليزى أن الآنسة نيشول أحضرت زهورا وفواكه داخل غرفة محكمة الغلق وكنت فى منزلى فبعد أن تناولنا الشاى لأننا كنا فى فصل الشتاء دخلنا حجرة صغيرة مغلقة باحكام وما مكثنا برهة من الزمان حتى لاح على المائدة التى جلسنا حولها كمية وافرة من الزهور منها شقائق النعمان والخزامى والاقحوان الأصفر وغلافها من الزهور الربيعية وكل أوراقها غضة مكللة بالندى الرطب قال فيبسها كلها وحفظتها باعتناء بعد أن علقت عليها شهادة ممضاة من الحضور . ثم قال ومثل هذا الحادث تكرر مرارا فى ظروف مختلفه فى مئات المرات وفى بعض الأوقات يكون مع الزهور ثمار يطلبها الحضور . وفى بعض الجلسات طلب بعض الحضور احضار دوار الشمس ففى زمن قليل انحطت على المائدة هذه الزهرة وعلوها ستة أقدام وجرثومتها مكسوة بكومة من التراب . أنا لا أطيل فى نقل هذا فهو فى كتاب الأرواح الذى ألفته فى ذلك نقلا عن علماء أوروبا

ثم ان (والاسى) هذا قرين داروين الانجليزى صاحب المذهب المشهور وكان معتقدا لمذهبه كما يعتقد علم الأرواح ويرى هذه الزهور والفواكه فى منزله ولو كان فى بلادنا المصرية هيئات علمية منظمة لدونت ماجاء على يد رجل من بلاد الصعيد فقد شاهد مئات من القضاة والمحامين والعلماء والمدبرين ماجاء على يديه من فاكهة وما كل ونقود وغرائب لايعد بجانبها ماذكره الأورو بيون شيأ وقد مات فى أوائل هذا القرن . فقال صاحبى أنا أنظر لهذا نظر من يريد أن يبحث بعد . فقلت له إذن على مقتضى هذا تكون أرواحنا فى قدرتها باذن الله متى طارت من البدن أن تكون فعالة فى المادة قادرة على أفعال فيها على حسب طاقتها باذن الله . قال تمكن . قلت والدليل على اقتراب هذا من الصحة أن النفوس البشرية يسرها جدا الروايات والخرافات التى فيها تنطلق النفس من الحبس وتسيح فى سماء الخيال غير مراعية قانون الأجساد التى حكمت عليها بالحبس فى هذه الأرض فانك تجد العامة والجهلاء الذين هم أقرب الى الفطرة اذا سمعوا الأشياء التى لايكون لها نظير عندهم بل بطريق الخيال والوهم يفرحون بها فرحا ويصدقون بها طربا . ولعمرى كيف يفرح الانسان بما ليس من طبعه وكما لايفرح الانسان بأكل المر والحريف الشديد والحار القوى والبارد الشديد . هكذا لايفرح بما ينافى طبعه فالعامة والجهلاء والأطفال يفرحون بالأحاديث التى لاتسير على النواميس المعروفة فى الأرض لأن أرواحهم مستعدة لذلك بعد خلاصها من هذا الجسد

فاذا جاء المسيح وطلب مائدة من السماء سواء انزلت كما يقوله أكثر المفسرين أم لم تنزل كما قاله أقلهم فنزولها معجزة له ولو نزلت على يد ساحر أو منوّم مغناطيسي لم تعتبر معجزة كما نص عليه العلماء ان خوارق العادات لا تكون معجزات الا اذا قرنت بدعوى النبوّة وكانت حال صاحبها تدل على ذلك . قال اذا سلمت لك ما ذكرته وانا ننظر في أقوال هؤلاء العلماء نظر الباحثين . وهب اننا بحثنا فوجدنا هذه الأشياء لها وجود وأن الأرواح هي كما تقول فما علاقة المسيح بعلم الأرواح . قلت ان المسيح انسان وله روح بل هو الذي أطلق عليه انه مؤيد بروح القدس ولم يقل هذا القول لي ولا لك . قال نعم . قلت فهل هناك مايمنع أن روحه الكبيرة تعطى قوّة أن تفعل فعل الروح التي فارقت الجسد اشدّة علوها وقوّتها وسلطانها على الجسد قال ليس هناك مانع والكلام الآن مقبول

ثم قال اذا صحّ هذا فلم حذر الله من نزول المائدة . قلت نعم انك ان قرأت علم الأرواح تجد فيه انها لما سئلت أجابت أن الله لا يرضى بخلط العالم الروحي بالجسمي وليس يحصل هذا العمل إلا نادرا جدا لأغراض خاصة فان أهل الأرض لابد أن يعيشوا على النمط المعروف لا أنهم يأكلون وهم نائمون بل انهم خلقوا ليجدّوا وينصبوا ويتعبوا ولو أن الطعام أعطى لهم بلا عمل لكان ذلك عليهم وبالا ولضاع المقصود من وجودهم ولماتوا وهم لم يزيدوا ارتقاء ورقيا

قال ولكن أليس ذلك يكون برهانا . قلت البراهين الحسية لا تفيد العقول البشرية إلا قليلا ألا ترى أن بني اسرائيل لما رأوا العصا بلعت الحيات آمنوا ولما رأوا عمل السامري كفروا . قال بلى . قلت وأما سحرة فرعون فانهم لما رأوا أن موسى عليه السلام جاء على يده ماهو فوق طاقتهم آمنوا وصاروا وماتوا صرحى الحقيقة وهم فرحون فهذه المائدة لا تفيد ماديا ولا معنويا . قال وما فائدتها لنا نحن المسلمين . قلت من فوائدها اننا حركنا الهمم لعلوم سوف تدخل في الأمة الاسلامية بعد انتشار هذا التفسير وهي علوم الأرواح ومتى انتشرت يحصل هناك شكوك وأوهام وأكاذيب فيظهر حينئذ حكماء وعلماء يزيدون الناس علما وكلما حصل الأخذ والردّ زاد الناس علما وارتقى النوع الانساني وكان المسلمون أعظم ارتقاء فان الشكوك والأوهام مفاتيح المعارف فأما العقول الخامدة التي لم تحركها الشكوك والمشوّقات فانها أسرع الى الفناء وأقرب الى الهلاك

ومن فوائدها اننا لا نعوّل إلا على المعقولات ولا نجعل علومنا كعلوم العامّة الذين لا يحققون الامور فكأن هذه القصة تحث المسلمين أن يكونوا مفكرين لما علمت في عصا موسى وسحرة فرعون وأن العلم يورث اليقين . فأما هذه المعجزات الظاهرة فانها لا تفيد إلا العامّة والجهلاء وقتا ما . ألم تر الى قول الله تعالى — وما نرسل بالآيات إلا تخويفا — وقوله — أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم — فالمدار في شريعتنا الغرّاء على التعقل والتفكر

وهذه القصة قد وردت هنا للردّ على أولئك الذين ألحفوا في المسألة فقال لهم الله — يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم — فأورد هذه القصة لأنه كان من جملة أسئلتهم انه يأتي لهم بآية فقال لهم هذه لبريهم أن ذلك يصبح امتحانا من الله . قال صاحبي والله لقد أشبعت هذا القول في هذا المقام وأنا واثق أن السير في التفسير على هذا المنوال يكون معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم والا فكيف نرى أن تكون قصة المائدة لحكمة علمية وآية إلهية وفكرة قدسية وعجائب ربانية . فبذلك فليفرح المفكرون وفيه فليتنافس المتنافسون

ثم قال . لقد قال علماء الصوفية ان المائدة ههنا عبارة عن الحقائق والمعارف فانها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن قالوا فلعلهم رغبوا في حقائق لم يستعدّوا للوقوف عليها فقال عيسى عليه السلام أن حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع على الحقائق فلم يقلعوا عن السؤال فسأل لأجل اقترابهم فبين الله تعالى أن الانزال سهل ولكن فيه خطر فان السالك اذا كشف له ماهو فوق مقامه لا يحتمله

ولا يستقر له فيضل ضلالا بعيدا . قلت له هذا مقبول ولا فرق بين عالم الأرواح وعالم الأجسام كلاهما اذا أعطيناه في الدنيا بلا استحقاق كان خطرا علينا وكم من مريد سالك فتح عليه باب من أبواب الكشف فكان ذلك وبالا عليه فألهاه عن الارتقاء ومامثل أهل الكشف إلا كمثل أهل المال كلاهما أعطى قوة فاذا ظن المكشوف له أنه في مأمن من غارات الامتحانات فهو مخدوع مغرور . فانه يمتحن أرباب القوة وأرباب المال وأرباب العلم وأرباب الجمال وأرباب الكشف . وكم عند الله من درجات . وكم من مفتوح عليه أصبح بهذا الفتوح شيطانا رجيما . ففول الصوفية حق ولا فرق بين الحسيات والمعنويات في هذا المقام . فليخبر المكشوف له بالغيب وليقل مايشاء فليس هذا كل شئ وما ذلك إلا من القوى التي أودعها الله فينا وخبأها الى أمد معلوم حتى تظهر بعد حفظها لنا فأما اذا أسرفنا فيها فان ذلك يكون كالاسراف في المال ولنقف بالأدب مع الله والله هو الولي الحميد . انتهى الكلام على مائدة عيسى عليه السلام

إذن فلنرجع الى تفسير آخر السورة . فنقول (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول مالبس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب * ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد * ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم * قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا * رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم * لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير) هذه صورة خطاب الله عز وجل وجواب المسيح عليه السلام له يوم القيامة حين يجمع الرسل ويسألهم عن أممهم فيقولون لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب فيكلون العلم لله عز وجل ولقد قال في الآية السابقة — ماعلى الرسول الا البلاغ والله يعلم ماتبدون وماتكتمون — وقد بين لكم الرسول مناسككم وعباداتكم وأخلاقكم فعليه البلاغ وعلينا الحساب

فيسأل عيسى عليه السلام قائلا — أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله — أي متوصلين بنا الى عبادة الله عز وجل فان مريم والمسيح في العبادة أنقص مرتبة من رتبة الله عز وجل وعبادتهما توصل لعبادته عندهم . هذا معنى ماقاله البيضاوي رحمه الله فأجابه المسيح عليه السلام أحسن اجابة بأربع جمل ﴿الجملة الأولى﴾ دالة على آدابه وأخلاقه الفاضلة وشمائله وسجاياه وهي هل يتسنى لي الكذب أو يليق بي وأنا عبدك ونبيك أن أتطاول لمقامك وأدعي الالوهية وهل يسامي العبد سيده والمربوب الرب والمخلوق الخالق واذا قبح الكذب على الناس فأقبح به على رب الأرباب والعالم بما في الألباب فهذا بعض معنى قوله — ما يكون لي أن أقول مالبس لي بحق — ﴿الجملة الثانية﴾ الاستشهاد بعلمه والاحتجاج باطلاع الرب العليم على مانطق به المسيح فقال — إن كنت قلته فقد علمته — ﴿الجملة الثالثة﴾ تقرير للثانية واثبات لها واعتراف بالقصور في العلم فقال — تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك — وأكدها بالرابعة فقال — انك أنت علام الغيوب — في السموات والأرض ومابينهما . ثم أخذ يشرح ماقاله بأقصر عبارة فقال — ماقلت لهم إلا ما أمرتني به — وهو عبادة الله — ربي وربكم — ثم شرح المراقبة منه وهو حي فقال — وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم — أي رقيبا أمنعهم من ذلك القول أو كنت مشاهدا لأحوالهم من كفر وايمان — فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم — المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته بما تنزل عليه من الآيات وماتنصب له من الدلالات وماتبعث من رسلك بالكتب والآيات — وأنت على كل شئ شهيد — مراقب له مطلع عليه — قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم — فالصادقون في الدنيا في العلم والعبادة يتبين صدقهم يوم القيامة ويجازون عليه — لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم * لله

ملك السموات والأرض ومافيهن وهو على كل شئ قدير ـ هذا ظاهر واضح تأمل هذه المحاورة التى قصها الله عزّوجل مما سيكون فى يوم القيامة بينه و بين سيدنا عيسى عليه السلام وتأمل كيف يقول انى رافبتهم فى الدنيا وأنت إذ توفيتنى . والتوفى أخذ الشئ وافيا فالموت توف والرفع الى السماء توف والمراد هنا الرفع فقط ـ كنت أنت الرقيب عليهم ـ

وارجع ان شئت المزيد الى انجيل برنابا فقد شرح حال النصارى فى حياة المسيح عليه السلام وكيف كانوا يعبدونه . وكيف كان يتبرأ منهم . وكيف رفع الأمر لقيصر الروم ليصدّ الناس عن عبادته . وكيف كان يبكى ويقول مامعناه ﴿ستظلم الأرض بعدى﴾ وكيف استغاث ورفع صوته صارخا وقال ياأخى يامسياه وكيف سأله برنابا من مسيا . وكيف أجابه بقوله محمد حبيبى رسول الله . فمن أراد استيفاء هذه المعانى كلها فليقرأ انجيل برنابا المذكور الذى كان سرّا مكتوما عند بابا رومة ببلاد ايطاليا من أيام سيدنا المسيح الى أن أظهره عظيم من عظماء الانجليز وأسلم وأسلم كثير من الناس معه . ويا حسرة على المسلمين الغافلين فان هذا الانجيل لم ينتشر بيننا إلا قريبا وقد طبع فى (مجلة المنار) فليعلم المسلمون هذا الانجيل وليقرؤه وليعلموا غرائب القرآن و بدائعه . ولن يفهمك هذه الآية حق فهمها إلا الاطلاع على ذلك الانجيل فانه أقرب الى التنزيل وقد تقدّم فى سورتى البقرة وآل عمران من هذا الانجيل مقتطفات شتى

﴿ لطائف ـ اللطيفة الأولى ﴾

اعلم أن الله عزّوجل فى هذا المقام برّأ المسيح عليه السلام من كل ما ألصقه به النصارى من الألوهية . ذلك أنهم لما رأوا صفات عالية وأخلاقا سامية وشمائل غالية قدّسوه تقديسا وعظموه ورفعوه الى مقام الالوهية ذلك لما فى طباع البشر من الضعف وقصور النظر . ومامثلهم فى ذلك إلا كمثل من يعشق رسول حبيبه جهالة وغباوة . هكذا ترى الناس فى الاسلام وفى الديانات الأخرى اذا شاهدوا ذا صفات حميدة جميلة دينية أغرموا به ولسوا دينهم الذى ماأحبوا هذا الصالح الا لأجله . ذلك الجهل مشاهد فى أمتنا الاسلامية . ترى كثيرا من تلاميذ رجال الطرق يجعلون شيوخهم فوق كل شئ و يجعلون الحب خالصا لهم مع ان الحبّ يجب أن يكون لله عزّوجل خاصة . واذا تغنى أولئك الجهلة بكرامات أولئك الشيوخ فهم لايصلون فى كراماتهم الى مقام المسيح الذى خلق الله على يديه طيرا من الطين ونفخ فيه وكان طيرا باذن الله . فاذا كان المسيح عليه السلام مع هذه المزايا يقول ـ ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به الخ ـ و يتبرأ مما نسبوه اليه فكيف يكون هؤلاء الشيوخ . ان الله عزّوجل ذكر هنا أنه أكرم المسيح بمزايا منها خلق الطير . ثم أتبع ذلك كما سأوضحه فى أوّل سورة الأنعام ان شاء الله بأنه خلقنا معاشر بنى آدم من طين كأنه يقول لكلتك أمّك أيها الانسان أتفرم بالمسيح لأنى خلقت الطير على يديه ولاتفرم بى أنا وأباخلفتك أنت من الطين فاذن أنا خلقت من الطين من هو أفضل من الطير وهو أنت فكيف تنسانى وتذكره أو تعبده . هكذا أيها المسلم الجاهل كيف تنسانى بشيخك ولو كان وليا وهو لم يعط ما أعطى المسيح . وكيف تكون أقصر نظرا من النصارى جاوزوا الحدّ فى حبّ المسيح وأنت أيها المسلم ربما نسيت نبيك وربك بشيخك . اقرأ مافى السموات ومافى الأرض فذلك هو المطلوب منك تلك آثارى ومن أحبّ أحدا درس آثاره ونطق بأخباره فما معجزات الأنبياء ولا كرامات الأولياء فى جانب مخلوقاتى وبدائع سمواتى وغرائب حكمتى إلا كما يأخذه منقار الطائر اذا شرب من البحر . إن العامّة من المسلمين ومن المسيحيين لغفلتهم لايرفعون نظرهم الى عجائب ربهم التى أشار اليها هنا فى آخر السورة فقال ـ لله ملك السموات والأرض ومافيهن وهو على كل شئ قدير ـ وابتدأ سورة الأنعام بذكر أن ـ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ـ إذن فما خلق الطير على يدى المسيح وما كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء . أيها الناس لايصدنكم أفضل المخلوقات عن النظر فى عجائب

خالقكم القدير

هذا ويناسب هذا المقام ماجاء فى انجيل برنابا (من صفحة ١٧٨ وما بعدها)

﴿ قال المسيح عليه السلام . حكاية ايليا (الياس) ﴾

حدث فى زمن النبى ايليا أن ايليا رأى رجلا ضريرا حسن السيرة يبكى فسأله قائلا لماذا تبكى أيها الأخ أجاب الضرير أبكى لأنى لا أقدر أن أبصر ايلياء النبى قدوس الله . فوبخه ايلياء قائلا كف عن البكاء أيها الرجل لأنك ببكائك تخطئ . أجاب الضرير ألا فقل لى أرؤية نبى الله الذى يقيم الموتى وينزل نارا من السماء خطيئة أجاب ايليا انك لا تقول الصدق لأن ايليا لا يقدر أن يأتى شيأ مما قلت على الاطلاق فانه رجل نظيرك لأن أهل العالم بأسرهم لا يقدرون أن يخلقوا ذبابة واحدة . فقال الضرير انك تقول هذا أيها الرجل لأنه لابد أن يكون قد وبخك ايليا على بعض خطاياك فلذلك تكرهه . أجاب ايليا عسى أن تكون فد نطقت بالحق لأنى لو أبغضت ايليا أيها الأخ لأحببت الله وكلما زدت بغضا لايليا زدت حبا فى الله . فاغتاظ الضرير لذلك غيظا شديدا وقال لعمر الله انك لعاجز يمكن لأحد أن يحب الله وهو يكره نبى الله انصرف من هنا لأنى لست بمصغ اليك فيما بعد . أجاب ايليا أيها الأخ انك لترى الآن بعقلك شدة شر البصر الجسدى لأنك تمقت بصرا لتبصر ايليا وأنت تبغض ايليا بنفسك فأجاب الضرير ألا فاعرف لأنك أنت الشيطان الذى يريد أن يجعلنى أخطئ الى قدوس الله . فتنهد حينئذ ايليا وقال بدموع انك لقد قلت الصدق أيها الأخ لأن جسدى لذى تود أن تراه يفصلنى عن الله . فقال الضرير انى لا أود أن أراك بل لو كان لى عينان لأغمضتهما لكى لا أراك . حينئذ قال ايليا اعلم أيها الأخ انى أنا ايليا . أجاب الضرير انك لا تقول الصدق . حينئذ قال تلاميذ ايليا أيها لأخ انه ايليا نبى الله بعينه . فقال الضرير اذا كان النبى فليقل لى من أى ذرية أنا وكيف صرت ضريرا . أجاب ايليا انك من سبط لاوى ولأنك نظرت وأنت داخل هيكل الله الى امرأة بشهوة على مقربة من المقدس أزال إلهنا بصرك . فقال حينئذ الضرير باكيا اغفر لى يا نبى الله الطاهر لأنى قد أخطأت اليك فى الكلام وانى لو أبصرتك لما كنت أخطأت فأجاب ايليا ليغفر لك إلهنا أيها الأخ لأنى أعلم انك فيما يخصنى قد قلت الصدق لأنى كلما ازددت بغضا لنفسى ازددت محبة لله ولو رأيتنى لحدت رغبتك التى ليست مرضية لله لأن ايليا ليس هو خالقك بل الله . ثم قال ايليا باكيا انى أنا الشيطان فيما يختص بك لأنى أحولك عن خالقك فابك إذن أيها الأخ اذ لم يكن لك نور يريك الحق من الباطل لأنه لو كان لك ذلك لما احتقرت تعليمى لذلك أقول لك ان كثيرين يتمنون أن يرونى ويأتون من بعيد ليرونى وهم محتقرون كلامى . لذلك كان خيرا لهم خلاصهم أن لا يكون لهم عيون لأن كل من يجدلذة فى فى المخلوق أيا كان ولا يطلب أن يجدلذة فى الله فقد صنع صنما فى قلبه وترك الله . ثم قال يسوع متنهدا أفهمتم كل ماقاله ايليا . أجاب التلاميذ حقا لقد فهمنا وانا لحيارى من لعلم بأنه لا يوجد على الأرض إلا قليلون من الذين لا يعبدون الأصنام . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

بينما أنا أكتب هذا اذ دخل على صديق لى فاطلع على هذا التفسير فقال

(س) أيها الأخ نزل القرآن لوعظنا وارشادنا وهدايتنا الى الصراط المستقيم فما الفائدة الواضحة فى هذه الآيات القرآنية

(ج) ﴿ الفائدة الأولى ﴾ ان الله سيجمع الرسل ويسألهم قائلا بماذا أجبتم توبيخا لأممهم وتقريعا لتابعيهم فيتبرأ الأنبياء مما أحدثت أممهم بعدهم ويردون العلم اليه جل جلاله ﴿ الفائدة الثانية ﴾ ماحكاه الله من سؤال المسيح عليه السلام وانه لا يكذب على الله وأن الله أعلم بهم وانه كان برافبهم فى حياته فلما رفع الى السماء تخلى عن ذلك ولا علم له بهم الخ ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ ان الأنبياء لا يسألون عما أحدثت الأمم بعدهم

والأمم معاقبة على ظلمها مؤاخذة بجهلها

(س) هذه قواعد عامّة فعلم الله بالأشياء وتوبيخ الأمم عما أحدثت وتنصل الأنبياء من ذلك أمور عامّة وأنا أريد عظة للأمّة الاسلامية بحيث يفقهها الفقهاء والفلاحون وسائر الطبقات

(ج) اعلم أن الله عزّ وجل وسعت حكمته وعلمه الدنيا والآخرة ولقد علم جلّ جلاله وعزّ كماله أنّ المسلمين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم سيغير سفهاؤهم من شريعتهم — ويحرّفون الكلم عن مواضعه — فقصّ القصص الذى سمعته عن النصارى ونبيهم ليتعظ المسلمون بذلك وليستيقظوا وليعلموا أن الذنب واقع عليهم والجرم محيط بهم والاثم غلّ فى أعناقهم اذا غيروا الشريعة وبدّلوا تلك الحنيفية البيضاء والسنة السمحة الغرّاء

(س) هذا ما كنت أبتغيه وأترجاه فقل لى ماذا فعل المسلمون قديما وحديثا وبماذا عذّبهم الله عز وجل وما الدواء لهذا الداء

(ج) اعلم أن أمّتنا الاسلامية قد حدث فيها مثل ما كان فى دين اليهود والنصارى من الفرق سواء بسواء كما روى عن وهب بن بقية عن خالد بن عبدالله عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرّقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمّتى على ثلاث وسبعين فرقة . وان كان فى الحديث مقال

(س) وهل علم ذلك العلماء

(ج) نعم ذكر هذه الفرق الاسلامية الاستاذ أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادى رضى الله عنه

(س) هل تتذكر بعض هذه الفرق حتى أستدل بها على باقيها وهل تذكر لى أثرا سيئا فى الأمّة الآن مما اختلقه أهل الضلال وافتراه أهل العصيان فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل

(ج) أذكر منهم قوما يقال لهم السبئية

(س) ما أخبارهم وبماذا خرجوا عن الاسلام

(ج) السبئية أتباع عبدالله بن سبا الذى غلا فى سيدنا علىّ كرّم الله وجهه وزعم انه كان نبيا ثم غلا فى ذلك وزعم انه إله وتبعه قوم من جهلة الكوفة . فلما رفع خبرهم اليه كرم الله وجهه أمر باحراقهم وقال مثل هذا القول رجل يهودى اسمه عبد الله بن السوداء أراد أن يفسد على المسلمين دينهم فقال انه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصيا وأن عليا وصى محمد صلى الله عليه وسلم وانه خير الأوصياء كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء فلما سمع منه ذلك شيعة على قالوا له كرم الله وجهه انه من محبيك فرفع قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه انه غلا فيه وعدّه إلها فهم بقتله لولا مخافة أن يشمت أهل الشام فلما قتل سيدنا على كرم الله وجهه تغالى ابن السوداء فى هذه الدعوة وقال للناس والله لينبعنّ لعلى فى مسجد الكوفة عينان تفيض احداهما عسلا والأخرى سمنا ويغترف منهما شيعته ولم يرد بذلك ابن السوداء الا تضليل المسلمين ليقولوا فى سيدنا علىّ ماقالت النصارى فى المسيح فنشأت الفرقة المسماة (السبئية) من الرافضة . ولما قتل سيدنا علىّ قال ابن سبا ان المقتول لم يكن عليا وانما كان شيطانا تصوّر للناس فى صورة علىّ وأن عليا صعد الى السماء كما صعد اليها عيسى ابن مريم قال وكما أن اليهود والنصارى رأوا شخصا مصلوبا يشبه عيسى وليس عيسى هكذا كذبت الناس فى قولهم قتل علىّ وماقتل علىّ وانما شبه لهم ولقد زعم بعضهم انه كرّم الله وجهه فى السحاب وأن الرعد صوته ومن سمع صوت الرعد من هؤلاء قالوا عليك السلام يا أمير المؤمنين وقد زعموا انه هو المهدىّ المنتظر ينزل فى آخر الزمان من السماء ويملك الأرض بخلافيرها

(س) إذن هذه الفرقة أشبهت النصارى والنبى صلى الله عليه وسلم برىء منهم ولكل امرئ منهم يوم

القيامة شأن يغنيه فهل تذكر فرقة أخرى . قلت نعم

(ج) ﴿البيانيه﴾ أتباع بيان بن سمعان التميمى زعموا أن الامامة صارت من محمد بن الحنفية الى ابنه أبى هاشم عبد الله بن محمد ثم صارت من أبى هاشم الى بيان بن سمعان بوصيته اليه حتى ادعى هو أنه المذكور فى القرآن فى قوله ـ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ـ فقال أنا البيان وأنا الهدى والموعظة وزعم هذا الفاجر انه يعرف اسم الله الأعظم . فلما وقع فى أسر خالد بن عبد الله فى زمان ولايته بالعراق قال له خالد ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذى تعرفه فاهزم به أعوانى عنك ثم قتله وصلبه . فهذه الفرقة كافرة والنبى صلى الله عليه وسلم برىء منها

(س) زدنا من هذا . فقلت

(ج) وهناك فرقة تسمى (الزيدية) يقولون بامامة زيد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى وقته وامامة يحيى بن زيد بعد زيد . وكان زيد بن على قد بايعه على امامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة وخرج بهم على والى العراق وهو يوسف بن عمر الثقفى عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين فلما التقى الصفان واختلف القنا وكاد يحتدم وطيس الهيجاء بينه و بين يوسف بن عمر الثقفى قالوا له انا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك فى أبى بكر وعمر اللذين ظلما جدك على بن أبى طالب فقال سيدنا زيد رضى الله عنه ورفع درجته فى أعلى عليين ﴿ انى لاأقول فيهما الا خيرا وماسمعت أبى يقول فيهما إلا خيرا وانى خرجت على بنى أمية الذين قاتلوا جدى الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم رفضتمونى ﴾ ومن يومئذ سموا رافضة ولم يثبت معه الا مائتا رجل ثبتوا حتى قتلوا عن آخرهم وقتل زيد رضى الله عنه ثم صلب وهكذا قتل ابنه يحيى بجهة جوزجان حين خرج على نصر بن بشار والى خراسان . فانظر كيف غرّ هؤلاء القوم ذلك السيد العظيم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموه لعدوه وانتحلوا قولا ما أنزل الله به من سلطان وكيف اختلقوا الأسباب وجعلوا ذم العمرين أجرا لنصره . أفلا يبرأ رسول الله من أولئك الجاهلين ويكل أمرهم الى الله يوم الدين ـ يوم لاينفع مال ولابنون الا من أتى الله بقلب سليم ـ

(س) لقد أطلت فى سؤالك وانى خفت أن أكون أثقلت كاهلك وحملتك فوق طاقتك ولكن المقام يحتاج لشرح فزدنى من هذه الأخبار فما أشبه هؤلاء بالكفار

(ج) ليس يحضرنى من الفرق الضالة الآن الا فرقة اسمها (الكيسانية) وامامهم المختار بن أبى عبيد الثقفى دعا الناس الى امامة محمد بن الحنفية واستولى على عرش الكوفة وقد قتل من رجال الكوفة كل من قاتلوا سيدنا الحسين رضى الله عنه . ومن العجب أن هذا الرجل يدعو الناس لامامة محمد بن الحنفية و يملك الكوفة والجزيرة و بلاد أرمينية . ثم يضله قومه و يغره شياطين الانس فيقولون له أنت حجة هذا الزمان فيدعى النبوة و يزعم انه يوحى اليه وصار يسجع كما تسجع الكهان ومن خطبه مايأتى

الحمد لله الذى جعلنى بصيرا ونور قلبى تنويرا والله لأحرقن بالمصر دورا ولأنبشن بها قبورا ولأشفين منها صدورا الخ ألا تتعجب كيف كانت هذه المصائب منصبة على أمتنا الاسلامية وكيف يضل هذا الكافر الناس ولايخاف الله رب العالمين

ولما أن سمع محمد بن الحنفية بهذا خاف من جهة الفتنة فى الدين فأراد القدوم اليه بالعراق ليصير الى الدين اعتقدوا امامته التى دعا لها المختار . فلما سمع المختار ذلك خاف من قدومه العراق وذهاب رئاسته وولايته فقال لجنده أنا على بيعة المهدى ولكن للمهدى علامة وهو أن يضرب بالسيف ضربة فان لم يقطع السيف جلده فهو المهدى وانتهى قوله هذا الى ابن الحنفية فأقام بمكة خوفا من أن يقتله المختار بالكوفة

أليس أمثال هذا أحق ببراءة الرسول ومثلهم فى الاسلام كمثل الذين ذكرهم الله فى سورة المائدة من الفرق الضالة

(س) لعله آن الأوان أن تطلعنى على آثار تلك الضلالات اليوم

(ج) ان المسلمين اليوم تفرّقوا فرقا وذاق بعضهم بأس بعض بالبدع المنكرة التى قذفت فى قلوبهم والأقاويل التى خيمت بظلامها على عقولهم و باضت طيورها فى أعشاش أدمغتهم وأخرجت فراخ الجهل المخجل . ألا ترى كيف فعل المهدى بالسودان وتبعه الخليفة التعايشى وكيف أفتى بحل نساء المصريين و بناتهم الى أوغادهم بلاعقد يعقدونه ولا كتاب ولاسنة مدّعيا أن من لم يؤمن ببيعته فهو من الكفرة الفجار والجهلة الأشرار . ولئن سألته بماذا استحللت الحرام واستعبدت الأنام وفعلت الآثام قال لك ذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل والخضر الجليل . أوليس المهدى السودانى أشبه بالمختار بن عبيد فى دعوته بل المهدى توغل فى الضلالة فدعا لنفسه وافترى اثما على ربه والتعايشى الجهول كان وارث دعوته والقائم بملكه حتى طاحت البلاد ونعب بها الغراب وذهبت الآمال وضاعت الأموال وقطعت الرؤس وزهقت النفوس واستحال الدرهم والدينار الى فلوس وكان ما كان من استئصال القبائل وصار الرجال هناك قلائل فلاحول ولاقوّة الا بالله

لولا البدع المنكرة ماتنا كر الفارسى والتركى ولا تقاطع المراكشى والأفغانى ولاتدابر العربى والتركى

لقد قال العلامة (دوارد براون) الانجليزى لقد قدّمت تقريرا ضافيا عن حال المسلمين من فرس وترك وشيعة وسنيين أيتحدون أم يبقون مختلفين فكتبت ألا طمع فى اجتماعهم ولامحيص من تفرّقهم إذ يقولون سنيون وشيعيون ولله فى خلقه شؤون

هذا ولقد قرأت بعض ماكتبه السياحون الفرنسيون بمراكش وكيف يملكون البلاد بلاضرب ولاجلاد فاتفقت كلمتهم وأجمع رأيهم على أن المسلمين لايخضعهم إلا استمالة شيوخ الصوفية وارضاء أمرائهم . فتى أخذ شيوخهم باللين والشدّة والوعد والوعيد وأغدقت عليهم النعم كما يهدّدون بالنقم لانت شرتهم وأمكن أن تسام الأمّة الخسف فانهم فى لجة الجهل غارقون وفى عذاب جهنم الضلال تائهون فكان ما كان من توالى الآلام على بلاد الاسلام فلولا الجهالة ماهلك المسلمون و بالغنا أن الكتانى هناك من كبار الصالحين آذاه الفرنسيون كثيرا لأنه يحافظ على بلاده

(س) دع ذكر الأمم والممالك واذكر حكاية صغيرة يعرفها الفلاحون و يفهمها المزارعون الذين يعقلون

(ج) نعم ﴿الأولى﴾ قابلنى من ٢٠ سنة مزارع صغير من قريتنا (كفرعوض الله حجازى) . فقال ماذا ترى فى أمرنا . فقلت ماذا . فقال امرأتى فى حاجة الى ثوب تلبسه ولست أملك الا عنزا تساوى ٤٠ قرشا وقد قام الناس الى مولد سيدى أبى مسلم الكبير فان أرضيت أبا مسلم أعريت زوجتى وان كسوتها أغضبت أبامسلم رضى الله عنه . فقلت أأنا أكرم أم أبومسلم . قال أبومسلم . قلت فاذا تصدّقت علىّ الآن فهل ترانى أقبل منك . قال كلا . قلت إذن أبومسلم وهو أكرم منى غنى عن صدقتك وتفكر فى الأمر من وجه آخر . اذا كان أبومسلم حيا وألقيت له هذه المسألة أفتراه مع غناه وفقرك يقبل عطاءك أم يعطيك قال بل يعطينى . قلت فهل أبومسلم الكريم بعد أن لقى مولاه وتنعم بالحور والولدان وحظى بلقاء النبى صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه تنزلت درجته وترك الله وجماله والحور والولدان والنبى والاخوان ثم بحث عن الفلاحين المساكين الذين لايجدون ماينفقون . فقال هذا كلام حقّ ولكن أخاف أن يقتل أولادى ويخرب دارى ولكن (من قلد عالما لقى الله سالما) وقد وضعتها فى رقبتك وسأكسو زوجتى ان شاء الله بثمن العنز . فقلت إذن اهتديت فان سوّلت لك نفسك الخوف وقذف الشيطان فى قلبك الرّعب فقل لأبى مسلم ان فلانا هو الذى أغرانى وكسوت زوجتى بثمن عنزى

﴿المسألة الثانية﴾ قال لى عمى الشيخ محمد شلبى رحمه الله تعالى هل لك أن أريك عجيبة . قلت نعم قال باجوده

قال نعم قال له احلف انك ماسرقت من حديقتنا العنب . قال له بماذا أحلف . قال بالله خاف . فقال احلف بأبي مسلم . قال لا . فقال لماذا . فقال ان الله واسع رحيم وأبو مسلم ضيق الصدر فأخاف أن يبطش بي ويقتل أولادي

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قابلني هذا العام أحد أهل العلم بقريتنا . فقال أقصّ عليك قصتي مع زوجي . فقلت نعم . قال زرت أنا وهي أمس ضريح السيدة نفيسه رضي الله عنها فطلبت مني ريالا كنت نذرته فأبيت أن أعطيها ولجت في طلبها ولججت في منعي فلما أن خيم الظلام وضرب النوم الخيام وأخذ الكرى بمعاقد الأجفان جاءتني السيدة رضي الله عنها وارضاها وأخذت تعدو ورائي عدوا حثيثا وتقول أيها الملعون كيف تظن أني لا بركة في - فلا تدفع الريال الي ووالله لأعذبنك حتى تصدق بكرامتي وتخضع لسطوتي قال وما زالت تطاردني حتى انفلق عمود الصباح وقال المنادي حي على الفلاح . قال هذا وكان أربعة رجال حاضرين من متعلمي قريتنا والأميين . فقلت يافلان أيهما أقرب الى دار الكرامة وأبعد عن دار اللؤم والقبح ومن الذي صار أقرب معرفة بربه وأبعد عن مفارقة ذنبه أنحن الأحياء أم أولئك الذين صاروا في جوار مولاهم . فقال بل أولئك الذين في جوار مولاهم . فقلت إذن السيدة رضي الله عنها صارت عارفة بربها الآن أكثر من الأحياء . قال نعم . قلت لو أن رجلا جاءني وأبلغني أن رجلا عظيما أخذ يذمني ويضرب بكلامي عرض الحائط ويقول أنا لا أعبأ بآرائه ولا أصدق مايقول . لو أني بلغت هذا لكبرت نفسي أن تهتم بمقاله أو تعير أذنا لكلامه وأنا أمامك على ماترى في الدنيا دار اللؤم والجهل فكيف بمن شرف قدرها وعظم سرّها وعلا نسبها وقربت من ربها فهل تتنزّل عن مقامها الرفيع في جنة الفردوس مع الذين أنعم الله عليهم وتجري وراءك تقول صدق بكرامتي ومن أنت حتى تبحث عنك سيدة أكثر المؤمنات

وكيف يظن الفلاح المسكين أن السيد البدوي رضي الله عنه والرفاعي والدسوقي يتنزلون من سماء عظمتهم ويهرولون وراءه في الغيطان ليلتقطوا منهم دراهم أوليفرحوا بالتفافهم حول أضرحتهم في الموالد المعروفة

فلما سمع الحاضرون مقالي أمّنوا عليه وقالوا والله إنا لفي ضلال مبين وكيف يتجاوز ساداتنا الأولياء أغنياء التجار والعظماء وناظر النظار والوزراء والمأمورين وأصحاب القصور الشاهقة - والخيل المسوّمة والأنعام والحرث - ثم يجرون وراء من لا يملك قوت يومه وليس عنده من نقير ولا قطمير

(س) إذن النبي صلى الله عليه وسلم سيتبرأ من هذه الأعمال يوم القيامة ويقول - لا علم لنا انك أنت علام الغيوب - وهو بريء من كل ماسطرته يد الجهل في أدمغة الجاهلين الذين يقولون ان الأولياء يغضب بعضهم من بعض ويكره بعضهم بعضا ويقلدهم الناس في ذلك وهم برآء مما يتقوّله الجاهلون . وعلى ذلك ضلّ الناس في مسألة الزار إذ يقولون ان الشيوخ حضروا أوغابوا كما ضلوا بأفعال الغارية الدجالين والجهلة النصابين

(ج) اللهم انا نبرأ اليك من الكتمان ونقول نحن نصحنا للأمّة وكلنا الخاصة كما أوضحنا للعامّة فمن عقل فاز ومن جهل فانه من حزب الشيطان - ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون -

(س) فما الدواء لهذا الداء وماذا يصنع المسلمون

(ج) الرجوع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

(س) هذا كلام عام وما ابتدع مبتدع إلا وقال اني أتبع الكتاب وادّعى أنه على منهج السنة فائتنا بقول فصل

(ج) يجب على المسلمين في أقطار الأرض أن يعمموا التعليم وينظروا فيما خلق الله عزوجل من العوالم العجيبة ويتفكروا ويتأملوا وينتفعوا بما أودع في هذا العالم من الصنائع المحكمة والعجائب المبدعة اه

﴿ خاتمة السورة ﴾

﴿ معجزات القرآن فى آخر الزمان ﴾

هل لك أيها الذكى أن أحدثك عن هذه الآيات وعجائبها . وكيف يقول الله لعيسى — أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله — وكيف يجمع الله الرسل ويسأل عيسى ابن مريم خاصة فيبرأ عيسى مما فعل النصارى . الله أكبر ظهر السر فى هذا العصر وتبين أن الأناجيل منقولة عن كتب الهند فنها مانقل عن كتب كرشنة والخرافات الشائعة حوله ومنها مانقل عن كتب (بوذا) انّ هذا لعجب عجاب . ان هذا التفسير حظه عظيم فقد جاء فى زمن انكشاف الحقائق . ألا ترى الى ماجاء فى كتاب ﴿ العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ﴾ وكيف كانت الحقائق التى فيه منقولة عن ثمانية وأربعين كتابا مؤلفا باللغات الأفرنجية مثل كتاب ﴿ ألن الهند ﴾ ومثل كتاب ﴿ أمبرلى تحليل الايمان ﴾ ومثل كتاب ﴿ الأديان القديمة ﴾ الخ فهل لك أن أطلعك نافلا من الكتاب على أن الأناجيل منقولة خرافاتها بالحرف من خرافات الهنود مصداقا لهذه الآيات اذ تبرأ المسيح من أكاذيبهم و بقى علينا أن نبين مصادر تلك الأكاذيب . جاء فى هذا الكتاب مانصه

﴿ مقابلة النص الصريح بين كرشنة ويسوع المسيح ﴾

(وهو مقابلة مايقوله الهنود الوثنيون عن كرشنة بما تقوله النصارى عن يسوع المسيح)

أقوال الهنود الوثنيين فى كرشنة ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيح ابن الله
كرشنة هو (المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الآب والابن وروح القدس)	يسوع المسيح هو (المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الآب والابن وروح القدس)
١ ولد كرشنة من العذراء ديفاكى التى اختارها الله والدة لابنه (كذا) بسبب طهارتها وعفتها	١ ولد يسوع من العذراء مريم التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها
٢ قد مجد الملائكة ديفاكى والدة كرشنة ابن الله وقالوا (يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة)	٢ فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيها المنعم عليها الرب معك
٣ عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذى ظهر فى السماء	٣ لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه فى المشرق و بواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته
٤ لما ولد كرشنة سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحا وطربا ورتل السحاب بأنغام مطربة	٤ لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحا وسرورا وظهر من السحاب أنغام مطربة
• كان كرشنة من سلالة ملوكانية ولكنه ولد فى غار بحال الذل والفقر	• كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه (ملك اليهود) ولكنه ولد فى حالة الذل والفقر بغار
٦ لما ولد كرشنة أضيء الغار بنور عظيم وصار وجه أمه ديفاكى يرسل أشعة نور مجد	٦ لما ولد يسوع المسيح أضيء الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه عينى القابلة وعينى خطيب أمه يوسف النجار
٧ ومن بعد ماوضعته صارت تبكى وتندب	٧ وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل (يامريم

سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها

٨ وعرفت البقرة أن كرشنة اله وسجدت له

٩ وآمن الناس بكرشنة واعترفوا بلاهوته وقدّموا له هدايا من صندل وطيب

١٠ وسمع نبيّ الهنود (نارد) بمولد الطفل الآلهي كرشنة فذهب وزاره فى (كوكول) وفحص النجوم فتبين له من فحصها انه مولود آلهي يعبد

١١ لما ولد كرشنة كان (ناندا) خطيب أمّه ديفا كى غائبا عن البيت حيث أتى الى المدينة كى يدفع ماعليه من الخراج للملك

١٢ ولد كرشنة بحال الذّل والفقر مع انه من عائلة ملوكانية

١٣ وسمع (ناندا) خطيب ديفا كى والدة كرشنة نداء من السماء يقول له قم وخذ الصبي وأمّه فهرّبهما الى (كاكول) واقطع نهرجنه لأن الملك طالب اهلاكه

١٤ وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الآلهي وطلب قتله ولكى يتوصل الى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها كرشنة

١٥ واسم المدينة التى ولد فيها كرشنة (مطرا) وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنة انه ابن الله وانه الله الى يومنا هذا

١٦ كانت ولادة القديس (راما) قبل ظهور كرشنة فى الناسوت بزمن قليل وقد سعى (قانسا) ملك البلاد فى اهلاك القديس (راما) واهلاك كرشنة أيضا

١٧ وربى كرشنة بين الرعاة ولما جىء به الى (مطرا) كان فى احتياج عظيم فأتى له بمعلم خبير وفى وقت قليل فاق على أستاذه فى العلوم وأعياه فى المسائل العلمية السنسكريتية الدقيقة

أنا يسوع ابن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذى أرسله أبى اليك وقد أتيت لاخلص العالم)

٨ وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له

٩ وآمن الناس بيسوع المسيح وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر

١٠ ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيردوس الملك إذ المجوس من المشرق قد جاؤا الى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود

١١ ولما ولد يسوع كان خطيب أمّه غائبا عن البيت وأتى كى يدفع ماعليه من الخراج للملك

١٢ ولد يسوع المسيح بحالة الذّل والفقر مع انه من سلالة ملوكانية

١٣ وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كى يأخذ الصبي وأمّه ويفرّ بهما الى مصر لأن الملك طالب اهلاكه

١٤ وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل الآلهي وطلب قتله ولكى يتوصل الى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها يسوع المسيح

١٥ واسم المدينة التى هاجر اليها يسوع المسيح فى مصر لما ترك اليهودية هى (المطرية) ويقال انه عمل فيها آيات وقوات عديدة

١٦ وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيردوس فى اهلاك يوحنا كما سعى فى اهلاك الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشرا بولادة يسوع المسيح

١٧ وأرسل يسوع المسيح الى عند المعلم ذاخوس كى يعلمه فكتب له أحرف ألف باء وقال ليسوع قل (ألف) فقال الرّب يسوع أخبرنى أوّلا عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول (الباء) فتهدّد المعلم يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر معنى

١٨ وفى أحد الأيام كان كرشنة سائرا مع قطيع من البقر فاختاروه ملكا عليهم وذهبت كل بقرة الى المكان الذى عينه لها هذا الملك

١٩ وفى أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنة الذين يلعب معهم فماتوا فشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر اليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعا من الموت وعادوا أحياء

٢٠ وسرق بعض أصحاب كرشنة مع عجولهم وأخفاهم السارقون فى غار فخلق كرشنة أصحابا وعجولا مثلهم فى الشكل والهيئة

٢١ وأوّل الآيات والعجائب التى عملها كرشنة شفاء الأبرص

٢٢ وأتى الى عند كرشنة بامرأة فقيرة مقعدة ومعها اناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وزباد وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة خصوصية وسكبت الباقى على رأسه

٢٣ كرشنة صلب ومات على الصليب

٢٤ لما مات كرشنة حدثت مصائب وعلامات شرّ عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس فى وسط النهار وأمطرت السماء نارا ورمادا وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون فى الأرض وشاهد الناس ألوفا من الأرواح فى جوّ السماء يتصاربون صباحا مساء وكان ظهورها فى كل مكان

٢٥ وثقب جنب كرشنة بحربة

٢٦ وقال كرشنة للصياد الذى رماه بالنبلة وهو مصلوب اذهب أيها الصياد محفوفا برحمتى الى السماء مسكن الآلهة

٢٧ ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات

الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة والحروف المنحنية والحروف المثناة والتى لها نقط وحركات والتى ليس لها نقط ولماذا وضعت فى هذا الترتيب أى بعض الحروف قبل غيرها وطفق يخبره عن أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها فى كتاب

١٨ وفى شهر آذار رجع يسوع الأولاد ورتبهم كأنه ملك عليهم . واذا مرّ بهم أحد كانوا يأخذونه غصبا و يأمرونه بالسجود للملك

١٩ و بينما كان يسوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذاك الصبى بيده فعاد الى حال صحته

٢٠ وأخفى الأولاد الذين كانوا يلعبون مع يسوع أنفسهم فى فرن فبدّلوا الى هيئة جداء (أى جديان) فناداهم يسوع تعالوا الى هنا يا أيها الأولاد لنلعب فأعيدت تلك الجداء الى هيأتهم الأولى صبيانا

٢١ وأوّل الآيات والعجائب التى عملها يسوع المسيح هى شفاء الأبرص

٢٢ وفيما كان يسوع فى منزل عتيا فى منزل سمعان الأبرص تقدّمت اليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ

٢٣ يسوع صلب ومات على الصليب

٢٤ لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوّعة وانشقّ حجاب الهيكل من فوق الى تحت وأظلمت الشمس من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون من القدّيسين وخرجوا من قبورهم

٢٥ وثقب جنب يسوع بحربة

٢٦ وقال يسوع لأحد اللصين للذين صلبا معه (الحقّ أقول لك انك اليوم تكون معى فى الفردوس)

٢٧ ومات يسوع ثم قام من بين الأموات

كرشنة

٢٨ ونزل كرشنة الى الجحيم

٢٩ وصعد كرشنة بجسده الى السماء وكثيرون يشاهدونه صاعدا

٣٠ ولسوف يأتى كرشنة الى الأرض فى اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء

٣١ وهو أى كرشنة يدين الأموات فى اليوم الأخير

٣٢ ويقولون عن كرشنة انه الخالق لكل شئ ولولاه لما كان شئ مما كان فهو الصانع الأبدى

٣٣ كرشنة الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شئ

٣٤ لما كان كرشنة على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التى كانت تكتنفه ونشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأعمى واعادة المخلوع كما كان أولا ونصرة الضعيف على القوى والمظلوم على ظالمه . وكان إذ ذاك يعبدونه ويزدحمون عليه ويعدونه الها

٣٥ كان كرشنة يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ بكثير

٣٦ وفى حضور أرجونا بدلت هيئة كرشنة وأضاء وجهه كالشمس ومجد العلى اجتمع فى كرشنة إله الآلهة فأحنى أرجونا رأسه تذللا ومهابة وتكتف تواضعا وقال باحترام الآن رأيت حقيقتك كما أنت وانى أرجو رحمتك يارب الأرباب فعد واظهر على فى ناسوتك ثانية أنت محيط بالملكوت

٣٧ وكان كرشنة خير الناس خلقا وخلقا وعلم باخلاص ونصح وهو الطاهر العفيف مثال الانسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البرهميين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت

يسوع المسيح

٢٨ ونزل يسوع الى الجحيم

٢٩ وصعد يسوع بجسده الى السماء وكثيرون شاهدونه صاعدا

٣٠ ولسوف يأتى يسوع الى الأرض فى اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر أيضا وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء

٣١ ويدين يسوع الأموات فى اليوم الأخير

٣٢ ويقولون عن يسوع المسيح انه الخالق لكل شئ ولولاه لما كان شئ مما كان فهو الصانع الأبدى

٣٣ يسوع الألف والياء والوسط وآخر كل شئ

٣٤ لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التى كانت تكتنفه وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأخرس والأعمى والمريض وينصر الضعيف على القوى والمظلوم على ظالمه وكان الناس يزدحمون عليه ويعدونه الها

٣٥ كان يسوع يحب تلميذه يوحنا أكثر من بقية التلاميذ

٣٦ وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج . وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائل هذا هو ابنى الحبيب الذى سررت له اسمعوا . ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا

٣٧ كان يسوع خير الناس خلقا وخلقا وعلم باخلاص وغيرة وهو الطاهر العفيف مكمل الانسانية ومثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر ظهر لنا بالناسوت

كرشنة	يسوع المسيح
٣٨ كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سرّ من أسراره العجيبة الالهية	٣٨ يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره فى الناسوت سرّ من أسراره العظيمة الالهية
٣٩ كرشنة الاقنوم الثانى من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين القائلين بألوهيته	٣٩ يسوع المسيح الاقنوم الثانى من الثالوث المقدّس عند النصارى
٤٠ وأمر كرشنة كل من يطلب الايمان باخلاص أن يترك أملاكه وكافة مايشتهيه ويحبه من مجد هذا العالم ويذهب الى مكان خال من الناس ويجعل تصوّره فى الله فقط	٤٠ وأمر يسوع كل من يطلب الايمان باخلاص أن يفعل كما يأتى (وأما أنت فمتى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصلّ الى أبيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية)
٤١ وقال كرشنة لتلميذه الحبيب أرجونا انه مهما عملت ومهما أعطيت الفقير ومهما أكلت ومهما قرّبت من قربان ومهما فعلت من الأفعال المقدسة الصالحة فليكن جميعه باخلاص لى أنا الحكيم والعليم ليس لى ابتداء وأنا الحاكم المسيطر والحافظ	٤١ فاذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيأ فافعلوا كل شئ لمجد الله
٤٢ قال كرشنة أنا علة وجود الكائنات فىّ كانت وفىّ تحلّ وعلىّ جميع مافى الكون يتكل وفىّ يتعلق كاللؤلؤ المنظوم فى خيط	٤٢ من يسوع وفى يسوع وليسوع كل شئ (كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان)
٤٣ وقال كرشنة (أنا النور الكائن فى الشمس والقمر وأنا النور الكائن فى اللهب وأنا نور كل ما يضيء ونور الأنوار ليس فىّ ظلمة)	٤٣ ثم كلمهم يسوع قائلا (أنا هو نور العالم من يتبعنى فلايمشى فى الظلمة)
٤٤ قال كرشنة (أنا الحافظ للعالم وربه وملجئه وطريقه	٤٤ قال له يسوع (أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتى الآب إلا بى)
٤٥ وقال كرشنة (أنا صلاح الصالح وأنا الابتداء والوسط والأخير والأبدى وخالق كل شئ وأنا فناؤه ومهلكه)	٤٥ وقال يسوع (أنا هو الأوّل والآخر ولى مفاتيح الهاوية والموت)
٤٦ وقال كرشنة لتلميذه الحبيب (لاتحزن يا ارجونا من كثرة ذنوبك أنا أخلصك منها فقط ثق بى وتوكل علىّ واعبدنى واسجد لى ولا تتصوّر أحدا سواى لأنك هكذا تأتى الىّ الى المسكن العظيم الذى لاحاجة فيه لضوء الشمس والقمر اللذين نورهما منى	٤٦ وقال يسوع للملوج ثق يابنى مغفورة لك خطاياك . يابنى أعطنى قلبك . والمدينة لاتحتاج الى شمس ولا الى قمر ليضيئا فيها الخروف سراجها

هذا شئ قليل من كثير اكتفينا به حبا بالاختصار

﴿ مقابلة النص الصريح بين بوظا ويسوع المسيح ﴾

(وهو مقابلة مايقوله الهنود الوثنيون عن بوظا بما تقوله النصارى عن يسوع المسيح)

أقوال الهنود الوثنيين فى بوظا ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيح ابن الله
١ ولد بوظا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل	١ ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل
٢ كان تجسد بوظا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا	٢ كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم
٣ لما نزل بوظا من مقعد الأرواح ودخل فى جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر بوظا فيه كزهرة جميلة	٣ لما نزل يسوع من مقعده السماوى ودخل فى جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة
٤ وقد دل على ولادة بوظا نجم ظهر فى أفق السماء ويدعونه (نجم المسيح)	٤ وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر فى المشرق * قال دوان ومن الواجب أن يدعى (نجم المسيح)
٥ ولد بوظا ابن العذراء مايا التى حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أى فى (٢٥ كانون الأول)	٥ ولد يسوع ابن العذراء مريم التى حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أى فى ٢٥ كانون الأول
٦ لما ولد بوظا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين (ولد اليوم بوظا على الأرض كى يعطى الناس المسرات والسلام ويرسل النور الى المحلات المظلمة ويهب بصرا للعمى	٦ لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا الأناشيد حمدا للواحد المبارك قائلين (المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة)
٧ وعرف الحكماء بوظا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه إله الآلهة	٧ وقد زار الحكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه (إله الآلهة)
٨ وأهدوا بوظا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة	٨ وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر
٩ لما كان بوظا طفلا قال لأمه مايا انه أعظم الناس جميعا	٩ لما كان يسوع طفلا قال لأمه مريم (أنا ابن الله)
١٠ كان بوظا ولدا مخيفا وقد سعى الملك بمبسارا وراء قتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينزع الملك من يده ان بقى حيا	١٠ كان يسوع ولدا مخيفا سعى الملك هيرودس ورأى قتله كى لا ينزع الملك من يده
١١ لما أرسل بوظا الى المدرسة وهو ولد أدهش الأساتذة مع انه لم يدرس من قبل وفاق الجميع فى الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسة والتنجيم والكهانة والعرافة	١١ لما أرسل يسوع الى المدرسة أدهش استاذه ذاخيوس وقال لأبيه يوسف (لقد أتيتنى بولد لا علمه مع انه أعلم من كل معلم)

بوظا	يسوع المسيح
١٢ لما صار عمر بوظا اثنتي عشرة سنة دخل أحد الهياكل وصار يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه	١٢ لما صار عمر يسوع اثنتي عشرة سنة جاؤا به الى (الهيكل) أورشليم وصار يسأل الأحبار والعلماء مسائل مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع
١٣ ودخل بوظا مرة أحد الهيا كل فقامت الأصنام من أماكنها وتمددت عند رجليه سجودا له	١٣ وكان يسوع مارًا قرب حاملي الأعلام فأحنت الأعلام رؤسها سجودا له
١٤ ويصلون نسب كوتاما بوظا من أبيه (صدودانا) في أناس كلهم من سلالة ملوكانية الى ماها سماطا وهو على زعمهم أوّل ملك صار في الدنيا والحوادث والأنساب المذكورة في كتاب (بيورازا) البرهمي توجد في أنسابه غير انه لا يمكن تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها وسبب ذلك هو أن مؤرخي البوظية أدخلوا فيها أسماء قبائل واخترعوا أسماء تمكنهم من اعلاء نسب حكيمهم عدا عن اعتبارهم اياه الها	١٤ ويعدون سلالة يسوع من أبيه يوسف في أشخاص مختلفين وكلهم من سلالة ملوكانية الى آدم أبي البشر وكثير من الأسماء والحوادث المذكورة في سلالته مذكورة في التوراة كتاب اليهود وليس بالامكان تحقيق حكاياتهم مع بعضها بعضا ويظهر لنا أن المؤرخين النصارى قد اخترعوا أسماء قصد اعلاء نسب حكيمهم علاوة على قولهم بألوهيته
١٥ لما شرع بوظا على السياحة قصد التعبد والتنسك وظهر عليه — مارا — (أي الشيطان) كي يجربه	١٥ لما شرع يسوع في التبشير ظهر له الشيطان كي يجربه
١٦ وقال مارا (أي الشيطان) لبوظا لا تسرف حياتك في الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا	١٦ وقال (أي ابليس) له (أي ليسوع) أعطيك هذه (أي الدنيا) جميعها ان خررت وسجدت لي
١٧ فلم يعبأ بوظا بكلام الشيطان بل قال له (اذهب عني)	١٧ فأجابه يسوع وقال اذهب ياشيطان
١٨ ولما ترك مارا (أي الشيطان) تجربة بوظا أمطرت السماء زهرا وطيبا ملأ الهواء طيب عرفه	١٨ ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه
١٩ وصام بوظا وقتا طويلا	١٩ وصام يسوع وقتا طويلا
٢٠ وقد عمد بوظا المخلص وحين عمادته بالماء كان روح الله حاضرا وهو لم يكن الاله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما حلّ على العذراء مايا	٢٠ ويوحنا عمد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الاله العظيم فقط بل والروح القدس الذي فيه تمّ جسده عند ما حلّ على العذراء مريم فهو الآب والابن والروح القدس
٢١ ولما كان بوظا على الأرض في أواخر أيامه بدّلت هيئته وهو إذ ذاك على جبل (بنداقا) أي الأصفر المبيض في (سيلان) ونزل عليه بغتة نور أحاط برأسه على شكل اكليل ويقولون ان	٢١ لما كان يسوع على الأرض بدّلت هيئته وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت

بوظا	يسوع المسيح
جسده أضاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب برّاق مضيء كالشمس أوكالقمر وحينئذ تحوّل الى ثلاثة أقسام مضيئة وحينما رأى الحاضرون هذا التبدّل فى هيئته قالوا ماهذا بشرا . إن هو إلا اله عظيم	ثيابه بيضاء كالنور
٢٢ وعمل بوظا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوّره	٢٢ وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوّره
٢٣ وفى صلاتهم لبوظا يأمل المؤمنون به دخول الفردوس	٢٣ وفى صلاتهم ليسوع يأمل المؤمنون بألوهيته دخول الفردوس
٢٤ لما مات بوظا ودفن انحلت الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوّة غير طبيعية أى بقوّة الهية	٢٤ لمامات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوّة غير اعتيادية أى بقوّة الهية
٢٥ وصعد بوظا الى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض	٢٥ وصعد يسوع بجسده الى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله على الأرض
٢٦ ولسوف يأتى بوظا مرة ثانية الى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها	٢٦ ولسوف يأتى يسوع مرّة ثانية الى الأرض و يعيد السلام والبركة فيها
٢٧ وسيدين بوظا الأموات	٢٧ وسيدين يسوع الأموات
٢٨ بوظا الألف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأزلى	٢٨ يسوع الألف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأبدى
٢٩ قال بوظا فلتكن الذنوب التى ارتكبت فى هذه الدنيا علىّ ليخلص العالم من الخطيئة	٢٩ يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب التى ارتكبت فى العالم تقع عليه عوضا عن الذين اقترفوها ويخلص العالم
٣٠ قال بوظا اخفوا الأعمال الحسنة التى تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية	٣٠ قال يسوع اخفوا الأعمال الحسنة التى تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية
٣١ ويصفون بوظا أنه ذات من نور غير طبيعية والشرّير مارا (ويدعونه أيضا الحية) ذات مظلمة غير طبيعية	٣١ ويصفون يسوع انه ذات من نور غير طبيعية شمس برّ وعدوّه الشيطان الحية القديمة
٣٢ وفى أحد الأيام التقى (اناندا) تلميذ بوظا وهو سائر فى البلاد بالمرأة (متا.بى) وهى من سبط (الكندلاس) المرذولين قرب بئر ماء فطلب منها قليلا من الماء فأخبرته عن سبطها وانه لايجوز له أن تقترب منه لأنها من سبط محتقر فقال لها يا أختى انى لم أسألك عن سبطك وعن عائلتك انما سألتك شربة ماء فصارت من ذاك	٣٢ وفى أحد الأيام قعد يسوع قرب بئر ماء بعد ماسار مسافة حتى كاد ينهكه التعب وبينما هو قاعد قرب البئر عند مدينة (السامرة) أتت امرأة سامرية لتملأ جرتها من البئر . فقال لها يسوع اسقينى شربة ماء . فقالت له المرأة السامرية أنت يهودى وكيف تطلب منى شربة ماء فان اليهود لايستحلون معاملة السامريين

بوظا

الحين تلميذة بوظية

٣٣ قال بوظا انه لم يأت لينقض الناموس . كلا . بل أتى ليكمله وقد سرّه عدّ نفسه حلقة فى سلسلة المعلمين الحكماء

٣٤ وبحسب تعليم بوظا يجب أن تكون كافة أعمالنا مع أهلنا وجيراننا بالمحبة والحسنى

٣٥ وفى أوائل أيام بوظا التى علم و بشر فيها ذهب الى مدينة بيفارس وعلم فيها فتبعه كوندنيا ثم تبعه أربعة رجال آخرين وصاروا جميعهم تلامذة له ومن ذلك الحين صار أينما علم وكرز يتبعه رجال ونساء كثيرون ويصيرون من أتباعه وتلاميذه

٣٦ وقال بوظا للذين صاروا تلامذة له كى يتركوا الدنيا وغناهم و ينذرون عيشة الفقر والفاقة

٣٧ وجاء فى كتب البوظية القانونية المقدسة أن الجموع طلبوا من بوظا آية كى يؤمنوا به

٣٨ لما اقترب انتهاء أيام بوظا على الأرض وعلم الحوادث المقبلة التى ستقع قال لتلميذه (اناندا) ما يأتى (يا اناندا متى أنا ذهبت لاتظن أنه لم يعد لبوظا وجوده كلا فالكلام الذى قلته والفرائض التى افترضتها تكون خلفا عنى وهى لك كذاتى أنا

٣٩ وجاء فى التعاليم البوظية بأن انفاق الانسان لماله من أعظم الصعوبات ومن ينفق غناه هو أشبه بمن يهب روحه لأن النفس تبخل بالمال وتتمسك به واما هو فقد وهب ونذر حياته شفقة وحنوا لخير الناس فلماذا تتمسك بغناء الدنيا لزهيد . ولما تخلص بوظا من حبّ المشتهيات الدنيوية وملذاتها نال المعرفة الالهية وصار الرأس فليعمل الرجل الحكيم الهاجر للذات الدنيا الخير مع كل أحد حتى تقديم نفسه فداء عن الغير عندها يصل الى المعرفة الحقيقية

٤٠ وكان قصد بوظا تشييد مملكة دينية أى مملكة سماوية

٤١ وقال بوظا (الآن أحببت ادارة دولاب

يسوع المسيح

٣٣ وقال يسوع (لاتظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ماجئت لأنقض بل لأكمل)

٣٤ قال يسوع (أحبوا أعداءكم باركوا لأعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم)

٣٥ وفى أوائل أيام يسوع التى علم و بشر فيها ذهب الى مدينة (كفرناحوم) وعلم فيها فتبعه بذلك الحين أربعة رجال صيادين وصاروا تلاميذ له ومن هذا الحين صار أينما كرز يتبعه رجال ونساء كثيرون ويؤمنون به

٣٦ وقال يسوع للذين صاروا تلاميذ له كى يتركوا غناهم و ينذرون عيشة الفقر والفاقة

٣٧ وجاء فى كتب النصارى الدينية المقدسة أن الجموع طلبوا من يسوع علامة (أى آية) ليؤمنوا به

٣٨ لما اقترب انتهاء أيام يسوع على الأرض أخبر عن الحوادث التى ستقع من بعده وقال لتلاميذه (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر)

٣٩ واذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية . قال له يسوع ان أردت أن تكون كاملا فاذهب و بع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى . لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون و يسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون

٤٠ ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات

٤١ من بعد تجربة الشيطان ليسوع ابتدأ

بوظا	يسوع المسيح
الشريعة العظيم ومن أجل هذا فانى ذاهب الى مدينة (بينارس) لأهب نورا للتائهين فى الظلام وأفتح باب الحياة للانسانية	يسوع بتأسيس مملكة دينية ومن أجل هذا الغرض ذهب الى مدينة (كفرناحوم) ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورا عظيما والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور
٤٢ وقال بوظا لتلميذه الحبيب (اناندا) يا اناندا ان كلامى حق لاريب فيه فلايزول قطعيا ولو وقعت السموات على الأرض وابتلع العالم وجفت البحار واندك جبل سومر وصار قطعا	٤٢ الناموس أعطى لموسى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا • الحق أقول لكم السماء والأرض تزول ولكن كلامى لايزول
٤٣ قال بوظا (لايوجد شئ أعظم فعلا فى الانسان من الاشتهاء والهوى الشهوانى ولحسن الحظ والسعادة لايوجد سوى اشتهاء شهوانى واحد ولو كان يوجد اشتهاء آخر لما كان على وجه الأرض رجل يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق بصركم فى النساء وان كنتم مجتمعين معهن فاجعلوا اجتماعكم كأنكم غير حاضرين معهن واذا كلمتموهن فاحترسوا على قلوبكم	٤٣ وقال يسوع (قد سمعتم انه قيل للقدماء لاتزن • وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه
٤٤ وقال بوظا (الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط ويرى الحياة الزوجية كأتون نار متأججة ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنا	٤٤ حسن للرجل أن لايمس امرأة ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق
٤٥ ومن جملة التعاليم البوظية قولهم (اذا أصاب الانسان حزن وآلام وبؤس وقنوط فان ذلك يدل على أنه ارتكب آثاما وهذه الآلام جزاء عليها • واذا لم يكن ارتكب شيأ من الآثام فى هذا الدور الحاضر من حياته لابد وأن يكون قد ارتكبه فى أحد الأدوار السابقة من ظهوره (أى فى أحد أدوار تقمصه)	٤٥ وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين يامعلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى)
٤٦ كان بوظا يعلم أفكار الناس عند مايدير تصوراته نحوهم ويقدر على معرفة أفكار المخلوقات كلها	٤٦ كان يسوع يعلم أفكار الناس عند ما يدير تصوراته نحوهم وانه قادر على معرفة أفكار المخلوقات كلها
٤٧ وجاء فى كتاب الصوماديفا حكاية منسوبة لأحد القديسين البوظيين انه قلع عينه	٤٧ قال يسوع (فان كانت عينك اليمين تعثرك فاقلعها والقها عنك)

بوظا	يسوع المسيح
ورماها لأنها أشككته	
٤٨ لما عزم بوظا على التنسك كان راكبا جوادا يدعى (كنتاكو) ففرشت الملائكة طريقه بالزهر . اه	لما كان يسوع داخلا الى أورشليم راكبا حمار فرشت الجموع الطريق بأغصان النخيل . اه

(تم بحمد الله الجزء الثالث من تفسير الجواهر)

(ويليه الجزء الرابع أوله تفسير سورة الأنعام)

﴿ الخطأ والصواب ﴾

علينا التصحيح ففاتنا سقط يخل بالمعنى وأشياء أخرى يدركها القارئ بلا تنبيه . وهذا جدول بما عثرنا عليه من ذلك

صحيفة	س	خطأ	صواب
١٢	٨	تعداد	تعتد
٢٦	١٦	عليه اذا قبل توبته	
٢٧	١١	بموتها	بموته
٢٨	٤	أن يتركوا القراءة	أن يكتفوا بالقرآن
٣٠	١٧	وعزوه	وعروه
٣٠	١٨	زواج	أزواج
٣٢	١٢	أواعلم	واعلم
٣٧	٢٩	تينهما	بينهما
٤٢	٦	الا الله	الله إلا
٤٥	٤	ثلاث	ثلاثة
٤٥	٢١	أو يعلو	أو يعلوا
٤٧	١١	رلالا	رجالا
٤٩	٨	فى ازاله	ازاله
٥٢	١٣	فلعل	مافعل
٥٧	٤	وقلنا	وقلتنا
٦٤	٢١	(وحرّض المؤمنين على القتال عسى	(وحرّض المؤمنين) على القتال
٦٨	١٢	وتتمّ صلاتها	ويتمّ صلاته
٦٨	١٤	فليفعل بهم الى قوله كما تقدّم	فليصفهم صفين ويحرم بهم جميعا فاذا سجد سجد معه أحد الصفين ووقف الصف الآخر يحرسهم فاذا رفع سجدوا ولحقوه وتشهد الامام بالصفين
٦٨	٢١	وزياد	وابن زياد
٧٠	١١	لصوره	الصوره
٧٠	١٦	اسيارطه	اسبارطه
٨١	٢٥	أحد	أحدا
٨٦	٢٥	يفتيكم	يفتيكم فيهنّ
٩٨	٢٤	يفعلون	يغلفون
١٠٠	٧	الدين	الدين
١٠٣	١٠	فقتاوه	فقبلوه
١٠٤	١٣	حتى	حين
١٠٥	١٢	مالاعمل	مالاعمل له
١١٤	١٧	سرع	أسرع
١١٩	٨	الروس	الرؤى
١١٩	١٣	بيان الطهر والبصيرة	بيان البحيرة
١٢٨	١١	وجربت	وجربت
١٢٨	١٦	مالايأ كل	من لايأ كل
١٢٨	١٨	مايأ كل	من يأ كل
١٣٢	٤	وآكله	واكله
١٣٦	٢٦	حين كونه	حال كونه
١٤٠	٣١	تقول	يقول
١٤١	١٣	الكبرياء	الكبرياء
١٥١	١٩	لابناءنا	لأبنائنا
١٥٢	١٤	وكم	وكأين
١٥٧	٣١	مضار	فصار
١٥٨	١٢	للأمر	للأمه
١٦٠	٣٣	الغربانية	الغرابية
١٦٢	٢٢	الهواء	الماء
١٧٦	١١	فقال	قال
١٩١	١٦	ولاتضعوها	ولاتضعونها
١٩٤	٨	أن ينزل	ينزل
١٩٥	٣٥	وانفسها	
١٩٦	١٥	والاسى	وللاس
١٩٦	٢٣	والاسى	وللاس
١٩٦	٣٠	تنطق	تنطلق
١٩٧	١٥	عمل	عجل
٢٠٣	٢٣	نعم	نعم حكايات
٢٠٣	٢٣	من ٢٠	منذ ٢٠
٢٠٨	٣	تشاهدونه	يشاهدونه
٢٠٨	٢٤	وجه	وجهه